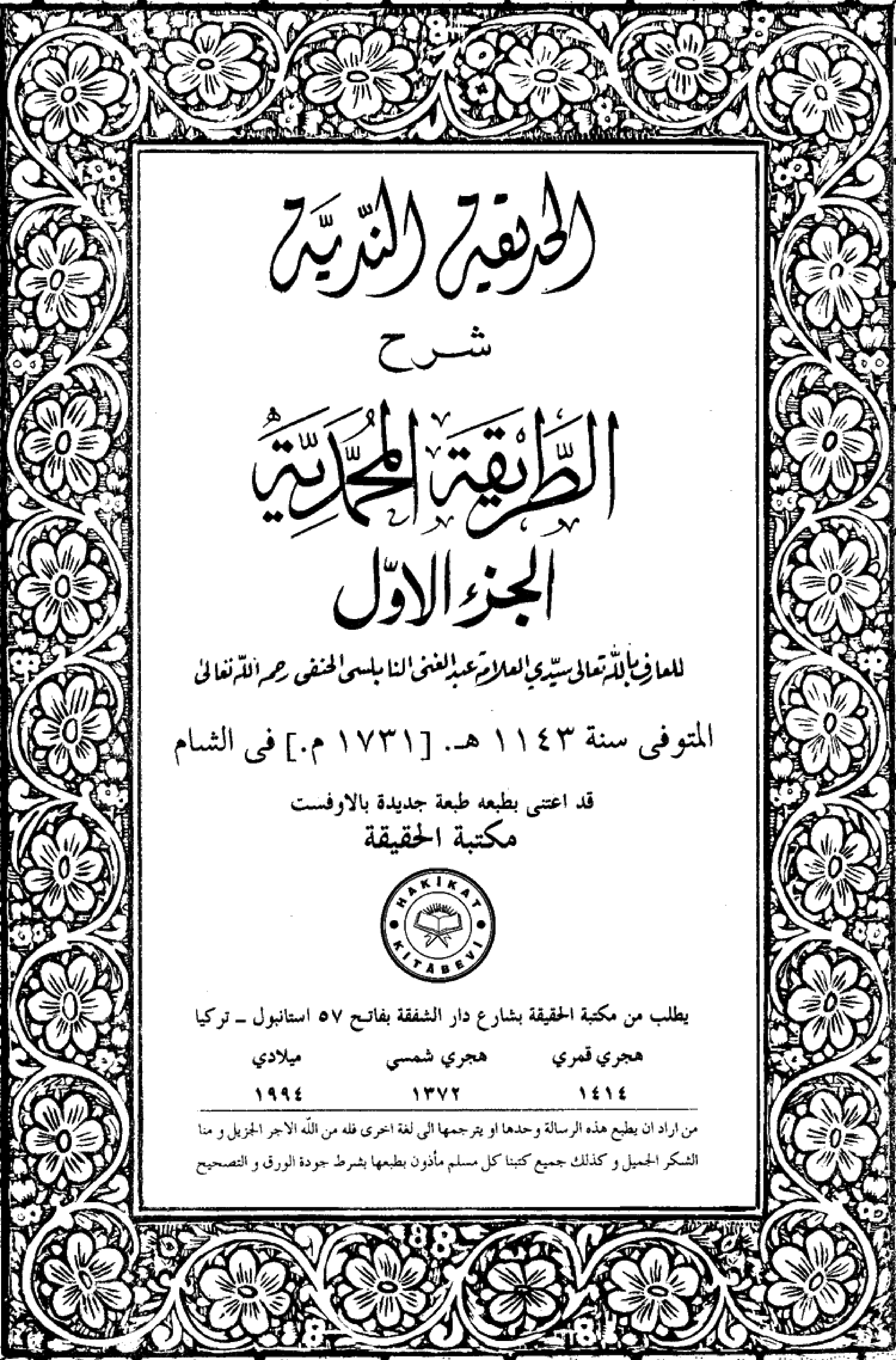


الحديقة الندية

شرح

الطريقة المحمدية

الجزء الاول

للعارف بالله تعالى سيدي العلامة عبد الغني النابلسي الحنفي رحمه الله تعالى

المتوفى سنة ١١٤٣ هـ. [١٧٣١ م.] فى الشام

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالاوفست
مكتبة الحقيقة

يطلب من مكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفاتح ٥٧ استانبول ـ تركيا

هجري قمري	هجري شمسي	ميلادي
١٤١٤	١٣٧٢	١٩٩٤



شرح الطريقة المحمدية

لسيدى عبد الغنى

النابلسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الابرار * حتى سرح طرف قلوبهم فى الحدائق اليانعة من تلك المعارف والاسرار * واذاقهم حلاوات مناجاته فى خلوات عباداته وكشف عن وجوههم استار الاغيار * فتسابقوا فى ميدان التوحيد على خيل التجريد مسرجة بالتفريد فلم يدرك لهم غبار * وجعلهم حجة على اهل الغفلة المكبلين فى قيود الاغترار * ومحجة واضحة الى عناية المالك الجليل وحماية الملك الجبار * والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبى المختار * الذى اهتدى بانوار شرائعه وارتوى بانواء ذرائعه ذو الغواية المختار * صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود لوصل كل من اتبعه الى رؤية الله تعالى فى دار القرار * وعلى آله السادة الاطهار * الطالعين فى سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والاقمار * وعلى اصحابه الائمة الكاملين فى جميع الاطوار * اهل الزهد والتوكل والاستقامة والايثار * خصوصا الخلفاء الاربعة منهم والمهاجرين والانصار * وعلى التابعين لهم باحسان ما تعاقب الليل والنهار * (اما بعد) فيقول الفقير الحقير * المعترف بالعجز والتقصير * عبد الغنى بن اسماعيل ابن عبد الغنى بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعد الدين بن جماعة النابلسى الدمشقى الحنفى اخذ الله تعالى بيده * وامده بمدده * ورحم اجداده واسلافه * وسقاهم من الرحيق المختوم فى الجنان سلافه * لما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ما جل منه وما دق كانت الشريعة

ما ظهر للمجتهدين من اقواله وافعاله * والطريقة ما تبين للسالكين من اخلاقه واحواله * والحقيقة ما انكشف للواصلين من مكاشفاته فى معاملاته وخطر على باله * وللشريعة فقهاء وكتب لهم مؤلفة فى ذلك * وللطريقة فضلاء وكتب لهم مصنفة للسالك * وللحقيقة علماء وكتب لهم مشيرة الى ما هنالك * وان من اجل المصنفات فى علم الطريقة التى هى البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة (كتاب الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية) التى صنفها الشيخ الامام * والمولى الهمام * العالم العامل * والفاضل الكامل * محمد افندى الرومى البركلى تغمده الله تعالى[1] برحمته ورضوانه * واسكنه فسيح جنانه * كان ابوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من اصحاب الزوايا ونشأ هو فى طلب العلوم والمعارف حتى برع فيهما واشتغل على المولى محيى الدين اخى زاده وصار ملازما من المولى عبدالرحمن احد قضاة العساكر فى زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبدالله القرمانى البيرامى ثم امره شيخه بالعود الى الاشتغال بمدارسة العلوم وافادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل بينه وبين عطاء معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطاء المذكور مدرسة بقصبة بركل وجعله مدرسا فيها وعين له فى كل يوم ستين درهما * له من المصنفات هذا الكتاب الذى سماه الطريقة المحمدية والسيرة الاحمدية وشرح مختصر الكافية للبيضاوى فى النحو وله متن لطيف فى علم الفرائض وله فى الحديث والقرا آت والفقه تعاليق ورسائل كان قائما بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم ينصر الشريعة ولا يهاب كبيرا ولا صغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفى فى جمادى الأولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة * رحمه الله تعالى وكتابه هذا لله من كتاب لطيف * وتأليف شريف * مزج فيه المسائل الفقهيات بالمقامات الزهديات * وجمع بين الفوائد العلميات والفرائد الاعتقاديات * واتقن تحريره * واوضح تقريره * ونصح فيه الامة * وازال به عن القلوب الغمة * وقد دعانى الى شرحه بعض الاصحاب * جعلنى الله تعالى واياه من المؤيدين بالعناية والصواب * ولما لم اكن وقفت له على شرح يكشف عن عباراته * ويوضح ما اشكل عند القاصرين من اشاراته * فشرعت فى شرح له مختصر المبانى * مستجمع المعانى * يجذب الى محاسنه قلوب اهل الكمال * ويصرف عن التطفل على موائد فوائده اهل التعصب من الجهال * وقد سميته (الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية) ومن الله تعالى استمد الهداية والتوفيق * واسأله ان يوقفنى مواضع الزلل ويؤيدنى بالتحقيق * وان ينفع بكتابى هذا امة محمد عليه الصلاة والسلام * ويوفقهم لعلمه والعمل به ويمنحنى واياهم حسن الختام * وحسبنا الله ونعم الوكيل * والله يقول الحق وهو يهدى السبيل * قال المصنف رحمه الله تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم) لاسم كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا

(١) محمد بن على البركوى توفى سنة ٩٨١ هـ [١٥٧٣ م] فى قرية برگى من قرى

لابد من مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمى بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها اوتخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمى هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هى اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق اواحس به فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى اوغيره وهى مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى* سبح اسم ربك الاعلى* والتسبيح انما هو للرب جل وعلا فدل على ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب معنى سبح اذكر فكأنه قال اذكر اسم ربك كقوله تعالى* واذكر اسم ربك بكرة واصيلا* وقد اشرب معنى اذكر سبح عكس الاول قال تعالى* واذكر ربك* اى سبح ربك والاشراب جار فى لغتهم يشربون معنى فعل فعلا واستشكل على معنى كونه هو المسمى اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشئ الى نفسه واجيب بان الاسم هو بمعنى التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هى اللفظ بالاسم والاسم هو اللازم للمسمى فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمى ايضا بقوله تعالى* بغلام اسمه يحيى* ثم قال يايحيى خذ الكتاب بقوة فنادى الاسم فدل على انه المسمى وجوابه ان المعنى ياايها الغلام الذى اسمه يحيى ولو كان الاسم عين المسمى لكان من قال النار احترق لسانه ومن قال العسل ذاق حلاوته كذا قاله القسطلانى فى مواهبه وذكرنا فى كتابنا المطالب الوفية اختلاف العلماء فى الاسم والمسمى والتسمية على اثنين واربعين قولا وحررنا هذه المسئلة هناك اكمل تحرير باوضح تقرير وفى حاشية تفسير البيضاوى لشيخى زاده ذهب جمهور اهل اللغة فى اسم الله الى انه عربى مشتق صار علما بالغلبة لان اسماء الله تعالى كلها صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها فيتوسل بها اليه فان قدماء الفلاسفة انكروا ان يكون لله تعالى بحسب ذاته المخصوصة اسم بناء على ان المراد من وضع ذلك الاسم ان يذكر عند احد لتعريف ذلك المسمى به وقد ثبت ان احدا من خلقه لايعرف ذاته المخصوصة البتة فكيف يشار اليه بذكر اسم واذا لم يصح ان يشار اليه بذكر اسم لم يبق لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة فثبت ان هذا النوع من الاسم مفقود وان جميع اسمائه صفات مشتقة وهى ماتدل على ذات مبهمة باعتبار معنى معين وانما قلنا ان ذاته المخصوصة ليس معقولا لاحد لانا اذا رجعنا الى عقولنا لانجد عند عقولنا من معرفة الله تعالى الا احد امور اربعة اما العلم بكونه موجودا واما العلم بدوام وجوده واما العلم بصفات الجلال وهى الاعتبارات السلبية واما العلم بصفات الاكرام وهى الاعتبارات الاضافية وقد ثبت بالدليل ان ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الاربعة فانه ثبت ان حقيقته غير وجوده واذا كان كذلك

كانت حقيقته ايضا مغايرة لدوام وجوده وثبت ايضا ان حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية والاضافية واذ قد تحقق انه ليس فى عقولنا من معرفته تعالى الا هذه الامور الاربعة وانها مغايرة لحقيقته المخصوصة ثبت ان حقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر وانه لا سبيل الى ادراكه من حيث هو هو وهو المسمى بالمعرفة الذاتية وانما نعرفه بالامور الخارجية عنه وهو المعرفة العرضية وهى كما اذا رأينا بناء علمنا بطريق الابصار بانه لابد له من بان فالمعلوم بالذات هو البناء واما البانى فهو معلوم بالعرض فى هذه الصورة وعلم البانى لكونه بانيا له لا يستلزم علمه بخصوصيته وخصوصية حقيقته وانها من اى نوع الماهيات والمعرفة الذاتية كما اذا عرفنا اللون المعين ببصرنا وعرفنا الحرارة بلمسنا وعرفنا الصوت بسمعنا فانه لا حقيقة للحرارة والبرودة الا هذه الكيفية الملموسة ولا حقيقة للبياض والسواد الا هذه الكيفية المرئية وكذا الحال اذا رأينا المحدثات وعلمنا احتياجها الى محدث وخالق فقد عرفنا الله تعالى معرفة عرضية وهى التى فى وسع البشر فى الدنيا واجاب بعضهم انه لا يمتنع فى قدرة الله تعالى ان يشرف بعض المقربين من عباده بان يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة ومن العلماء من تورع فى لفظ الجلالة عن طلب مأخذه وذكر معناه ومنهم من قال لعله مشتق لا يعرف المشتق منه ولم نكلف بمعرفته وقال بعضهم هو اسم عربى علم غير مشتق كما ذهب اليه الخليل والزجاج وقال بعضهم انه سريانى معرب ثم ذكر اشتقاقه واطال الكلام فى ذلك (والرحمن الرحيم) اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم بان جعل الفعل المتعدى لازما بمنزلة الغرائز ليفيد المبالغة فنقل الى فعل بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة وانما ابتدأ بالبسملة اقتفاء لاثر القرآن العظيم واحترازا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم (كل امر ذى بال) يعنى حالا يهتم به شرعا فيخرج المحرم والمكروه وفى المباح كلام (لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم) اى اقطع بمعنى مقطوع البركة (الحمد لله) وهو لغة الثناء بالجميل ولو ادعاء الاختيارى ولو ما لا على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد اوغيره فورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا اختياريا كان اوغيره على جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم الممدوح والشكر لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر اوغيره وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله وتمامه فى كتاب الاحكام للشيخ الوالد رحمه تعالى واعقب التسمية بالتحميد اقتداء باسلوب الكتاب المجيد وعملا بقوله عليه السلام (كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو اقطع) رواه ابو داود وغيره من حديث ابى هريرة ولا تعارض بين حديثى البداءة بالتسمية والتحميد

لارادة الحمد العرفي وهو اعم من فعل اللسان فانه يحصل بالقلب فيمكن البداءة معاً في وقت واحد بالتسمية باللسان و بالحمدلة بالقلب كما حررته في كتابتي على اوائل تفسير البيضاوي فيكون ذكره باللسان ايضا اخبارا عما في القلب و تأكيدا له (الذي جعلنا) معاشر امة محمد صلى الله عليه وسلم امة الاجابة وهم المؤمنون ويحتمل ان يراد جميع من ارسل اليهم محمد صلى الله عليه وسلم وهم امة الدعوة ايضا على تقدير ايمانهم لو كانوا مؤمنين (امة وسطا) بالتحريك اى خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل ولهذا اعقبه في الآية بقوله تعالى* لتكونوا شهداء على الناس* لان منصب الشهادة مفتقر لوصف العدالة و بهذا يقوى دليل ابى حنيفة رضي الله عنه في جعله كل مسلم عدلا وقال الشافعية هذا باعتبار الكل المجموع لا باعتبار الافراد ولصحة هذا الاعتبار قال تعالى *واشهدوا ذوى عدل منكم * ولما كانت الاطراف مما يتسارع اليها الخلل والاغوار والاوساط محمية محفوظة فسر الوسط بالعدل لانه عدل بين الاطراف ليس الى بعضها باقرب من بعض ذكره بن اقبرس في فتح الصفا شرح الشفا وقال البيضاوي الوسط في الاصل اسم للمكان الذي تستوي فيه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها (خيرامم) الاول اقتباس من قوله تعالى* وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا* وهذا اقتباس ايضا من قوله تعالى* كنتم خير امة اخرجت للناس* فان الاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن والحديث لا على انه منه كما ذكره علماء البديع فلا يضر الحذف والتغيير قال الكازروني في حاشية البيضاوي ولا يجب في الاقتباس الا الاتيان ببعض الفاظ القرآن والحديث واما ايراده من غير زيادة ولا نقصان فلا يجب انتهى فتأمل قوله كنتم اى في اللوح المحفوظ او في علم الله او فيما بين الامم المتقدمين وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى *وكان الله غفورا رحيما* قال ابن اقبرس خيرامة اى افضل امة لان دينه صلى الله تعالى عليه وسلم خير الاديان لقوله تعالى* ان الدين عند الله الاسلام *وهو شهادة الله والملائكة واولى العلم وكفى بالله شهيدا وهذه منة عظيمة من الله تعالى على عباده بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وقال السلمي في حقائقه قال يحيى بن معاذ هذه مدحة لهم ولم يكن الله تعالى ليمدح قوما ثم يعذبهم وقال جعفر الصادق تأمرون بالمعروف وهو موافقة الكتاب والسنة وفي مواهب القسطلاني قال مجاهد كنتم خيرامة اخرجت للناس اذا كنتم على الشرائط المذكورة اى تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل انما صارت امة محمد عليه السلام خيرامة لان المسلمين منهم اكثر الامم

بالمعروف والنهى عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال
عليه السلام خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول
هذه الامة افضل ممن بعدها والى هذا ذهب بعض العلماء وان من صحبه صلى الله
عليه وسلم ورآه ولو مرة من عمره افضل من كل من يأتى بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن يأتى
بعد الصحابة افضل ممن كان فى جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس
قرنى ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن بين الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه
عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الايمان واهل الكبائر الذين اقام عليهم
وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن
رآنى وآمن بى مرة وطوبى لمن لم يرنى وآمن بى سبع مرات وفى مسند ابى دواد
الطيالسى عن محمد بن ابى حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا
عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال اتدرون اى الخلق افضل ايمانا قلنا الملائكة
قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم
افضل الخلق ايمانا قوم فى اصلاب الرجال يؤمنون بى ولم يرونى فهم افضل الخلق
ايمانا وروى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب
الى بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر
لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل
قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث تقتضى تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه
الامة وآخرها فى فضل العمل الا اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب
والله يؤتى فضله من يشاء واسناد حديث ابى دواد الطيالسى الى عمر ضعيف فلا يحتج
به لكن روى احمد والدارمى والطبرانى عن ابى عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا
معك وجاهدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى واسناده حسن
وصححه الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله
صلى الله عليه وسلم والدلائل على افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل
بذكرها انتهى ويمكن التوفيق بين ما ذهب اليه ابو عمر بن عبد البر وبين ما ذهب
اليه الجمهور بان الصحابة افضل من وجه الصحبة التى لا يعادلها عمل ويمكن ان يكون
غيرهم افضل منهم من وجوه اخرى وبهذا يندفع التعارض بين الاحاديث والله اعلم
(والصلاة) هى من الله تعالى الرحمة ومعناها تعظيم شريعته وابقاؤها الى يوم
القيمة وفى الآخرة تشفيعه فى امته ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله صلى الله
عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة على احد الوجوه
ومن المؤمنين دعاء له ببعثه المقام المحمود واولى ما يراد بها ههنا ما امرنا به صلى الله

عليه وسلم بقوله سلوا لى الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ذكره الوالد رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال فى فتح البارى وهذا اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابى حاتم عن مقاتل بن حبان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك ابن مزاحم صلاة الله رحمته وفى رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل القاضى عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة فى قوله سبحانه * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى * صلوا عليه وسلموا تسليما * حتى سألوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة فى تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته واقرهم النبى صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك فى السلام وجوز الحليمى ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على انبيائه هى ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهى التى وسعت كل شئ وحكى القاضى عياض عن ابى بكر القشيرى انه قال الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم من الله تعالى تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبى رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبى وبين سائر المؤمنين حيث قال تعالى فى سورة الاحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبى وقال قبل ذلك فى السورة المذكورة هو الذى يصلى عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذى يليق بالنبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ارفع مما يليق بغيره وقال الحليمى المقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال امره تعالى وقضاء حق النبى صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبى صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافأناه بالدعاء فارشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابى محمد المرجانى وقال ابن العربى فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذى يصلى عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة

عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى * هو الذى يصلى عليكم وملائكته * وبقوله تعالى * اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة * وبقوله تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم * وبحديث عبدالله بن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على آل ابى اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعار الانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال ابو بكر صلى الله عليه وسلم او على صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله تعالى وحملوا ما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم العصمة فلا يقتدى بهم فى ذلك ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولى اقوال ثلاثة حكاها النووى فى الاذكار ثم قال والصحيح الذى عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم والله اعلم (والسلام) اى الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان او هو مصدر بمعنى سلمه الله اى جعله سالما ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال على عليه السلام والاحياء والاموات فيه سواء غير ان الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمع بين الصلاة والسلام امتثالا لقوله تعالى * ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * وحذرا من كراهة افراد احدهما عن الآخر ولو خطا وقد صرحوا بانه يكره ترك الصلاة والسلام والاقتصار على احدهما وقيل المراد بالكراهة خلاف الاولى وليست على بابها فان الاتيان بهما فيه اجر وتركهما او احدهما مخل بذلك الاجر وترك للاولى ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه ويستحب الترضى للصحابة والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الاخيار وهل يجوز عكسه فقال بعضهم لا يجوز بل الترضى مخصوص بالصحابة ويقال لغيرهم رحمه الله فقط وقال النووى هذا غير صحيح بل الصحيح الذى عليه الجمهور استحبابه ودلائله اكثر من ان تحصى واما اذا ذكر من اختلف فى نبوته كذى القرنين ولقمان فقال بعض العلماء كلاما يفهم منه ان يقال صلى الله عليه وسلم قال النووى والذى اراه ان هذا لا بأس به وان الارجح ان تقول رضى الله عنه لان هذا مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهما نبيين واما الصلاة والسلام على الملائكة استقلالا فقال النسفى فى مسائل شتى آخر الكنز ولا يصلى على غير الانبياء والملائكة الا بطريق التبع وفى اذكار النووى اجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الملائكة والانبياء استقلالا (على افضل من) اى شخص (اوتى) اى آتاه

الله تعالى (النبوة) بالهمز مأخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه فيكون نبيا منبئا او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبئا بما اطلعه الله تعالى عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهى ما ارتفع من الارض اى ان له رتبة شريفة ومكانة عند الله تعالى منيفة قال الزركشى كان نافع يقرأ النبىء بالهمز فى جميع القرآن والاختيار تركه والترك لغة النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى الحديث ان رجلا قال يا نبىء الله يعنى بالهمز فقال له است نبىء الله ولكن نبى الله فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام قال الجوهرى والصاغانى انما انكره لان الاعرابى اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من ارض الى ارض اذا خرجت منها الى اخرى والنبوة شرعا ايحاء الله تعالى لانسان حر ذكر بحكم تكليفى سواء امره بتبليغه ام لا فهى اعم من الرسالة اذ لابد فى الرسالة من الامر بالتبليغ مع ما ذكر وقيل بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتابنا المطالب الوفية وعدة النبيين على ما ورد فى الحديث مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسلون منهم ثلاثمائة وثلاثة وعشرون ونوح اول رسول الى الكفار وآدم اول رسول الى بنيه ولم يكونوا كفارا ورسالته اليهم بتبليغ الايمان والطاعة لله تعالى وكذلك بعده شيث وادريس اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود من فتح الصفا لابن اقبرس (والحكم) جمع حكمة وهى تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وفى حقائق السلمى الحكمة العلم اللدنى وقيل الحكمة اشارة لا علة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجريد السر لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله تعالى بعث الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتثبيت قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقيل الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل الحكمة الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اوتى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل الحكمة النبوة وقيل الخشية انتهى وعلى كونها النبوة فالعطف للتفسير وعلى غيره من باب التدلى اى افضل شخص اوتى النبوة وشخص اوتى الحكم وهو الولى يعنى افضل الانبياء والاولياء ويدخل فى الاولياء الملائكة قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * قال المفسرون يعنى موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا فى اختصاص موسى بالكلام وقد ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا ولا يلزم فى كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق له منه اسم وقوله * ورفع بعضهم درجات * يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات

فى المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه السلام اوتى بالمعجزات مالم يؤته نبى قبله قال بعض اهل العلم فيما حكاه القاضى عياض فى التفضيل المراد به هنا فى الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون آياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون فى ذاته افضل واطهر وفضله فى ذاته راجع الى ماخصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام اوخلة اورؤية اوماشاء الله من الطائفه وتحفة ولايته فلامرية ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من سائر المخلوقين كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة رواه ابن ماجه وروى الترمذى عن ابى سعيد الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولافخر وبيدى لواء الحمد ولافخر ومامن بنى آدم فمن سواه الاتحت لوائى وفى حديث ابى هريرة مرفوعا عن البخارى اناسيد الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده وروى البيهقى فى فضائل الصحابة انه ظهر على بن ابى طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة الست بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عُجباً او افتخارا على من دونه وانما قاله اظهاراً لنعمة الله تعالى عليه واعلاماً للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ماهو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه فى كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشأله ذلك فى قلبه سحائب السرور فاذا انبسطت هذه السحائب فى سماء قلبه وامتلأ افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بماهو فيه من لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولافخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى * قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا * فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار فى باطنه ولاينافى احدهما الآخر وجمهور اهل السنة ان خواص بنى آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والكروبيون وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم وعوام بنى آدم افضل من عوام الملائكة والمراد بعوام بنى آدم هنا الصلحاء لاالفسقة كما نبه عليه ابن ابى شريف ونص البيهقى عليه فى الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا فى الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملائكة والاولياء من البشر افضل من الاولياء من الملائكة كذا فى المواهب

القسطلانية (وعلى آله) آل الرجل اهله وعياله وآله ايضا اتباعه ولايقال الا للاشراف من العقلاء وهم اما من حيث النسب قال النبي صلى الله عليه وسلم اولاد على وجعفر وعقيل والعباس والحارث بن عبد المطلب اومن حيث الدين كما روى عنه عليه السلام حين سئل من آلك قال آلى كل مؤمن اومؤمن تقى على اختلاف الروايتين ويروى انه لما نزل قوله تعالى * قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى * قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما واختلف فى المراد باهل البيت فى قوله تعالى * انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا * فروى ابن ابى حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت فى نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى احمد عن واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما حتى دخل فادنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه اوقال كساءه ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الى آخره وقال اللهم هؤلاء بيتى واهل بيتى احق زاد فى رواية ابن جرير فقلت وانا يارسول الله من اهلك قال وانت من اهلى قال واثلة وانها من ارجى ما ارتجى وفى الترمذى وقال حسن غريب احبوا الله لما يغذوكم به واحبونى بحب الله واحبوا اهل بيتى بحبى وفى المناقب لاحد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعيد من صنع الى احد من اهل بيتى معروفا فعجز عن مكافاته فى الدنيا فانا المكافئ له فى القيمة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ورآه من ذكر اوانثى وهم على واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة وجعفر واولاده وهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابى طالب ولد اسمه احمد وعقيل بن ابى طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب واولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب واولاده الذكور عشرة الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضى الله عنه شعرا (تموا بتمام فصاروا عشره * يارب فاجعلهم كراما بره) ويقال ان لكل منهم ذرية وكان له من الاناث ام حبيبة واميمة وصفية واكثرهم من لبابة ام الفضل ومغيث بن ابى لهب والعباس بن ابى لهب وكان زوج امية بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته صناعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث وهند ابن الحارث هذا واميمة واروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت وفى الباقيات خلاف وقد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاول آله عليه السلام وهم ما تقدم ذكره وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا

عنها خمس الخمس والثانى اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه فى رحم وقيل من اتصل به بنسب اوسبب والثالث ذووالقربى وهم علىّ وفاطمة وابناهما والرابع عترته بكسر العين وسكون المثناة الفوقية فقيل هم عشيرته وقيل ذريته والعشيرة هم الاهل الادنون والذرية نسله واولاد بنت الرجل ذريته (واصحابه) جمع صاحب على رأى والتحقيق ان فاعلا لايجمع على افعال فهو جمع صحب تخفيف صاحب كنهر وانهار اوجمع صحب بالسكون اسم جمع كتمر واتمار والمستعمل فى موضع المفرد صحابى بالفتح منسوب الى صحابة مصدر بمعنى الصحبة وقدجاء بمعنى اصحاب ذكره الجوهرى ويقال صحب وصحبة وصحبان وصحابة واصحاب والصحابى من لقى النبى صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمنا به ومات على الاسلام وان تخللت ردة طالت الصحبة اولا فاللقاء اعم من الرؤية والمجالسة ليدخل عميان الصحابة ومن لم يجالسه وباسناده الى ضمير غير النبى صلى الله عليه وسلم يخرج عنه من كشف له صلى الله عليه وسلم عنه ليلة الاسراء ولم يلق هو النبى صلى الله عليه وسلم وبالتقييد بالثقلين تخرج الملائكة وبموته على الاسلام يخرج المرتد الذى لم يرجع عن ارتداده كابن جحش بخلاف من مات بعد ردته مؤمنا كعبدالله بن ابى سرح واختلف فى ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبحيرا الراهب حيث اجتماعه عليه السلام قبل بعثته وكانت عدة الصحابة رضى الله تعالى عنهم عند وفاته عليه السلام مائة الف الف واربعة عشر الفا كلهم من اهل الدراية كذا ذكره والدى رحمه الله تعالى فى احكامه وفى مواهب القسطلانى وهل يختص جميع ذلك ببنى آدم ام يعم غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبى صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لاينبغى التردد فى ذكره من الصحابة واما الملائكة فيتوقف عدهم فى ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه فى قيد الحياة الدنيوية اما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس صحابيا وكذا من اتفق انه يرى جسده المكرم وهو فى قبره المعظم ولو فى هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم ورآه كذلك على طريق الكرامة وكذا من رآه فى المنام وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية (المقتدين) نعت للآل والاصحاب (به) صلى الله عليه وسلم اى المتابعين له ظاهرا وباطنا على كل حال (فى القصد) بلام العهد اى النية الصالحة التى له صلى الله عليه وسلم فى نصرة الدين والحماية عنه ونصح الامة ومحبة الخير وكراهة الشر وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له صلى الله عليه وسلم وسريان حالته فيهم وحلول نظره عليهم من اخلاصهم فى صحبته وبذل نفوسهم واموالهم فى محبته والخروج عن اهلهم

واوطانهم فى مرضاته والاقتصاد فى العمل اى التوسط فيه بين الافراط والتفريط كما ورد فى الحديث ان الله لا يمل حتى تملوا وهو عادته صلى الله عليه وسلم كما قال ولكنى اصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى رد بذلك على قوم من الصحابة ارادوا ان يصوموا الدهر ويعتزلوا النساء فتركوا ما ارادوا واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فى اقتصاده فى عمله (والشيم) جمع شيمة وهى الخلق والعادة والخلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة والجمع اخلاق وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة اومكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وكانت الصحابة رضى الله عنهم يقتدون بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى افعاله واقواله واحواله على كل حال الا فيما اختص به عنهم لتكمل اخلاقهم كما كملت اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم قال الامام السنوسى فى شرح مقدمته وقد علم من دين الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف ولا نظر فى جميع اقواله وافعاله الا ما قام فيه دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام ونزعوا خواتيمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وحسر ابو بكر وعمر رضى الله عنهما ركبتيهما فى قضية جلوسهما على البئر كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة الازدحام على الحلاق عند ما رأوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحلق رأسه وحل من عمرته فى قضية الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية اكله وشربه وغير ذلك ليقتدوا به وقد ثبت ان ابن عمر رضى الله عنهما لما سأله السائل عن صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم الا اذا هل هلال ذى الحجة وانما يحرم فى يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند فى ذلك كله الى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ادار راحلته رضى الله عنه فى موضع وعلل ذلك بانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل كذلك وانظر قول عمر رضى الله عنه للحجر الاسود لقد علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبلك ما قبلتك وقد ثبت عن بعض السلف واظنه احمد بن حنبل رضى الله عنه انه كان لا يأكل البطيخ فقيل له فى ذلك فقال يمنعنى من اكله انه لم يثبت عندى كيف اكله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة فاتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع افعاله الا ما اختص به ورؤية الكمال فيها جملة وتفصيلا مما علم من دين السلف

ضرورة (مادامت) اى مدة دوام (السموات) جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية ايضا والسماء كل ماعلاك فاظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهرى (والارض) بالافراد لانها واحدة فى قول بعضهم والسموات سبع قال تعالى * الحمد لله الذى خلق السموات والارض * الى غير ذلك من الآيات المشتملة على جمع السموات وافراد الارض وقال اللاقانى رحمه الله تعالى فى شرح جوهرته الاصح ان الارضين سبع كما ان السموات سبع لقوله عليه السلام طوقه من سبع ارضين وقال البيضاوى جمع السموات دون الارض وهن مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها انتهى فالمراد مادامت سموات الدنيا وارضها او سموات الآخرة وارضها على ماقالوا فى قوله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض * يعنى سموات الآخرة وارضها وفى تفسير الواحدى قال الضحاك مادامت سموات الجنة والنار وارضهما وكل ما علاك فهو سماء وكل مااستقرت عليه قدماك فهو ارض والاكثرون على ان المراد منه التأبيد قال ابن قتيبة وابن الانبارى للعرب فى معنى الابد الفاظ يقول لاافعل ذلك مااختلف الليل والنهار ومادامت السماء والارض ومااختلفت الجرة والدرة وماطت الابل فى اشياء كثيرة لهذا ظنا منهم ان هذه الاشياء لاتتغير فخاطبهم الله تعالى بمايستعملون فى الفاظهم انتهى ويؤيد المعنى الاول ان السماء ماعلا من السقف وقد ورد فى الحديث سقف الجنة عرش الرحمن وفى مقابلة ذلك الارض لما سفل كما ورد ان ارضها الزعفران فيكون فى الكلام اقتباس من الآية وهو ابلغ لافادته تأبيد ذلك وعدم انقطاعه بانقضاء الدنيا (وماتعاقبت) اى مدة تعاقب اى تتابع (الاضواء) جمع ضوء وهو الضياء وكذلك الضوء بالضم تقول ضاءت النار تضوء ضوأ وضوأ واضاءت مثله واضاءته يتعدى ولايتعدى ذكره الجوهرى والضوء والضياء هو النور او اخص منه او الضياء مابالذات والنور مابالعرض كما قال تعالى * هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (والظلم) جمع ظلمة فالضوء هو النهار والظلمة هى الليل بقرينة التعاقب او اعم من ذلك (وبعد) اصلها امابعد فالواو قائمة مقام اما ويؤيده انه لم يقع فى مثل هذا الموضع وامابعد بالواو ولعل وجهه ان اما قدتورد لتدل على ان مابعدها غير مرتبط بماقبلها حتى انه سمى فصل الخطاب والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال لاينفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ما على انفصال مابعدها عماقبلها فى الجملة فاستعيرت لاما الدالة على الانفصال ذكره البيرجندى فى شرح الوقاية وبعد من الظروف التى قطعت عن الاضافة ونوى فيها معنى المضاف اليه فبنى على الضم يعنى بعد ماتقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبى وآله واصحابه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى بها فى خطبه وكتبه وفى غرائب مالك للدار قطنى بسند ضعيف

لما جاء ملك الموت الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب فى جملة كلامه امابعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء فان صح فهو اول من ابتدأ بها وقيل اول من ابتدأ بها داود عليه السلام وانها فصل الخطاب الذى اوتيه وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب ابن لؤى وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان قاله والدى رحمه الله تعالى فى احكامه (فان) الفاء على توهم اما فان الشئ اذا اشتهر فى موضع جاز تركه مع بناء الكلام عليه نحو مازيد كاتبا ولاشاعر بالجر على توهم الباء اوعلى تقديرها بطريق تعويض الواو عنها بعد الحذف على انه لايمنع من اجتماع الواو مع اما كما وقع فى عبارة المفتاح اواخرفن البيان ذكره الخيالى وماتقدم عن البرجندى محمول على الكثير الغالب (العقل) وهوالعلم بصفات الاشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها اوالعلم بخير الخيرين وشر الشرين اومطلق لامور لقوة بها يكون التميز بين القبح والحسن ولمعان مجتمعة فى الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الاغراض والمصالح ولهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلماته والحق انه روحانى به تدرك النفس العلوم الضرورية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لايزال ينموا الى ان يكمل عندالبلوغ كذا فى القاموس وفى عمدة القارى شرح البخارى للعينى اختلفوا فى العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم فى اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هوقوة يميز بها بين حقائق المعلومات واختلفوا فى محله فقال المتكلمون هو فى القلب وقال بعض العلماء هو فى الرأس انتهى فعلى القول بانه هو العلم يكون بمعنى القوة العالمية حتى يبقى للمفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الامور المعلومات معنى قال النسفى فى بحر الكلام العلم افضل من العقل وفى التمهيد فى معرفة التوحيد الاصح ان العلوم متنوعة علم بالله وبالدين وبالشرائع فهذا افضل من العقل لان العبد ينجو مع انعدام العقل ولاينجو مع انعدام الدين ولان كل عاقل مخاطب ومأمور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرف والاكتساب والنحو والطب فالعقل افضل انتهى فراده بالعلوم المتنوعة المسائل المبرهن عليها اونفس البراهين من اطلاق المصدر على اسم المفعول اى التى من شأنها ان يعلمها العالم لانفس القوة العالمية التى هى العقل قال القسطلانى فى مواهبه فالعقل لسان الروح وترجمان البصيرة والبصيرة للروح بمثابة القلب والعقل بمثابة اللسان وقال بعضهم لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل البصر (والنقل) وهو النصوص الواردة فى الشريعة قطعية كانت اوظنية (متوافقان) اى كل واحد منهما يوافق الآخر يعنى ان القوة العالمية فى الانسان متفقة من حيث حكمها بنفسها بلادلالة من الغير ولااطلاع منه لها مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلا بالنسبة الى متكلم صادق كما سمى الاول عقلا لربطه الامر على

حسب قوته و قدم العقل لكونه اصلا لثبوت النقل (والكتاب) اى كتاب الله تعالى وهو القرآن العظيم (والسنة) اى سنة النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله عليه السلام وفعله وسكوته عند امر عاينه من قول اوفعل صدر من احدامته ومن السنة طريقة الصحابة رضى الله عنهم لقوله عليه السلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى والحديث والخبر يختصان بقوله عليه السلام فقط وكذلك الاثر وربما يطلق ذلك على السنة فتكون الاربعة بمعنى واحد وقدم الكتاب لشرفه واخر السنة لان حجيتها ثابتة به قال تعالى * وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (متطابقان) اى كل واحد منهما يطابق الآخر ولا حجة اقوى من هذه الاصول الثلاثة الاول دليل العقل والثانى دليل النقل وهو قسمان الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه (ان الدنيا) قال الجوهرى سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى مثل الكبرى والكبر والصغرى والصغر انتهى يعنى لدنوها اى قربها من الانسان بالنسبة الى الآخرة اولدنوها من القلب بسبب مشتهياتها وفى حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما ما على الارض مع الهواء والجو والثانى كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الآخرة قال النووى رحمه الله تعالى وهو الاظهر كما قاله العينى فى شرح البخارى فيدخل فى ذلك النقدان وما يشترى بهما مما لا ضرورة فيه وما فيه ضرورة غير ان ما فيه ضرورة مأمور بتناوله كما قال تعالى * ولا تنس نصيبك من الدنيا * قال الواحدى فى تفسيره قال قتادة لا تنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال والمعنى على هذا لا تترك ان تطلب فيها حظك من الرزق الحلال وقال الحسن امران يأخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ما سوى ذلك لآخرته وعنه ايضا فى هذا المعنى قدم الفضل وامسك ما يبلغك وعلى هذا المراد بالنصيب قدر ما يكفيه (فانية) من الفناء وهو الاضمحلال والزوال قال ابو محمد الخازن فى قوله تعالى * كل من عليها فان * اى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير الى الطاعة انتهى فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية انها عرض غير باق وما ليس بباق فهو فان وقال القسطلانى فى تفسير قوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * اى الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم وفى شرح وصية ابى حنيفة رحمه الله تعالى معنى كل شئ هالك الا وجهه ان كل شئ مما سوى الله تعالى معدوم فى ذاته بالنظر الى ذاته تعالى من حيث انه ممكن مع قطع النظر عن موجده لان كل ما سواه ممكن والممكن بالنظر الى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر الى ذاته موجودا وذكر الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير فى قوله عليه السلام قال موسى يارب كيف شكرك آدم الحديث قال ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف

انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وان كل شئ هالك الا وجهه لان الغير هو الذى يتصور ان يكون له بنفسه قوام وهذا محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو هذا القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو القائم بنفسه ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا يتصور ان يكون القيوم الا واحدا فليس فى الوجود غير الحى القيوم الواحد فالكل منه مصدره واليه مرجعه ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس اى فنى عن نفسه وعن غير الله فلا يرى الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخر منهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالى رحمه الله تعالى انتهى وهذا المعنى هو المراد بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبارات التى تذكرها العارفون من اهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذى عند اهل الزندقة والالحاد وقد انكرته عليهم علماء الكلام وقد كشفت عن ذلك فى رسالة سميتها ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود واذا عرفت ما تقدم فيكون على هذا معنى كون الدنيا فانية اى معدومة بالنظر الى وجود الحق تعالى الباقى لا بالنظر الى ما يظهر منها للحس والعقل او معدومة بالنظر اليها فى ذاتها وان كانت موجودة من طرف ايجاد الحق تعالى لها ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك الكتاب والسنة ما ذكرنا من الآيتين ومن قوله عليه السلام كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ما عليه كان وقال عليه السلام اشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * قال المناوى فى شرح هذا الحديث وفى رواية اصدق كلمة قالها شاعر وفى رواية اخرى اصدق بيت قالته الشعراء وباطل اى فان او غير ثابت او خارج عن حد الانتفاع او آيل الى البطلان او كان باطلا لكونه بين العدمين ولا يشكل بصفات البارى لان بقاءها معلوم من ذكر الذات لكونها غير قابلة للانفكاك وهذا قريب من قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وانما كان ذلك اصدق لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به وروى السلفى فى مشيخته البغدادية عن يعلى بن جراد قال انشد لبيد النبى صلى الله عليه وسلم قوله الا كل شئ ما خلا الله باطل فقال له صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت نعيم الآخرة لا يزول انتهى ومن استقصى ما ورد فى الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطابقة وتيقن ذلك كله بنفس واثقة وحكم بصحة ما ذكرنا وصحة ما سيأتى من ان الدار الآخرة لهى الحيوان وان الظفر بها لا يحصل الا بمتابعة خاتم النبيين وان الشيطان للانسان عدو مبين (سريعة الزوال) من حيث اعيانها (والخراب) من حيث بنيانها وهذا يقتضى ارادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الاول الذى فسرنا به كونها

فانية قال الخازن فى تفسير قوله تعالى *انما هذه الحياة الدنيا متاع * اى متعة ينتفع بها مدة ثم تنقطع وان الآخرة هى دار القرار اى التى لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقرضة ولا منفعة فيها وان الآخرة باقية دائمة و الباقى خير من الفانى قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق وقال الواحدى فى تفسير قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الى آخره وتأويل الآية ان الحياة فى الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا بما يروق ويعجب حتى اذا كثر ذلك عند صاحبه وظن انه ممتع به سلب ذلك عنه بموته او بحادثة تهلكه كما ان الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته حتى تتزين به الارض و تظهر بهجتها وظن الناس انهم مستمتعون بذلك اهلكها الله ورد ها الى الفناء حتى كأن لم تكن (عزها) اى الدنيا يعنى العز الذى لاهل الدنيا بالدنيا من جاه وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك (ذل) عاجل ولكن اهله لايشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا قال ابو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى* يا ايها الذين امنوا لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى *قال بعضهم السكر على انواع منها سكر الخمر وهو اسرعها افاقة وسكر الغفلة وسكر الهوى وسكر الدنيا وسكر المال وسكر الاهل والولد وسكر المعاصى وسكر الطاعات وكل هذا ومايشبهه يمنع صاحبه عن اتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتأدب للمناجاة وشرط اقامة الصلاة هو القيام اليها بالغفول عن كل ماسواها (ونعمها) اى الدنيا جمع نعمة وهى مايتمتع به الانسان وغيره فيها لا مايحصل الانسان فيها من المعرفة والطاعات التى هى من اجل النعم لان التمتع بهذه انما يكون فى الآخرة لا فى الدنيا ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح ومركوب ومسكون وغير ذلك (نقم) جمع نقمة يعنى محنا وبلايا ولقد احسن من قال من اهل الكمال ان الدنيا ليس فيها لذة مطلقا ومايظهر فيها بصور اللذائذ فانما ذلك زوال الآلام لا لذائذ فى الحقيقة فان لذة الاكل زوال الم الجوع ولهذا لاتوجد الا بعد الجوع وكذلك لذة الشرب زوال الم العطش ولذة الجماع زوال الم الشبق الذى هو احتراق المنى فجميع ما فى الدنيا قسمان الآلام وزوال الآلام ويسمى زوال الآلام لذائذ عند اهل الدنيا بخلاف الآخرة فان اهل الجنة لا الم عندهم حتى تكون لذائذهم زوال ذلك الالم فلذائذهم حقيقية فلذة اكلهم لا عن جوع ولذة شربهم لا عن عطش كما قال تعالى* ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى *وهكذا جميع لذائذهم ولا يمكن فى الدنيا ذوق لذة من ذلك بل لا يمكن ادراك معناها ذكر الشيخ الشعراوى فى العهود المحمدية قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول الدنيا كلها ابنة ابليس وكل من احبها زوجها له ويصير

ابليس يتردد اليه لاجل بنته بل سمعته يقول ان الشيطان يتردد الى من خطب ابنته ولولم يدخل بهما على عادة الاصهار فان اردت يااخي الحفظ من ذلك فلاتصاهره ولاتخطب بنته وذكر الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس قال والله مايستوى فراغ عارف عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب الدرهم افرغ من صاحب الدرهمين جاء رجل الى سيدنا ابي مدين فقال له ياسيدنا ان الشيطان يؤذيني فعسى ان تدفعه عني فقال له الشيخ قدشكى الى ابليس بك قبلك قال وماقال لك قال قال لى لتعلم ياشيخ ان الدنيا خلقهالى ربى وجعلها حبالتى وشركى وملكنيها فجاء فلان فتعدى على فيها واخذلى منها فعدوت وراءه اطلب حقى منه ووالله ماقصدت منهم انسانا ولاطلبت احدا ولابرحت من مكانى احفظ على بستانى ومالى فمن اخذلى منه شيئا تبعته اطلب حقى وقد عرفت ان فلانا يشكو نى اليك فسبقته وقد اخبرتك بالقصة وانالا اتركه منه حقى واسلبه فيماقدر عليه من دينه اوبرد الى متاعى كما فعل الزهاد والموفقون ولهذا قال تعالى * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان * فمالى عليهم حجة ولاحق فانهم تركوامالى وهذا تعدى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم فمن الظالم فقال الرجل انا فقال له الشيخ رداليه دنياه يرد اليك آخرتك (وشرابها) اى الدنيا يعنى جميع مشروباتها المحسوسة التى هى عندالنفوس عذب زلال ومشروباتها المعقولة ايضا التى هى مستحسنات النفوس من الطبائع والاحوال (سراب) بالسين المهملة قال الفراء السراب مالصق بالارض والال الذى يكون ضحا كالماء بين السماء والارض قال ابن السكيت السراب الذى يجرى على وجه الارض كأنه الماء وهو يكون نصف النهار وهوالذى يلصق بالارض وقال ابوالهيثم سمى السراب سرابالانه يسرب سربا اى يجرى جريا يقال سرب الماء يسرب سروبا كذا فى تفسير الواحدى شبهت مشروبات الدنيا ولذيذات احوال اهلها بالسراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذاجاءه لم يجده شيئا وذلك لسرعة زوالها وكونها على التقضى والاضمحلال لفنائها فى حقيقة الامر كما قدمنا قال ابوعبدالرحمن السلمى فى قوله تعالى * والذين كفروا اعمالهم كسراب * الآية قال ابن عطاء يحسبه الظمآن ماء هوقلب ليس فيه شئ من انوارالله فقير بمافيه رجوعه الى الاسباب شرك يظهراذ ذاك له ان الرجوع الى الحق هوالايمان قال تعالى ووجدالله عنده فوفاه حسابه اى وجدالطريق اليه وقال ابن عطاء فى قوله تعالى حتى اذاجاءه لم يجده شيئا قال ماوجد الخلق الاالخلق وابى الحق تعالى ان يكون للخلق اليه سبيل اوطريق اذلايعرفه سواه ولايشهده غيره قال جعفر اضلتهم ظلم صحبة الاغيار فكانت على قلوبهم مثل السراب لم تغن عنهم شيئا ولم تدخلهم على حق ولووجدوا السبيل الى الله لاضاءت سرائرهم وكانت كما قال تعالى * نور على نور * قال بعضهم

القلب الذى تعلق بشئ غيرالله هوفقير بمافيه لان الفقر هو صحبة الاشكال والغناء الرجوع عن الخلق الى الله عزوجل وقال ابن عطاء كل ما كان دون الله فهو فقر وكل قلب فيه محبة شئ سوى الله فصاحبه فقير انتهى فالمنهمك فى الدنيا واحوالها وهو المشتغل بالاغيار والاسباب المعاشية والمعادية دون الله تعالى انهماكه فى امر محال اى باطل واشتغاله فى فاقة من دينه ووبال فهو المغرور بمالديه فى كل حال ذكر الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس فى ترجمة شيخه ابى محمد عبدالله القطان المفتوح عليه فى القرآن كان يصدع بالامر لا تأخذه فى الله لومة لائم يرد كلام السلاطين فى وجوههم افيح الرده صولة يرمى من شاء بالحق ولايبالى عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لافعال السلاطين وماهم عليه من مخالفة الشريعة له مجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها لايتكلم الابالقرآن ولايرى غيره ولم يكتب كتابا سمعته يقول بمدينة قرطبة فى جماعة مساكين اصحاب المصنفات والتاكيف ماطول حسابهم غدا فى كتاب الله مقنع وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على صاحبه ولم ينعم قط ولاجمع بين درهمين وجه السلطان فيه ليقتله فاخذه الاعوان ودخلوا به على الوزير فاقعد بين يديه فقال له ياظالم ياعدو الله وعدو نفسه فيما ذا وجهت فقال له قد امكن الله منك ماتعيش بعدها ابدا فقال له الشيخ لاتقرب اجلا ولاندفع مقدورا كل ذلك لايكون انا والله اشهد جنازتك فقال الوزير لوزغته اسجنوه حتى اشاور السلطان فى قتله فسجن تلك الليلة فانصرف هو وهو يقول عجبا لم يزل المؤمن فى السجن وانما هذا بيت من بعض بيوت السجن فلما كان فى اليوم الثانى جلس السلطان واخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فامر به فحضر بين يديه فرأى رجلا دميم الخلقة لايؤبه له وما احد من اهل الدنيا يريد له خيرا وهذا كله لقوله الحق واظهار معايبهم وماهم عليه من الفساد والجور فقال له السلطان بعد ماسأله عن اسمه ونسبه اتحفظ توحيدك فتلاه عليه من القرآن بتقاسيمه فتعجب الملك وانبسط له الى ان دخل معه فى المملكة وشأنها فقال له السلطان ماتقول فى ملكى هذا فضحك فقال له م تضحك فقال منك تسمى الهذيان الذى انت فيه ملكا وتسمى نفسك ملكا انت كمن قال الله فيه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا انما كان الملك الذى يصلى اليوم بناره اويجزى بها واما انت فرجل عجنت لك خبرة وقيل لك كلها ثم اغلظ عليه فى القول بكل مايكرهه ويغيظه وفى المجلس الوزراء والفقهاء فسكت السلطان وخجل وقال هذا رجل موفق ياعبدالله تحضر مجالسنا قال لا فان مجلسك مغصوب ودارك التى تسكنها اخذتموها بغير حق ولولا انى مجبور ما دخلت هنا حال الله بينى وبينك وبين امثالك ومامضى زمن قليل الا والوزير قدمات وخرج ابو محمد وحضر جنازته وقال بررت قسمى انتهى فهذا من وقائع اهل الحق مع اهل الدنيا المغرورين بما لاحقيقة له من العرض الفانى كما قال تعالى * وما الحياة الدنيا الا متاع

الغرور* قال البيضاوى اى لذاتها وزخارفها شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فامامن طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار انتهى وقال تعالى * وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا * قال العز بن عبد السلام فى تفسيره وما اوتيتم من شئ اعطيتم من رياش الدنيا من مال وولد فمتاع الحياة الدنيا تمتعون به ليس من زاد الآخرة ولا مما ينفعكم فى معادكم (وان الدار الاخرة) معطوف على ان الدنيا ولم يقل الدار الدنيا ولا الآخرة بدون لفظة الدار لان الدنيا ليست بدار لعدم القرار فيها والدار هى الآخرة لانها للقرار والخلود وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا (لهى الحيوان) مؤكدة بان وبلام القسم لجحود الكفار لها اى الحياة الدائمة الخالدة التى لاموت فيها (اعدت) اى هيئت وفيه اشارة الى ان الجنة مخلوقة الآن وكذلك النار وجميع ما فى الآخرة غير انه خارج عن هذا العالم وهو الحق (للمتقين) اى المحترزين عن مخالفة ربهم فيما امرهم به ونهاهم عنه ظاهرا وباطنا قال المناوى فى شرح الجامع الصغير التقوى على مراتب وقاية النفس عن الكفر وهو للعامة وعن المعاصى وهو للخاصة وعما سوى الله وهو لخاصة الخاصة انتهى والآخرة مهيئة لاهل هذه المراتب الثلاثة على حسب مراتبهم فيها (من اهل الايمان) بيان للمتقين اذ لاتقوى بدون الايمان وهو التصديق ظاهرا وباطنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه عز وجل من الاعتقاديات والعمليات على مقتضى ما يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله عليه السلام وهو الايمان بالغيب الذى هو فرض على كل مكلف وهو غير متفاوت بحسب مراتب الناس الثلاثة العامة والخاصة وخاصة الخاصة وانما مراتب الكشف والعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الانسان وليس هو الذى كلف الله تعالى به العبد ولكنه السبيل الى حقيقة الاتقان كما اشار اليه الشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى اوائل كتاب العبادلة (عزتها) اى الدار الآخرة يقال عز فلان يعز عزا وعزة وعزازة صار عزيزا اى قوى بعد ذلة قاله الجوهرى (باقية) غير فانية كعزة الدنيا التى هى حقيقة المذلة كما مر (ابدية) لا انقضاء لها (ونعمها) جمع نعمة وهى ما فى الآخرة مما ينعم الله تعالى به على عباده المؤمنين من انواع النعيم المقيم (صافية) اى خالصة من شوائب الاكدار (سرمدية) لا نهاية لها قال الله تعالى * بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى * قال الخازن يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ الآية فقال اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقال الواحدى الآخرة اى الدار الآخرة يعنى الجنة

خير افضل وابقى وادوم من الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب آخرته اضر بدنياه ومن طلب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وتفسير السلمى قال ابو العباس الدينورى من خس طبعه وحقرت همته آثر الدنيا بخستها وحقارتها ومن علت همته وعظم قدره آثر الاخرة ومن شرف حاله وصحت حقائقه آثر الله على الدارين وما فيها (وشرابها) اى الآخرة والمراد الجنة وهو اسم للخمرة ولهذا انثها حيث قال (خالية عن اثم) اى تحريم اذهى الخمرة الحلال والاثم ايضا من اسماء الخمرة التى فى الدنيا والمعنى على هذا خمرة الآخرة خالية عن مشابهة خمرة الدنيا كما قال تعالى *لا يصدعون عنها ولا ينزفون* قال الخازن اى لا يصدع عنها رؤسهم من شربها ولا ينزفون اى لا تغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقال فى قوله تعالى لا فيها غول اى لا تضار عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق فى جفاء وخمر الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها السكر ووجع البطن وصداع الرأس والبول والقئ والعربدة وغير ذلك اى من الاحوال المكرهة ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة وقال فى قوله تعالى * وسقاهم ربهم شرابا طهورا* يعنى طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وحسد وغش وقال الواحدى وهو طهور ليس بنجس كما كانت فى الدنيا مذكورة بالنجاسة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس كخمر الدنيا (و) خالية تلك الخمرة ايضا عن (لاغية) اى لغو قال الخازن * فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية * اى ليس فيها لغو ولا باطل وقال الواحدى فى قوله تعالى *لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما* اى لا لغو فيها فيسمع ولا يقول بعضهم لبعض اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم وهذا معنى قول ابن عباس لا يتكلمون بالاثم كما يتكلم اهل الدنيا انتهى فلعل المراد من خلو خمرة الآخرة عن اللغو انها لا تشرب على الكلام الفاحش والغناء الباطل وانما تشرب على التغنى باللطائف الالهية والكلام الحق (فيها) اى فى الدار الآخرة والمراد الجنة (حور) جمع حوراء وهى النقية البياض من النساء وقال الواحدى الحور هن البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وفى تفسير الخازن والحور من النساء النقيات البياض التى يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن (مقصورات) اى مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امرأة من نساء

اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت مابينهما وللأت مابينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها يعنى الخمار وقيل قصر طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلايبغين بهم بدلا (فى الخيام) قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الامن اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام فيقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بهما اذا اقام بها وتظلل فيها وهى خيام من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف يضاف الى القصور فى الجنة وعن ابى موسى الاشعرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا وقال الواحدى روى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ فى فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع من ذهب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها فى السماء ستون ميلا فى كل زاوية منها اهل للمؤمن لايراهم الآخرون وفى آخر الاحياء للغزالى قال انس رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لما اسرى بى دخلت فى الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ماهذا النداء قال هؤلاء المقصورات فى الخيام استأذن ربهن فى السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلانسخط ابدا ونحن الخالدات فلانظعن ابدا وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حور مقصورات فى الخيام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليزوج خمسمائة حوراء فى الجنة واربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره فى الدنيا (ناعمات) من النعومة وهى لين الملمس (مطهرات) اى نظيفات نقيات من الطهارة وهى النظافة (عن الاقذار) جمع قذر بالذال المعجمة محركة قال الجوهرى القذر ضد النظافة وشئ قذر بين القذارة وقذرت الشئ بالكسر وتقذرته واستقذرته اذا كرهته (و) عن (الآلام) جمع الم وهو المرض والوجع اى لاتألم لهن ولاتوجع بشئ اصلا ولايدركهن مرض ولايعلوهن اصفرار ولاتذهب بهجة حسنهن ولاجمالهن على الابد بل دائما يزددن بمرور الاحقاب صحة وعافية وحسنا وجمالا وبهجة وسرورا قال البيضاوى فى قوله تعالى * ازواج مطهرة * مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقال الواحدى مطهرة لايتغوطن ولايبلن ولايمنين ولايحضن فهن مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبزاق والمنى والولد ومطهرات من كل الاقذار وقيل مطهرة من مساوى الاخلاق لما فيهن من حسن التبعل ودل على هذا قوله عربا اترابا وقال الخازن فى قوله تعالى * فجعلناهن ابكارا عربا اترابا * قيل هن

الحور العين انشأهن الله تعالى لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع عربا جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس وفى رواية عنه انها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا يعنى امثالا فى الخلق وقال العز بن عبد السلام عربا اى عواشق ازواجهن وقيل يتحاب بعضهن بعضا الاكضرار الدنيا وقيل غنجات و قيل حسنات الكلام من قوله عليه السلام يعرب عنها لسانها وفى الخبر كلامهن عربى (كأنهن) اى تلك الحور التى فى الجنة (الياقوت) وهو اربعة انواع احمر واصفر واسما نجونى وابيض فالاحمر ينقسم الى اربعة الوردى والخمرى وهو احمر مشرب والاحمر بلون العصفر الشديد الحمرة والبهرمان نقى الحمرة بحيث لا يشوبها شائبة وهو اجوده قالوا وربما بلغ مثقاله مائة دينار اذا كان جيدا جدا والاصفر منه ارفيق قليل الصفرة والخلوقى اصبغ صفرة منه والجلنارى اصبغ من الخلوقى وهو اجوده والاسما نجونى منه الازرق واللازوردى والنيلى والكحلى وهو اصبغ من النيلى ويسمى الزيتى والابيض منه المائى وهو الشديد البياض والذكر وهو اثقل من المائى وهذا ارخص اليواقيت و ادونها ذكره والدى رحمه الله تعالى فى كتاب الزكاة من احكامه والمراد هنا الياقوت الاحمر او الابيض (والمرجان) وهو صغار اللؤلؤ قاله الجوهرى واللؤلؤ قيل مطر الربيع يقع فى الصدف فيصير لؤلؤا وقيل الصدف حيوان يخلق منه اللؤلؤ قال الخازن فى تفسير قوله تعالى * كأنهن الياقوت والمرجان * اراد صفاء اللون من الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ واشد بياضا وفيه تشبيه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب حمرة والاصح انه شبههن بالياقوت اصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا اى خيطا ثم استصفته اى طلبت معرفة صفته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله يقول كأنهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفته لرأيته من ورائه اخرجه الترمذى وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح وقال الواحدى كأنهن الياقوت والمرجان اراد لهن صفاء الياقوت فى بياض المرجان وقال العز بن عبد السلام كأنهن الياقوت صفاء والمرجان بريقا اذ هو ابيض من اللؤلؤ لصفائهن وحسنهن فيرى مخ سوقهن من وراء اجسامهن كما يرى السلك فى الياقوت والمرجان (لم يطمثهن) قال الواحدى الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث يطمث و يطمث قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن

ولم يجامعهن قال مقاتل لانهن خلقن فى الجنة (انس قبلهم ولاجان) اى قبل ازواجهن من اهل الجنة ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذالم يغشهن احد غيره كذا فى تفسير الخازن وانما قدم قوله كأنهن الياقوت والمرجان على قوله لم يطمثهن مع ان الآية بالعكس لقصد الاقتباس وشرطه ارادة ان لايكون من القرآن كما مر لطول السجعة الثانية على الاولى فانه لايحسن اطالة الاولى على الثانية كما ذكره علماء البديع (وجوه) اهم يعنى لاهل الجنة جمع وجه بمعنى العضو المخصوص اوهو مجموع الذات كما قالوا فى وجه الله اى ذاته (يومئذ) اى فى يوم القيمة (ناضرة) قال العز بن عبد السلام حسنة مستبشرة مسرورة مشرقة متهللة وقال الخازن ناضرة من النضارة وهى الحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم (الى ربها) اى رب تلك الوجوه (ناظرة) تلك الوجوه قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها ان تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى كذا قاله الخازن وقال الواحدى قال الزجاج نضرت بنعيم الجنة والنظر الى ربها عز وجل وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه الف سنة لايرى اقصاه كما يرى ادناه ينظر فى سرره وازواجه وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر فى وجه الله كل يوم مرتين رواه الحاكم فى صحيحه وفى تفسير البيضاوى الى ربها ناظرة تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وفى حقائق السلمى قال النضر اباذى من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا اليه ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة وهو اتم بركة واسهل نفعا وقال عبد العزيز الخالق فى لقاء الله على ضروب منهم من يطمع فيه غفلة ومنهم من يطمع فيه جراءة ومنهم من لايطمع فيه هيبة وهو افضلهم واشرفهم وارجاهم ان يؤهل لذلك انتهى فان قلت اذا كانت الوجوه بمعنى الذوات كما سبق فيكف رؤيتها للرب سبحانه قلت وكذلك يقال اذا كانت الوجوه على ظاهرها ويوضح هذا ما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى طبقاته فى ترجمة شيخه الشيخ على الخواص انه كان يقول نشأة اهل الجنة مخالفة للنشأة الدنيوية التى نحن عليها الآن صورة ومعنى كما اشار اليه حديث ان فى الجنة مالاعين رأت ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وايضاح ذلك ان حجاب البشرية مادام موجودا فى الشخص فلايعلم احوال الجنة لان الجنة نشأة شهود واطلاق

لاحجاب وتقييد ولذلك كان علم احوال الجنة خاصا با لعارفين واعلم ان الحق تعالى جعل لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة فى النكاح والادراك حقائق متغايرة حكما ومحلا مع اتحادها فى الباطن لان الادراك ليس الا للنفس وهى حقيقة واحدة بمنافذ مخصوصة وانما تنوعت الآثار فى هذه الحقائق بتنوع محالها واعلم ان هذه الصفات المتغايرة هنا حكما ومحلا يقع الاتحاد بينها فى الآخرة حكما ومحلا فيسمع بما به يبصر بما به يتكلم بما به ينطق بما به يذوق بما به يشم وكذلك الحكم فى الضد من غير تضاد فيبصر بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك وينكح كذلك ويشم كذلك وينطق كذلك ويدرك كذلك وهذا القدر النزر من احوال الجنة لايصح وجوده فى العقل لانه محال فى عقل من يسمع ذلك فكيف بغير النزر مما هو اعظم من ذلك ولم ار احدا تكلم على ما ذكرته غير سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه فى تائيته فراجعها انتهى وذكر الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره ان اهل الجنة ينكحون جميع نسائهم وجواريهم فى آن واحد نكاحا حسيا بايلاج ووجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر قال وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الالهى والعقل يعجز عن ادراك هذه الحقيقة من حيث فكره وانما يدركه بقوة الهية فى قلب من شاء من عباده والله على كل شئ قدير * ومما يؤيد ان مراده بالوجوه الذوات قوله (عنده) اى عند ربها (مرضية) تلك الوجوه اى مرضى عنها (مطمئنة) وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر على معرفته وتستغنى به عن غيره اوالى الحق بحيث لا يريبها شك اوالآمنة التى لايستفزها خوف ولا حزن قاله البيضاوى وقال العز بن عبد السلام المطمئنة المؤمنة بان الله ربها المسلمة لامره وقيل المجيبة الموفية بوعده اوالى ذكره وقال الواحدى المطمئنة الراضية بقضاء الله الذى قدر الله فعلمت ان ما اصابها لم يكن ليخطئها وان ما اخطأها لم يكن ليصيبها وقال الخازن اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله الموقنة وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله (وعنه) اى عن ربها (راضية) بما اوتيت وقيل عن الله بما اعد الله لها وتقديم الخبر فى الموضعين مفيد انها ليست مرضية عند غيره وهو اعوجاج الخلق على اهل الاخلاص فى الدنيا وليست راضية عن غيره لخروجها عن كل ما سواه (شاكرة) له على ما انعم عليها وذكر القشيرى فى رسالته ان الشكر ينقسم الى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر بالقلب وهو اعتكافه على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيها طفيليا وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية

النعمة (وهذه) الامور المذكورة الاخروية (هي النعمة) التامة والمنة العامة لامور الدنيا الفانية المضمحلة المنتنة القذرة (واللذة العظمى) الابدية وكل لذة سواها في الدنيا فانها وهمية (والفوز) اى الظفر بغاية المنى (والفلاح) اى الخير الكثير (والسعادة الكبرى) التى لاشقاوة بعدها ابدا (وان الظفر) معطوف على ان الدار الآخرة (بها) متعلق بالظفر اى بهذه الامور الاخروية المذكورة (لايحصل لاحد ابدا (الابمتابعة) وهى عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير (خاتم) بكسر التاء اسم فاعل و بفتح التاء الطابع ذكره ابن ملك فى شرح المجمع (النبيين) جمع نبى من النبوة وقدسبق تعريفها وقرئ خاتم بالكسر والفتح فمن قرأ وخاتم بالكسر فمعناه ختم النبيين ومن قرأ وخاتم بالفتح فمعناه آخر النبيين لانبى بعده صلى الله عليه وسلم قاله الزجاج فى كتابه معانى القرآن وقال البيضاوى خاتم النبيين آخرهم الذى ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح واو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه السلام فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ (سيدنا) معشر الموجودين الآن (وسيد) بصيغة اسم الفاعل فيهما من السيادة يقال ساد قومه يسودهم سيادة وسوددا وسيدودة فهو سيدهم اذا علا عليهم وارتفعت رتبته (الاولين) من الانبياء وغيرهم (والآخرين) الى يوم الدين وقدمنا بيان فضيلته صلى الله عليه وسلم على جميع العالمين واذا كان الانبياء الماضون عليهم السلام مأمورين بمتابعته صلى الله عليه وسلم على تقدير ان يدركوا زمانه فكيف بامته عليه السلام الذين هم ليسوا بانبياء قال فى المواهب اللدنية وقد اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان ادركوه ولينصرنه قال تعالى * واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه * الآية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبى بعثه من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وعن على بن ابى طالب وابن عباس ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لايضادد ما قاله على وابن عباس رضى الله عنهم ولاينفيه بل يستلزمه و يقتضيه وقيل معناه ان الأنبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لايكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم

الميثاق انهم لوتولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الآية ان الانبياء لو كانوا فى الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى * لئن اشركت ليحبطن عملك* وقد علم الله تعالى انه لايشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى * ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين* وقال فى الملائكة* ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم* مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لايسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبياء عليهم السلام ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا فى الاحياء وانهم لو تركوا ذلك لصاروا فى زمرة الفاسقين فلايكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى فى تحصيل المقصود وقال السبكى فى هذه الآية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم فى زمانه يكون مرسلا اليهم لتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيمة وتكون الانبياء واممهم كلهم من امته ويكون قوله صلى الله عليه وسلم وبعثت الى الناس كافة لايختص به الناس فى زمانه الى يوم القيمة بل يتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ له المواثيق على الانبياء عليهم السلام ليعلموا انه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفى اخذ المواثيق وهى فى معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم فى لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهى كأنها ايمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء اخذت من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرفت هذا فالنبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ولهذا ظهر ذلك فى الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك لامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل فههنا لاتوقف من جهة الفاعل ولامن جهة ذات النبى صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه بلاشك ولهذا يأتى عيسى عليه السلام فى آخر الزمان على شريعة وهو نبى كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس انه يأتى واحدا من هذه الامة نعم انه واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل مافيهما من امر ونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبى كريم على حاله لاينقص منه شئ وكذلك لو بعث النبى صلى الله عليه

وسلم فى زمانه اوفى زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى اممهم والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل واعظم ومتفق مع شرايعهم فى الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ اولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الاوقات بالنسبة الى اولئك الامم مماجاءت به انبياؤهم وفى هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيين عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه جميع الناس اولهم وآخرهم والثانى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعلق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذى يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا فى تزويج ابنته اذا وجدت كفوًا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفؤ لا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح فى صحة الوكالة واهلية الوكيل (فى العقائد) متعلق بمتابعة وهى جمع عقيدة اسم لما يعقد عليه القلب من المعانى الدينية اى يربط يعنى يقطع ويجزم من غير شك ولا تردد لان الشك والتردد كفر وكذلك الظن وهو الطرف الراجح قال تعالى * ان الظن لا يغنى من الحق شيئا * واما قوله * الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم * فقال البيضاوى اى يتوقعون لقاء الله وقيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكأن الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع انتهى فيبقى على هذا للظن اطلاقان اطلاق بمعنى رجحان احد الطرفين وهو فى الايمان كفر واطلاق بمعنى التوقع واليقين وهو محض الايمان وقدم المتابعة فى العقائد لانها الاصل لكل متابعة ولتوقف كل عمل عليها ولانها تكون بالقلب والقلب سبب المؤاخذة بالاعمال كما قال تعالى * ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم * ولانها مطهرة لموضع نظر الرب سبحانه كما ذكر النووى رحمه الله تعالى فى رياض الصالحين حديثا طويلا عن ابى هريرة رضى الله عنه وفيه ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم وفى رواية ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وفى رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم

(وفى الاقوال) جمع قول وهو قول الحق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على وجه العموم دون الخصوص كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم ولا يفضح احدا من امته فكان يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وفى تفسير الخازن فى قوله تعالى * ولا تجسسوا * عن ابن عمر رضى الله عنهما قال صعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله انتهى والحاصل ان امر النبى صلى الله عليه وسلم بالمعروف ونهيه عن المنكر كان على وجه العموم دائما ولم يرد عنه عليه السلام انه كان يقول لفاسق معين لا تفعل الفسق بل ولا يظن فى احد من المسلمين الا خيرا وكيف يتصور ان يصدر منه ذلك وقد قال ولا تتبعوا عوراتهم كما فى الحديث وهل كان يتتبع العورة وينهى عن تتبعها ولا يسترها وفى تفسير الخازن فى المحل المذكور عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا فى الدنيا الاستره الله يوم القيمة انتهى فهذه كيفية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على وجه المتابعة للنبى صلى الله عليه وسلم فى اقواله وسيأتى ان شاء الله تعالى لهذا المبحث زيادة ايضاح فى هذا الكتاب (وفى الاخلاق) جمع خلق وتقدم تفسيره واخلاق النبى صلى الله عليه وسلم كلها عظيمة قال الله تعالى * وانك لعلى خلق عظيم * قال البيضاوى اذ تحتمل من قومك مالا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خُلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون وفى تفسير الخازن ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التجنب عن الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتشاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصفه الله تعالى بقوله * وانك لعلى خلق عظيم * وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من نواهى الله تعالى والمعنى وانك لعلى الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل

سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله تعالى * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين * وقال العز بن عبد السلام وقيل على طبع كريم اجتمعت فيه مكارم اخلاق الانبياء عليهم السلام لانها قصت عليه وقيل له فبهدا هم اقتده وفى المواهب اللدنية قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظم مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والامانة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمؤمنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد رضى الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال وفى رواية مالك فى الموطأ انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقرآن وقال صاحب عوارف المعارف ولايبعدان قول عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن فيه رمز غامض وايماء خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت عن المعنى بقولها كان خلقه القرآن استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور عقلها وكمال ادبها فكما ان معانى القرآن لاتتناهى فكذلك اوصافه الجميلة الدالة على خلقه العظيم لاتتناهى اذفى كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم ومايفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه مالايعلمه الا الله تعالى فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم تعرض لما ليس من مقدور الانسان ولامن ممكنات عاداته وقد كان صلى الله عليه وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له ذلك برياضة نفس بل بجود الهى ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف فى قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لان به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل قال وهب بن منبه قرأت فى احد وسبعين كتابا فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا رواه ابونعيم فى الحلية وابن عساكر وعن بعضهم مما هو فى عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبى صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين (وفى الافعال) جمع فعل وقد فعل صلى الله عليه وسلم الافعال الجميلة

الحسنة المرضية من بداية امره الى نهايته فكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة اهله ويقطع اللحم معهن لايبث بصره فى وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن او فخذ ارنب ويكافئ عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ماحضر ولا يرد ماوجد ولايتورع عن مطعم حلال وان وجد شواء اكله وان وجد خبز قمح او شعير اكله وان وجد حلواء او عسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لايأكل متكئا ولم يشبع من خبز قمح ثلاثة ايام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لافقرا ولا بخلا اشد الناس تواضعا واسكنهم فى غير كبر لايهوله شئ من امور الدنيا ويلبس ماوجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ماوجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الايمن او الايسر يردف خلفه عبده اوغيره يركب ماامكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلارداء ولاعمامة ولاقلنسوة يمزح ولايقول الاحقا يضحك من غير قهقهة يرى اللعب المباح فلاينكره ويسابق اهله وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله من البانها وكان له عبيد واماء لايرتفع عليهم فى مأكل ولاملبس يخرج الى بساتين اصحابه لايحقر مسكينا لفقره ولايهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء واحدا وكان اذا لقى احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ بيده فشبكه ثم شد قبضته وكان لايجلس احد اليه وهو يصلى الاخفف صلاته وجلس اليه فقال الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس اصحابه لانه كان حيث ماانتهى به المجلس جلس وكان اكثر مايجلس مستقبل القبلة وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولايتنازع عنده فى الحديث وكان لايأكل الحار ويقول انه غير ذى بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فابردوه وكان يأكل ممايليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاء عثمان بن عفان بفالوذج فأكل منه وقال ماهذا ياابا عبدالله فقال بابى انت وامى نجعل السمن والعسل فى البرمة ونصفيهما فى النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتى كما ترى فقال عليه السلام ان هذا طعام طيب وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا فى معنى الآخرة اخذ معهم وان تحدثوا فى طعام او شراب تحدث معهم وان تكلموا فى امر الدنيا تحدث معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ثم نهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولايزجرهم الاعن حرام الى غير ذلك من افعاله صلى الله عليه وسلم واحواله الشريفة العظيمة وتمامها مبسوط فى احياء علوم الدين للغزالى رحمه الله تعالى وفى كتاب المسامرات للشيخ محى الدين

العربي رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لا يذكر عنده الاراذل يكرم كريم كل قوم
ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي بشره عن احد ولا خلقه
يتفقد اصحابه ويسئل الناس عما في ايد الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح
ويوهنه اه وفي الجامع الصغير للسيوطي كان صلى الله عليه وسلم اذا تغدى
لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان يحمل ماء زمزم وكان يحدث حديثا بحيث
لو عده العاد لاحصاه وكان يحبه النظر الى الخضرة والماء الجاري الى اكثر من ذلك
مما هو مفصل في كتب الشمائل النبوية والاخلاق المحمدية (وان الشيطان) معطوف
على ان الظفر بها والشيطان اما من شاط يشوط شوطا في الارض وهو سرعة السير
اسرعته في السريان في باطن الآدمي لتلبيس الامور وعجلته في الاضلال اومن شاط
اذا احترق لغلبة النارية عليه اومن شاط اذا هلك لهلاكه بكفره وعناده فوزنه على هذا
فعلان اومن شطن اذا بعد لبعده من رحمة الله فوزنه فيعال وهو اسم لابليس واولاده
كالانسان اسم لآدم واولاده قال ابو محمد الخازن في تفسير قوله تعالى *فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم* المراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق
على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني آدم
باقدار الله اياهم على ذلك وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة *فسجدوا
الا ابليس* قال اكثر اهل اللغة والتفسير سمي ابليس بهذا الاسم لانه ابلس من رحمة الله
اي ايس منه والمبلس المكتئب الحزين الآيس وفي القرآن فاذاهم مبلسون وقيل لا يجوز
ان يكون مشتقا من ابلس لانه لو كان كذلك لانصرف ونون كما نون اكليل وبابه
وترك تنوينه في القرآن يدل على انه اعجمي معرب والاعجمي لا يعرف له اشتقاق وقال
ابن عباس كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه عزازيل وكان
من سكان الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن ولم يكن من الملائكة
اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود لآدم وعصاه طرده ولعنه
وجعله شيطانا وسماه ابليس (للانسان) وهو الواحد من بني آدم ذكرا كان اوانثى
(عدو مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء فاخرجهما من الجنة وقال لاحتنكن
ذريته وفي تفسير الخازن يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة وعن ابي قتادة قال
كنت ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة
من الله والرؤيا السوء من الشيطان فاذا رأى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب
واذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها
لن تضره اه وهذا من عداوة الشيطان لا يسلم منه ابن آدم وفي لا حالة نوم قال الشيخ
المناوي في شرح الجامع الصغير المؤمن محسود ولعبه شيطانه لشدة عداوته فهو يكيده
ويخزيه من كل وجه ويلبس عليه فاذا رأى رؤيا صادقة خلطها ليفسد عليه بشراه

اوانذاره اومعاينته ونفسه عون للشيطان اللعين فيلبس عليه بما اهتم به فى يقظته اه واعلم ان الشيطان وان كان لك عدوا مبينا فانه لايظهر منك الا ماهو فيك من السوء ولاتأثيرله فيمايصدر منك اصلا كما لا تأثيرلك انت ايضا فى ذلك وانما ينسب الفعل اليك وينسب سبب ذلك الفعل وهوالوسوسة الى الشيطان العدو والله خالق كل شئ وهو بكل شئ عليم ولله الحجة البالغة ولوشاء لهداكم اجمعين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الاسيوطى فى جامعه الصغير بعثت داعيا ومبلغا وليس الى من الهدى شئ وخلق ابليس مزينا وليس له من الضلالة شئ وقال شارحه المناوى فالرسل انما هم مستجلبون لامر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطر على خير وينذرون من جبل على شر والشيطان انما ينشر جبائله لامر جبلات الخلق كما تقرر فكلا الفريقين لايستأنفون امرالم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذا حال كل امام وعالم فى زمنه ودجال وضلال فى اوانه فانما يميز كل منهما الخبيث من الطيب انتهى فتأمل هذا فى جميع ماسيأتى من امور الشيطان واحذر ان تعتقد ان له لعنه الله تعالى من امر الله شيئا فانه تعالى قال لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ فكيف يكون لعدو اللعين من الامر شئ انما الامر كله لله ولكن هى كلمات والفاظ تفصح عن معانى حضرات الله تعالى فى اسمه المضل واسمه الهادى وانه يضل من يشاء بمن يشاء اى بملابسته لابالاستعانة به ويهدى من يشاء بمن يشاء كذلك (يصد) اى الشيطان بمعنى يمنع يقال صده عن الامر يصده صدا منعه وصرفه عنه قاله الجوهرى (عنه) اى عن الظفر بالدار الآخره وما فيها على حسب ماسبق اوعن الانسان والمفعول محذوف اى الخير يعنى يمنع ويصرف عن الانسان كل خير وصلاح (صدا) مصدر مؤكد للفعل المذكور (باقصى) اى بغاية (جهد) بضم الجيم وفتحها اى طاقة وقدرة كما قرئ * والذين لايجدون الاجهدهم * وجهدهم اى طاقتهم (متين) من المتانة وهى القوة ومتن الارض ماصلب منها (انما) كلمة حصر (يدعو) يعنى الشيطان بمعنى يقهر ويغلب (حزبه) اى اشياعه واولياءه وكل من اطاعه لاغير وهوماذكرنا من ان كل داع الى طاعة اومعصية يميز الله به بين الخبيث والطيب فقط (ليكونوا) اى من دعاهم (من اصحاب السعير) تقرير لعداوته وبيان لغرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا قاله البيضاوى وقال السلمى فى قوله تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * قال الواسطى فاتخذوه عدوا بما نصركم عليه واحذروا ان يمانيكم فانه انما يدعوا حزبه وحزبه هم الراكنون الى الدنيا والمحبون لها والمفتخرون بها وقالت رابعة رضى الله عنها ارجى آية فى كتاب الله عندى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فانه كأنه يخاطبنا ويقول انا حبيبكم فاتخذونى حبيبا وقال سهل حزبه اهل البدع والضلالات والاهواء الفاسدة والسامعون ذلك

من قائلها وقال الواسطى حذروسمى حزبه ومتابعيه وامر بطرده بضياء المبادرة
فى العهود وحفظ الحدود ورعاية الود بطرد الوساوس كما ان بضياء النهار تطرد الكلاب من
المجالس وانشد شعرا * ومن رعى غنما فى ارض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد *
(فخذوا) يا ايها المؤمنون (حذركم) منه لئلا يدخل عليكم سوأ ملبسا فى صورة خير
ولا تشعرون به بقدرة الله تعالى الممدة له فيما هو بصدده فان الله تعالى اعطاه خلقه
الذى هو مقتضى ما خلق له وهو الاضلال كما اعطى كل شئ خلقه من خير او شر ثم
هدى اى بين لكم مقتضى خلق كل شئ لا بقدرته هو التى هى فيه سبب الامداد المذكور
(واتخذوه) اى الشيطان (عدوا) لكم فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه
فى مجامع احوالكم (فانه) اى الشيطان (كاب مبير) اى مهلك من البوار وهو الهلاك
فله تكالب على ذلك وحرص شديد قال الامام الغزالى رضى الله عنه فى كتاب شرح
عجائب القلب من احياء العلوم قال جرير بن عبيد العدوى شكوت الى العلاء بن زياد
ما اجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى تمر به اللصوص
فان كان فيه شئ عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى ان القلب الخالى عن الهوى لا يدخله
الشيطان فلذلك قال الله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى
فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى * افرأيت من اتخذ
آلهه هواه * اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال
عثمان بن العاص يارسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك
شيطان يقال له خنزب اذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت
ذلك فاذهبه الله عنى وفى الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله
منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شئ سوى ما يوسوس به لانه
اذا حضر فى القلب ذكر شئ انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن كل شئ سوى الله
وسوى ما يتعلق به يجوز ان يكون ايضا مجال الشيطان فذكر الله هو الذى يؤمن
جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشى الا بضده وضد جميع وساوس
الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين
الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلبهم فى اوقات الفلتات على سبيل
الخلسة قال الله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون * وقال مجاهد فى معنى قوله من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب
الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين
ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما
قال تعالى * استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله * وقال انس قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان بيده وجهه وقال بابى وجه لايفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتناف الشهوات لتقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس *لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقة فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال تقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهى هذه الخواطر التى تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذا الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولايتصور ان ينفك عنه آدمى وانما يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال مامن احد الاوله شيطان آه واعلم ان الشيطان كما يكون من الجن على حسب ماذكرنا من اوصافه الرديئة وعداوته لاهل الملة الاسلامية يكون من الانس ايضا قال الواحدى فى تفسير قوله تعالى * وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن* يعنى مردة الانس والجن والشيطان كل عات متمرد من الانس والجن قالوا ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان الشيطان من الجن اذا اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه قال يدل على هذا ماروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن قال مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن وذلك انى اذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا وفى تفسير الخازن فى قوله تعالى *من الجنة والناس* قال ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع

ذلك انخنس وانقبض (فغاية بغيته) اى الشيطان والبغية بالكسر والضم الحاجة نفسها يقال لى فى بنى فلان بغية وبغية اى حاجة وبغى ضالته وكذلك كل شئ طلبه بغاء بالضم والمد وبغاية ايضا (سلب) اى اخذ وازالة (الايمان) من الانسان بالله تعالى اوبرسله او بشئ مما ورد عنهم من اليقينيات ولو بالتشكيك فيه ليتساوى الانسان معه فى رتبة الكفر التى هو فيها ورتبة الشكوك والترددات فيما هو عين الحق المبين قال ابن اقبرس فى فتح الصفاء شرح الشفاء اختلف العقلاء فى ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا ام لا فمنهم من قال انه كان كافرا ابدا واستدل بما نقل صاحب شرح الاناجيل الاربعة من انه وقع المناظرة بين الملائكة و بين ابليس فقال ابليس للملائكة انا اسلم ان الله خالقى وخالق الخلق لكن لى على حكمته اسئلة الاول ما الحكمة فى الخلق لاسيما اذا كان عالما ان الكافر لايستوجب عند حكمته الا الالم الثانى ما الفائدة فى التكليف مع تنزهه عن عود الفائدة اليه ومايعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف الثالث هب انه خلقنى لمعرفته وطاعته فلم كلفنى بالسجود لآدم الرابع ثم لما عصيته فتركت السجود لآدم فلم لعننى واوجب عقابى مع انه لافائدة له ولالغيره فيه ولى فيه اعظم الضرر الخامس هب انه فعل ذلك فلم مكننى من دخول الجنة ووسوسة آدم السادس لما فعل ذلك فلم سلطنى على اولاده ومكننى من غوايتهم واضلالهم السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة فى ذلك فلم امهلنى ومعلوم ان العالم كان خاليا عن الشر فاوحى الله اليه من سرادقات الجلال والكبرياء ياابليس انك ماعرفتنى ولو عرفتنى لعلمت انه لااعتراض على فى شئ من افعالى فانى انا الله لااله الا انا لااسئل عما افعل قال بعض المحققين لاجواب عن هذه الشبهات الا الجواب الذى ذكره الله تعالى واقول ان الله تعالى انما اقتصر له على هذا الجواب لعلمه تعالى بما اودعه فيه من صفة الجهل بحكمته وانه عاجز عن ادراك ذلك اذ لازم ماذكره فى الشبه التعطيل ولاشك ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا والحكمة فى افعاله تعالى قد تكون خفية فيختلف فيها الحال باختلاف الاشخاص فى الادراك وقد تكون جلية وعندى ان جواب هذه الشبه غير بالغ فى الخفاء وليس هذا المقام بقابل للتطويل بذكر الحكمة فى كل سؤال من هذه الاسئلة لان فيه خروجا عن المقصود اه والحاصل انه لعنه الله كافر بجهله وعناده لما قام عنده من الشبهات التى فتنه الله تعالى بها فهو يوسوس فى صدور الناس ليحملهم على ماوقع منه فيقع منهم نظيره ويكفرون كما كفرهو قال تعالى *كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين *قال الواحدى اذقال للانسان وهو عابد فى بنى اسرائيل واسمه برصيصا ذكر ابن عباس قصته فقال كان فى بنى اسرائيل عابد عبدالله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده

وانه أتى بامرأة ذات شرف قدجنت وكان لهـا اخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم
يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنهـا
فلما فعل ذلك ذهب الشيطـان حتى اتى احد اخوتها فاخبره بالذى فعل الراهب
وانه دفنها فى مكان كذا وكذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل
الرجل يلقى اخاه فيقول والله لقد اتانى آت ذكرلى شيئا يكبر على ذكره فذكر
بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فاقراهم بالذى
فعل فامر به فصلب فلما رفع على خشبته مثل له الشيطان فقال انا الذى زينت لك
هذا والقيتك فيه هل انت مطيعى فيما اقول لك اخلصك مما انت فيه قال نعم قال
اسجدلى سجدة واحدة فسجدله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين وقال البيضاوى فى قوله تعالى
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم فى معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم* وقال
لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم* مقالة نفسانية والمعنى انه القى فى روعهم
وخيل اليهم انهم لايغلبون ولايطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم
اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل
الدينين انتهى وكم له لعنه الله من حيلة على ابن آدم ليوقعـه فى الكفر كما وقع هو فيه
والله خير حافظا وهو ارحم الراحمين (و) غاية بغيته (الخلود) اى خلود الانسان وهو
دوام البقـاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا واخلده الله اخلادا وخلده تخليدا قاله
الجوهرى (الدائم) تأكيد له لفظى بموافقه نحواجل جيرى (فى النيران) اى نيران الكفر
والشرك والعياذ بالله تعـالى فان قلت قال ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقـه الاكبر
لايجوز ان نقول بان الشيطان يسلب الايمان من العبد المؤمن قهرا وجبرا فكيف قال
المصنف رحمه الله تعـالى غاية بغيته سلب الايمان قلت ليس مراده سلب الايمـان
من العبد قهرا عنه وجبرا عليه ولو كان كذلك ماكان العبد كافرا حينئذ لاكراهه
على ذلك وزوال اختياره وارادته عنه بل مراده سلب الايمان باختيـار العبد لتركه
وارادته ذلك حتى يبقى العبد مكلفا فيستحق العقاب ولما كان سببا للسلب بوسوسته
نسب السلب اليه ولهذا قال للانسان اكفر يعنى وسوس له فى نفسه بان يكفر باختياره
وارادته فلما كفر قال انى برئ منك كما مر وقد اجاب ابو حنيفة رضى الله عنه فى الفقه
الاكبر عن ذلك بقوله ولكن نقول العبد يدع الايمان يعنى باختياره وارادته لان الشيطان
وسوس له بذلك فاطاعه فحينئذ يسلبه منه وفى تفسير الخازن فى قوله تعـالى* وقال
الشيطان *يعنى ابليس* لما قضى الامر* يعنى فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار فى لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبـا قال مقاتل يوضع له
منبر فى النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله تعالى بقوله * ان الله

وعدكم وعد الحق* وتقديره فصدق فى وعده* ووعدتكم فاخلفتكم* وقيل يقول لهم انى قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار* وماكان لى عليكم من سلطان* يعنى من ولاية وقهر وقيل لم آتيكم بحجة فيما وعدتكم به* الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا انفسكم* يعنى ما كان منى الا الدعاء والقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الىّ ولا تسمعوا قولى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى باجابتى ومتابعتى من غير حجة ولا دليل* ما انا بمصرخكم* يعنى بمغيثكم ولا منقذكم* وما انتم بمصرخى* يعنى بمغيثى ولا منقذى مما انا فيه* انى كفرت بما اشركتمونى من قبل* يعنى كفرت بجعلكم اياى شريكا له فى عبادته وتبرأت من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك (ثم) يتنزل مع الانسان بعد ذلك اذا لم يبق له حيلة فى تكفيره والتسبب له بالخلود فى النار فيرضى ان يكون منه (الفسق) وهو الخروج عن طاعة الله تعالى مع الايمان بها كفعل المعاصى وترك المأمورات (الظاهر) على الانسان يعنى الذى يظهر به الانسان عن قصد منه واختيار وللشيطان ابواب يدخل منها على الانسان فيحكم منه بها فيحمله على ما يغويه وهى كثيرة من اكبرها الدنيا قال فى الاحياء للغزالى قال ثابت لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ماذا هو فانطلقوا ثم جاؤه وقالوا ما ندرى قال ابليس انا آتيكم بخبره فذهب وجاء وقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى عليه السلام توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فاخذه من تحت رأسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وذكر ايضا قال ان لكل نوع من المعاصى شيطانا يخصه ويدعو اليه قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شئ من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذى يأمر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يأمر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون ملتطمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد وردت فى ذلك اخبار كثيرة وقد روى عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن آدم فرأى فى النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه ورأى الشيطان فى صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبيه واذنه له خرطوم

طويل دقيق قدادخله من منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهد فى اليقظة بعينه وقد رآه بعض المكاشفين فى صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا (والظلم) لنفسه بمنعه حقها من الخير وفعله بها مايضرها من الشر ولغيره بمنعه حقه او بفعل مايضره (القاهر) اى الذى يكون بطريق التعدى والجور لامافيه كف عن سوء اوحمل على خير فى النفس اوفى الغير (وادناها) اى ادنى بغية الشيطان اى اقل مايكون من حاجته بالانسان (التثبيط) اى المنع للانسان والتعويق له (فى) فعل (الخيرات) عن المضى فيها وعن انشائها من الاصل وعن الاعتناء بها (والحط) اى التسفل والرضى بالدون (فى المراتب) العلمية (والدرجات) العملية بان يقول للانسان لاتترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر عن الشهوات طول العمر بلية عظيمة فعندهذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولابد من احدهما فاذا ذكر العبد وعدالله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذلا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصى ولايمكنه ان يقول المعصية لاتفضى الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه فيترك العبد المعصية وينهمك فى فعل الطاعات فيخذل الشيطان اللعين ويذهب عنه وربما قال له فى نفسه ان الله غفور رحيم وان رحمته واسعة فافعل ماشئت من المعاصى فان الله يغفرها كلها لك كما قال البيضاوى فى قوله تعالى *ياايها الناس ان وعدالله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا* فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها *ولايغرنكم بالله الغرور* الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وفى تفسير الخازن *فلاتغرنكم الحياة الدنيا* اى لاتخدعنكم بلذاتها ومافيها عن عمل الآخرة وطلب ماعندالله *ولايغرنكم بالله الغرور* اى لايقل لكم اعملوا ماشئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور بقوله ان الشيطان لكم عدو انتهى والحاصل ان الشيطان له وساوس يلقيها فى نفوس اهل الغفلة عن شهود الله تعالى فيحملهم بها على الكفر اولا فان لم يمكنه بان وفقهم الله تعالى للاحتفاظ على ايمانهم يحملهم على فعل المعاصى وارتكاب الآثام من الذنوب القاصرة على نفوسهم والذنوب المتعدية الى غيرهم فان لم يمكنه ذلك حملهم على التوانى والتضاعف والتكاسل فى العبادات والطاعات وحرمهم نيل المراتب والدرجات العاليات وهذا الترتيب دأبه وعادته فى كل احد لايقنع بالادنى الا اذا عجز عن الاعلى ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى (ولايرضى) يعنى الشيطان (به) اى بكل واحد من التثبيط والحط المذكورين (الاعند اليأس) اى القنوط بالكلية (من غيره) اى غير

كل واحد منهما فان آيس من الكفر رضى بالفسق وان آيس من الفسق رضى بالتثبيط في الطاعات والحط عن الدرجات العاليات.(نعوذ) اى نلتجى ونحتمى ونستجير (بالله) الذى خلقنا وخلقه (ثم نعوذ) تأكيد لفظى للاول (بالله) كذلك (من شره) اى الشيطان قال الخازن فى تفسير قوله تعالى * واما ينزغنك من الشيطان نزغ * النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه اى يبعثه على مالا ينبغى فاستعذ بالله اى من شره انه هو السميع اى لاستعاذتك العليم باحوالك قال الغزالى فى الاحياء فان قلت فما العلاج فى دفع الشيطان وهل يكفى ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد مداخله وتطهير القلب من الصفات المذمومة وليس فى الآدمى صفة مذمومة الا وهى سلاح الشيطان ومدخل من مداخله نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اختيارات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاختيار ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تمكن من القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى *ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا* خصص ذلك بالتقى والمتقين ومثل الشيطان مثل كلب جائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالى عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم تمكن من سويدائه يعنى داخله فيستقر الشيطان فى سويداء القلب اى فى داخله واما قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن الذكر فاذا عادت الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى *فاستعذ بالله وسائر الآيات والاخبار الواردة فى الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى فاظل عريانا فقال شيطان الكافر ولكننى مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه فى طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا وبينه كما بعدت بينه وبين جنتك انك على كل شئ قدير فتمثل له ابليس يوما فى طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفنى قال ومن انت قال اللعين قال له وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة

قال والله لامنعنها ممن ارادها فاصنع الآن ماشئت وقال صلى الله عليه وسلم ماسلك عمر فجا الاسلك الشيطان فجا غير فجه وهذا لان القلوب مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهى الشهوات فهما طمعت فى ان يندفع الشيطان عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع فى ان يشرب دواء قبل الاحتماء والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذى شربه بعد الاحتماء وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء يخلى القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدواء فى معدة خالية عن الاطعمة قال تعالى *ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب* وقال تعالى *كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير* ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت تقول ان الحديث ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل فان منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك فى اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر ماينسبه من فضول الدنيا الا فى صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلاة محك القلوب فيها يظهر مساويها ومحاسنها فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد فر الشيطان منك كما يفر من عمر رضى الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله لاتسب الشيطان فى العلانية وانت صديقه فى السر اى انت مطيع له اه فقولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانت فاسد القلب من غير تقوى عندك فى ظاهرك وباطنك لايؤثر شيئا عند الشيطان بل ربما استعان الشيطان على غرورك بقولك ذلك لظنك انك طردت الشيطان عنك بمجرد لقلقة لسانك وانت مقيم على الغفلات والمعاصى ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (والمؤمن) بالله تعالى وبرسله وماجاء عنهم (الطالب) بظاهره وباطنه مع الاخلاص (للحق) اى لمعرفته سبحانه وتعالى وللوصول اليه (والباقية) وهى الدار الآخرة التى اهلها فيها دائمون خالدون فى نعيم اوعذاب اليم وكل من طلب الامرين معا فهو من الابرار اصحاب السلوك فى طريق المعرفة بالله تعالى ولا وصول لهم اليه تعالى بعد وادنى منهم المنقطعون الواقفون عن الطلب المذكور وهم عامة المؤمنين واعلى من الكل الكاملون الواصلون المقربون وقد اقتصر طلبهم على الله تعالى وحده فهم سائرون به اليه فيه ولما كان هذا الكتاب منحصرا فى بيان رتبة الابرار وذكر رفعتها بالنسبة الى رتبة عامة المؤمنين لم يذكر فيه رتبة المقربين ولا كلامهم (لا يخفى عليه) اى على ذلك الطالب للامرين معا الحق والدار الآخرة الطلبة (الاولى) التى هى

الحق سبحانه (ولا) الطلبة (الثانية) وهى الباقية اى الآخرة اذكل من طلب شيئا فانه يعرفه وطلب المجهول محال البتة فمن طلب الحق تعالى فلولانه يعرفه بوجه ما وهو طالب كمال معرفته ماطلبه ولاخطر فى باله حسن الوصول اليه سبحانه وكذلك من طلب الآخرة فلولانه يعرفها بوجه من الوجوه ماامكنه ان يطلبها ولاكان يخطر على باله حسنها فكل من تيسر له الطلب المذكور فهو عارف لمايطلب معرفة الهامية حصلت له بمحض فيض فضل الله تعالى وهو الذى يسمى مريدا فى اصطلاح الصوفية واما من كانت ارادته مجرد تشهى المعرفة الالهية وتشهى الوصول الى الدار الآخرة من غير سعى فى طريق ذلك الموصل اليه فهو صاحب غرور فى الحياة الدنيا وليس بمريد كما ان من اراد السفر الى بلاد مثلا اذاقصد ذلك بقلبه ولم يخرج من بلاده التى هو فيها فانه ليس بمسافر اصلا بل هو مشتهى السفر ومتمن له وانما المسافر من خرج من اوطانه واعرض عن جميع اهله واخوانه وجرد قصده الى مطلوبه واقبل بكليته الى وجه محبوبه ومن كان كذلك فلايخفى عليه شئ من المسالك ولو فرضنا انه جاهل بالطريق فانه يرى له حيث صدق فى التوجه الف رفيق ولهذا قال الجنيد البغدادى رضى الله عنه المريد الصادق غنى عن علم العلماء كذا نقله القشيرى فى الرسالة يعنى غنيا بالله عن من سواه من كل عالم فالله تعالى يعلمه بالعلماء من اى نوع كان من انسان اوحيوان اوجماد اونبات وعلامة ذلك وجود العلم عنده وكل شئ فى الوجود له عقل وعلم كما بينته مفصلا * فى كتاب لمعات البرق النجدى شرح تجليات محمود افندى (وانما الاشتباه) وهودخول الشئ فى شبهه يقال اشتبه الامر اذالم يتميز من اشباهه واشكل اذادخل فى اشكاله (والالتباس) مثل الاشتباه فان الشئ اذالبس هيئة الآخر اشتبه به فيقال التبس به حيث لم يتميز عنه (ونفوذ) اى مضى يقال نفذ السهم فى الغرض اذامضى فيه بالذال المعجمة واما بالدال المهملة فهو التمام والفراغ يقال نفد المال اذاتم وفرغ (وسواس) اسم مصدر كالوسوسة مثل الزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والوسوسة الهمز والصوت الخفى وقال العز بن عبد السلام فى تفسيره الوسواس الشيطان واصل الوسوسة الحركة وقيل الصوت الخفى والوسواس الصوت الجلى وحديث النفس وقال الخازن فى قوله تعالى *الذى يوسوس فى صدور الناس* يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع (الخناس) الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذاذكر الانسان ربه قاله البيضاوى وقال العز بن عبدالسلام الخناس المختفى عن الاعين وقيل هو الذى يخنس مرة ويوسوس اخرى وقيل المتأخر عند ذكر الله وقيل وهو جاثم على قلب ابن آدم فاذاذكر الله خنس واذاغفل وسوس وقال الخازن الخناس الرجاع وقال قتاده الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه

فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر الله رجع ووضع رأسه على القلب (فى الجاهلين) متعلق بنفوذ اى تأثير ذلك فى اهل الجهل وهو خلاف العلم فيشمل الشك والوهم والظن فى الاعتقاديات وان الحق بالعلم فى العمليات والمراد بهم الذين جهلوا ما اوجب الله تعالى عليهم علمه والعمل به من الاحكام الشرعية (المتنسكين) اى المتعبدين من النسك وهى غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة قاله البيضاوى والمراد انهم عابدون لله تعالى مع الجهل به تعالى وبعبادته وفى الخلق اناس كذلك ولكنهم غير معلومين باعيانهم لوجوب الحمل على الكمال وستر عورات المسلمين وحرمة الظن السوء والتجسس عنهم كما ورد فى صريح الآيات والاحاديث وليس مراد المصنف رحمه الله تعالى جماعة مخصوصين لوجوب ظن الخير فيه وانما كلامه عام ليعم النفع به فكذلك يجب ان يكون كلام كل مدرس وواعظ فى كل زمان حتى لا يتدنس بالآثام فى باطنه وظاهره فينجع فى غيره كلامه (و) فى (العالمين) بكسر اللام جمع عالم وهو موصوف بالعلم (الغافلين) عن ماهم مأمورون بذكره واستحضاره ومن اسرار التوحيد ولطائف العبادات وهم العلماء المنهمكون فى الشهوات النفسانية المغرورون بالزخارف الدنيوية وهم غير معلومين ايضا باعيانهم ولكن بيانهم على طريق العموم كالاولين قال الله تعالى *والله يعلم المفسد من المصلح (فيما) اى كائنا يعنى الاشتباه والالتباس فى الامور التى هى (عداهما) اى غير الحق والباقية المذكورين يعنى الله تعالى والآخرة (من) جميع انواع (الشرور) جميع شر ضد الخير من امور الدنيا ومافيها وكون الله تعالى والآخرة لا اشتباه ولا التباس فيهما ولا على الجاهلين المتنسكين والعالمين الغافلين لان الله تعالى غيب مطلق والآخرة غيب مقيد والغيب يجب الايمان به قبل الاطلاع عليه ولا يقبل الايمان به بعد الاطلاع عليه لانه ليس بايمان اختيارى بل هو شهود ضرورى حينئذ لا يتصور فيه التكليف ولهذا لا يصح ايمان الكافر اذا شاهد امر الآخرة كما قال تعالى *يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل *والايمان قدر مشترك بين الجاهل والعالم وبين الغافل والمتيقظ كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه ايمان اهل السماء والارض سواء وانما التفاوت فيما عدا ذلك من الآيات التى فى الآفاق وفى الانفس يراها الجاهل ظلمات فيحرفها عن مواضعها ويبدلها بعد ما سمعها وتغلب حالته على العالم الغافل فيقتدى به فى ذلك فلهذا سماها شرورا لانها منشأ الشر لكل منهما فان قلت الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون لا يعرفون الله تعالى ولا الآخرة كما يعرف العالمون العاملون الكاملون فكيف يكون الله تعالى والآخرة غير مشتبهين ولا ملتبسين عليهما قلت لا يتصور الاشتباه والالتباس فى الامر المعجوز عن ادراكه للكل الذى اشترك الكل فى الايمان به من غير تحكم عليه بما ليس وارداعنه من الاوصاف والقصور فى القاصرين انما هو من جهة ما عدا الله تعالى والآخرة

فانها الشرور التى متى اشتغل بها احدانسته ذكر الله تعالى واحضرت عنده كل سوء ونقص وحملته على نسبة ذلك الى الله تعالى والى الآخرة وهما مبرآن من ذلك فالاشتباه والالتباس المنسوبان فى الظاهر عند الجاهل والغافل الى الله تعالى والى الآخرة واقعان فى نفس الامر على ماعدا الله تعالى والآخرة من الامور الدنيوية لانه من لم يعرف نفسه لايعرف ربه ومن لم يعرف احوال نفسه لايعرف الآخرة فالفطرة الانسانية مجبولة على معرفة الله تعالى ومعرفة الآخرة وانما الاشتباه والالتباس فيما عدا هما فاذا انقطعت اسباب ماعداهما ظهرت الفطرة الاصلية ظهورا اضطراريا لااختياريا كسبيا فلا ينفع ذلك قال تعالى *حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق *قال البيضاوى *دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال العارض من شدة الخوف اه قلت ولاجل هذا شرع الجهاد فيهم لعل ان تتراجع فطرهم ويزول العارض لهم عن معرفة حقيقة الامر بالاغلاظ عليهم والتخويف لهم فيرون الحق حقا والباطل باطلا ويضمحل عنهم الكفر والجهل وفى تفسير الواحدى دعوا الله مخلصين له الدين قال ابن عباس رضى الله عنهما تركوا الشرك واخلصوا لله فى الربوبية وقالوا لئن انجيتنا من هذه الريح لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق يعملون فيها بالفساد والمعاصى والجراءة على الله تعالى وقال ابو محمد الخازن يعنى انهم اخلصوا فى الدعا لله عزوجل ولم يدعوا احدا سواه من آلهتهم وقيل فى معنى الاخلاص العلم الحقيقى لااخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لاينجيهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا فى شدة وضر وبلاء اخلصوا لله عزوجل الدعاء (فدلاهما) اى الشيطان المتقدم ذكره وضمير التثنية راجع الى الجاهلين المتنسكين والعلماء الغافلين (بغرور) بما غرهما به من التنسك مع الجهل والعلم مع الغفلة اومتلبسين بغرور وفى تفسير الواحدى التدلية ارسال الدلو فى البئر فقيل اصله تدلية العطشان فى البئر ليروى من الماء ولايجد الماء فيكون مدلى بغرور ثم وضعت التدلية فى موضع الاطماع فيما لايجدى نفعا فيقال دلاه اذا اطمعه فى غير مطمع وقال الخازن فدلاهما بغرور اى فخدعهما يقال مازال فلان يدلى فلانا بغرور يعنى مازال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لايكون الامن اعلى الى اسفل (فيفرطون) بكسر الراء مخففة من افرط فى الامر اذا جاوز فيه الحد قاله الفارابى فى ديوان الادب وهو وصف راجع الى الجاهلين المتنسكين يعنى انهم من جهلهم

بالاحكام الشرعية يجاوزون حدودها ويتعدون عنها القدر الذى عينه الشارع
ظنا منهم ان ذلك حسن فى الشرع فيكثرون من العبادات الصورية بل من البدع
والمخالفات ولايشعرون (او يفرطون) بكسر الراء مشددة من فرط فى الامر
بالتشديد اذا ضيعه وتهاون فيه وهو وصف للعالمين الغافلين يعنى انهم من كثرة
استيلاء الغفلة على قلوبهم بانهماكهم فى شهوات نفوسهم وغرورهم فى الدنيا
مع علمهم بقبح ذلك كله ومعرفتهم طريق النجاح ضيعوا حقوق الله تعالى
عليهم واستهانوا بها وضيعوا حقوق العباد ايضا المتعلقة بهم ولم يبالوا بما فعلوا
اعتمادا على علمهم الذى هو حجة عليهم قال تعالى * فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون * قال البيضاوى اى غافلون غير مبالين بها وقال العز بن
عبد السلام ساهون لاهون او غافلون لايبالون صلوا ام لم يصلوا وقيل يصلونها
رياء ويتركونها خلاء وقيل يلتفتون فيها تهاونا وقيل لايذكرون الله
ولايقرون فيها ويتركونها وفى الحديث يؤخرونها عن وقتها بلا عذر وقيل الذى
لايدرى عن ثلاث انصرف اى سلم او عن رابع وقال الخازن لما قال الله تعالى عن صلاتهم
ساهون بلفظ عن علم انها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين
السهوين ان سهو المنافق هو ان لايتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سهى
فى صلاته تدارك فى الحال وجبره بسجود السهو وقيل السهو عن الصلاة هو ان
يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق الذى لايعتقد
فائدة صلاته وانها عليه واجبة ولا يرجو الثواب على فعلها ولا يخاف العقاب على تركها
وقال ابو عبد الرحمن السلمى عن صلاتهم ساهون قال بعضهم الذين لا يحضرونها
بشهود قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها لايعلمون ان الصلاة
مواصلة بين العبد وبين ربهم فاذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة سمعت عبد الله
ابن على البغدادى يقول سمعت احمد بن فاتك يقول سمعت ابا العباس بن عطاء يقول
ليس فى القرآن وعيد صعب الاو بعده وعد لطيف غير هذه الآية فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون ذكر الويل لمن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف
عن تركها رأسا سئل ما الصلاة قال اتصال العبد بالله عزوجل من حيث لايعلم الا الله
تعالى اه وهذا شان الجاهلين والغافلين فى جميع عباداتهم وطاعاتهم فى الصلاة وغيرها
يتجاوزون الحدود او يقصرون فى اقامة المحدود (وهم) اى الجاهلون المتنسكون
والعالمون الغافلون (يحسبون) اى يظنون (انهم يحسنون) فيما يعملون قال الواحدى
فى قوله تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا * بالقوم الذين هم اخسر الخلق فيما
عملوا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا بطل عملهم واجتهادهم فى الدنيا وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا يظنون انهم بفعلهم محسنون انتهى والاحسان راجع

الى اتقان العبادات ومراعات حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار فيها كذا فى المفهم لما اشكل من تلخيص مسلم للقرطبي (فاردت) الفاء للتفريع اى يتفرع على ماتقدم انى اردت اى قصدت (ان اصنف) اى اجعل صنوفا اى انواعا واقساما فهو اخص من التأليف الذى هو ايقاع الالفة بين المسائل ولو من نوع واحد وفى المواهب اللدنية للقسطلانى ومن خصائص هذه الامة انهم اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم ولاتزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتى امر الله رواه الشيخان ولنا كلام على هذا الحديث بشرحه فى كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد (الطريقة) اى السنة والدين وقال الفارابى فى ديوان الادب يقال مازال على طريقة واحدة اى حالة واحدة (المحمدية) المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم نبينا ورسولنا (واجبت) معطوف على اردت (ان ابين) اى اكشف واوضح (السيرة) اسم من سار يسير وهى الطريقة خيراً كان او شرا ومنه سيرة العمرين اى طريقتهما قال العينى فى شرح الكنز (الاحمدية) المنسوبة الى احمد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر القسطلانى فى مواهبه مايزيد على اربعمائة اسم للنبى صلى الله عليه وسلم وقال رأيت فى كتاب احكام القرآن للقاضى ابى بكر بن العربى قال بعض الصوفية لله تعالى الف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم الف اسم اه ومعنى عبارة المصنف رحمه الله تعالى هنا وقد اشتهر بها اسم هذا الكتاب ان مراده ان يذكر فى كتابه هذا طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى مقتضى شرعه المفهومة من الكتاب والسنة وكلام السلف الصالحين والائمة المجتهدين الخالية من البدعة فى الاعتقاد والعمل والغرض من ذلك (حتى يعرض عليها) اى على هذه طريقة المحمديه والسيرة الاحمدية (عمله) بالباطن والظاهر فيعم الاعتقادات والافعال والاقوال والاحوال (كل انسان سالك) فى طريق الله تعالى الموصل الى رضوانه والجنة فيكون هذا الكتاب ما صنفه مصنفه رحمه الله تعالى الا للعمل بما فيه لاليتمتع الفقيه بحفظ الفاظه ودراية معانيه ويزين بعباراته المجالس وقلبه مملوء من الوساوس فهو تحفة العاملين وحسرة الغافلين وميزان السالكين ومعراج الصالحين (فيتميز) بعرض العمل عليها (المصيب) اى الذى وافق الصواب فى عمله (من المخطئ) اى الذى اخطأ فى العمل وهذا فى الدنيا لان الصواب والخطأ يظهران اليوم فيمكن التدارك بمعاطاة الاسباب الموجبة لازالة الخطأ شرعا (ويتميز) ايضا (الناجى) وهو المصيب (من الهالك) وهو المخطئ وهذا فى حكم الآخرة لان النجاة والهلاك يظهران فى يوم القيامة وعلامتهما فى الدنيا بان يصيب الطريقة المحمدية او يخطئها والطريقة المحمدية هى مااشتملت عليه كتب الشريعة والدين علما وعملا واعتقادا (ورتبته) اى هذا المصنف الذى

هو الطريقة المحمدية (على ثلاثة ابواب) وبيانها على التفصيل * الباب الاول *
فى الاعتصام بالكتاب والسنة ومايتبع ذلك وهو ثلاثة فصول الفصل الاول نوعان
النوع الاول فى الاعتصام بالكتاب النوع الثانى فى الاعتصام بالسنة الفصل الثانى
فى البدع الفصل الثالث فى الاقتصاد فى العمل الباب الثانى فى الامور المهمة فى الشريعة
وهو ثلاثة فصول الفصل الاول فى تصحيح الاعتقاد الفصل الثانى فى العلوم المقصودة
لغيرها وهو ثلاثة انواع النوع الاول فى المأمور به وهو صنفان الصنف الاول فى فروض
العين الصنف الثانى فى فروض الكفاية النوع الثانى فى المنهى عنه النوع الثالث
فى المندوب اليه الفصل الثالث فى التقوى وهو ثلاثة انواع النوع الاول فى فضيلتها
النوع الثانى فى تفسيرها النوع الثالث فى مجاريها وهو تسعة اصناف الصنف الاول
فى منكرات القلب وهو على قسمين القسم الاول فى تفسير الخلق القسم الثانى فى الاخلاق
الذميمة والكفر ثلاثة انواع جهلى وجحودى وحكمى والرياء سبعة مباحث المبحث
الاول فى تعريفه وتقسيمه المبحث الثانى فيما به الرياء المبحث الثالث فيماله الرياء المبحث
الرابع فى الرياء الخفى وعلاماته المبحث الخامس فى احكام الرياء المبحث السادس فى امور
مترددة بين الرياء والاخلاص المبحث السابع فى علاج الرياء ثم الكبر خمسة مباحث المبحث
الاول فى تفسيره وضده وحكم ذلك المبحث الثانى فى اقسام الكبر المبحث الثالث
فى اسباب الكبر المبحث الرابع فى علامات الكبر المبحث الخامس فى اسباب الضعة
والتواضع ثم الحسد اربعة مباحث المبحث الاول فى تفسيره وضده المبحث الثانى
فى غوائل الحسد المبحث الثالث فى العلاج العلمى والعملى المبحث الرابع فى العلاج القلعى
ثم الحقد فيه ثلاث مقالات المقالة الاولى فى تفسيره وحكمه المقالة الثانية فى غوائله
المقالة الثالثة فى سبب الحقد ثم الغضب وفيه خمس مقامات المقام الاول فى تفسيره
واقسامه المقام الثانى فى العلاج العلمى المقام الثالث فى العلاج العملى المقام الرابع
فى العلاج القلعى المقام الخامس فى الحلم ثم الحلم ثلاث مقاصد المقصد الاول فى فوائده
المقصد الثانى فى فوائد ثمرته المقصد الثالث فى طريق تحصيل الحلم ثم البخل مبحثان المبحث
الاول فى غوائله وسببه وآفته المبحث الثانى فى سبب حب المال وعلاجه ثم حب الدنيا
فيه مقالتان المقالة الاولى فى ذمه وغوائله المقالة الثانية فى ثمراته وذمها وضده
ومدحه وفيه مقامان المقام الاول فى ثمراته المقام الثانى فى ضد حب الدنيا ثم الاسراف
خمسة مباحث المبحث الاول فى ذمه وغوائله المبحث الثانى فى السر والسبب الاصلى
فى مذموميته المبحث الثالث فى اصناف الاسراف المبحث الرابع فى ان الاسراف هل
يقع فى الصدقة المبحث الخامس فى علاج الاسراف الصنف الثانى من الاصناف التسعة
فى آفات اللسان وهو قسمان القسم الاول فى وجوب حفظه وعظم جرمه القسم الثانى
فى آفاته وفيه ستة مباحث المبحث الاول فى الكلام الذى الاصل فيه الحظر المبحث الثانى

فيما الاصل فيه الاذن من العادات التى لايتعلق بها نظام المعاش المبحث الثالث فيما الاصل فيه الاذن من العادات التى يتعلق بها النظام المبحث الرابع فيما الاصل فيه الاذن من العبادات المتعدية المبحث الخامس فيما الاصل فيه الاذن من العبادات القاصرة المبحث السادس فى آفات اللسان من حيث السكوت الصنف الثالث فى آفات الاذن الصنف الرابع فى افات العين الصنف الخامس فى آفات اليد الصنف السادس فى آفات البطن الصنف السابع فى آفات الفرج الصنف الثامن فى آفات الرجل الصنف التاسع فى آفات البدن الغير المختصة بعضو معين *الباب الثالث فى امور يظن انها من التقوى والورع وهو ثلاثة فصول الفصل الاول فى دقة امر الطهارة وهو اربعة انواع النوع الاول فى كون الدقة فى ذلك بدعة و هو صنفان الصنف الاول فيما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم وخير القرون النصف الثانى فيما ورد عن أئمتنا الحنفية النوع الثانى فى ذم الوسوسة وآفاتها النوع الثالث فى علاج الوسوسة النوع الرابع فى اختلاف الفقهاء فى امر الطهارة والنجاسة الفصل الثانى فى التورع والتوقى من طعام اهل الوظائف الفصل الثالث فى امور مبتدعة باطلة اكب الناس عليها على ظن انها قربة وهذا آخر ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب والفصول والانوع والاصناف ذكرناها على ماهى عليه ليقف الانسان من اول وهلة على ما تضمنه من بيان الطريقة المحمدية على وجه الاجمال ولم يذكره المصنف رحمه الله تعالى فى خطبته قبل الشروع فى المقصود لطول الكلام عليه وليتشوق الطالب اليه فتتوفر الدواعى الى مطالعته كله وحاصله ان بيان الطريقة المحمدية محصر فى هذه الابواب الثلاثة ومافى ضمنها من انحصار الكلى فى جزئياته لان كل مسئلة من ذلك تسمى طريقة محمدية مالم يكن هذا اللفظ اسما للكتاب فيصير من انحصار الكل فى اجزائه وذلك لان الكلام عليها اما ان يكون من حيث ذاتها وماهيتها اومن حيث مايعرض لها فان كان الاول فهو الباب الثانى وما تضمنه وان كان الثانى فاما من حيث ماهى عليه من الاوصاف فى نفسها ممايدعو اليها وهو الباب الاول واما من حيث مايشتبه بها وليس منها وهو الباب الثالث (متوكلا) حال من ضمير الفاعل فى قوله ورتبته اى معتمدا (على رب) اى مالك (الارباب) اى المالكين كلهم من خلقه وفى رسالة القشيرى قال سهل بن عبدالله اول مقام فى التوكل ان يكون العبد بين يدى الله تعالى كالميت بين يدى الغاسل يقلبه كيف شاء لايكون له حركة ولاتدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله و من حكم ابن عطاء الله الاسكندرى رضى الله عنه من علامة النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات فلهذا قال المصنف رحمه الله تعالى ذلك فى ابتداء سلوكه هذه المسالك ﴿الباب الاول﴾ من الابواب الثلاثة وهو مايدخل منه قال والدى رحمه الله تعالى فى احكامه اعلم ان الفصل صنف تحت الصنف المسمى بالباب كما ان الباب صنف تحت الصنف المسمى بالكتاب والكل تحت الصنف المسمى بالعلم المدون والصنف من العلم بمعنى الادراك جنس و ماتحته من اليقين والظن

نوع والمدون يكون ظنيا كالفقه وقطعيا كالكلام والحساب والهندسة فواضع العلم لما لاحظ الغاية المطلقة له فوجدها تترتب على العلم باحوال شتى اواشياء خاصة وضعه ليبحث عن احواله من تلك الجهة فقد قيد ذلك العلم بعارض كلى فصار صنفا وقيل للواضع صنف هذا العلم اى جمله صنفا فالواضع للعلم اولى باسم المصنف من المؤلفين وان صح ايضا فيهم (فى الاعتصام) اى الامتناع والاحتفاظ من العصمة وهى المنع كما فى قوله تعالى *لا عاصم اليوم* اى لا مانع والله يعصمك من الناس اى يمنعك (بالكتاب) هو القرآن العظيم (والسنة) اى سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وتقدم بيانها (والاحتراز) اى التوقى (عن العادات) جمع عادة وهى ما يعود من افعال الانسان مرة بعد اخرى (السيئة) اى القبيحة المنكرة فى الشرع (والبدع) جمع بدعة معطوف على العادات السيئة على طريقة البيان لها لان العادة تثبت بمرة على رأى بعضهم اوهى اعم من العادات لاشتراط التكرار فى العادة دون البدعة فيكون من عطف العام على الخاص لقصد التميم (المحدثة) صفة كاشفة اذ كل بدعة محدثة نظير قوله تعالى *يحكم بها النبيون الذين اسلموا (والاقتصاد) مصدر كقولك اقتصد فى النفقة اذا لم يسرف ولم يقتر قاله الفارابى فى ديوان الادب (فى الاعمال) المرضية فى الشرع (والتوسط) وهو معنى الاقتصاد مصدر توسط يتوسط (والاجتناب) اى التباعد (عن الطرفين) المذمومين شرعا وعقلا قال الجوهرى الطرف بالتحريك الناحية من النواحى والطائفة من الشئ وفلان كريم الطرفين يراد به نسب ابيه ونسب امه فالطرف الاول (الافراط) اى الاكثار والزيادة يقال افرط فى الشئ اذا اشتط فيه وبالغ (و) الطرف الثانى (التفريط) وهو التقصير يقال فرط فى الشئ اى قصر فيه فيكون هذا الباب مشتملا على ثلاثة امور فلهذا قال (وهو) اى هذا الباب (ثلاثة فصول) لكل امر من تلك الامور الثلاثة فصل يبينه (الفصل الاول) من الفصول الثلاثة (نوعان) تثنية نوع وهو القسم من الشئ (النوع الاول) من هذين النوعين (فى) بيان (الاعتصام) اى الاحتفاظ على النفس والدين والعقل والمال والعرض وهى الخمسة التى يجب على كل مكلف الاحتفاظ عليها كما قررته مفصلا فى كتاب المطالب الوفية (بالكتاب) اى كتاب الله تعالى (الكريم) لان مضمونه الكرم على العباد اولانه من عند الله (والقرآن) بيان للكتاب (العظيم) من العظمة وهى كبر الشان والمراد بالاعتصام بالكتاب الايمان به والدخول فى ربقة احكامه عن رضا وتسليم حتى تصير تلك الاشياء الخمسة محفوظة له محترمة محصنة بالحصن الشرعى محمية من كل متعرض لها (و) الدليل على ذلك (الآيات) الواردة فيه وهى جمع آية قال السيوطى فى الاتقان حد الآية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج فى صورة واصلها العلامة ومنه ان آية ملكه لانها علامة للفضل والصدق اوالجماعة

لانها جماعة كلمة وهى الواحدة من المعدودات فى السور سميت به لانها علامة على صدق من اتى بها وعلى عجز المتحدى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ماقبلها من الكلام وانقطاعه عما بعدها قال الواحدى وبعض اصحابنا يجوز على هذا القول تسمية اقل من الآية لولا ان التوقيف ورد بما هى عليه الآن وقال ابو عمر والدانى لا اعلم كلمة هى وحدها آية الا قوله مدهامتان قال غيره بل فيه غيرها مثل والفجر والضحى والعصر وكذا فواتح السور عند من عدها وقال بعضهم الصحيح ان الآية انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السور وقال الآية طائفة من حروف القرآن علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها فى اول القرآن وعن الكلام الذى قبلها فى آخر القرآن وعما قبلها وعما بعدها فى غيرهما اى غير الاول والآخر مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة انتهى وجملة الآيات التى ذكرها المصنف رحمه الله تعالى هنا اثنى عشرة آية من سور متفرقة مترتبة* الآية الاولى اول سورة البقرة ولايخفى حسن بدايته بها تبركا واقتداء بكتاب الله تعالى فى اول كتابه وهى قوله تعالى (الم) كثر اختلاف المفسرين فى الحروف المقطعة فى القرآن فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانيها وانها مما استأثر الله تعالى بعلمها فنحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى قال الشعبى ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وفسرها الآخرون قال ابن عباس معنى الم انا الله اعلم وان كل حرف منها له تفسير قال والدليل ان العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التى هو منها وانشد * قلت لها قفى فقالت قاف* فنطق بقاف فقط يريد قالت اقف وقيل ان الم وسائر حروف التهجى فى القرآن اسماء للسور ذكره الواحدى وقال ابو محمد الخازن قيل ان حروف الهجا فى اوائل السور من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه وهى سر الله تعالى فى القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فى كل كتاب سر وسر الله تعالى فى القرآن اوائل السور وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وقال آخرون من اهل العلم هى معروفة المعانى ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الاعظم الاترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا وقال ابن عباس هى اقسام قيل اقسم الله بهذه الاحرف لشرفها وفضلها لانها مبانى كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على

بعضهـا وان كان المراد كلها فهوكما تقول قرأت الحمدلله وتريدانك قرأت السورة بكمالها فكأنه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبة فى اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فأتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناهـا ان القرآن ليس الامن هذه الاحرف وهم قادرون عليها فكان يجب ان يأتوا بمثله فلما عجزهم عنه دل ذلك على انه من عندالله لامن عند البشر وقيل انهم لما اعرضوا عن سمـاع القرآن واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى مايجئ به محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ فى قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله تعالى حير عقول الخلق فى ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة حقيقة خطابه (ذلك الكتاب) ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف اوفسر بالسورة اوالقرآن فانه لما تكلم به وتقضى اووصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اوتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته اوخبره الذى هو هو قاله البيضاوى وقال الواحدى ذلك يجوز ان يكون بمعنى هذا عند كثير من اهل التفسير ومثاله فى الكلام انك تقول قدم فلان فيقول السامع قدبلغنا ذلك او يقول بلغنا هذا الخبر وقيل انما قال تعالى ذلك الكتاب فأشار الى غائب لانه اراد هذه الكلمات يامحمد ذلك الكتاب الذى وعدتك ان اوحيه اليك لان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم انا سنلقى عليك قولا ثقيلا كان واثقا بوعدالله اياه فلما انزل عليه الم ذلك الكتاب دله على الوعد المتقدم اوالكتاب مصدر كتبت ويسمى المكتوب كتابا كما يسمى المخلوق خلقا واصل الكتب فى اللغة الضم والجمع والكتابة جمع حرف الى حرف (لاريب فيه) معنـاه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لايرتاب العاقل بعدالنظر الصحيح فى كونه وحيدا بالغا حد الاعجاز لاان احدا لايرتاب فيه قاله البيضـاوى وقال الخـازن اى لاشك فيه انه من عندالله وانه الحق والصدق وقيـل هوخبر بمعنى النهى اى لاترتابوا فيه قال الواحدى فان قيـل كيف قال لاريب فيـه وقدارتابت فيه المرتابون قيـل معنـاه انه حق فى نفسه وصدق وان ارتابت فيه المبطلون كما قال الشاعر * ليس فى الحق ياامامة ريب * انما الريب مايقول الكذوب * فنفى الريب عن الحق وان كان القاصر فى العلم يرتاب (هدى للمتقين) اى يهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى لعلى هدى اوفى ضلال مبين ولانه لايقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب ذكره البيضاوى وقال الواحدى معنى الاتقاء فى اللغة الحجز بين الشيئين يقال اتقـاه بترسه اى جعل الترس حاجزا بينه وبينه فالمتقى هو الذى يحرز بطاعته عن العقوبة ويجعل اجتنابه عمانهى وفعله

ما امر حاجزا بينه و بين العقوبة التى توعد بها العصاة والمراد بالمتقين فى هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم و بين الشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا به لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد الفريقين عن الآخر كقوله تعالى *سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما وقال الخازن فان قيل كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ماهو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وقال البيضاوى وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجاز اوتفخيما لشانه *الآية الثانية فى سورة آل عمران وهى قوله تعالى (واعتصموا) اى تمسكوا (بحبل الله) اى بدينه الاسلام اوبكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردى واستعار للوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز قاله البيضاوى وقال الواحدى حبل الله الجماعة وقال قتادة والسدى والضحاك هو القرآن وقيل الاعتصام بحبل الله هو ترك الفرقة واتباع القرآن لان المؤمن اذا اتبع القرآن امن العذاب وقال مجاهد وعطاء بعهد الله وبامره وسمى عهد الله حبلا لانه سبب النجاة كالحبل الذى يتمسك به للنجاة من بئر ونحوها (جميعا) اى مجتمعين عليه (ولا تفرقوا) اى ولا تتفرقوا عن دين الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب اولا تذكروا مايوجب التفرق و يزيل الالفة ذكره البيضاوى وقال الواحدى اى تناصروا على دين الله ولا تتفرقوا وقال الخازن وقيل معناه ولاتحدثوا مايكون عنه التفرق و يزول معه الاجتماع والالفة التى انتم عليها ففيه النهى عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لايكون الا واحدا وماعداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهى عن الاختلاف فى الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه والله اعلم* الآية الثالثة فى سورة المائدة وهى قوله تعالى (قدجاءكم من الله نور) اى ضياء من الضلالة يعنى الاسلام وقيل النور محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى يبين الاشياء قاله الواحدى وقال الخازن انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور فى الظلام (وكتاب مبين) يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك و لضلال وفيه بيان مايختلفون فيه (يهدى به الله) اى بالكتاب المبين كما قاله الواحدى وقال البيضاوى وحد الضمير لان المراد بهما واحدا ولانهما فى الحكم كواحد انتهى يعنى ان المراد بالنور والكتاب المبين شى واحد وهو القرآن العظيم فالعطف للبيان اذالكتاب نور من الله وعلى

التغاير الذى هوالاصل فى العطف هما فى حكم شئ واحد لاشتراكهما فى الابانة والكشف عن الامور (من اتبع رضوانه) اى اتبع مارضيه الله تعالى مما مدحه واثنى عليه و هودين الاسلام (سبل) اى طرق (السلام) قال ابن عباس يريد دين الاسلام دين الله والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقال جاز ان يكون اراد طرق السلام اى طرق السلامة التى من سلكها سلم فى دينه ويجوز ان يكون اراد سبل السلام كما قال تعالى لهم دار السلام عند ربهم ويرادبها طرق الجنة ولكنه على حذف المضاف اى سبل دار السلام ذكره الواحدى وقال البيضاوى اى طرق السلامة من العذاب اوسبل الله (ويخرجهم من الظلمات الى النور) يعنى من انواع الكفرالى الاسلام (باذنه) يعنى بتوفيقه وهدايته وارادته (ويهديهم الى صراط مستقيم) الى طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤدااليه لامحالة ذكره البيضاوى وقال الواحدى هو الذى يأخذ بصاحبه حتى يؤديه الى الجنة يعنى الاسلام * الآية الرابعة فى سورة الانعام وهى قوله تعالى (وهذا كتاب) يعنى القرآن (انزلناه مبارك) اى كثير النفع والخير والبركة ولايتطرق اليه نسخ قاله الخازن (فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) بواسطة اتباعه وهو العمل بمافيه ذكره البيضاوى وقال الواحدى اتبعوا احلاله واتقوا حرامه لتكونوا راجين للرحمة وقال الخازن فاتبعوه يعنى فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهى والاحكام واتقوا يعنى مخالفته لعلكم ترحمون يعنى ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكى ترحموا على جزاء التقوى * الآية الخامسة فى سورة يونس وهى قوله تعالى (يا أيها الناس) قال ابن عباس يريد قريشا وقيل هم على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبرى (قدجاءتكم موعظة من ربكم) يعنى القرآن والوعظ زجر مقرون بتخويف وقال الخليل هوالتذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الانابة عمايدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق ذكره الخازن وقال البيضاوى اى قدجاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التى هى شفاء لمافى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد (وشفاء لمافى الصدور) يعنى ان القرآن دواء وشفاء لمافى القلوب من داء الجهل وذلك ان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هى الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهوالدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الله تعالى الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهواعز موضع فى بدن الانسان لمكان القلب فيه قاله الخازن (وهدى) الى الحق واليقين (ورحمة للمؤمنين) حيث انزلت عليهم

فنجوابها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد درجات الجنان والتنكير فى الموعظة للتعظيم وقال الخازن ورحمة للمؤمنين يعنى ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم انتهى *الآية السادسة فى سورة النحل وهى قوله تعالى (ونزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (تبيانا لكل شئ) قال البيضاوى بيانا بليغا لكل شئ من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وقال الزجاج تبيان اسم فى معنى البيان ومثل التبيان التلقاء ولو قرئ تبيانا على وزن تفعال لكان وجها لان التبيان فى معنى التبين ولا تجوز القراءة به لانه لم يقرأ به احد من القراء وقال الخازن تبيانا لكل شئ يعنى من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبى صلى الله عليه وسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم بين ما فى القرآن من الحدود والاحكام والحلال والحرام او اجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين والله اعلم (وهدى) من الضلالة (ورحمة) لمن آمن به وصدق وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى) من الله سبحانه وتعالى (للمسلمين) خاصة *الآية السابعة فى سورة الاسراء وهى قوله تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) اى للحال التى هى اقوم الحالات وهى توحيد الله تعالى شهادة ان لا اله الا الله والايمان برسله والعمل بطاعته وهذه صفة الحال التى هى اقوم قاله الزجاج وقال الواحدى اى يرشد الى الكلمة التى هى اعدل الكلمات واصوبها وهى كلمة التوحيد وقال الخازن اى الى الطريقة التى هى أصوب* الآية الثامنة فى سورة الاسراء ايضا وهى قوله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء) فمن لبيان الجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو قرآن ما هو شفاء قال قتادة اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وعلى هذا معنى كونه شفاء انه ببيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء وعلى هذا معناه ان يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤكد هذا ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ذكره الواحدى وقيل ان من للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء قاله البيضاوى وقال الخازن شفاء اى بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطنة والثانى الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة فلا جرم كان القرآن شفاء لما فى القلوب من هذا النوع واما النوع الثانى وهو الاخلاق

المذمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القرآن شفاء من جميع الامراض الباطنة واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى فاتحة الكتاب ومايدريك انها رقية (ورحمة للمؤمنين) قال ابن عباس يريد ثوابا لاانقطاع له يعنى فى تلاوته يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها ذكره الواحدى (ولايزيد الظالمين الاخسارا) قال الخازن لان الظالم لاينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل آية تنزل يجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم وقال الواحدى ولايزيد القرآن الظالمين المشركين الاخسارا لانهم يكفرون به ولاينتفعون بمواعظه والقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسارة الكافرين وقال قتادة عن اويس القرنى قال لم يجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة اونقصان قضاء من الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا * الآية التاسعة فى سورة العنكبوت وهو قوله تعالى (اولم يكفهم) هذا جواب لقولهم قبله لولا انزل عليه آيات من ربه كما قال الخازن وقال الزجاج كان قوم من المشركين كتبوا اشياء عن اليهود فأتوا بها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام كفى بها حماقة قوم اوضلالة قوم ان رغبوا عما اتى به نبيهم الى ما اتى به غير نبيهم الى غير قومهم يعنى كان هذا سبب نزول الآية (انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) يعنى تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلايزال معهم آية ثابتة لاتضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق مافى ايديهم من نعتك ونعت دينك ذكره البيضاوى وقال الخازن معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء عليهم السلام لان معجزة القرآن تدوم على ممر الزمان والدهور ثابتة لاتضمحل كما تزول كل آية بعد كونها (ان فى ذلك) اى الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة (لرحمة) لنعمة عظيمة (وذكرى لقوم يؤمنون) وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت قاله البيضاوى * الاية العاشرة فى سورة (ص) وهى قوله تعالى (كتاب انزلناه اليك) ى هذا كتاب يعنى القرآن انزلناه اليك (مبارك) اى كثير خيره ونفعه (ليدبروا آياته) ليتفكروا فى اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه فى اوامره ونواهيه ذكره الخازن وقال البيضاوى ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك (وليذكر اولوا الالباب) وليتعظ به ذووا العقول السليمة اويستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لايعلم الا من الشرع وارشاد الى مالايستقل به العقل ولعل التدبر للاول والتذكر للثانى قاله البيضاوى * الآية الحادية عشر فى سورة الزمر وهى قوله تعالى

(الله نزل احسن الحديث) يعنى القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما
من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام
واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل نوع
يخالف الكل فى اسلوبه واما الوجه الثانى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف
مشتمل على اخبار الماضين وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد
والوعيد والجنة والنار وقال العز بن عبد السلام روى ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يارسول الله لوحدثتنا فانزل الله تعالى الآية احسن الحديث يعنى
اكمله برهانا واجمعه بيانا واعدله حكما وافصحه نظما (كتابا متشابها) بدل من احسن
اوحال منه وتشابهه تشابه ابعاضه فى الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة
على المنافع العامة ذكره البيضاوى وقال الخازن اى يشبه بعضه بعضا
فى الحسن ويصدق بعضه بعضا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام اى
يشبه بعضه بعضا فى التصديق او فى الاعجاز والعدل او يشبه الكتب المتقدمة فى الامر
والنهى والترغيب والترهيب (مثانى) جمع مثنى اومثنى قال البيضاوى فى سورة الحجر
المثانى من التثنية اوالثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قرأته والفاظه اوقصصه ومواعظه
ويثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنى على الله سبحانه وتعالى بما هو اهله من صفاته
العظمى واسمائه الحسنى وقال الواحدى المثانى جمع مثناة وهو كل شئ يثنى اى يجعل
اثنين واكثر وقال العز بن عبد السلام مثانى ثنى فيه القصص وقيل ذكر الجنة والنار
او يثنى فى التلاوة فلا يمل او يشتمل على المزدوجات كالامر والنهى والوعد والوعيد
والرحمة والعذاب (تقشعر) اى تضطرب وتشمئز (منه جلود الذين يخشون ربهم)
والمعنى تأخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث فى جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل
والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اى قلوب الذين يخشون ربهم ذكره
الخازن وقال البيضاوى تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل فى شدة الخوف
واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حرف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء
ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله) من الرجاء وقيل لاعظامه وعند تلاوته وقيل بوعده ووعيده وقال
البيضاوى بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق فى الاشعار بان اصل امره الرحمة
وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان
وذكر القلب لتقدم الخشية التى هى من عوارضه وقال ابو محمد الخازن اى لذكر الله قيل
اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات
الوعد والرحمة لانت جلودهم وجليت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم
تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روى عن العباس بن عبد المطلب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه

كما يتحات من الشجرة اليابسة ورقها وفى رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين السياررن فى بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياء الله الذين نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك فى اهل البدع وهو من الشيطان وروى عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتى اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنه كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا فى جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا فى الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب اقشعرت الجلود من ذكر آيات الوعيد فى اول وهلة واذا ذكر الله ومبنى امره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم وقيل ان المكاشفة فى مقام الرجاء اكمل منها فى مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمأن اليه القلب ولان الجلد (ذلك) اى الكتاب الذى هو احسن الحديث (هدى الله يهدى به من يشاء) هدايته وهو الذى شرح الله صدره لقبول الهداية (ومن يضلل الله) ومن يخذله ويجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية (فماله من هاد) يخرجه من الضلال *الآية الثانية عشر فى سورة فصلت وهى قوله تعالى (وانه) اى الذكر يعنى القرآن لان الآية قبله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه (لكتاب عزيز) كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه ذكره البيضاوى وقال العز بن عبد السلام عزيز اى عند الله والمؤمنين وقيل لا يوجد له مثل او ممتنع من ان يأتيه الباطل او على الناس ان يأتوا بمثله وقال الخازن قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك لان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا يأتيه التكذيب من الكتب التى قبله ولا يجئ بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا يأتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تأخر (تنزيل من حكيم) اى مانع عن تبديل معانيه باحكام مبانيه (حميد) مستحق للتحميد بالهام معانيه قاله العز بن عبد السلام وقال البيضاوى من حكيم حاكم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه وقال الخازن من حكيم فى جميع افعاله حميد الى جميع خلقه بسبب نعمه عليهم انتهى الكلام على هذه الآيات فقد دلت بمنطوقها

ومفهومها على وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى على كل مكلف (و) الدليل على ذلك
ايضا (الاخبار) النبوية الواردة فى ذلك جمع خبر وهو الحديث وتقدم بيان الفرق
بينهما وبين السنة والاثر واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى رمز فى تخريج هذه الاحاديث
والاخبار التى فى هذا الكتاب رموزا كما رمز الاسيوطى رحمه الله تعالى ذلك فى جامعه
الصغير اختصارا فى الكلام واستدعاء لقوابل الهمم والافهام وجملة ذلك مما اشتمل
عليه هذا الكتاب ثمانية وثلاثون رمزا وبيانها ان الخاء المعجمة للبخارى وتكتب
هكذا (خ) والميم لمسلم وتكتب هكذا (م) والدال المهملة لابى داود وتكتب هكذا (د) والتاء
المثناة الفوقية للترمذى وتكتب هكذا (ت) والسين المهملة للنسائى وتكتب هكذا (س)
والطاء المهملة لموطأ مالك وتكتب هكذا (ط) والغين المعجمة للبغوى صاحب المصابيح
وتكتب هكذا (غ) والزاى للبزار وتكتب هكذا (ز) وهذه الرموز المفردات وهى ثمانية
حروف والمركبات الطاء المهملة والباء الموحدة للطبرانى وتكتب هكذا (طب) والطاء
المهملة والكاف للطبرانى فى معجمه الكبير وتكتب هكذا (طك) وطاآن مهملتان للطبرانى
ايضا فى معجمه الاوسط وتكتب هكذا (طط) والطاء والصاد المهملتان للطبرانى ايضا
فى معجمه الصغير وتكتب هكذا (طص) والطاء المهملة والكاف والصاد المهملة للطبرانى
ايضا فى معجمه الكبير والاوسط وتكتب هكذا (طكص) والطاآن المهملتان والصاد
المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط والصغير وتكتب هكذا (ططص) والطاء
المهملة والكاف والطاء المهملة ايضا والصاد المهملة للطبرانى ايضا فى معجمه الكبير
والاوسط والصغير وتكتب هكذا (طكطص) والحاء المهملة والباء الموحدة لابن حبان
وتكتب هكذا (حب) والحاء المهملة والكاف للحاكم وتكتب هكذا (حك) والحاء المهملة
والدال المهملة لاحمد بن حنبل وتكتب هذا (حد) والدال المهملة والراء للدارمى
وتكتب هكذا (در) والميم والجيم لابن ماجه وتكتب هكذا (مج) والخاء المعجمة والزاى
لابن خزيمة وتكتب هكذا (خز) والصاد المهملة والفاء للاصفهانى وتكتب هكذا (صف)
والصاد المهملة والباء الموحدة للاصبهانى وتكب هكذا (صب) والقاف والطاء المهملة
والنون للدارقطنى وتكتب هكذا (قطن) والهاء والقاف للبيهقى وتكتب هكذا (هق)
والباء الموحدة والراء لابن عبدالبر وتكتب هكذا (بر) والدال المهملة والياء المثناة التحتية
واللام والميم لابى منصور الديلمى وتكتب هكذا (ديلم) والقاف والشين المعجمة للقشيرى
وتكتب هكذا (قش) والدال المهملة والنون والياء المثناة التحتية والالف لابن ابى الدنيا
وتكتب هكذا (دنيا) والياء المثناة التحتية والعين المهملة واللام والياء صورة المقصور
لابى يعلى وتكتب هكذا (يعلى) والنون والعين المهملة والميم لابى نعيم وتكتب هكذا (نعم)
والسين المهملة والنون والياء المثناة التحتية لابن السنى وتكتب هكذا (سنى) والشين المعجمة
والياء المثناة التحتية والخاء المعجمة لابى الشيخ وتكتب هكذا (شيخ) والعين المهملة

والسين المهملة والكاف والراء لابن عساكر وتكتب هكذا (عسكر) والعين المهملة والدال المهملة لابن عدى وتكتب هكذا (عد) والباء الموحدة والراء والكاف لابن مبارك وتكتب هكذا (برك) والراء والزاى والالف والقاف لعبدالرزاق وتكتب هكذا (رزاق) والطاء المهملة والحاء المهملة للطحاوى وتكتب هكذا (طح) وهذه رموز المخرجين لاحاديث هذا الكتاب واخباره كلها اوردناها ليسهل الامر فى الابتداء على مطالع هذا الكتاب وهناسبعة احاديث الحديث الاول (طك) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير باسناده (عن ابى شريح رضى الله عنه انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اليس تشهدون ان لااله الاالله وانى رسول الله) هذا الاستفهام لتقرير الكلام وتثبيته واذادخلت فى جوابه بلى الموضوعة لاثبات الكلام المنفى وابطال نفيه كقوله تعالى *الست بربكم قالوا بلى* اى بلى انت ربنافاجروا النفى مع التقرير مجرى النفى المجرد فلذلك قال ابن عباس رضى الله عنهمالوقالوا نعم لكفروا ووجهه ان نعم لتصديق الخبر بنفى اواثبات ولهذا كان جوابهم هنا انهم (قالوا بلى) اى بلى انه لااله الاالله وانك رسول الله وفائدة هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ليستنطقهم ماهو موجود فيهم من الايمان بالله ورسوله والاسلام لما جاءبه من الحق حتى يبتنى عليه قوله بعد ذلك ويتحقق عندهم ويثبت وان كان محققا من قبل وثابتا فى قلوبهم كما انك اذا اردت ان تحدث ابنك مثلا بحديث هو نصح له فقلت له الست ابنى فقال لك بلى انا ابنك فاذاحدثته بعدذلك بالحديث كان فى غاية التأكيد عنده وكان النصح له باعترافه بابوتك وكذلك هنا (قال) صلى الله عليه وسلم (ان هذا القرآن) يعنى الكلام القديم المنزل بجبرائيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم المحفوظ فى القلوب بالحروف والكلمات المتخيلة المقروء بالالسنة بالحروف والكلمات اللفظية الهوائية المكتوب فى المصاحف والالواح بالحروف والكلمات الرسمية المدادية فمادة الحروف الاولى الخيال ومادة الحروف الثانية الهواء ومادة الحروف الثالثة الحبر والمداد كما ان موضع الاولى القلب وموضع الثانية الفم وموضع الثالثة القرطاس وهذه الانواع الثلاثة من الحروف فى مواضعها الثلاث صور يتصور بها كلام الله تعالى القديم المنزه عن الحروف والاصوات والمواضع والكلمات فهى كسوته ولباسه فى ظهوره لنا لاعلى معنى انه حال فيها اومتحد بها اومتصل بها اومنفصل عنها لان كلام الله تعالى صفة وصفات الله تعالى كلها قديمة والقديم لاوجود للحادث معه بوجود آخر من نفس الحادث اومن قديم آخر اذلاقديم الا واحد عقلا وشرعا بل للحادث وجود بالقديم الواحد ووجود الحادث اذا كان بالقديم كان الوجود للقديم والحادث منسوب اليه الوجود فقط فكيف يتصور الحلول ونحوه فيه والموجود لايحل فى المعدوم اذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال

ان كلام الله تعالى مقول بالاشتراك الوضعى على معنيين الصفة القديمة والمؤلف من الحروف والكلمات الحادثة فانه قول يؤول بصاحبه الى اعتقاد الشرك فى صفات الله تعالى وان الله تعالى يوصف بالكلام الحادث مع قدمه سبحانه واشارة النبى هنا فى هذا الحديث الى القرآن تفيد انه واحد لاتعدد له اصلا وهو الصفة القديمة وهو المكتوب فى المصاحف المقروء بالالسنة المحفوظ فى القلوب من غير حلول فى شئ من ذلك ومن لم يفهم هذا على حسب ماذكرنا لصعوبته عليه يجب عليه الايمان به بالغيب كما يؤمن بالله وبباقى صفاته سبحانه وتعالى ولايجوز لاحد ان يقول بحدوث مافى المصاحف والقلوب والالسنة * غاية الامر ان القرآن العظيم له طرفان الطرف الواحد ممايلى الحق سبحانه وتعالى لانه كلامه وكلامه صفته والطرف الثانى ممايلى الخلق وهو ظهوره بتلك الانواع الثلاثة من الحروف والكلمات فى تلك المواضع الثلاثة من كل انسان فتتعدد صوره وتتكثر بسبب ذلك مع وحدته فى نفسه كما يتعدد الوجه الواحد اذا ظهر فى المرايا الكثيرة بطريق انطباع آثاره فيها لاحلوله فيها بنفسه وتختلف صور ظهوراته بحسب اختلاف تلك المرايا بالصغر والكبر والطول والعرض ونحو ذلك فلايجوز ان يقال لزيد وجهان احدهما فى جسمه الظاهر والآخر فى وسط المرآة بل يلزم على هذا ان يقال ان له وجوها كثيرة مختلفة بحسب اختلاف تلك المرايا وهو ممتنع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم (طرفه) اى القرآن يعنى احد وجهيه (بيد الله) سبحانه وتعالى بحيث لايعلم به الاهو وهو وجه وحدته وكمال نزاهته وتقدسه (وطرفه) اى وجهه الآخر (بايديكم) وهو صوره المتعددة له المسماة عندكم حروفا وكلمات مخيلة اولفظية اورقمية (فتمسكوا به) اى بالقرآن المذكور من حيث ظهوره لكم فى صوره المذكورة وايمانكم به من حيث ماغاب عنكم من اطلاقه عن كل صورة وتنزهه عن ذلك وتقدسه فى ذات الله تعالى (فانكم) ان فعلتم ذلك (لن تضلوا) اى لن تحيروا فى اعتقاد ولاقول ولاعمل فى الدنيا (ولن تهلكوا) فى الآخرة بمخالفة فى شئ من ذلك (بعده) اى بعد القرآن المذكور او بعد تمسككم به (ابدا) لان الله تعالى لم يفرط فيه من شئ وفى ذكر اليد من الجانبين مشاكلة نظير قوله تعالى *فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه* ولم يقل فجازوه واورد هذا الحديث الاسيوطى فى كتابه الاتقان برواية اخرى عن ابى شريح ايضا وزاد فيه قال واخرج ابن ابى شيبة من حديث ابى شريح الخزاعى ان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدا والسبب الحبل وذكر السبب فى هذه الرواية ممايؤيد ماذكرناه من وحدة القرآن وعدم تعدده لان الحبل الواحد اذا كان له طرفان احدهما بيد واحد والآخر بايدى جماعة لايلزم ان يكون لاجل ذلك حبلين *الحديث الثانى (حب) يعنى روى عن ابن حبان باسناده (عن جابر رضى الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن) يوم القيمة عند الله تعالى (شافع) في المؤمنين المذنبين الذين ماتوا قبل التوبة (مشفع) بصيغة اسم المفعول اى مقبول الشفاعة عند الله تعالى وهذا يقتضي المغايرة بينه وبين الله تعالى مع انه صفته وصفات الله تعالى لا تغايره كل المغايرة على ما قررناه في موضعه فهو باعتبار طرفه الذي بايدينا اللابس صور الحروف والكلمات المتشكل في اشكالها من غير ان تستقل دونه بوجود فيلزم ان يحل فيها كما قدمناه يصح فيه ان يظهر في اى صورة شاء الله تعالى من غير ان يتغير عن اطلاقه وتنزهه وتقدسه كما ورد عن احمد بن حنبل رضي الله عنه انه لما مرض فشارف الاحتضار وابوه جالس عند رأسه يقرؤه له سورة يس ثم لقنه الشهادة فكان كلما قال له لا اله الا الله يقول لا فخاف عليه من الفتنة حتى زالت عنه تلك الحالة وبرئ من مرضه فاخبره بذلك فقال تصور لي الشيطان وكان يقول لي افلت مني يا احمد فقلت له لا ورأيت شابا حسن الصورة يدفع عني الشيطان فسألته من انت فقال انا سورة يس وذكر الغزالي في كتابه الدرة الفاخرة ان القرآن يأتي يوم القيمة في صفة رجل ويشفع فيشفع والاسلام مثله فيخصم ويخاصم وقد ذكرنا حكاية الاسلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الاحيا وبعد مخاصمته يتعلق به ما شاء الله فيأوى به الى الجنة وكذا تأتي الدنيا في صورة عجوز شمطاء اقبح ما يكون فيقال للناس اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم لها تحبون وعليها تحاسدون وفيها تتباغضون وكذا تأتي الجمعة كأنها عروس تزف احسن ما يكون فيحدق بها المؤمنون ويحيط بها كثبان المسك والكافور عليها نور يعجب منه كل اهل الموقف حتى تدخل بهم الجنة فانظر رحمك الله وجود القرآن والاسلام والجمعة اشخاصا وذلك في الدنيا لا يعقل له عين بل هو متحيز الى العالم الملكوتي وعارف حقيقته لا يقول بخلق القرآن كما قالت الجهمية آلى اخر عبارته ووردت احاديث في شفاعة القرآن يوم القيمة فمن ذلك ما ذكره النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين عن ابي امامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه رواه مسلم وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيمة بالقرآن واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وال عمران تحاجان عن صاحبهما رواه مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك رواه ابوداود والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية ابي داود تشفع (وماحل) اى القرآن يعني خصما مجادلا وقيل معناه ساع من قولهم محل بفلان اذا سعى به الى السلطان قال في القاموس محل به مثلثة الحاء محلا ومحالا قاده بسعاية الى السلطان وماحله مماحلة ومحالا قاواه حتى يتبين ايهما

اشد (مصدق) بصيغة اسم المفعول والمعنى ان القرآن خصم يخاصم عن قارئه العامل به يوم القيامة فيصدقه الحق تعالى فى مخاصمته عنه ومجادلته اوساع بقارئه الغير العامل به الى ربه فيقبل الله تعالى سعايته فيه اوبقارئه العامل به الى الحق تعالى ليرفع درجاته فى مقامات القرب لديه ولا يرد الحق تعالى سعايته بل يصدقه فى كل ما سعى به (من جعله امامه) اى قدامه بمعنى تابعه واقتدى بما فيه من الاحكام والمواعظ واعتبر بقصصه واخباره وتحقق بنصائحه وامثاله (قاده) اى اوصله (الى الجنة ومن جعله خلف) اى وراء (ظهره) وفى رواية أنس مرفوعا خلفه بأن ترك العمل به ولم يعتبر بما فيه واهمله واشتغل بما تقتضيه طبيعته ويستحسنه عقله من الاعتقاد والقول والعمل كما قال تعالى *نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون* فقيل اراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن اما نبذهم التوراة فكانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها فى الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها ذكره الخازن وقال الواحدى قوله نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب يعنى علماء اليهود الذين تواطئوا على كتمان امر محمد صلى الله عليه وسلم وقوله كتاب الله وراء ظهورهم يجوز ان يكون المراد بكتاب الله القرآن ويجوز ان يكون المراد به التوراة لان الذين كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم نبذوا التوراة والنبذ الطرح ويقال لكل من استخف بشئ ولم يعمل به نبذه وراء ظهره وقيل هو بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقيل ادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك النبذ وقوله كأنهم لا يعلمون اعلم الله تعالى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم ما يفعلون حتى كأنهم لا يعلمون ما يستحقونه من العذاب انتهى وهذه عبرة عظيمة فى المؤمنين بالقرآن اذا تركوا العمل به مع المواظبة على قراءته ولم يتعظوا بمواعظه ولم يتحققوا بقصصه واخباره وادرجوه فى الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة واعتمدوا على مجرد تعظيمه والتبرك به من دون احلال حلاله وتحريم حرامه وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فانهم عاملون حينئذ نظير عمل اهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم هذه المقالة المذكورة (ساقه الى النار) اى اوصله اليها واستعمل فى الاول القود لانه تسيير الدابة بجذب عنانها من قدامها ومن جعل القرآن امامه فقد جذبه القرآن الى الجنة من قدامه بعنان الطاعة واستعمل السوق فى الثانى لان السوق زجر الدابة من خلفها ومن جعل القرآن خلف ظهره زجره القرآن ودفعه الى النار وفى الكلام اشارة الى انه لا بد من التقليد للمكلف فاما ان يقلد القرآن ويتبع احكامه فينجو واما ان يقلد طبعه وعقله ويجعل القرآن وراء ظهره فيهلك ويفهم من قوله ساقه الى النار ان الاضلال منسوب الى القرآن ايضا فيمن لم يتبعه كالهداية

كما قال تعالى * يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا * الحديث الثالث (زحك) يعنى روى البزار والحاكم باسنادهما (عن سهل بن معاذ رضى الله عنه عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن) لعل المراد من تعلم قراءته حتى كان متى اراد قرأه وتلاه وتعلم تفسيره وتأويله لاجل قوله (وعمل به) يعنى بمضمون آياته من الاحكام والاسرار مع الاخلاص والخشوع بان صار عالما بالقرآن عاملا به على وجه السنة لا البدعة (البس) بضم الهمزة اى البس الله تعالى (والداه) اذا ماتا مؤمنين او احدهما اذا مات كذلك (تاجا) وهو الاكليل تقول توجه فتتوج اى البسه التاج فلبسه يقال العمائم تيجان العرب قاله الجوهرى (يوم القيامة) يحتمل فى الجنة ويحتمل قبل دخولها وهما فى المحشر اكراما لهما حيث انتجا هذا السعيد الموفق وجزاء على تعليمه بانفسهما او بمالهما او باعانتهما له ولو بالدعاء قال تعالى * يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم * يعنى من الشرك والكفر فمن اتى الله بقلب سليم من الشرك والكفر ينفعه المال والبنون حينئذ كما ورد فى هذا الحديث ولهذا شرطنا الايمان فى الوالدين ولو كان فى الحديث ابواه مكان والديه اقلنا بدخول الجد والجدة فى ذلك فانه قد يسمى الجد ابا ولكن لا يسمى والدا كما هو المتبادر (ضوءه) اى ذلك التاج (احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا) من جهة الانارة والاشراق ولم يرد التشبيه بالشعاع بل بما يظهر عنه فى البيوت من خلف الجدران وفيه كمال البهجة واللطافة (فما ظنكم) يا معشر المؤمنين (بالذى عمل بهذا) يعنى بذلك الولد الذى قرأ القرآن وعمل به كما ذكرنا فان له عند الله تعالى جزاء اعظم من ذلك لا يوصف واورد هذا الحديث الاسيوطى فى الاتقان رواية اخرى عن الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة ما من رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيمة بتاج فى الجنة واخرج ابو داود واحمد والحاكم من حديث معاذ بن انس من قرأ القرآن فاكمله وعمل به البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل هذا وفى قوله فاكمله اشارة الى ان من قرأ بعضه لا ينال هذه الفضيلة لعدم اطلاعه على تمام ما كلف به علما وعملا ويحتمل ان يكون المراد باكماله تصحيح كلماته وتجويده وتقويم معانيه * الحديث الرابع (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القرآن مأدبة الله) اى ضيافته قال فى القاموس المأدبة والادبة بالضم طعام يصنع لدعوة او عرس ادبه يأدبه دعاه الى طعامه انتهى ووجه كونه مادبة انه مشتمل على انواع من الاقوات الروحانية والاحكام والحكم والنصائح والمواعظ الممدة للارواح كما يمد الطعام للاجسام (فاقبلوا مأدبته) اى ضيافته التى هيأها لكم واستعملوا منها (ما استطعتم) اى مقدار استطاعتكم ولا تردوها عليه فيغضب من عدم استعمالكم لها (ان هذا القرآن

حبل الله المتين) اى القوى لان له طرفين احدهما بيدالله وهو وجه اطلاقه عن الحروف والاصوات والآخر بايدى العباد وهو وجه تقييده بالحروف والاصوات كما قدمناه و بهذا الاعتبار اطلق عليه حبل فكل من تمسك به جذبه الله تعالى اليه فوصل الى معرفته ورضوانه (والنور المبين) اى الكاشف عن خفايا الملك والملكوت والموضح لما به رضاء الله تعالى ومابه غضبه ولايخفى مابين المتين والمبين من انواع البديع وهو جناس التصحيف (والشفاء النافع) من كل داء فى النفس اوفى الجسد يشفى امراض القلوب الروحانية بالعلوم الحقيقية ويشفى الامراض البدنية بالتطبب به والرقية القولية والرقية (عصمة) بالكسر اى منع ووقاية وحفظ (لمن تمسك به) فى اعتقاده وقوله وعمله (ونجاة) اى خلاص يقال نجا نجوا ونجاة ونجاية خلص وانجاه الله ونجاه كذا فى القاموس (لمن اتبعه) اى عمل بما فيه من الاوامر والنواهى واتعظ بمواعظه ورغب بترغيبه ورهب بترهيبه وقام بحقوقه عليه قالاً وحالاً (لايزيغ) اى القرآن قال فى القاموس زاغ مال يزيغ زيغا وزيغانا وزيغوغة والزيغ الشك والجور عن الحق اه والمعنى انه لايميل عن الحق ولايعدل عنه لانه حق من حق (فيستعتب) استعتبه اعطاه العتبى والعتبى الرضاء كاعتبه واستعتبه طلب اليه العتبى ضده كذا فى القاموس والمناسب هنا المعنى الثانى وهو طلب العتبى لا عطاؤها يعنى ان القرآن العظيم لايجور عن الحق باحد اتبعه ولايميل عنه حتى يطلب الرضاء من احد بازالة ذلك الجور منه والميل عن الحق (ولايعوج) عوج كفرح والاسم عوج كعنب ويقال فى كل منتصب كالحائط والعصا فيه عوج محركة و فى نحو الارض ولدين كعنب وقد اعوج اعوجاجا وعوجته فتعوج كذا فى القاموس يعنى ان القرآن العظيم *لايدخل فيه عوج لانه صراط الله المستقيم كما قال تعالى* قرآنا عربيا غيرذى عوج* قال البيضاوى لااختلال فيه بوجه ما وقال الخازن اى منزها عن التناقض قال ابن عباس غير مختلف وقيل غيرذى لبس وقيل غيرمخلوق و يروى ذلك عن مالك بن انس وحكى عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القرآن ليس بخالق ولامخلوق اه فكونه ليس بمخلوق ظاهر و كونه ليس بخالق لانه ليس بمغاير لله تعالى كل المغايرة بل هو صفته سبحانه فالله تعالى هو الخالق به لانه كلامه القديم وامره العظيم كما قال تعالى *انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (فيقوم) اى يزال عوجه يقال قومته ازلت عوجه وقومته عدلته والقرآن العظيم غنى عن التقويم والتعديل قال تعالى * انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ولاتنقضى) اى لاتفرغ قال فى القاموس تقضى فنى وانصرم كانقضى (عجائبه) جمع عجيب يقال تعجبت منه واستعجبت منه كعجبت منه يعنى ما فيه من الامور العجيبة لاتفرغ ولاتفنى ولاتنصرم وتنكشف منه المعانى الشريفة على ممر الازمان لقلوب اهل المعرفة والايمان وتجلى لهم خبايا الاسرار وخفايا الانوار شيئا فشيئا من غير

* فراغ *

فراغ ولا انفصال قال تعالى * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا * قال الواحدى قال ابن عباس يريد ان كلماته اعظم من ان يكون لها امد وكلام القديم سبحانه صفة من صفات ذاته فلا يجوز ان يكون لكلامه نهاية ومنتهى كما ليس له غاية وحد فاوصاف ذاته غير محدودة وهذا رد على اليهود حين ادعوا انهم اوتوا العلم الكثير وكأنه قيل لهم اى شئ الذى اوتيتم فى علم الله وكلماته التى لا تنفد لو كتبت بماء البحر وقال الخازن المعنى ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفنى ماء البحر ولم تفن كلمات الله ولو جئنا بمثل ماء البحر فى كثرته مددا وزيادة وقال تعالى * ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله * قال البيضاوى والبحر المحيط بسعته مدادا ممدودا بسبعة ابحر ما نفدت كلمات الله بكتبها تلك الاقلام بذلك المداد (ولا يخلق) اى لا يبلى يقال خلق الثوب كنفر وكرم وسمع خلوقة وخلقا محركة بلى كذا فى القاموس وهذا وصف على طريق الاستعارة بتشبيه الفاظ القرآن بالثوب الذى لا يبلى بل هو مستمر على هيئته الابتدائية لا يطرأ عليها ما يخرجها عن اطلاق اسم الجديد الى العتيق البعيد من قولهم ثوب خلق اى بال وهو من باب علم يعلم كذا فى فتح الصفاء لابن اقبرس (من كثرة الترداد) اى تكرار تلاوته يعنى ان قارئه لا يمل منه ولا يسأم على ممر الزمان كما اشار اليه ابن اقبرس ويحتمل ان يكون معناه انه لا يتغير حرف من حروفه ولا يتبدل مع كثرة من يتلوه ويدرسه من العلماء والجهلاء والاعراب والاعجام فان الله تعالى حافظه من ذلك ومقيض له من يرد الخطأ فى تلاوته وفى معناه الى ان يرفعه الله تعالى اليه حتى ورد فى الحديث كما اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأ القارئ فأخطأ اولحن او كان اعجميا كتبه الملك كما انزل قال الشارح المناوى رحمه الله تعالى وفيه ان القارئ يكتب له ثواب قراءته وان اخطأ اولحن لكن محله اذا لم يتعمد ولم يقصر فى التعلم والا فلا يؤجر بل يؤزر اما اشتراط انه لم يتعمد فظاهر لان المسلم المؤمن بالقرآن العظيم لا يقع منه فى الغالب ان يتعمد اللحن فيه والتحريف ولكن يقع منه ذلك جهلا لاسيما ولفظ الحديث فيه ذكر الخطأ والخطأ لا يكون عمدا غايته انه قد يكون مقصرا فى التعلم مع مطاوعة لسانه للتصحيح فيأثم واما اذا كان لسانه ثقيلا فى النطق لا يطاوعه ولم يستطع اتقان ذلك فهو معذور مأجور على قراءته وان اخطأ وان لحن كما هو صريح الحديث المذكور ولا تكتبه الملائكة له الا صحيحا كما انزل فقد قيض الله تعالى للقرآن العظيم ملائكة يكتبون الخطأ واللحن فيه صحيحا (اتلوه) امر من التلاوة وهى القراءة وتستحب فى غير الصلاة من المصحف او من الحفظ عن ظهر القلب والاول افضل لزيادة فضيلة النظر فى المصحف فانه عبادة اخرى غير التلاوة قال الغزالى فى الاحياء قراءة القرآن فى المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف

وجله فيزيد الاجر بسببه وقيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا عبادة وقد خرق اى قطع عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من الصحابة رضى الله عنهم يقرؤن من المصحف و يكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف وقال على رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصوم وقراءة القرآن (فان الله) تعالى (يأجركم) من الاجر وهو الجزاء على العمل وجمعه اجور وآجار اجره يأجره ويأجره جزاه كذا فى القاموس (على تلاوة) اى قراءة (كل حرف) من حروف القرآن وهى حروف التهجى ويطلق الحرف على الكلمة ايضا قال فى شرح الدرر واما تعليمه يعنى الجنب القرآن حرفا حرفا فلا بأس به اتفاقا قال والدى رحمه الله تعالى يعنى كلمة كلمة كما فسره به الحلبى فى شرح المنية ولكن ليس المراد هنا بالحرف الكلمة بدليل ما يأتى (عشر حسنات اما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم قال الجوهرى هى تحقيق للكلام الذى يتلوه تقول اما ان زيدا عاقل اعنى انه عاقل على الحقيقة لا على المجاز وتقول اما والله لقد ضرب زيد عمرا (انى لا اقول) كلمة (الم حرف) واحد (ولكن) اقول (الف) منه (حرف) مستقل اى اسم لمسمى ذلك المسمى حرف (ولام حرف) مستقل ايضا (وميم حرف) كذلك وكل حرف بعشر حسنات فقارئ الم له ثلاثون حسنة وان اعتبرنا بسط حروف الف لام ميم فجملة ذلك تسعون حسنة * وجعل هذا الحديث فى كتاب الاحياء للغزالى موقوفا على حديث ابن مسعود رضى الله عنه حيث قال قال ابن مسعود رضى الله عنه اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن اقول الالف حرف واللام حرف والميم حرف ووصله النووى فى رياض الصالحين حيث قال وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذى وقال حسن صحيح * الحديث الخامس (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن الحارث بن اغور رضى الله عنه انه قال مررت بالمسجد) لعله مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة (فاذا الناس) اى الصحابة الموجودون هنالك حينئذ يخوضون فى الاحاديث) قال فى القاموس خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله وكنا نخوض مع الخائضين اى فى الباطل وتخاوضوا فى الحديث تفاوضوا اه والمراد انهم كانوا يتفاوضون فى احاديث الدنيا (فدخلت على على رضى الله عنه فاخبرته) بما وجدت فى المسجد من ذلك (فقال) على رضى الله عنه (اوقد فعلوها) يعنى هذه الفعلة على وجه الانكار لذلك حيث لم يعهده فى السنة النبوية (قلت نعم) يعنى فعلوها (قال) على رضى الله عنه (اما) بالتخفيف كما سبق (انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا) بالفتح والتخفيف تدل على تحقيق ما بعدها قال فى المغنى ويقول

المعربون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وافادتها التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي افادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر ذكره الاسيوطي في الاتقان (انها) يعني هذه الفعلة المذكورة وهي كلام الدنيا في المساجد كأنها معلومة عند علي رضي الله عنه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال اوقد فعلوها على طريقة الاستفهام ويحتمل ان يكون الضمير المؤنث للقصة نظير ضمير الشان في المذكر قال الاسيوطي في الاتقان قال ابن هشام متى امكن الحمل على غير ضمير الشان فلا ينبغي ان يحمل عليه ومن امثلة ضمير الشان والقصة قل هو الله احد فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا فانها لا تعمى الابصار وفائدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بان يذكر اولا مبهما ثم يفسر (ستكون) اي توجد (فتنة) وهي بالكسر الخبرة فتنه يفتنه فتنا وفتونا وافتنه والضلال والاثم والفضيحة والاضلال واختلاف الناس في الآراء كذا في القاموس وهذه المعاني الستة مناسبة هنا (قلت) يعني قال علي رضي الله عنه (فما المخرج منها يا رسول الله) اي ما موضع الخروج بالسلامة من تلك الفتنة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم المخرج منها (كتاب الله) تعالى اي التمسك به وترك الآراء العقلية فان فيه بيان حكم هذه المسئلة كما قال تعالى *في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه * قال ابو محمد الخازن المراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا اذن الله ان ترفع اي تبنى وقيل تعظ فلا يذكر فيها الخنا اي المكروه من القول وتطهر عن الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه اه ففي كتاب الله بيان حكم كل شئ حتى المسئلة المذكورة في التكلم في المساجد بكلام اهل الدنيا وفيه المعافاة من كل داء والسلامة من كل فتنة وكل محنة ظاهرا وباطنا (فيه) اي في كتاب الله (نبأ) اي خبر (ما) اي الذين (قبلكم) وقد يستعمل موضعها من فهما سواء في الاطلاق على من يعقل كما بينته في كتاب خمرة الالحان ورنة الالحان (وخبر ما بعدكم) يعني علوم الاولين والآخرين وهي قصص الامم الماضية وحديث هذه الامة الى يوم القيمة (وحكم ما بينكم) في الدنيا من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح وصحيح وفاسد وفي الآخرة من ثواب وعقاب وعتاب وسؤال وحساب وخلود في نعيم اوفي عذاب اليم (هو) يعني كتاب الله (الفصل) اي الحق من القول او القضاء بين الحق والباطل كذا في القاموس وضمير الفصل للحصر اي لا فصل غيره كما قال *هو الحق

مصدقا (ليس) هو (بالهزل) اى لم ينزل باللعب فهو جد ليس بالهزل قاله الواحدى وقال العز بن عبدالسلام بالهزل باللعب اوالعبث اوالباطل اوالكذب وقال ابن اقبرس قوله هوالفصل ليس بالهزل اشارة الى قوله تعالى *انه لقول فصل وماهو بالهزل (من تركه) اى لم يعمل به ولم يقف عند حلاله وحرامه ولم يتعظ بمواعظه فيرغب فى ترغيبه ويرهب من ترهيبه وينتصح بنصائحه (من جبار) بيان لمن تركه اذالتارك له لايكون الاجبارا وهوكل عات والعظيم القوى الطويل وقلب لا تدخله الرحمة والقتال فى غيرحق كذافى القاموس وهذه المعانى الاربعة مناسبة هنا (قصمه الله) تعالى قال فى القاموس قصمه يقصمه كسره وابانه اوكسره وان لم يبن فانقصم وتقصم ورجع من حيث جاءه والمعنى اهلكه الله تعالى ودمره فى كل امر شرع فيه لكونه ترك الاقتداء والاتباع لكتاب الله تعالى وتبع رأيه وعقله (ومن ابتغى) اى طلب يقال بغيته ابغيه طلبته كابتغيته وتبغيته واستبغيته كذا فى القاموس (الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة هداه هدى وهديا وهداية وهدية بكسرهما ارشده كما فى القاموس فيستعمل الهدى بمعنى الدلالة فقط كقوله تعالى* واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اى دللناهم وقوله* وانك لتهدى الى صراط مستقيم* اى تدل وبمعنى الايصال الى الحق كقوله* من يهدى الله فهوالمهتدى وقوله * انك لاتهدى من احببت اى لاتوصل وان دللت والهدى هنا بمعنى الايصال الى الحق (فى غيره) اى فى غير كتاب الله تعالى واما السنة والاجماع والقياس التابع لذلك فهى من الكتاب ايضا بدليل قوله تعالى* وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله* ولا تفرقوا وقوله ولاتنازعوا وقوله كونوا قوامين بالقسط وقوله فاعتبروا يااولى الابصار فان الاعتبار هو القياس كما ان النهى عن التفرق والتنازع يقتضى الحث على الاجماع وذكر الخازن فى تفسير قوله تعالى* ومن يشاقق الرسول الآية قال روى ان الشافعى رحمه الله تعالى سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله* ويتبع غيرسبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين مفارقة الجماعة وهو حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غيرسبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة وذكره البيضاوى ايضا فى تفسير الآية المذكورة (اضله الله) تعالى من الضلال وهو ضد الهدى اذ ما بعد كتاب الله تعالى هدى لمهتد وكل ما خالف كتاب الله تعالى فهو باطل (وهو) اى كتاب الله تعالى (حبل الله المتين) الذى دلاه من حضرته الغيبية الذاتية الى حضرته الفعلية فنزل الى افعال المخلوقين بمعانى وحروف وكلمات فقرؤه وعملوا به على حسب توفيقهم له فنجوا وكل من تركه هلك (وهو الذكر الحكيم) اى المحكم الممنوع من الباطل وهو القرآن لانه حاكم

يستفاد منه جميع الاحكام قاله الخازن وقال البيضاوى الحكيم المشتمل على الحكم والمحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه وقال الواحدى الحكيم يعنى الحاكم اى المانع من الفساد وكل مايقبح (وهو الصراط المستقيم) اصله سراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسترط السابلة واذلك سمى لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء فى الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاى ليكون اقرب الى المبدل عنه وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق فى التذكير والتأنيث والمستقيم السوى والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام ذكره البيضاوى (وهو الذى لا يزيغ) اى لايميل عن الحق (به) اى بسببه (الاهواء) جمع هوى وهو ارادة النفس يعنى ارادات النفوس واهواءها من جميع الخلق لاتزيغ بسبب اتباعه والاقتداء بمافيه عن الطريق الحق وقال ابن اقبرس الزيغ الخروج عن الشئ والحيد عنه يقال زاغ عن الحق اى خرج عنه ومنه قوله تعالى *ربنا لاتزغ قلوبنا يعنى عن الهداية لقوله بعد اذهديتنا والاهواء الاغراض النفسانية التى تهوى بصاحبها بالميل الى المهلكات قال الله تعالى *ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه اى مال مع غرض نفسه تابعا اياه والفرق بين الهوى المقصور والممدود ظاهر وقد افرد له ابن دريد مصنفا مشهورا والمعنى ان القرآن اذا تمكنت فى القلوب معرفة معانيه واصوله الاعتقادية فلا يطرأ عنها شبهة تورث زيغا وذلك بتوفيق الله تعالى (ولاتلتبس به الالسنة) هذا فى غاية الظهور لان الله تعالى ميز هذا اللسان العربى عن سائر الالسن ومكن الاسماع من حال هذا التمييز كل التمكن فامن اللبس فيه مثل عين الشمس قاله ابن اقبرس وفى القاموس لبس عليه الامر يلبسه خلطه * والبسه غطاه وامر ملبس وملتبس مشتبه والتلبيس التخليط والتدليس والالسنة جمع لسان وهو اللغة والمعنى ان هذا القرآن العظيم من غاية ظهوره ووضوحه لاتلتبس معانيه وحكمه واحكامه وكونه حقا من حق وكونه معجزا للبشر على احد مطلقا واهل جميع اللغات التى للخلق يعرفون هذه الصفة له وينتفعون به وان لم يكن على لغتهم ولاجاء بلسانهم (ولايشبع منه العلماء) قال ابن اقبرس لانه بحر المعانى فكل ظمآن يطلب ريه منه اه فقد عدل فيه عن معنى الاكل الى معنى الشرب والمراد ان به غذاء العلماء وتربية كمالهم الروحانى لان المراد به مجرد تبريد غلة العطش والمراد بالعلماء الذين يغتذون بكتاب الله تعالى العلماء بالله تعالى الذين استغنوا به عمن سواه وهم اهل الخشية قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * قال الشيخ جمال الدين خليفة فى حاشيته على تفسير البيضاوى اى العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموا انه كم اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيمة ولايبالى ومايقال من ان الآية تدل على ان الخشية فى العلماء ولاتدل على ان كل عالم فيه

خشية فدفوع بان مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفى الكشاف فى سورة النازعات لان الخشية لاتكون الا بالمعرفة قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامور من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام * من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل * الادلاج السير اول الليل وفى الحاشية المذكورة عند قوله تعالى * وهم من خشيته مشفقون فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلماء من هم ومن يقال له عالم (ولا يخلق) اى هو ثوب يعنى ان القرآن شبه ثوب هو جديد يلبسه المؤمن به فيغشيه بنوره فيخلق المؤمن به ويبلى وينتقل فى اطوار خلقته والقرآن جديد لايخلق بل هو على ماهو عليه لانه كلام الله تعالى القديم والقديم لايتغير والمؤمنون به كلهم حادثون والحادث متغير فى كل حال (على كثرة الترداد) بتكرار التلاوة له والايمان به والاحتفاظ على الكمال باردية انواره والتلفف بادرعة حقائقه واسراره (ولاتنقضى) اى لاتفرغ ولاتتم (عجائبه) جمع عجيبة او عجيب على ارادة النوع ومعناه الحالة الحاصلة للمتعجب من الشئ لكونه امرا مستغربا فان قلت ذلك معنى قائم بالمتعجب والاعراض تزول بزوال محالها فما معنى كونه لاتنقضى عجائبه ولا بد من انقضاء كل من قام به هذا الوصف قلت ان اعتبر ذلك وصفا قائما بالمعنى القديم فواضح فيه المعنى وان اعتبر وصفا قائما بصورة نظمه من الالفاظ والاصوات والحروف فيكون ذلك على قصد المبالغة فى بقائه دائما الى حين انقراض الخلق وانقضاء الصحف المكتوب تلك الصور فيها كذا اشار اليه ابن اقبرس (هو الذى لم تنته الجن) وهم جنس من الخلق سموا بذلك لاجتنانهم اى استتارهم عن الاعين والنسبة اليهم جنى بالكسر والجنة بالكسر طائفة منهم قال الخازن اختلف الناس قديما وحديثا فى ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا فى ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائى يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها حرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولايعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهى كونها حاصلة فى الحيز موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوى وسفلى ولايمتنع فى بعض الاجسام الهوائية اللطيفة ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام فى الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة شاقة تعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقبل

* ان *

ان الاجسام متساوية فى تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعرى وجمهور اتباعه (اذ) اى حين (سمعته) اى القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخازن اختلفت الرواية هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم فى صحيحه وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخارى ومسلم قال ابن عباس ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا و بين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الا من نبى قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا وقالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى الى آخره واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون يتعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة و من كذبه فهو الشيطان المبعد من المؤمنين فيهما والنار مستقره وروى الواحدى فى تفسيره باسناده الى علقمة ابن قيس قال قلت لعبد الله من كان منكم مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال ماكان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم او استطير فانطلقنا نطلبه فى الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء قلنا يارسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة شر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال انه اتانى داعى الجن فذهبت اقربهم القرآن فذهب بنا فارانا آثارهم وآثار نيرانهم فاما ان يكون صحبه منا احد فلم يصحبه وقال الخازن فى تفسير قوله تعالى * واذ صرفنا اليك نفرا من الجن * قال جماعة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن وهم من اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انى امرت ان اقرأ على الجن فايكم يتبعنى فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود بعد الثالثة قال عبد الله ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيرى قال فانطلقنا حتى اذا اتى على مكة دخل نبى الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم امرنى ان اجلس فيه ولا اخرج حتى يعود الى فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت ارى مثال

النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته
اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع
السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق الى
فقال لي نمت. فقلت لا والله يارسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك
تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال او خرجت لم آمن عليك ان يختطفك بعضهم
ثم قال هل رأيت شيئا قلت نعم رأيت رجالا اسودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين
سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يارسول الله
يقذره الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجي بالعظم والروث قال فقلت
يارسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم
اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا
فقال ان الجن بدرت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق واختلفوا
في عدد اولئك النفر الذين صرفهم الله تعالى من الجن الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الى قومهم وقال آخرون كانوا تسعة وروى انه كان زوبعة من التسعة الذين
استمعوا القرآن وروى ان الجن ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها
في الهواء وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يرحلون ويظعنون ونقل
بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم
اليهود والنصارى والمجوس وعبدة اصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر
وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واطبق المحققون من العلماء على ان الكل
مكلفون وسئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب (حتى قالوا)
يعني الجن الذين استمعوا القرآن (انا سمعنا قرآنا عجبا) قال ابن عباس بليغا والمعنى
قرآنا ذا عجب يعجب منه لبلاغته قاله الواحدي وقال البيضاوي عجبا بديعا مباينا لكلام
الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدي الى الرشد)
يدعو الى الصواب من التوحيد والايمان (فامنا به) بذلك القرآن ذكره الواحدي
(فمن قال به) اي بكتاب الله تعالى يعني تكلم بما تضمنه من الاحكام والحكم والاسرار
والقصص والمواعظ او من اعتمد عليه في جميع احواله الظاهرة والباطنة (صدق)
في كل ما يقول وفي جميع اعماله وافعاله (ومن عمل به) اي بمقتضى ما فيه من الامر
والنهي (اجر) بالبناء للمفعول اي اثيب يعني يكتب الله تعالى له الاجر والثواب
ولا يضيع الله تعالى له عملا ابدا بل يضاعفه له اضعافا كثيرة بخلاف من لم يعمل به وعمل
برأي نفسه ومقتضى عقله فان عمله مردود عليه يستحق العقاب عليه
والعذاب (ومن حكم) على نفسه او على غيره (به) اي بما جاء في القرآن
من احكام النفس والغير في الظاهر والباطن (عدل) في حكمه اي وافق العدل

قال فى القاموس العدل ضد الجور وما قام فى النفس من انه مستقيم كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل (ومن دعا اليه) اى ساق قال فى القاموس دعاه ساقه والنبى صلى الله عليه وسلم داعى الله ويطلق على المؤذن اه يعنى من دعى غيره من الخلق الى اتباع القرآن والدخول تحت احكامه والاتعاظ بمواعظه والاعتبار بقصصه وامثاله ومعلوم انه قبل ذلك قد دعا نفسه (هدى) بالبناء للمفعول اى هداه الله تعالى بمعنى اوصله (الى صراط) اى طريق (مستقيم) استقام اعتدل وقومته عدلته وهو قويم ومستقيم كذا فى القاموس وهو طريق الحق ومنهج الصدق قال تعالى * ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم * قال الواحدى ومن يعتصم بالله اى يستمسك بحبل الله ويمتنع به فقد هدى الى صراط مستقيم يعنى الاسلام وقال الخازن اى الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدى الى الجنة * الحديث السادس (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فى حجة الوداع) وهى خطبة عرفة قال القرطبى فى شرح مسلم فلما كانت سنة عشر يعنى من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته المسماة بحجة الوداع (قال) فى اثناء خطبته (ان الشيطان) اى جنسه وهو شيطان كل انسان (قد يئس ان يعبد) بالبنا للمفعول اى يعبده احد منكم (بارضكم) وذلك ببركة الايمان بالله تعالى وعبادة الشيطان هى عبادة الاصنام لانه وردان الشيطان كان يكلمهم من داخل الاصنام فيسجدوا له وبعد ظهور الاسلام ايس الشيطان من اهل الاسلام ان يعبدوا الاصنام كما كانوا فى الجاهلية يعبدونها ويؤيده ما فى صحيح مسلم من انه عليه السلام قال فى خطبة الحج الا كل شئ من امور الجاهلية تحت قدمى موضوع فقال القرطبى فى شرحه يعنى به الامور التى احدثوها والشرائع التى كانوا شرعوها فى الحج وغيره وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا ما ليس منه فهو رد (ولكن رضى) اى الشيطان منكم (ان يطاع) اى ان تطيعوه اذا امركم (فيما سوى ذلك) يعنى فى غير عبادة الاصنام التى هى عبادته وذلك (فيما تحتقرون) اى فى الامور التى تحتقرونها (من اعمالكم) ولا تعدونها امرا كبيرا كقوله تعالى فى قصة الافك * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * قال البيضاوى اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم فى الوزر واستجرار العذاب فاحذروا ان يطيعوه فى ذلك اواحذروا ان تحتقروا شيئا من اعمالكم فان احتقار المعصية يوجب عظمها عند الله تعالى حتى ذهب بعضهم فى الفرق بين الصغيرة والكبيرة الى ان الانسان اذا استصغر الذنب فهو كبيرة واذا استكبره فهو صغيرة كما بينته فى كتاب المطالب الوفية (انى قد تركت) اى ابقيت (فيكم) اى فيما بينكم وعندكم (ما) اى شئ عظيم (ان اعتصمتم) اى تمسكتم به فى جميع اموركم (فلن تضلوا)

اى لاتقعون فى الضلال مادمتم متمسكين بذلك (ابدا) وهو (كتاب الله) تعالى (وسنة نبيه) صلى الله عليه وسلم وهما شيئان فى الظاهر وشئ واحد فى حقيقة الامر لان الكل وحى قال الشيخ عبد الرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير الاحاديث القدسية تفارق القرآن بانه اللفظ المنزل للاعجاز بشئ منه والحديث القدسى اخبار الله تعالى نبيه عليه السلام معناه بالهام اومنام فاخبر عنه بعبارة نفسه وبقية الاحاديث لم يضفها اليه ولم يروها فالقرآن اشرف الكل فالقدسى لانه نص الهى فى الدرجة الثانية وان كان بغير واسطة ملك غالبا لان المنظور اليه معناه دون لفظه وفى التنزيل اللفظ والمعنى معا ذكره الطيبى اه وقال القسطلانى فى المواهب اللدنية فى الكلام على قوله تعالى* والنجم اذ هوى ماضل صاحبكم وماغوى وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى* تأمل كيف قال تعالى ماضل صاحبكم ولم يقل ماضل محمد تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولاغى ولاضلال ولاينقمون عليه امرا واحدا قط وقدنبه تعالى على هذا المعنى بقوله عزوجل ام لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفى نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لايصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفى الامرين نطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لاالغى والضلال ثم قال تعالى ان هو الاوحى يوحى فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اى ما نطقه الاوحى يوحى وهذا احسن من جعل الضمير عائدا الى القرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وان كلاهما وحى يوحى قال الله تعالى* وانزل الله عليك الكتاب والحكمة* وهما القرآن والسنة وذكر الاوزاعى عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياه * الحديث السابع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن على رضى الله عنه قال) يعنى عليا رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن) اى تلاه اوتعلم تلاوته (واستظهره) اى حفظه عن ظهر قلبه قال فى القاموس استظهر به استعان من ظهر القلب اى حفظا بلا كتاب وقرأه ظاهرا واستظهره واظهرت على القرآن واظهرته قرأته على ظهر لسانى اه وحفظ القرآن كله عن ظهر القلب فرض كفاية قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام معزيا الى المضمرات حفظ قدر مايجوز به الصلاة من القرآن فرض عين وحفظ الفاتحة وسورة واجب واما حفظ جميع القرآن ففرض كفاية اه وفى لفظ استظهر الواقع فى الحديث من الادب ماليس فى قولهم حفظ ولهذا نقل الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس فى ترجمة شيخه ابى جعفر العربى رضى الله عنه انه دخل عليه رجل

معه ابنه قال الشيخ الاكبر وانا الى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان الشيخ قد ذهب بصره فقال له الرجل ياسيدنا ابني هذا من حملة القرآن يحفظه فتغير الشيخ وصاح وطرأ عليه حال وقال القديم يحمله المحدث القرآن يحمل ابنك ويحملنا ويحفظ ابنك ويحفظنا فهذا كان من حضوره رضى الله عنه (فاحل) الفاء للسببية اذ قراءته واستظهاره سبب لذلك (حلاله) اى حلال القرآن يعني اتخذ الاحكام الحلال التي فيه حلالا ولم يحرم شيئا منها ظاهرا وباطنا (وحرم حرامه) اى اتخذ جميع مافيه من الاحكام الحرام ايضا حراما ولم يحلل شيئا منها والمراد انه اعتقد ذلك وعمل عليه كذلك واما اذا اعتقده ولم يعمل به بان ترك الحلال وفعل الحرام فهو فاسق وان لم يعتقد الحلال حلالا والحرام حراما فهو كافر كما سيأتي بيانه (ادخله الله تعالى به) اى بسببه يعني بسبب القرآن الذي قرأه واستظهره (الجنة) مع السابقين الاولين ان مات على ذلك وان شقي قبل موته لم ينفعه ذلك وهو محتمل فلا يترك لاجل احتماله ماهو الاصل المحقق وهو بقاء ماكان على ماكان (وشفعه) بالتشديد اى قبل الله تعالى شفاعته (في عشرة) اشخاص (من اهل بيته) ذكورا كانوا اواناثا وهم سكان بيته ابناؤه وآباؤه وازواجه وكل من اتصل به من قبل آبائه كما ذكره الفقهاء في كتاب الوقف لو قال اوقفت على اهل بيتي يدخل فيه ابو الواقف وولده من الصلب وكل من اتصل به من قبل آبائه الى احزاب في الاسلام ومن قبل اولاد الذكور ولا يدخل قوم الام لان الانسان يعد من قوم الاب لا من قوم الام واختلف في اولاد البنات كما حررته في شرحي على عمدة الحكام (كلهم) اى العشرة المذكورين على طريقة التغليب بضمير المذكر (قد وجبت له) اى لكل واحد منهم (النار) اى دخولها والتعذيب بها يعني استحقها لاقترافه الذنوب وموته بلا توبة على وجه التطهير لا التكفير لان الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين (النوع الثاني) من النوعين اللذين اشتمل عليهما الفصل الاول (في) بيان (الاعتصام) اى التمسك (بالسنة) اى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله وفعله وسكونه كما مر والدليل على ذلك (الآيات) القرآنية وهي سبع عشرة آية من سور شتى تذكر على الترتيب * الآية الاولى من سورة آل عمران وهي قوله تعالى (قل) يامحمد لليهود والنصارى الذين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اولقريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فقال يامعشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبالله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت الآية وقيل ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبالله وتعظيماله فانزل الله تعالى هذه الآية كذا في تفسير الخازن (ان كنتم

تحبون الله) فيما تزعمون وتعبدون الاصنام لتقربكم الى الله (فاتبعونى يحببكم الله)
فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم قاله الواحدى وقال الخازن
لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلائل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على
كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين فى ادعاء محبة الله منقادين لاوامره
ومطيعين له فاتبعونى فان اتباعى من محبة الله وطاعته وقال البيضاوى المحبة ميل النفس
الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيق
ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه اوغيره فهو من الله و بالله والى الله لم يكن حبه
الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته
وقال القسطلانى فى مواهبه اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هى المنزلة التى
يتنافس فيها المتنافسون واليها تشخص العاملون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح
وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده
ففى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم
يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال
التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلد لم
يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا واصليها
وتبوءهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاهى داخليها وقد قدر الله
تعالى يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من احب فيالها نعمة
على المحبين سابغة لقد سبق القوم الى السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا
الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون وقد اختلفوا فى المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست
فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هى اختلاف احوال واكثرها يرجع الى ثمرتها دون
حقيقتها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التى
لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذه بعض رسوم وحدود
قيلت فى المحبة بحسب آثارها وشواهدها فمنها موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب وهذا
موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وهذا من احكام الفناء
فى المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى فى صفات محبوبه وذاته ومنها استقلال الكثير
من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وهو لابى يزيد وهو ايضا من احكامها وموجباتها
وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه
ولو ناله من محبوبه ايسر شئ لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك
واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها
معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها

ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شئ وهو لسيدنا ابى عبدالله القريشى وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا فى مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتأخذه منه له ومنها ان تمحو عن القلب ماسوى المحبوب وكمال المحبة يقتضى ذلك ومنها ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلى ومراده احتقارك لنفسك واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحبوب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك فى حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبى يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذى يحصل عند المشاهدة لا يوصف ومنها سفر القلب فى طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاهى التى لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه بادراكه بحاسة او يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم فى الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم من لا يفنى ولا يحول وهو الله سبحانه وتعالى ثم بسط الكلام فى هذا المقام (ويغفر لكم ذنوبكم) فيحببكم ويغفر لكم جواب الامر اى يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوءكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة قاله البيضاوى (والله غفور رحيم) يعنى انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه * الاية الثانية من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (قل) يا محمد ولما نزلت الآية الاولى قال عبدالله بن ابى بن سلول رأس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل الله تعالى هذه الآية (اطيعوا الله والرسول) يعنى ان طاعة الله متعلقة بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه كل امر او نهى ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى ذلك فى الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به فى كتابه او نهى عنه وقال ابن عباس معناه فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لى فاما ان تطيعونى وتعصوا محمدا فلن

اقبل منكم قاله الخازن (فان تولوا) اى اعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فان الله لايحب الكافرين) لايرضى عنهم ولايثنى عليهم وانما لم يقل لايحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر به من هذه الحيثية بنفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ذكره البيضاوى وقال الخازن عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يأبى قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى * الآية الثالثة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (واطيعوا الله) يعنى فيما امركم به ونهاكم عنه (والرسول) اى واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله (لعلكم ترحمون) اى لكى ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قاله الخازن وقال البيضاوى لعل وعسى فى امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ماجعل خبراله *الآية الرابعة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين) يعنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك فى الحقيقة لايكون الا لله تعالى وقال البيضاوى انعم على من آمن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم) يعنى من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشأ بينهم من انفسهم نسبه وليس حى من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الابنى تغلب فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب قاله الخازن وقال البيضاوى من انفسهم من نسبهم اومن جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم وقال الخازن وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله من انفسهم اى بالايمان والشفقة لابالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بنى آدم وقيل من انفسهم يعنى انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى مايخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى الثواب فى جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان اقرب الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا

محجوبا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابنى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل فى وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاءبه دون غيرهم (يتلو عليهم آياته) يعنى يقرأ عليهم كتابه الذى انزل عليه بعد ان كانوا أهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى السماوى (ويزكيهم) اى يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث ذكره الخازن وقال البيضاوى ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقائد (ويعلمهم الكتاب والحكمة) يعنى القرآن والسنة التى سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قاله الخازن وقال البيضاوى يعنى القرآن والسنة ولم يقل التى سنها على لسان نبيه لقصد تعميمها حتى تشمل الفعل والسكوت (وان كانوا من قبل) اى من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) يعنى لفى جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ذكره الخازن * الآية الخامسة من سورة النساء * وهى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) يريد بهم امراء المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل يعنى فى الآية قبله وهى قوله تعالى * واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل * تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى * ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم * ذكره البيضاوى وقال الواحدى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اتباع الكتاب والسنة واولى الامر منكم قال ابن عباس فى رواية الوالبى هم الفقهاء والعلماء اهل الدين يعلمون الناس معالم دينهم اوجب الله طاعتهم وقال فى رواية عطاء هم الولاة وقيل هم الامراء والسلاطين لما امرهم باداء الامانة فى الرعية بقوله تعالى * ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها * الآية امرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما وافق الحق قال النبى صلى الله عليه وسلم الا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا عن طاعة الله رواه مسلم وقال الخازن عن ابن عباس قال نزلت الآية فى عبد الله بن حذافة ابن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وقال السدى نزلت فى خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار قد اسلم فأمنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار انى قد امنته وقد اسلم فقال خالد

تجير على وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم واصل الطاعة الانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف العلماء فى اولى الامر منكم الذين اوجب الله تعالى طاعتهم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال على بن ابى طالب رضى الله عنه حق على الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدى الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا وعن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهى رواية عن ابن عباس ايضا ووجه هذا القول ان الآية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولى الامر ابابكر وعمر رضى الله عنهما لما روى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا ادرى ما بقائى فيكم فاقتدوا باللذين من بعدى ابى بكر وعمر اخرجه الترمذى وقيل هم جميع الصحابة رضى الله عنهم لما روى عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين فى كتابه وروى البغوى بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابى فى امتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبرى واولى الاقوال بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة * وللمسلمين مصلحة وقال الزجاج وجملة اولى الامر من يقوم بشأن المسلمين فى امر دينهم وجميع ما ادى اليه صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية مادام على الطاعة فاذا زل عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق الحق اه ويؤيد هذا ما رواه الامام احمد بن حنبل فى مسند العشرة قال فى مسند على رضى الله عنه حدثنا عبد الله حدثنى ابى حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن سعد ابن عبيدة عن ابى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا قال وجد عليهم فى شئ قال فقال لهم اليس قد امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تطيعونى قالوا بلى قال فقال اجمعوا حطبا ثم دعا بنار فاضرمها فيه ثم قال قد عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم بدخولها قال فقال لهم شاب منهم انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار

فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان امركم ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم لو دخلتموها ما خرجتم منها ابدا انما الطاعة في المعروف اه وقال شيخي زاده في حاشيته على البيضاوي عند قوله تعالى *وعلم آدم الاسماء كلها* المراد من اولي الامر العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس وقال الشيخ العيني رحمه الله تعالى في شرح الكنز قوله وللشاب العالم ان يتقدم على الشيخ الجاهل في مسائل شتى آخر الكنز لانه افضل منه قال الله تعالى *قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون* ولهذا يقدم في الصلاة وهي احد اركان الاسلام وهي تالية الايمان وقال تعالى *اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم* والمراد باولي الامر العلماء في اصح الاقوال والمطاع شرعا مقدم وكيف لا يقدمون والعلماء ورثة الانبياء عليهم السلام على ما جاء به السنة (فان تنازعتم) انتم واولوا الامر منكم (في شيء) من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعني من ان المراد باولي الامر الامراء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات قاله البيضاوي وقال الخازن تنازعتم يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم والتنازع اختلاف الآراء واصلها من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينزع الحجة لنفسه (فردوه الى الله والرسول) اي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله ان تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم وقال البيضاوي فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى كتابه وسنته دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس وقال الواحدي روى عن عمر بن ميمون عن ابيه قال قال مسلمة بن عبد الملك اليس قد امرتم بطاعتنا يعني اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال قلت ان الله انتزعه منكم اذا خالفتم الحق قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول قال فاين الله قلت الكتاب قال فاين الرسول قلت السنة والمعنى فان تنازعتم في شيء انتم وامراؤكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه الى كتاب الله وسنة رسوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعني افعلوا ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تؤمنون

بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذى فيه جزاء الاعمال قال العلماء فى الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم لايكون مؤمنا بالله واليوم الآخر قاله الخازن (ذلك) اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة وترككم التجادل (خير واحسن تأويلا) اى احمد عاقبة والعاقبة تسمى تأويلا لانها مآل الامر يقال الى هذا مآل الامر ونأويله اى عاقبته قاله الواحدى وقال الخازن وقيل معناه ذلك اى ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن تأويلا منكم له واعظم اجرا اه وفى هذا المعنى تأييد لمذهب السلف الصالحين فى الآيات المتشابهات وان تسليمها الى الله احسن واعظم اجرا عنده * الآية السادسة * من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (فلا) اى ليس الامر كما زعموا انهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال (وربك لايؤمنون) وهذا قول بعضهم ان الآية نازلة فى قصة اليهودى والمنافق اللذين اختصما وهى متصلة بما قبلها والذى قبلها قوله تعالى * الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك * الآية قال المفسرون وقع نزاع بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين فقال اليهودى بينى وبينك ابو القاسم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وعلم انه لايقبل الرشوة وقال المنافق بينى وبينك كعب بن الاشرف لانه علم انه يأخذ الرشوة ويميل فى الحكم فاختلفا ثم اتفقا ان يأتيا كاهنا من جهينة فيحاكما اليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين يزعمون وقال آخرون هذه مستأنفة نازلة فى قصة اخرى وهى ما اخبرنا ان الزبير خاصم رجلا من الانصار الى النبى صلى الله عليه وسلم فى شراج الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم للزبير اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصارى فقال يارسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبى صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير برأى اراد فيه سعة له وللانصارى فلما احفظ الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا حاطب بن ابى بلتعة فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودى فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ويتهمونه فى القضاء والله لقد اذنبنا مرة فى حياة موسى عليه السلام فقال لنا موسى اقتلوا انفسكم ففعلنا فقتل سبعون الفا فى طاعة ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس والله لو امرنى محمد ان اقتل نفسى لفعلت فانزل الله فى شأن حاطب وليه شدقه فلا وربك لايؤمنون الآية قال عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الآية انزلت الا فى ذلك والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة الى الوادى ذكره الواحدى والخازن (حتى يحكموك فيما شجر بينهم) اى اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه قاله البيضاوى

يقال شاجره في الامر اذا نازعه مشاجرة وتشاجروا تشاجرا واشتجروا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض عند المنازعة (ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت) اي ضيقا مما حكمت به او من حكمك اوشكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره (ويسلموا تسليما) وينقادوا لك انقياد أبظاهرهم وباطنهم ذكره البيضاوي وقال الواحدي يعني يرضون بقضائك وقيل لاتضيق صدورهم بقضيتك ويسلموا لما يأتي من حكمك لايعارضونه بشيء اي لايتركون الرضاء بحكمك و يتركون التسخط والمنازعة* الآية السابعة* من سورة النساء ايضا وهي قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبين) نزلت الآية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغيرلونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماغيرلونك قال يارسول الله مابي مرض ولاوجع غيراني اذالم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذاذكرت الآخرة اخاف ان لااراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني وان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لااراك ابدا وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه الآية ذكره الخازن وقال الواحدي ان ناسا من الانصار قالوا يارسول الله انك تسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك فكيف نصنع فنزلت هذه الآية وقيل جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ومايبكيك يافلان فقال يارسول الله بالله الذي لااله الاهو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لا ذكرك وانافي اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن يطع الله يعني في الفرائض والرسول يعني في السنن فاولئك يعني المطيعين مع الذين انعم الله عليهم من النبيين اي انه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم والحضور معهم فلايتوهمن من اجل انهم في اعلى عليين انه لايراهم وقال الخازن من يطع الله في اداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة في الآخرة من النبيين يعني ان المطيعين مع النبيين في الجنة لايفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لانهم يكونون في درجتهم في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول (والصديقين) جمع صديق فعيل وهو الكثير الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق الذي صدق بكل الدين لايخالجه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر

فانه هو الذى سمى بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل قاله الخازن وقال الواحدى كل من صدق بكل ما امر الله لا يداخله شك وصدق الانبياء فهو صديق وهو قوله تعالى* والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون* وقيل الصديقون اول من صدق الانبياء حين عاينوهم (والشهداء) يعنى القتلى فى سبيل الله وقال الخازن هم الذين اشتشهدوا يوم احد (والصالحين) جمع صالح وهو الذى استوت سريرته وعلانيته فى الخير وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلى وبالصالحين سائر الصحابة وقال الواحدى والصالحون هم سائر المسلمين وقال البيضاوى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين اوحال منه اومن ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم فى العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لايتأخروا عنهم وهم الانبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم والعمل والمجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هى عليه ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد فى اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم فى اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم فى طاعة الله تعالى واموالهم فى مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين فى مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشئ قريبا وهم الانبياء عليهم السلام اولا فيكونون كمن يرى الشئ من بعد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون فى العلم الذين هم شهداء الله فى ارضه واما ان يكون بأمارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون (وحسن اولئك رفيقا) فى معنى التعجب ورفيقا نصب على التميز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا وقال الواحدى وحسن اولئك رفيقا يعنى الانبياء وهؤلاء رفيقا اى اصحابا ورفقاء هم جمع رفيق وسمى رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ويقال للجماعة فى السفر رفقة لارتفاق بعضهم ببعض ووحد الرفيق لان الواحد فى التميز ينوب عن الجماعة نحو قولك هذا اجمل فتى المعنى هوا جمل الفتيان* الآية الثامنة من سورة النساء* ايضا وهى قوله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) يريد ان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعة الله وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وذكر الشافعى فى الرسالة فى باب فرض طاعة الرسول هذه الآية وقال كل فريضة فرضها الله فى كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شئ من العبادات واذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله ذكره الواحدى وقال البيضاوى لانه

فى الحقيقه مبلغ والآمر هو الله تعالى وقال الخازن سبب نزول هذه الآية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن احبنى فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فأنزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعنى فيما أمر به ونهى عنه فقد اطاع الله فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله لانه هو آمر به * الاية التاسعة * من سورة النساء ايضا وهى قوله تعالى (ومن يشاقق الرسول) اى يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين فى شق غير شق الآخر ذكره البيضاوى نزلت فى طعمة بن أبيرق من بنى ظفر بن الحارث من الانصار سرق درعا من جاره يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وماله بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق فجحده طعمة فأنزل الله تعالى قوله * انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما * الى آخر الآية ثم حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فأنزل الله فيه ومن يشاقق الرسول يعنى يخالفه فى التوحيد والايمان (من بعد ما تبين له الهدى) ظهر له ان دين الاسلام وان ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق قاله الواحدى وقال الخازن اى وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدله على صحة دين الاسلام فعادى الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ذكره البيضاوى وقال الخازن يعنى ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان (نوله ما تولى) اى نجعله واليا لمن تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره قاله البيضاوى وقال الخازن اى نكله فى الآخرة الى ما تولى فى الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه (ونصله جهنم) اى ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفاء (وساءت مصيرا) يعنى وبئس المرجع الى النار وقال البيضاوى والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يصح ان يقال من شرب الخمر واكل الخنزير استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم * الآية العاشرة * من سورة الاعراف وهى قوله

تعالى (قال عذابي اصيب به من اشاء) يعنى قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي أصيب به من اشاء من خلقي وليس على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف فى خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي وسعت كل شئ) يعنى ان رحمته تعالى عمت خلقه كلهم البر والفاجر فى الدنيا وهي للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة فى الدين والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله تعالى له فاذا كان يوم القيمة وجبت للمؤمنين خاصة قاله الخازن وقال الواحدي ورحمتي وسعت كل شئ قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت فى الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي ان الكافر يرزق و يدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه (فسا كتبها للذين يتقون) اي يتركون الكفر والمعاصي (و يؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبي) سماه رسولا بالاضافة الى الله و نبيا بالاضافة الى العباد (الامي) الذي لا يكتب ولا يقرأ وصف به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته قاله البيضاوي وقال الواحدي قال قتادة وابن عيينة فى قوله ورحمتي وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فسا كتبها للذين يتقون الى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل ونؤدي الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبيكم كان اميا لا يكتب (الذي يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) يجدون نعته ونبوته وامره عن الصلصال قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لنا ان عبادة بن الصامت عليل امضوا بنا لنعوده فوثب صلى الله عليه وسلم وامنا واتبعناه فاجتاز فى طريقه برجل من اليهود يعرض ابناله خال اليه فقال يا يهودي هل تجدوني عندكم مكتوبا فى التوراة فاومأ اليه اليهودي برأسه يعلمه انهم لا يجدونه عندهم فى التوراة مكتوبا فقال ابن اليهودي والله يا رسول الله انهم يجدونك عندهم فى التوراة مكتوبا ولقد طالعت وان فى يده اسفرا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلما رآك ستره عنك فاني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال فخلنا بين اليهودي و بينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا وقال الخازن المراد بالذين يتبعون الرسول جميع امته الذين آمنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل اوغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا

لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر عندالله المخبر عنه، ثم وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لايكتب ولايقرأ ولايحسب قال الزجاج فى معنى الامى هو الذى على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لايكتب ولايقرأ ولايحسب فالنبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لانكتب ولانحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم اميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمغيبات واعجز الخلائق بفصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولانقصان منه ولاتغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى * سنقرئك فلاتنسى *وقيل انه لوكان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غير فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم دل على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والآداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولااشتغال على احد فدل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الامى الذى هو منسوب الى امه كأنه لم يخرج بعد عن من ولدته وقيل سمى اميا لانه منسوب الى ام القرى وهى مكة والذين يجدونه مكتوبا عندهم يعنى يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل ما كانوا يخافونه فقدزالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال اجل انه موصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن* ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا والصخاب الكثير الصياح ويقال بالسين المهملة ايضا (يأمرهم بالمعروف) قال ابن عباس يريد مكارم الاخلاق وصلة الارحام (وينهاهم عن المنكر) عبادة الاوثان وقطع الارحام ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخصص احدا منهم بعينه على وجه الاغلاظ والتبكيت فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بل كان يلين الكلام لكل واحد خصوصه طمعا فى ايمانه وقبوله النصح ويغلظ عليهم من حيث عمومهم

بلا تخصيص احد فليكن هكذا طريقة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من هذه الامة المحمدية ولا يبتدعون كيفية سيئة بتخصيص احد بعينه وان ظهر منكره فان ستره متعين كما كان يستر النبي صلى الله عليه وسلم ماهو ابلغ من المعصية وهو الكفر وسنبينه ان شاء الله تعالى فى موضعه من هذا الكتاب (ويحل لهم الطيبات) يعنى ماكان يحرمه اهل الجاهلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامى وغيرها (ويحرم عليهم الخبائث) الميتة والدم ولحم الخنزير قاله الواحدى وقال البيضاوى يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير اوكالربا والرشوة وقال الخازن يأمرهم بالمعروف يعنى بالايمان والتوحيد وينهاهم عن المنكر يعنى الشرك وقيل المعروف ماعرف فى الشريعة والسنة والمنكر مالا يعرف فى شريعة ولاسنة ويحل لهم الطيبات يعنى بذلك ماكان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو المستلذات التى تستطيبها النفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس اه وهذا القول بان المراد بالخبائث كل مايستخبثه الطبع وتستقذره النفس يقتضى ان تكون اللام فى الخبائث لاستغراق الجنس وهو خلاف الاصل المقرر عند علماء الاصول من انه متى امكن حمل اللام على العهد لايعدل عنه الى حملها على غيره الا اذا تعذر قال فى متن المنار فى اصول الفقه اذا دخلت لام المعرفة فيما لايحتمل التعريف بمعنى العهد اوجبت العموم وقال ابن ملك فى شرحه اى عموم الجنس ثم قال لان اللفظ الذى تدخل عليه اللام دال على الماهية بدون اللام فحمل اللام على الفائدة الجديدة اولى من حمله على تعريف الجنس والفائدة الجديدة اما تعريف العهد او استغراق الجنس فتعريف العهد اولى من الاستغراق لانه اذا ذكر بعض افراد الجنس خارجا او ذهنا فحمل اللام على ذلك البعض اولى من حمله على جميع الافراد لان البعض متيقن واذا لم يحتمل العهد فالاستغراق متعين وفى شرح مرقاة الاصول اعلم ان الاصل الراجح عند علماء الاصول هو العهد الخارجى لانه حقيقة التعيين وكمال التميز ثم الاستغراق لان الحكم على نفس الحقيقة بدون اعتبار الافراد قليل الاستعمال جدا والعهد الذهنى موقوف على وجود قرينة البعضية فالاستغراق هو المفهوم من الاطلاق حيث لا عهد فى الخارج اه وبهذا الاعتبار اقتصر البيضاوى والواحدى كما ذكرنا على القول بان المراد من الخبائث الخبائث المعهودة كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا والرشوة ونحو ذلك فمن اثبت به حراما جديدا لم يصب لعدم عمومه حيث تعين لعهد خارجى (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقلهم واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق

الذى اخذ على بنى اسرائيل ان يعملوا بما فى التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة قاله الخازن وقال الواحدى قال الزجاج الاصر ماعقدته من عقد ثقيل قال ابن جبير هو شدة العبادة (والاغلال التى كانت عليهم) قال البيضاوى ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وقال الخازن يعنى ويضع الاثقال والشدائد التى كانت عليهم فى الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس فى التوبة وقرض الثوب المتنجس بالقراض وتحريم اخذ الدية وترك العمل فى السبت وان صلاتهم لاتجوز الا فى الكنائس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدائد التى كانت على بنى اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التى تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لاتمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذى نهيت عنه وكانت هذه الاثقال فى شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) يعنى وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير الشىء تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه (ونصروه) يعنى على اعدائه (واتبعوا النور الذى انزل معه) وهو القرآن سمى نورا لان به يستنير قلب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم ذكره الخازن وقال البيضاوى النور الذى انزل معه اى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر من مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوه اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (اولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية * الآية الحادية عشر عقيب هذه الآية من السورة المذكورة وهى قوله تعالى (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم (جميعا) حال من اليكم قاله البيضاوى وقال الخازن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد للناس انى رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففى الآية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عزوجل بان يقول انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس (الذى له ملك السموات والارض) لما امر الله تعالى رسوله ان يقول يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعنى ان الذى له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذى ارسلنى اليكم وامرنى بان اقول لكم ذلك (لا اله الا هو يحيى ويميت) فان من ملك العالم كان هو لا اله الا هو لا غيره وفى يحيى ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية

قاله البيضاوى وقال الخازن وصف الله تعالى نفسه بالالوهية وانه لاشريك له فيها
وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال
الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) امر تعالى جميع خلقه بالايمان به و برسوله
لان الايمان به هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدأ بالايمان بالله ثم ثنى
بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى فقال (النبى الامى) وتقدم معناهما (الذى يؤمن بالله
وكلماته) قال قتادة يعنى آياته وهى القرآن وقال مجاهد والسدى اراد بكلماته عيسى
ابن مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعنى يؤمن بجميع كلمات الله
تعالى ذكره الخازن وقال البيضاوى كلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه
ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس اوالقرآن اوعيسى تعريضا لليهود وتنبيها
على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه
الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه) يعنى واقتدوا به ايها الناس
فيما يأمركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة فى الاقوال ومتابعة
فى الافعال اما المتابعة فى الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما يأمر به المتبوع على طريقة
الامر والنهى والترغيب واما المتابعة فى الافعال بان يقتدى به فى جميع افعاله وآدابه
الا ما خص به صلى الله تعالى عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصائصه فلا متابعة
فيه (لعلكم تهتدون) اى ترشدون وتصيبون الحق والصواب فى متابعتكم اياه قاله
الخازن وقال البيضاوى جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين يعنى الايمان والاتباع تنبيها
على ان من صدقه ولم يتابعه فى التزام شرعه فهو بعد فى الضلالة *الآية الثانية عشر*
من سورة الانبياء وهى قوله تعالى (وما ارسلناك) اى يا محمد صلى الله عليه وسلم (الا رحمة
للعالمين) لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وقيل
كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال ذكره البيضاوى
وقال الخازن قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا
فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم
فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز
والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال
من الحرام وقيل الا رحمة للعالمين اى للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس
هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والآخرة ومن لم
يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستيصال
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة *الآية الثالثة عشر* من سورة النور
وهى قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى يخالفون امره بترك مقتضاه
ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الاعراض او يصدون عن امره

دون المؤمنين من خالف عن الامر اذا صدعنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له حقيقة اوللرسول فانه المقصود بالذكر قاله البيضاوى وقال الخازن اى يعرضون عن امره وينصرفون عنه بغير اذنه وقال العزبن عبدالسلام وقيل خلافا عن امره اى عن امر الله وعن زائدة اوعن امر النبى صلى الله عليه وسلم وقيل عدى بعن لان معناه يعرضون (ان تصيبهم فتنة) اى لئلا تصيبهم فتنة اى بلاء فى الدنيا ذكره الخازن وقال العزبن عبدالسلام اى محنة فى المال والنفس والولد اوكفر بان يفتنوا عن دينهم اوعقوبة اوزلازل واهوال وتسليط سلطان جائر اوطبع القلوب اواظهار مافيها اوفساد فيها اواسباغ النعم استدراجا وقسوة القلب عن معرفة المعروف وانكار المنكر وقيل الفتنة للعوام والبلاء للخواص (او يصيبهم عذاب اليم) اى وجيع فى الآخرة اوهو القتل قاله العز بن عبدالسلام

* الآية الرابعة عشر من سورة الاحزاب * وهى قوله تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة) اى قدوة صالحة اى اقتدوا به اقتداء حسنا وهوان تنصروا دين الله تعالى وتوازروا رسوله ولاتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو اذقد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذى بضروب الأذى فصبر وواسكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته قاله الخازن وقال البيضاوى اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاسات الشدائد اوهو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد (لمن كان يرجوالله واليوم الآخر) اى ثواب الله اولقائه ونعيم الآخرة وأيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هوكقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر يوم الله بحسب الحكم والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة اوصفة لها ذكره البيضاوى وقا الخازن يعنى ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوالله قال ابن عباس رضى الله عنهما يرجو ثواب الله واليوم الآخر يعنى ويخشى يوم البعث الذى فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا) اى فى جميع المواطن على السراء والضراء وقال البيضاوى وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية لملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول من كان كذلك

*الآية الخامسة عشر من سورة الاحزاب ايضا وهى قوله تعالى (ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة ذكره الخازن وقال البيضاوى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وقال العزبن عبد السلام شاهدا لوحدانيتنا وقيل شاهدا انا فلاربى الاانا (ومبشرا) برحمتنا اوللمحسنين برضانا وقال الخازن اى لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار وقال العزبن عبدالسلام ونذيرا بنقمتنا وللعصاة بعقابنا (وداعيا الى الله) اى الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته قاله البيضاوى

وقال الزجاج الى توحيد الله ومايقرب منه وقال العز بن عبدالسلام وداعيا الى عبادتنا اوداعيا الخلق الى بابنا والى شهادة ان لااله الاالله اوالى الطاعة (باذنه) اى بأمره او بعلمه او بالقرأن المنزل باذنه وقال البيضاوى بتيسيره اطلق له يعنى الاذن للتيسير من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانه امر صعب لايتأتى الا بمعونة من جناب قدسه (وسراجا منيرا) اى وكتابا بينا المعنى ارسلناك شاهدا وذا سراج منير اى وذا كتاب بين وان شئت كان وسراجا منصوبا على معنى داعيا الى الله وتاليا كتابا بينا قاله الزجاج وقال العز بن عبد السلام وسراجا حجة ظاهرة لحضرتنا اوهاديا لهم الى انوار الانس منيرا عليهم ظلمات النفس وقيل اى ذا سراج اى آتيناك سراجا بعدوقت منيرا اى تاليا كتاب الله المنير وقال البيضاوى منير ايستضاء به فى ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وقال الخازن سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار وصفه بالانارة لان من السرج مالا يضئ فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت لان نور الشمس لايمكن ان يؤخذ منه شئ بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة اه وفيه نظر فان نور القمر مأخوذ من نور الشمس وكذلك انوار النجوم على رأى البعض ولايبعد ان يكون معنى السراج المنير هنا الشمس فان الله تعالى قال وجعلنا الشمس سراجا فيكون سماه شمسا منيرة ولم يؤنث الوصف باعتبار لفظ السراج فانه مذكر * الآية السادسة عشر * من سورة الاحزاب ايضا وهى قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى (فقد فاز فوزا عظيما) يعيش فى الدنيا حميدا وفى الآخرة سعيدا قاله البيضاوى وقال الخازن اى ظفر بالخير العظيم * الآية السابعة عشر * من سورة الحشر وهى قوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه) اى من مال الغنيمة قاله الخازن وقال الواحدى من الفئ فخذوه فهو لكم حلال وقال البيضاوى وما اعطاكم من الفئ اومن الامر فخذوه لانه حلال لكم اوفتمسكوا به لانه واجب الطاعة (وما نهاكم عنه فانتهوا) اى من الغلول وغيره وهذا نازل فى اموال الفئ وهو عام فى كل ماامر به النبى صلى الله عليه وسلم اونهى عنه من قول اوعمل من واجب اومندوب اومستحب اونهى عن محرم فيدخل فيه الفئ وغيره وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه انه قال لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ماحديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبدالله ومالى لاالعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد وجدته

قال الله عزوجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ذكره الخازن (واتقوا الله) فى مخالفة رسوله (ان الله شديد العقاب) لمن خالف قاله البيضاوى وقال الخازن اى على تركم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه (و) الدليل على الاعتصام بالسنة ايضا (الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى عشرون حديثا * الحديث الاول (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن العرباض) بعين مهملة مكسورة وباء موحدة واصله الطويل (ابن سارية رضى الله عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا بوجهه) الكريم يعنى بعد فراغه من الصلاة كما هو العادة المشروعة فى الامام اذا فرغ من صلاته يستقبل القوم بوجهه مالم يكن خلفه مسبوق فينحرف الى يمين القبلة او يسارها (فوعظنا) من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب (موعظة) تنكيرها للتعظيم (بليغة) من البلاغة قال فى القاموس بالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد ولم يقصر والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره بلغ ككرم والبلاغة فى علم المعانى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحة كلماته (ذرفت فيها العيون) اى سال دمعها من البكاء قال فى القاموس ذرف الدمع يذرف وذرفت عينه سال دمعها (ووجلت) اى خافت وخشيت (منها القلوب فقال رجل) ممن حضر من الصحابة رضى الله عنهم من كثرة مارأى من اجتهاد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الموعظة واهتمامه بها وزيادة التخويف والتهويل فيها والتقريع للمخالف لها (يارسول الله كأن هذه الموعظة موعظة مودع) اى رجل مودع قومه يريد ان يرحل عنهم فيعظهم قبل ارتحاله بما يعلم انهم محتاجون اليه بعده غاية الاحتياج ويوصيهم وينصحهم ويخوفهم ويقرعهم ويحذرهم من المخالفة حرصا عليهم ان يضلوا بعده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع الحديث اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير يعنى صل صلاة رجل يعلم انه لايعيش حتى يصلى بعدها صلاة اخرى والمراد استفراغ الجهد فى اتقان الصلاة بمراعات حقوقها المشروعة لها كلها من غير زيادة ولانقصان وفى الحديث اشارة الى ان الواعظ ينبغى له فى وقت وعظه ان يستفرغ جهده فى نصح الحاضرين عنده ولايترك فائدة يعلم انهم محتاجون اليها الى مجلس آخر لعدم القطع بالحياة الى المجلس الآخر وانه يجوز له التخويف والتقريع احيانا على مقتضى الحال من غير ان يتكلف ذلك ولايعتاده كما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم فى وقت دون وقت (فماذا تعهد الينا) اى توصينا به قال فى القاموس العهد الوصية من عهد اليه اوصاه (قال) صلى الله عليه وسلم (اوصيكم) معاشر المؤمنين (بتقوى الله) تعالى اى الاحتراز منه فى الاعتقاد والقول والعمل والسكوت فلايعتقد احدكم ولايقول ولايعمل الا بما يعلم ان الله تعالى يرضى به ولايسكت الا عما يعلم انه يرضى به تعالى ايضا ويجتنب مايسخطه تعالى اعتقادا وقولا وعملا وينكره مطلقا

من غير تعيينه فى احد مع ستر ما يرى من عورات المسلمين عنه وعن غيره بالتأويل والحمل على المحامل الحسنة وفى لفظ التقوى الوارد فى الكتاب والسنة اشارة الى ان المتقى هو المحترز من ذلك على حسب قدرته وطاقته كما قال الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها * فلا يمنع من التقوى وقوع المؤمن فى زلة فى بعض الاوقات من غير اصرار عليها ولا اهتمام بفعلها ولا يشترط فى المتقى ان يكون دائم العصمة كالانبياء عليهم السلام (والسمع) اى لمن يتكلم عليكم من ولاة الامور بمعنى الامتثال كقوله تعالى * ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون * اى احسينا بالكلام بحاسة آذاننا وهم لا يمتثلون معنى ذلك الكلام كما يقال فلان سمع من فلان اى امتثل كلامه وليس المراد الاحساس بحاسة الاذن فقط والمناسب ان يكون هذا هو المراد بالسمع لولاة الامور فيما امروا به (والطاعة) لهم ايضا فيما نهوا عنه اذا لم يكن فيما امروا به او نهوا عنه معصية الله تعالى كما قدمناه وهذا الامتثال لهم فى امرهم ونهيهم على طريقة الوجوب لانهم نواب الشرع وهذه وصية نبوية جامعة لنفع الآخرة بذكر التقوى ولنفع الدنيا بذكر السمع والطاعة للولاة وان كانت التقوى اعم فهو من عطف الخاص على العام للتأكيد والاهتمام (وان كان) والى امركم الآمر الناهى لكم (عبدا) اى رقيقا استعمله الامام الاعظم عليكم اميرا امارة خاصة او عامة (حبشيا) اى منسوبا الى الحبشة وهم جيل من السودان ذكرهم دون غيرهم لكثرتهم وشهرتهم بالخدمة فى بلاد الحجاز ايام العرب والى الآن وفى حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة قال الشارح المناوى بزاى مفتوحة حبة عنب سوداء حالا او صفة لعبد شبه رأسه بالزبيبة فى السواد والحقارة وقباحة الصورة او فى الصغر يعنى وان كان صغير الجثة حتى كأن رأسه زبيبة وقد يضرب المثل بما لا يكاد يوجد تحقيرا لشأن الممثل له واستدل بهذا الحديث على ان الامام اذا امر بعض رعيته بالقيام ببعض الحرف والصنائع من زراعة وتجارة وعمل انه يتعين على من عينه لذلك وينتقل من فرض الكفاية الى فرض العين عليه بتعيين الامام قال الزين العراقى حتى قاله بعض شيوخنا فى الفلاحين المقررين لزراعة البلدان انه امر شرعى بتقرير الامام ذلك عليهم نعم ان تعدى عليهم والزموا بما لا يلزمهم من ايجار الارض بغير رضاهم لم يجز لكن يكونوا كالعمال يعملون ويستحقون اجر المثل اه ومراده بالقيام ببعض الحرف والصنائع لانفسهم ولبقية الرعية لا لاولى الامر فقط بان امرهم ان يصنعوا له شيئا بلا اجرة او سخرهم فى عمل مطلقا من غير اجرة فانه ظلم محض لا يجب عليهم اطاعته فى شئ منه اصلا وانما يجوز لهم ذلك ويؤجرون عليه اذا اكرههم فخافوا من شره وربما يجب عليهم ذلك خوفا على انفسهم من شره اذا تحققوا منه وقوع ما هددهم به وهى مسئلة الاكراه التى ذكرها الفقهاء لا مسئلة اطاعة ولى الأمر (فانه) اى الشان (من يعش منكم فسيرى)

فى هذه الامة من ولاة الامر وغيرهم (اختلافا كثيرا) وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بما يقع فى امته بعده من كثرة الاختلاف اولا فى امر الخلافة كما وقعت الحروب على ذلك فى زمان على ومعاوية رضى الله عنهما واختلف اجتهاد الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك وان كانوا كلهم مثابين عليه وان اخطأ بعضهم لعدم دخول حظوظ انفسهم فيه بل انما كان ذلك منهم نصرة الدين ثم كثرت الحروب بعد ذلك والاختلافات بين ملوك الاسلام والامراء فى غالب الازمان الى هذا الاوان واختلفت العلماء ايضا فى امور الدين وافترقت منهم الاقوال والاعمال والاعتقادات وذهبوا فى الاصول والفروع الى مذاهب كثيرة وكل هذا فى اشارة خبره صلى الله عليه وسلم (فعليكم) اى الزموا يقال عليك زيدا اى الزمه وتزاد الباء للتأكيد كما تزاد فى خبر ليس فيقال عليك بزيد كما يقال ليس زيد بقائم (بسنتى) وهى اسم لاقواله عليه السلام وافعاله واعتقاداته واخلاقه وسكوته عند قول الغير اوفعله كما ر واصلها الطريقة فى الدين مرضية كانت اوغير مرضية (وسنة الخلفاء) جمع خليفة قال فى القاموس الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف وجمعه خلائف وخلفاء وخلفه خلافة كان خليفته وبقى بعده وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه اوموته اوعجزه اوتشريف المستخلف وعلى الاخير استخلاف الله اولياءه فى الارض اه فالمراد من الخلفاء هنا الصحابة الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وربما يراد بعدهم كل خليفة موصوف بما وصفهم به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث حيث قال (الراشدين) رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه كذا فى القاموس وهم العالمون العاملون المخلصون الثابتون على ذلك الى موتهم (المهديين) بصيغة اسم المفعول اى الذين هداهم الله تعالى فاهتدوا اى دلهم واوصلهم الى مقام قربه والجأهم الى حضرة الانس به سبحانه فأدخلهم مدخل صدق الى مقام شهوده ومعرفته العيانية واخرجهم مخرج صدق من رؤية ماسواه (تمسكوا بها) اى بكل واحدة من سنتى وسنة الخلفاء المذكورين (وعضوا عليها) اى على كل واحدة من السنتين وافرد الضمير فيهما اشارة الى ان سنة الخلفاء بعده هى سنته ايضا لانهم سنوها من شريعته ارشادا وهداية للقاصرين الى طريقته صلى الله عليه وسلم لا من قبل نفوسهم لتمشية اغراضها (بالنواجذ) وهى اقصى الاضراس وهى اربعة اوهى الانياب اوالتى تلى الانياب اوهى الاضراس كلها جمع ناجذ والنجذ شدة العض بها كذا فى القاموس والمعنى احتفظوا على ذلك بكمال قدرتكم وطاقتكم واحرصوا عليه بمنزلة من يمسك شيئا باسنانه واضراسه ويعض عليه فانه لا يسقط منه مادام كذلك وشبه المتمسك بالسنة فى آخر الزمان بالماسك على الشئ

بأسنانه واضر اسه اشارة الى ان ذلك متعب جدا وما نع من الكلام والاكل والشرب والتنفس لابكلفة ومشقة فان من امسك شيئا بأسنانه كان حاله هكذا واذا لم يتكلف له كان سريع التفلت منه ومثله المتمسك بالسنة فى آخر الزمان لايقدر على الكلام الحق الا بمشقة كلية ولايقدر ايضا على الاكل الحلال والشرب الحلال كذلك لاتلاف الظلمة لاموال المسلمين بغصبها وانفاقها حتى التنفس المريح لجسده لايكاد يقدر عليه ايضا بين المبتدعة اهل الجهل المركب لمعاداتهم له ونضييقهم فى اموره الا بجهد جهيد (واياكم ومحدثات الامور) كلاهما منصوب بفعل مضمر اى باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة فى الدين وتباع غير سنن الخلفاء الراشدين (فان كل) امر (محدث) فى الدين على خلاف ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وكانت عليه الخلفاء الراشدون من بعده الى يوم القيمة فهو (بدعة) بالكسر وهى الحدث فى الدين بعد الاكمال او ما استحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال جمعه بدع كعنب كذا فى القاموس واختصت البدعة هنا بالدين اذ البدعة فى غير الدين كبدع العادات غير مرادة هنا كما سيأتى بيانه (وكل بدعة) فى الدين (ضلالة) يضل بها مبتدعها والعامل بها عن الصراط المستقيم (وكل ضلالة) يضل بها منشئها والعامل بها (فى النار) اى كائنة فى نار جهنم والمعنى كون صاحبها فى النار ولكن اريد المبالغة بأن نفس البدعة فى النار مع انها لم تظلم هى وانما ظلم بها صاحبها نفسه نظير قوله تعالى *واذا المؤدة سئلت باى ذنب قتلت* قال البيضاوى واذا المؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن سئلت بأى ذنب قتلت تبكيتا لوأدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى *أأنت قلت للناس اه وهذا الحديث المذكور اخرجه الحافظ ابو بكر احمد بن الحسين بن على البيهقى بنوع تغيير يسير فى كتاب المدخل باسناده الى عبد الرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه * ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لااجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون* فسلمنا فقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يارسول الله كأن هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد حبشى فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة *الحديث الثانى (دت) يعنى روى ابوداود والترمذى باسنادهما (عن المقداد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا) بفتح الهمزة وتخفيف اللام اداة استفتاح وتنبيه

كما (انى اوتيت) اى اتانى الله تعالى (الكتاب) وهو القرآن العظيم (ومثله معه)
وهو السنة النبوية فان الله تعالى آتاه اياها ايضا كما آتاه الكتاب قال الامام البيهقى
فى المدخل اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب اخبرنا الربيع
ابن سليمان اخبرنا الشافعى رحمه الله تعالى قال وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ثلاثة اوجه احدها ما نزل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمثل نص الكتاب والثانى ما انزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما اراد بالجملة
واوضح كيف فرضها عاما ام خاصا وكيف اراد ان يأتى به العباد والثالث ما سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب فمنهم من قال جعل الله له بما افترض
من طاعته وسبق فى علمه من توفيقه لرضاه ان يسن فيما ليس فيه نص كتاب ومنهم
من قال لم يسن سنة قط الا ولها اصل فى الكتاب كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة
وعملها عن اصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن فى البيوع وغيرها من الشرائع
لان الله تعالى * قال لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض
منكم * وقال واحل الله البيع وحرم الربا فما احل وحرم فانما بين فيه عن الله عزوجل
كما بين الصلاة ومنهم من قال بل جاءته به رسالة الله جل ثناؤه فاثبتت سنته بفرض الله
عزوجل ومنهم من قال القى الله فى روعه كلما سن وسنته الحكمة التى القيت فى روعه
عن الله عزوجل وروى البيهقى ايضا فى كتابه المذكور باسناده الى عبد الله بن رافع
قال سمعت ام سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة الرجلين يختصمان فى مواريث
واشياء قد درست فقال انما اقضى بينكما برأيى فيما لم ينزل على فيه وروى ايضا
باسناده عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو على المنبر يا ايها الناس
ان الرأى انما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لان الله عزوجل كان يريه
انما هو منا الظن والتكلف وذكر البيهقى ايضا قال وامر الله تعالى اياه صلى الله
عليه وسلم وجهان احدهما وحى ينزله فيتلى على الناس والثانى رسالة يأتيه عن الله
بان افعل كذا فيفعله قال الشافعى رضى الله عنه ولعل من حجة من قال هذا القول
ان يقول قال الله تعالى * وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم * فيذهب
الى ان الكتاب ما يتلى عن الله تعالى والحكمة ما جاءته الرسالة به عن الله فا ثبت سنة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى باسناده عن قتادة فى قول الله تعالى * واذكرن ما يتلى
فى بيوتكن من آيات الله والحكمة * قال القرآن والسنة وروى باسناده الى عطاء ان صفوان
ابن يعلى بن امية اخبره ان يعلى بن امية كان يقول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
ليتنى ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه فلما كان النبى صلى الله عليه وسلم
بالجعرانة وعلى النبى صلى الله عليه وسلم ثوب قد اظل عليه ومعه فيه ناس من اصحابه
فيهم عمر اذ جاء رجل عليه جبة متضمخ بطيب وقد احرم بعمرة فقال يا رسول الله

كيف ترى فى رجل احرم بعمرة فى جبة بعدما تضمخ بطيب فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه الوحى فاشار عمر بيده الى يعلى رضى الله عنهما ان تعال فجاء يعلى فادخل رأسه فاذا النبى صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط ساعة ثم سرى عنه فقال اين الذى سألنى عن العمرة آنفا فالتمس الرجل فجئ به فقال النبى صلى الله عليه وسلم اما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات واما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك ماتصنع فى حجك اخرجه البخارى فى الصحيح وعن حسان بن عطية قال كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن اه وقدمنا هذا فيما سبق فالسنة مما آتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وليست مما جاء بها من تلقاء نفسه (الا) بالفتح والتخفيف للاستفتاح والتنبيه (يوشك) بالكسر من وشك الامر ككرم سرع واوشك اسرع السير يوشك الامر ان يكون وان يكون الامر ولاتفتح شينه اولغة ردية كذا فى القاموس والمعنى يقرب ان يكون (رجل) وهو مثل قوله عليه السلام رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع اى نادر وجود ذلك فى المساين (شبعان) من الشبع وهو ضد الجوع كناية عن الغافل المغرور المنهمك فى شهوة بطنه وفرجه فان الشبع كان فى صدر الاسلام معدودا من العيوب المنقصة للكمال الانسانى ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث وعن عائشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ذكره فى الشفاء وقال صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر فى ذلك كاجر المجاهد فى سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجوع من غير عوز اى مختارا لذلك كما بسطه الامام الغزالى فى كتاب الاحياء (على اريكته) فى القاموس الاريكة كسفينة سرير فى حجلة اوكل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش وسرير متخذ مزين فى قبة اوبيت فاذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة جمعه ارائك انتهى والمعنى انه فى ترف من العيش ورفاهية فيه يجلس على كرسى وعظه وامارته (يقول) بطريق الوعظ لكم والنصيحة اوالاحتجاج لبعض اغراض نفسه وحظوظها (عليكم) اى الزموا الاقتصار على العمل (بهذا القرآن) الذى بين ايديكم يتلى ويحفظ ويكتب (فما وجدتم فيه) ولايمكن ان يجدوا الابحسب قدرتهم والافكل شئ فى القرآن كما قال تعالى * مافرطنا فى الكتاب من شئ * فالقاصر يجد على حسب قصوره فيلزم ان يجهل اكثر مايعلم (من) حكم (حلال) وهو مانص على تحليله بعينه اوجنسه كالبيع واكل الخبز (فاحلوه) اى احكموا بحله واعملوا على ذلك (وماوجدتم) انتم ايضا كذلك (فيه) اى فى هذا القرآن (من) حكم (حرام) وهو مانص على تحريمه بعينه اوجنسه كالربا والرشوة (فحرموه) اى

احكموا بتحريمه ايضا واتركوا العمل به وهذا القول من قائله ذلك الرجل المذكور فيه قصور واضح اذلا يمكنهم ان يجدوا فى القرآن كلما حلله الله تعالى لهم وحرمه عليهم وان كان القرآن جامعا لجميع ذلك فلابد من النظر فى السنة النبوية ايضا فان فيها بيان ما خفى فى القرآن وايضاح مجمله وتفصيل مقتضياته ثم لما فرغ صلى الله عليه وسلم من حكاية قول الرجل المذكور قال (وان ما) اى الحكم الذى (حرم) اى حكم بتحريمه (رسول الله) يعنى نفسه (كما) اى مثل الحكم الذى (حرم الله) من حيث ان كلا منهما بوحى من الله تعالى لنبيه عليه السلام كما ذكرنا لا من قبل رأى نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم (الا) للتنبيه والاستفتاح (لا يحل لكم) معشر المسلمين (الحمار الاهلى) يعنى ان تأكلوا لحمه وكان يؤكل قبل ذلك قال الشيخ النووى رحمه الله فى شرحه على صحيح مسلم قد وقع فى اكثر الروايات ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحومها وفى رواية حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحوم الحمر الاهلية وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجد القدور تغلى بلحمها فامر باراقتها وقال لا تأكلوا من لحومها شيئا وفى رواية نهينا عن لحوم الحمر الاهلية وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها قال اوذاك وفى رواية نادى منادى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الله ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر فانها رجس او نجس فاكفئت القدور بما فيها واختلف العلماء فى المسئلة فقال الجماهير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم بتحريم لحومها لهذه الاحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس ليست بحرام وعن مالك ثلاث روايات اشهرها انها مكروهة كراهة تنزيه شديدة والثانية حرام والثالثة مباحة والصواب التحريم كما قاله الجماهير للاحاديث الصريحة واما الحديث المذكور فى سنن ابى داود عن غالب بن ابجر قال اصابتنا سنة فلم يكن فى مالى شئ اطعم اهلى الا شئ من حمر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اصابتنا السنة ولم يكن فى مالى ما اطعم اهلى الا سمان حمر وانك حرمت لحوم الحمر الاهلية فقال اطعم اهلك من سمين حمرك فانما حرمتها من اجل جوال القرية يعنى بالجوال الذى يأكل الجلة وهو العذرة فهذا الحديث مضطرب مختلف الاسناد شديد الاختلاف ولو صح حمل على الاكل منها فى حال الاضطرار اه كلامه ويمكن له وجه آخر بان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم اطعم اهلك من سمين حمرك اى من اجرتهن او من ثمنهن فانه لما وصفهن بالسمن للاكل حول النبى صلى الله عليه وسلم هذا الوصف للاجرة على الحمل والركوب والحراسة والدياسة ونحو ذلك بأخذ الاجرة عليها او ببيعهن والاطعام من ثمنهن كما قال الفقهاء فيمن حلف لا يأكل من هذه النخلة تقيد حنثه بأكله من ثمرها حتى لو اكل من عينها

لم يحنث وان لم يكن لها ثمر ينصرف اليمين الى ثمنها فيحنث اذا اشترى به ماكولا واكله فيبقى قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانما حرمتها من اجل جوال القرية اعتذار لغالب بن ابجر على قوله وانك حرمت لحوم الحمر الاهلية وبيان لسبب التحريم لا دليل التحريم اذ الدليل حكم الله تعالى بالوحى المنزل عليه (ولا) يحل لكم ايضا (كل ذى ناب من السباع) ان تأكلوا لحمه والناب هو السن خلف الرباعية مؤنث وجمعه انيب وانياب ونيوب وانايب كذا فى القاموس وقال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وفى رواية كل ذى ناب من السباع فاكله حرام والمخلب بكسر الميم وفتح اللام للطير والسباع بمنزلة الظفر من الانسان وفى هذه الاحاديث دلالة لمذهب الشافعى وابى حنيفة واحمد وداود والجمهور انه يحرم اكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وقال مالك يكره ولا يحرم قال اصحابنا فذو الناب ما يتقوى به ويصطاد واحتج مالك بقوله سبحانه وتعالى * قل لا اجد فيما اوحى الى محرما * الآية واحتج اصحابنا بهذه الاحاديث قالوا والآية ليس فيها الا الاخبار بانه لم يجد فى ذلك محرما الا المذكورات فى الآية ثم اوحى اليه بتحريم كل ذى ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به (ولا) يحل لكم ايضا (لقطة) من لقطه اخذه من الارض فهو ملقوط ولقيط ولقط الثوب رفعه واللقطة محركة وكهمزة وكخرمة ما التقط كذا فى القاموس والمراد ما يجده الانسان فى الطريق وغير من الامتعة الساقطة من اصحابها وفى شراح الكنز لمسكين هى مال يوجد فى الطريق ولا يعرف له مالك بعينه سميت بها لانها تلقط غالبا (معاهد) من العهد وهو الامان والذمة عاهده اذا اخذ عليه عقد الامان والذمة والمراد بالمعاهد الذمى الذى عاهده الامام على اعطاء الجزية والخراج فان له ما لنا وعليه ما علينا ويدخل فى ذلك الحربى الذى دخل بالامان الى دار الاسلام فانه آمن على دمه وماله كالذمى فمن وجد لقطة لذمى او لمستأمن وجب ردها اليه بعد اقامة البينة كلقطة المسلم ويجوز ردها من غير وجوب عليه ان ذكر لعلامة فقط قال فى المنبع شرح المجمع يستحب اخذ اللقطة ورفعها خوفا من ان تصل اليها يد خائن وذا خاف ضياعها يجب الالتقاط صونا لاموال الناس عن الضياع وقال بعض اصحابنا اذا خاف على نفسه الطمع فيها وانه لا يعرفها ولا يردها فالافضل الترك صيانة لنفسه عن الوقوع فى المحرم وهى امانة بشرط ان يشهد الملتقط انه يأخذها ليحفظها فيردها على صاحبها وان لم يشهد ضمن ويعرفها مدة يغلب على ظنه ان صاحبها لا يطلبها بعد ذلك ثم يتصدق بها على فقير لا غنى ان شاء فان جاء صاحبها فامضاها ولا ضمن الملتقط او المسكين ان شاء وان كانت قائمة اخذها منه وايهما ضمن لا يرجع على الآخر ويجوز للفقير ان ينتفع بها لا للغني الا باذن الامام ويجوز التقاط البهائم الضالة ويوجرها

الحاكم و ينفق عليها من الاجرة ان كان لها منفعة والاباعها وحفظ ثمنها وان اذن الحاكم للملتقط فى النفقة رجع بها و يحبسها لاستيفائها و لا كان متبرعا واذا دعاها لم تدفع اليه الا ببينة و يحل له دفعها بذكر علامة (الا ان يستغنى عنها) اى عن اللقطة (صاحبها) بان كانت حقيرة كثمرة ونحوها قال فى مختصر المحيط قال ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله تعالى ولا بأس بان يلتقط مالا قيمة له اصلا مثل النوى وعلف الدواب وقشر الرمان اذا نبذه صاحبه والانتفاع به ولصاحبه ان يأخذه من الملتقط وان كان ذلك كثيرا لم يجز للملتقط ان يأخذه اهـ وكذلك ان وصل اليه ان صاحبها اباحها له اولكل من اخذها (ومن نزل) اى ضيفا (بقوم) اى صار ضيفا عندهم فى قرية او بلدة اومحلة وقد تعذرت عليه كفايته من القوت ولم يمكنه الشراء (فعليهم) اى بطريق الوجوب حيث علموا به وهو محتاج الى القوت (ان يقروه) اى يضيفوه باعطائه كفايته من ذلك قال الجوهرى قريت الضيف قرى وقراء احسنت اليه اذا كسرت القاف قصرت واذا فتحت مددت وفى القاموس اقرئ طلب ضيافة فقوله ان يقروه بفتح الياء من قراه لا بضمها من اقراه وفى حديث الجامع الصغير للاسيوطى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف محروما فله ان يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه وقال الشارح المناوى فاصبح الضيف محروما من الضيافة اى لم يطعمه القوم تلك الليلة فله ان يأخذ من مالهم بقدر قراه اى ضيافته اى بقدر مايصرف فى ثمن طعام يشبعه ليلته قال الطيبى وقوله فاصبح الضيف مظهر اقيم مقام المضمر اشعارا بان المسلم الذى ضاف قوما يستحق لذاته ان يقرى فمن منعه حقه فقد ظلمه فحق لغيره من المسلمين نصره واخذ بظاهره الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه فاوجب الضيافة وان الضيف يستقل بأخذ مايكفيه بغير رضاء من نزل عليه اوعلى نحو بستانه اوزرعه وحمله الجمهور على انه كان فى اول الاسلام فانها كانت واجبة حين اذ كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة اوعلى التأكيد كما فى غسل الجمعة واجب فلما ارتفع وجود الاستقلال بالأخذ حمل على المضطر لكنه يغرم بدله بعد اوعلى مال اهل الذمة المشروط عليه ضيافة من نزل بهم لادلة اخرى كخبر لا يحل مال امرىء مسلم الا عن طيب نفس واما قول بعض المالكية المراد ان له ان يأخذ من عرضهم بلسانه ويذكر للناس عيوبهم فعورض بان الاخذ من العرض والتحدث بالعيب عيب ندب الشارع الى تركه لا الى فعله وفى حديث الجامع ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما رجل اضاف قوما فاصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى اى ضيافة ليلته من زرعه وماله وقال الشارح المناوى و يقتصر على مايشد الرمق بشين معجمة اى يقوى بقية الروح اومهملة اى يسد الخلل الحاصل

من الجوع قال الطيبي وافرد الضمير فيها باعتبار المنزل عليه والمضيف وهو واحد
ثم هذا فى المضطر اوفى اهل الذمة المشروط عليهم ضيافة المارة (وله) اى يجوزله
(ان يعقبهم) اى يجازيهم قال الجوهرى اعقبه بطاعته اى جازاه والعقبى جزاء الامر
والمعنى ان يجازيهم على منعهم حقه فلا يحترمهم ولا يستأذنهم (بمثل قراه) اى بأخذ
مثل ضيافته اى مقدار ذلك يعنى قدر حاجته المضطر اليهما من المأكل والمشرب
وعلف الدابة ونحو ذلك واخرج الامام البيهقى فى المدخل هذا الحديث المذكور
برواية اخرى اسندها عن المقدام بن معدى كرب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
الا انى اوتيت الكتاب ومثله الا انى اوتيت القرآن ومثله الا يوشك رجل شبعان على
اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فاوجدتم فيه من حلال فاحلوه وماوجدتم فيه
من حرام فحرموه الا لايحل لكم الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة مال
معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فان له
ان يعقبهم بمثل قراه وروى باسناده ايضا عن الحسن بن جابر انه سمع المقدام بن معدى
كرب الكندى صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول حرم النبى صلى الله
عليه وسلم اشياء يوم خيبر منها الحمار الاهلى وغيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوشك ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثى فيقول بينى وبينكم كتاب الله
فاوجدنا فيه حلالا استحللناه وماوجدنا فيه حراما حرمناه وان ما حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما حرم الله عز وجل وهذا اسناد صحيح * الحديث الثالث (دت)
يعنى رواه ابوداود والترمذى باسنادهما (عن ابى رافع رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا الفين) بضم الهمزة اى اجدن يقال الفيت الشئ بالفاء
وجدته قاله الجوهرى والمعنى لاجعلنى الله تعالى اجدن (احدكم) اى الواحد منكم
ايها المؤمنون (متكئا) اى معتمدا مستندا قال فى القاموس توكا عليه تحمل واعتمد (على
اريكته) اى سريره وكرسيه (يأتيه) اى يصل اليه (امرى) اى شانى (مما)
اى من جهة الامر الذى (امرت به) الامة بطريق الخلافة عن الله تعالى فى الارض
(اونهيت) الامة عنه بالنيابة عن الله تعالى (فيقول) ذلك المتكئ على اريكته (لا ادرى)
هذا الوارد الى من الامر والنهى (وما) اى الحكم الذى (وجدناه فى كتاب الله)
تعالى من الامر والنهى (اتبعناه) لاغير وهذا قول من طبع الله على قلبه فاراد ان
يفرق بين الله ورسوله وان يصل الى ذلك ابدا قال البيهقى فى المدخل زاد ابو عبدالله
فى روايته بهذا الاسناد عن الشافعى رضى الله عنه قال وفى هذا تثبيت الخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعلامهم انه لازم لهم وان لم يجدوا له نص حكم فى كتاب الله
عز وجل * الحديث الرابع (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن العرباض بن سارية
رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى خطيبا (فقال ايحسب

احدكم) حال كونه (متكئا) اى مستنداً (على اريكته) اى كرسيه (يظن) تأكيد لفظى ليحسب بمرادفه (ان الله) تعالى (لم يحرم) على الامة (شيئا الاما) اى الذى (فى هذا القرآن) من المحرمات الظاهرة منه لكل احد والافقد قال تعالى *مافرطنا فى الكتاب من شئ* وفى الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال مااحل الله فى كتابه والحرام ماحرم الله فى كتابه وماسكت عنه فهو مماعفا عنه اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير فان فى القرآن من الاحكام مالايظهر بالبداهة لغالب الانام ولهذا لمادق نظر امامنا ابى حنيفة رضى الله عنه فى استنباط المسائل من القرآن مالم يعثر عليه اكثر المجتهدين نسب اليه القاصرون القول بالرأى فان من وجد الحكم فى كتاب الله تعالى لايعدل عنه الى السنة ومن لم يجده فى الكتاب عدل الى السنة (الا) للاستفتاح والتنبيه (وانى قدامرت) بالمعروف الذى وجدته فى كتاب الله تعالى مالم يجده غيرى وهى الحكمة التى قال الله تعالى عنها *وانزل الله عليك الكتاب والحكمة* وهى السنة النبوية كما قدمناه فان امره صلى الله عليه وسلم من امر الله تعالى لانه نبيه ورسوله روى البيهقى فى المدخل باسناده عن ابى جعفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعى اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبى صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو عنى فما اتاكم عنى يوافق القرآن فهو عنى وما اتاكم عنى يخالف القرآن فليس عنى وقال الشافعى رضى الله عنه وليس يخالف الحديث القرآن ولكن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبين معنى ماراد خاصا وعاما وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ماسن بفرض الله تعالى فمن قبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها تكون بعدى رواة يروون عنى الحديث فاعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فحدثوا به ومالم يوافق القرآن فلاتأخذوا به (ووعظت) اى ذكرت الترغيب والترهيب وبشرت وانذرت اخذا من كتاب الله تعالى بوجه لم ينكشف لغيرى (ونهيت) الامة (عن اشياء) من الاقوال والاعمال والاعتقادات والاحوال التى وصلت الى من كتاب الله تعالى ولم يهتد الى طريقها احد من المجتهدين اصلا لان طريق الوصول اليها الوحى والنبوة لاالاجتهاد وان اقر النبى صلى الله عليه وسلم قول المجتهد المخطئ ووعده بالثواب عليه مرة لضرورة فقدان الوحى والنبوة (انها) اى تلك الاشياء التى نهيت عنها (مثل) المناهى الظاهرة لكم من (القرآن) لانى اخذتها منه بالوحى والنبوة ولاامر ونهى الامافى القرآن يدل عليه ماروا البيهقى فى المدخل باسناده عن ابن طاوس عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ياايها الناس لاتمسكوا على بشئ فانى لااحل الااما احل الله ولا احرم الا ماحرم الله فى كتابه اه وجميع علم النبى صلى الله

عليه وسلم من القرآن لكنه من وجه الوحى والنبوة فلهذا لايمكن ان يصل اليه غيرنبى وفتح الاولياء وان كان فى القرآن ايضا كذلك ولكنه من وجه آخر غير وجه الوحى والنبوة وكذلك علم المجتهدين ولكنهم زادوا بالاخذ من بيان النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو السنة وبيان غيرهم من المؤمنين الذى هو الاجماع والتأمل بالمقايسة فى الكتاب والسنة والاجماع الذى هو القياس والكل يجتمعون فى اصل واحد هو مأخذهم وهو القرآن اخذ منه النبى سنته والولى فتحه والمجتهد علمه (اواكثر) من المناهى الظاهرة لكم من القرآن لزيادة اطلاع النبى صلى الله عليه وسلم على كتاب الله تعالى مالم تطلع عليه الاولياء ولا المجتهدون فيكشف منه عن اكثر ماظهر لهم كلهم فلهذا تمسك الامام الشافعى رحمه الله تعالى وغيره من المجتهدين بالسنة اكثر من الكتاب حيث قال الشافعى رضى الله عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وان الله) تعالى (لم يحل) بالضم من احل اى جعل حلالا لكم (ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب) من اليهود والنصارى وغيرهم لان ذلك يؤذيهم ولايجوز ايذاء اهل الذمة (الاباذن) منهم فى ذلك (ولا) احل لكم ايضا (ضرب نسائهم) اى اهل الكتاب لان فيه كمال ايذائهم (ولا) احل (اكل ثمارهم اذا اعطوكم) الحق (الذى عليهم) من الجزية والخراج فاذا امتنعوا من ذلك انتقض عهد ذمتهم عند الائمة الثلاثة خلافا لابى حنيفة قال والدى رحمه الله تعالى عند شرح قول صاحب الدرر لاينتقض عهده اذا امتنع عن الجزية لان التزامها باق وبالاباء تؤخذ منه جبرا وفى رواية كما فى المجمع ذكرها فى الواقعات فى كتاب الزكاة انه ينتقض وهو قول الثلاثة هذا اذا ابى عن دفعها اما لو ابى عن قبولها انتقض عهده كذا فى فتح القدير واذا انتقض عهدهم حل فيهم ماحل فى اهل الحرب واصل الحديث ماذكره البيهقى فى المدخل باسناده عن العرباض بن سارية السلمى قال نزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم خيبر ومعه من معه من اصحابه وكان صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فاقبل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد الكم ان تذبحوا حمرنا وتأكلوا ثمرنا وتضرب نساءنا فغضب النبى صلى الله عليه وسلم وقال ياابن عوف اركب فرسك ثم ناد الاان الجنة لاتحل الالمؤمن وان اجتمعوا للصلاة قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قام فقال ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله عزوجل الى آخر الحديث المتقدم ذكره * الحديث الخامس (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن جابر رضى الله عنه) انه قال (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خطب) فى الجمع والاعياد وغيرهما اوفى غالب امره بحسب الوقائع الدينية والدنيوية (احمرت عيناه) من كمال شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تبليغ احكام الله تعالى (وعلا) اى ارتفع (صوته) لتنفذ دعوته الى الحق فى جوانب مجلسه على التمام (واشتد غضبه) فى اظهار دين الله تعالى وايصاله الى صميم القلوب (كأنه)

عليه الصلاة والسلام فى تلك الحالة (منذر) اى مخوف (جيش) اى عسكر عظيم من غارة تدركهم (يقول) فى انذاره للجيش من تمة التشبيه (صبحكم) بالتشديد اى ادركم العدو فى وقت الصباح (ومساكم) بالتشديد ايضا اى ادركم فى وقت المساء فتهيؤا للقائه ومقارعته ويحتمل ان يكون معنى ذلك صبحكم الامر الذى انذركم به فى الآخرة ومساكم من شدة قربه منكم (ويقول) فى خطبته ايضا (بعثت) اى بعثنى الله تعالى (انا والساعة) اى القيامة قال المناوى فى شرح الجامع الصغير الساعة الوقت الذى تقوم فيه القيمة وهى ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم (كهاتين) اى كاصبعين من شدة القرب (ويفرق بين اصبعيه) يسيرا (السبابة) وهى المسبحة (والوسطى) وهو من تمثيله صلى الله عليه وسلم الغائب بالحاضر اشارة الى دوام شر بعته وبقائها الى يوم القيمة وانه لايتخلل بينه وبين الساعة نبى ولاشريعة (ويقول) فى الخطبة (امابعد) بالبنا على الضم اى بعد دعائى لك واول من قاله داود عليه السلام اوكعب بن لؤى كذا فى القاموس وتقدم هذا فى شرح الخطبة (فان خير الحديث) وهو الخبر يأتى على القليل والكثير ويجمع على احاديث على غير قياس قال الفرازى ان واحد الاحاديث احدوثة ثم جعلوه جمع الحديث ذكره الجوهرى (كتاب الله) وهو القرآن العظيم (وخير الهدى) جمع هدية وهى السيرة قال الجوهرى وما احسن هدته وهديته ايضا بالفتح اى سيرته والجمع هدى مثل تمرة وتمر ويقال ايضا هدى هدى فلان اى سار سيرته وفى الحديث واهدوا هدى عمار (هدى محمد عليه السلام) نبينا ورسولنا (وشر الامور) اى الافعال والاقوال والاحوال والاعتقادات (محدثاتها) اى المحدثات منها فى الدين بعد زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمان الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم (وكل) امر (محدث) فى الدين لم يكن فى الصدر الاول من فعل اوقول اوحال اواعتقاد (بدعة) اى فعلة على خلاف الملة المحمدية (وكل بدعة ضلالة) اى يضل بها صاحبها عن طريق السنة * الحديث السادس (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتى يدخلون الجنة) يعنى امة الاجابة وهم المسلمون المؤمنون به صلى الله عليه وسلم وبجميع ماورد عنه ويحتمل ان يراد بالامة مايشمل امة الدعوى ايضا بقرينة قوله (الامن ابى) اى امتنع ان يدخل الجنة (قيل) اى قال احد ممن حضر تعجبا من حال من ابى ان يدخل الجنة (ومن ابى) يعنى اى انسان امتنع من ذلك وهو مراد الكل (قال) صلى الله عليه وسلم (من اطاعنى) فى كل ماامرت به ونهيت عنه بالظاهر والباطن (دخل الجنة) خالدا فيها ابدا (ومن عصانى) اى لم يطعنى فى امتثال كل ماامرت به ونهيت عنه مع الايمان بذلك ان اريد بالامة امة الاجابة بقرينة ذكر العصيان فانه مشتهر بعض الفسق لاالكفر وان اريد امة الدعوى

فمن عصانى لم يطعنى فيما امرت به ونهيت عنه لاايمانا ولاعملا وهو الكافر (فقد ابى) اى امتنع ان يدخل الجنة *الحديث السابع (حك) يعنى روى الحاكم باسناده (عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل طيبا) اى حلالا متيقن الحل لا شبهة فيه وان جاز اكل ما فيه شبهة روى عن ام عبدالله بنت اوس الانصارية اخت شداد بن اوس انها بعثت الى النبى صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره فرد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وقال انى لك هذا قالت من شاة لى قال انى لك الشاة قالت اشتريتها من مالى فشرب ثم قال صلى الله عليه وسلم امرت الرسل ان لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وعمل) بقلبه فى اعتقاد و بلسانه فى قول و بجوارحه فى فعل و بنفسه فى حال عملا كائنا (فى سنة) اى اتباع للنبى صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا (وامن الناس) من اهل الاسلام ولو فاسقين اومعاهدين من الكفار (بوائقه) جمع بائقة وهى الداهية وباق جاء بالشر والخصومات وباق به حاق وباق القوم عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد وبار وباق فلان تعدى على انسان اوهجم على قوم بغير اذنهم كانباق وباق القوم سرقهم كذا فى القاموس (دخل الجنة) من غير عذاب يسبق (قالوا) اى الحاضرون من الصحابة رضى الله عنهم (يارسول الله ان هذا) يعنى اكل الطيب والعمل فى سنة وامن الناس البوائق (فى امتك) يعنى امة الاجابة المسلمين لك المؤمنين بك وبجميع ماجئت به من عندالله تعالى (اليوم) يعنى فى ذلك الزمان الاول فى صدر الاسلام (كثير) حيث لم تظهر البدع بعد (قال) صلى الله عليه وسلم (وسيكون فى قوم) نكرهم للتقليل اوللتعظيم (بعدى) يعنى الى يوم القيمة فان الله تعالى حاشاه ان ينزع الكمال من هذه الامة المحمدية وقد شهد لها بالخيرية فى قوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس الم تران الصحابة والتابعين رضى الله عنهم كان فيهم المنافقون والفاسقون ولم يخرجوا بذلك عن الكمال من حيث عموم الظاهر *الحديث الثامن (هق) يعنى روى البيهقى باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتى) اى احتفظ على العمل بها (عند فساد امتى) باتباع الاهواء والبدع بحيث تصير نفوسهم لا تطمئن فى الاعمال والمعاملات الا الى الوساوس الشيطانية والاختراعات العقلية مع علمهم بالسنن النبوية والمقادير والحدود الشرعية وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (فله) عندالله تعالى يوم القيمة (اجر) اى ثواب (مائة شهيد) قاتل فى سبيل الله فقتل لما يلحقه من المشقة فى العمل بالسنة واحيائها لعدم المعاون وكثرة العوائق كما تلحق الشهيد المقاتل للكفار كذا فى شرح الشرعة* الحديث التاسع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن زيد بن ملحة عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الدين) اى دين الاسلام الذى هو ملة محمد صلى الله عليه وسلم (بدأ) اى ظهر قال الجوهرى

بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اى ظهروابديته اظهرته (غريبا) اى مستغربا يستغرب احكامه كل احد لعدم معرفته والايتلاف به (ويرجع) فى آخر الزمان (غريبا) ايضا كما بدا فلا يعرفونه ولا يأتلفون به فينكرونه وقد كان فيما بين بدايته ورجوعه معروفا مألوفا وهو زمان عزته ونصرته يجدون عليه اعوانا صدورهم مملوءة توحيدا وايمانا ومعرفة وايقانا واخلاصا واحسانا (فطوبى) فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا تقل طوبيك بالياء قاله الجوهرى (للغرباء) جمع غريب وهو الانسان الغريب فانه الذى يستمسك بالدين الغريب فهو غريب مثله وقد فسرهم النبى صلى الله عليه وسلم بقوله (الذين يصلحون) من اصلحه ضد افسده والصلاح ضد الفساد كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح كذا فى القاموس (ما) اى الذى (افسد الناس) اوافسادهم (من بعدى) متعلق بافسد (من سنتى) اى سيرتى وطريقتى اعتقادا اوعملا اوقالا اوحالا واصلاحهم لما فسد من السنة امابامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر على وجه العموم من غير تخصيص احد باللسان ولا بالقلب مع ستر عورات المسلمين وتغطية ما انكشف من قبائحهم كما هو الطريقة المسنونة فى الامر والنهى لا المبتدعة التى اخترعها جهلة العلماء من كشف فضايح المسلمين واستباحة اعراضهم على توهم المنكر فضلا عن تحققه او بالعمل بذلك والمواظبة عليه حتى يقتدى به اهل الدين والتقوى مع الاخلاص والخشوع او بتصنيف الكتب فى بيان ذلك او باقراء الكتب المصنفة فيه او بالاعانة عليه والترغيب فيه وعدم المبالاة بفساد الزمان والاخوان حتى ورد فى حديث آخر تفسير الغرباء اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وهو قوله صلى الله عليه وسلم طوبى للغرباء اناس صالحون فى اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وقال الشارح المناوى وفى رواية بدله من يبغضهم اكثر ممن يحبهم ومن ثمه قال الثورى اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق لابغضوه قال الغزالى وقد صار ما ارتضاه السلف من العلوم غريبا بل اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع وقد صارت علوم اولئك غريبة بحيث مقت ذاكرها* الحديث العاشر (م) يعنى روى مسلم باسناده (عن رافع بن خديج انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انتم) يامعشر المكلفين من الصحابة وغيرهم (اعلم) اى اكثر علما منى (بامر دنياكم) لكثرة اشتغالكم بذلك وليس امر الدنيا بامر عظيم القدر عند الله تعالى حتى يدخل النقص فى جناب النبوة بنفى الاعلمية فيه حيث كانت الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله كما ورد فى الخبر وتقدير المعنى فلا تحتاجون فى احوال الدنيا الى امرى لكم فيها بما ينفعكم من التصرفات ونهى عما يضركم لاكتفائكم فى ذلك بنظر عقولكم وتجربتكم ووقائع الاحوال ولكن (اذا امرتكم بشئ من) امر (دينكم)

امتثالا لطاعة اوانكفافا عن معصية فدخل النهى فى الامر لانه امر بالكف كما ان الامر امر بالفعل (فخذوا) اى تمسكوا واحتفظوا (به) وامتثلوا له والتقدير فانى اعلم منكم بامر دينكم كما جاء فى حديث آخر فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية

*الحديث الحادى عشر (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه عمر بن الخطاب (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يؤمن) اى يصدق و يعترف بما جئت به من عندالله تعالى امرا ونهيا ظاهرا و باطنا (احدكم) اى الواحد منكم ذكرا كان اوانثى (حتى يكون هواه) اى ميله ورغبتـه ومحبته (تبعا) اى تابعا (لما جئت به) من عندالله تعالى من الشرايع والاحكام بحيث لايستحسن برأيه وعقـله زيادة فيه اونقصـانا منه ولايستقبح بنظره مايخالف شيئـا من ذلك بل يصير رأيه وعقله ونظره فى اثر ماجاء عن النبى صلى الله تعالى عليـه وسلم بحكم فيـه الوارد فى الشرع لايحكم هو فى الوارد فى الشرع

* الحديث الثانى عشر (خم) يعـنى روى البخارى ومسلم باسناد هما (عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهمـا انه عليـه الصلاة والسلام قال ليـأتين) اى والله ليأتين (عـلى امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به عليه السـلام بسبب طول العهد عن زمن نبوته ونقصان النقلة لدينه من غـير زيادة ولانقصـان وذهاب العدول الا قليلا (كما اتى على بنى اسرائيل) اى امة موسى عليه السلام يعـنى من التغير والتبديل لشرايع الدين والزيادة فيهـا والنقصان منهـا (حـذو) بالذال المعجمـة (النعل بالنعـل) قال الجوهرى حذوت النعل بالنعل حذوا اذاقدرت كل واحدة على صاحبتها يقال حذوالقذرة بالقذرة اه والمعنى موافقة هذه الامة لبنى اسرائيل موافقة كلية فى جميع ماصدر منهم فى دين الله تعالى (حتى ان كان منهم) اى من بنى اسرائيل (من اتى) اى جامع (امة) التى ولدته (علانية) اى جهرا من غير استتار وهواقبح معصية فى الاسلام عقلا وشرعا ومروة وعرفا (لكان فى امتى من يصنع ذلك) ايثارالهوى نفسه على ماجاءبه نبيه صلى الله عليه وسلم من عندربه من الحق وبنواسرائيل هؤلاء هم اولاد يعقوب جمع ابن قال البيضاوى الابن من البنـاء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابوالحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية صفوةالله وقيل عبـد الله وقال الخازن اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو يعقوب عليه السلام ابن اسحق عليه السلام ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعليـهم اجمعين (وان بنى اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة) بالكسر وهى الشريعة والدين كذا فى القاموس (وتفترق امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به صلى الله عليه وسلم لان امة الدعوى مفترقون اكثر من ذلك فى زمانه عليه السلام (على ثلاث وسبعين ملة) بزيادة ملة واحدة ولعل ذكر السبعين للتكثير لا للتحديد (كلهم

فى النار) للتطهير لا للتكفير اذ لو كفروا لكانوا امة دعوى لا امة اجابة فساووا ملل امة الدعوى وكذلك كل فرقة كفرت منهم خرجت على الثلاث والسبعين واصله ان الخطأ فى الاجتهاد فى الاعتقاد اذا كان فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة هل يوجب الكفر ام لا كان الخطأ فى الاجتهاد فى العمليات فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة مثاب عليه اتفاقا واما المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة من قسم الاعتقاديات كحدوث العالم وحشر الاجساد وثبوت صفات الله تعالى مما جحدته الفلاسفة ومن قسم العمليات كاركان الاسلام الخمسة وحرمة الربا والزنا وشرب الخمر والسرقة والظلم ونحو ذلك فان الاجتهاد فى شئ من هذا باطل لا يصح اجماعا لان جحوده كفر قال فى شرح مرقاة الاصول فى الخلاف فى الاجتهاد بين اهل السنة والمعتزلة فالمجتهد يخطئ ويصيب عندنا وعندهم كل مجتهد مصيب بناء على ان الحكم عند الله واحد عندنا ومتعدد عندهم فان المجتهدين اذا اجتهدوا فى حادثة واحدة فالحكم عند الله تعالى على رأينا واحد منها وعلى رأيهم ما دى اليه اجتهاد كل مجتهد وهذا الخلاف فى الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والافعال من الالهيات والنبوات فان المليين اجمعوا على وحدة المصيب فى العقليات الا عند بعض المعتزلة وهو ابو الحسن العنبرى والجاحظ فانهما قالا ان كل مجتهد مصيب فى مسائل الكلام وفى شرح المنار لابن ملك وهذا الخلاف فى الشرعيات لا فى العقليات التى من اصول الدين والحق فيها واحد بالاجماع والمخطئ فيها كافر ان خالف ملة الاسلام كاليهودى والنصرانى انتهى وتقديره وان لم يخالف ملة الاسلام بأن كان اجتهاده فى غير مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكون كافرا ان اخطأ فى ذلك وهو ما فصلناه آنفا فهؤلاء الثلاث والسبعون فرقة ان لم يكفروا بجحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كلهم مسلمون مجتهدون فى دين الاسلام من حيث الاعتقاد فمن اخطأ منهم فى اجتهاده كان فاسقا مبتدعا ضالا وليس بكافر ولا يثاب على خطاه كما لو اخطأ المجتهد فى العمليات الا على مقتضى مذهب ابى الحسن العنبرى والجاحظ من المعتزلة لتسويتهم فى صحة الاجتهاد وقبول الخطأ فيه بين العمليات والاعتقاديات ومما يؤيد ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم كفوا عن اهل لا اله الا الله لا تكفروهم بذنب فمن اكفر اهل لا اله الا الله فهو الى الكفر اقرب اخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وقال شارحه المناوى فمخالف الحق من اهل القبلة ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الاجساد فانه حينئذ ليس من اهل لا اله الا الله فنكفره اه واذا تأملت هذا ظهر لك الجواب عن قول العلامة السعد التفتازانى فى شرح عقائد النسفى رحمهما الله تعالى والجمع بين قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن او استحالة الرؤية او سب الشيخين ابى بكر وعمر رضى الله

عنهما ولعنهما وامثال ذلك فشكل انتهى كلامه فان المراد باهل القبلة من لم يكفر بانكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة والتكفير بهذه الثلاثة المذكورة مختلف فيه بين المجتهدين فمن اكفر بها اراد باهل القبلة من لم يقل بذلك (الاملة واحدة) استثناها فبقى اثنان وسبعون ملة مقدار ملل بنى اسرأيل وهذه الملة المستثناة لاتدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها فى الاعتقاد ان ماتت معتقدة مقتضى مذهبها ولكن يمكن أن تدخل النار بسبب عصيانها فى العمل هذا ان حملنا افتراق هؤلاء المسلمين الثلاث والسبعين ملة على افتراقهم فى الاعتقاد فقط وان اطلقناه فى الاعتقاد وفى العمل ايضا على معنى افتراقهم فى الشيئين معا بقرينة قوله عليه السلام فى صدر الحديث حتى ان كان منهم من أتى اى جامع امه علانية لكان فى امتى من يصنع ذلك فان هذا متابعة فى العمل فتكون هذه الملة المستثناة لاتدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها فى الاعتقاد وفى العمل ان ماتت على ذلك وهو المتبادر من ظاهر الحديث (قالوا) اى من حضر من الصحابة رضى الله عنهم (من هى) اى تلك الملة الواحدة (يارسول الله قال ما) اى الذى او امر وشان معناه ملة (انا) منطو (عليه واصحابى) من هذه الملة الاسلامية والسيرة المرضية المحمدية والمراد بالملة هنا وفيما تقدم اصحاب الملة المعتقدون لها العاملون بمقتضاها من اطلاق احد المتجاورين على الآخر لانها تجاورهم بالاعتقاد لها والعمل بها فصح اطلاقها عليهم وان يرادوا بها كما قالوا من هى فاستفهموا عن اصحابها بمن التى تستعمل فيمن يعقل فقال عليه السلام ما انا عليه مجيبا بما التى تستعمل فيما لا يعقل يعنى الملة نفسها وفى كتاب المدخل قال البيهقى قد اخبر سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عما ظهر بعده من اختلاف الامة وحذرهم متابعة اهل الاهواء منهم فيما احدثوا من البدعة وحثهم على متابعة سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده من الصحابة ودلهم بالاشارة الى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية فمن سلك فى دينه سبيلهم ولزم فى متابعة الكتاب والسنة هديهم فازفوزا عظيما ونال حظا جسيما ولعل قائلا يزعم ان المجتهدين من اهل السنة والجماعة اختلفوا ايضا اختلافا كثيرا وتباينوا تباينا شديدا فهم وان اختلف اجتهادهم فيما يسوغ فيه الاجتهاد فقد اجتمعوا من حيث لم يخالف واحد منهم كتابا نصا ولا سنة قائمة ولا اجماعا ولا قياسا صحيحا عنده وان كل واحد منهم قد ادى ما كلف من الاجتهاد واحرز الاجر الموعود على طلب الصواب واختصاص بعضهم باحراز الاجر الآخر الموعود على اصابة العين التى امر بالاجتهاد فى طلبها فضل الله يؤتيه من يشاء والذى لم يصبها غير آثم بالخطأ لانه انما كلف فى الحكم الاجتهاد على الظاهر دون الباطن ولا يعلم الغيب الا الله فهم مع اختلافهم هذا النوع من الاختلاف من اهل السنة والجماعة وانا ارجوا ان لا يؤخذ على واحد منهم انه قصد ان يخالف كتابا نصا ولا حديثا ثابتا ولا قياسا صحيحا عنده ولكن

قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا انه عمد خلافها وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل وقد تكون نازلة ويوجد لها في اصلين شبه فيذهب ذاهب الى اصل والاخر الى اصل غيره فيختلفان ثم بسط الكلام في هذا المقام * الحديث الثالث عشر (ت) يعني روى الترمذي باسناده (عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال لي يابني) هذه حكاية قول انس رضي الله عنه وفي هذا النداء لانس مالا يخفى من الاكرام والتحنن والانس (ان قدرت) اى اقدرك الله تعالى بعنايته وتوفيقه (ان تصبح) يعني في كل صباح طول عمرك (وتمسى) في كل مساء طول عمرك (و) الحال انه (ليس في قلبك) اضمار (غش) بالكسر اسم من غشه لم يمحضه النصح اواظهرله خلاف ما اضمر كغششه والغش الغل والحقد وبالضم الغاش كذا في القاموس (لاحد) بالتنكير ليشمل المؤمن والكافر والصديق والعدو والانسان وغيره (فافعل) كذلك وعود نفسك برياضيتها على ذلك ليطهر قلبك من ادناس الوسواس (ثم قال) النبي صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه (يابني وذلك) يعني سلامة القلب من اضمار الغش لاحد أيما (سنتي) اى سيرتي وطريقتي (ومن احب سنتي) هذه وغيرها ايضا فعمل عليها حتى تخلق بها (فقد احبني) اى كان ذلك دليلا على انه يحبني فان من احب احدا احب جميع افعاله كما قال القسطلاني في مواهبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى اومن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لاشئ اروى لقلبه من عطفه عليه ولاشئ اشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان غذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم اشد عليه من العذاب الجسماني كما ان نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني لاحرمنا الله تعالى ذوق حلاوة هذا الشراب (ومن احبني كان معي في الجنة) يعني اوصلته محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الى النعيم الابدي والرضوان السرمدي فان المرء مع من احب كما ورد في الحديث وليس المراد انه معه في منزلته بل مطلع عليه وكاشف عنه وكل واحد منهما في منزلته لم يتغير عنها قال الشيخ النووي في شرح مسلم عند الكلام على هذا الحديث فيه فضل حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين واهل الخير الاحياء والاموات ومن افضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين

ان يعمل عملهم اذلو عمله لكان منهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال رجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال اهل العربية لما لنفي الماضي المستمر فتدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فانها تدل على الماضي فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم ان تكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه * الحديث الرابع عشر (دز) يعني روى ابوداود والبزار باسناد هما (عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين آتاه عمر) ابن الخطاب رضي الله عنه (فقال) يعني عمر رضي الله عنه (انا نسمع احاديث) جمع حديث وهي اخبار الكتب الماضية (من) اناس (يهود) جمع يهودي وهم الزاعمون انهم الآن من امة موسى عليه السلام (تعجبنا) تلك الاحاديث لما فيها من الحكم والمواعظ (افترى) اي افتنظر (ان نكتب) اي نجمع عندنا (بعضها) لنعتبر به ونتعظ بمعانيه (فقال) صلى الله عليه وسلم (امتهوكون انتم) اي متحيرون قال الجوهري التهوك التحير وفي الحديث امتهوكون انتم قال ابن عون فقلت للحسن ما متهوكون قال متحيرون والتهوك ايضا مثل التحير وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة (كما تهوكت) اي تحيرت (اليهود والنصارى) جمع نصراني وهم الزاعمون انهم الآن من امة عيسى عليه السلام (لقد جئتكم) من عند الله تعالى (بها) اي بتلك الاحاديث التي تعجبكم (بيضاء) اي منيرة مشرقة بالفاظ عربية فصيحة ومعان واضحة راجحة بخلاف تلك الاحاديث التي هي عند اهل الكتاب فانهم تلقوها من انبيائهم باللسان العجمي وتناقلتها فهوم الجاهلية في ايام الفترة فكثفت لطائفها وجهلت معارفها وطمست انوارها وكدرت انهارها (نقية) اي خالصة من شوب الخفاء والالتباس متطهرة من انواع العيوب والادناس بخلاف احاديث اهل الكتاب فانهم لما نقلوها من العجمية الى العربية دنسوها بقبائح كلماتهم وخلطوها بخبائث وساوسهم (ولو كان موسى) بن عمران عليه السلام (حيا) في هذا الزمان (ما وسعه) اي ما جازله (الا اتباعي) ولا يسوغ له ان يستقل بشريعته دوني اذهو صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ورسول المرسلين من حضرة رب العالمين وقد اخذ الله تعالى الميثاق على جميع الانبياء والمرسلين ان كل من لقيه صلى الله عليه وسلم منهم وادرك زمانه يكون تابعاله في شريعته كما قال تعالى * واذ اخذ الله ميثاق النبيين * الآية وقد قدمنا الكلام على هذا المبحث وفي الحديث اشارة الى انه لا يجوز لعالم ولا جاهل ان ينظر في كتب اهل الكتاب اليوم ولا في التوراة والانجيل والزبور والصحائف الموجودة الآن بايدي الكفار ولو بنية الانتصاح والاعتبار كما كره الفقهاء الدخول الى البيعة او الكنيسة لانها مأوى الشياطين وكذلك كتبهم وصحائفهم الآن التي حرفوها وغيروها وبدلوها صارت مشتملة على كلام الشياطين ولهذا جوز بعض الشافعية الاستنجاء بها اذا خلت من ذكر الله تعالى قال الشيخ علوان بن عطية الحموي رحمه الله

تعالى فى كتابه هداية العامل وما حرف من الكتب او نسخ لا حرمة له ولا يجوز الايمان بالمحرف ولا العمل به بل بالغ بعض العلماء فجوز الاستنجاء بالتوارة التى فى ايدى اليهود اليوم وعندى فيه نظر الا ما تحقق تحريفه بالالفاظ الكفرية ونحوها اه وقرأت فى هذا المحل على هامش نسخة من الكتاب المذكور هداية العامل من خط العلامة المرحوم الشيخ شمس الدين الميدانى قال ما ذكره من النظر هو الصواب لان التوراة حق لا شك فيه فاحترامها واجب لانها كلام الله تعالى ونحن الآن شاكون فيها هل بدلت ام لا لا جائز ان يقال بدلت كلها لان فيها ما يجزم الانسان بانه غير مبدل بل يقال بدل بعضها واختلف الائمة هل هو تبديل معنى مع بقاء اللفظ بحاله او تبديل لفظ بلفظ وعلى كل تقدير فقد اشتملت على معظم وغير معظم فاذا لم يتميز المبدل من غيره فنعظمها رجوعا الى الاصل واحتياطا للمعظم الذى لم يبدل ونحرم اهانتها تغليبا للمعظم الذى انبهم علينا انتهى كلامه ويؤيد هذا ان الائمة الحنفية كرهوا للجنب قرأة التوراة وعللوا بنحو ما ذكر قال فى شرح الدرر ويكره له اى الجنب قراءة التوراة والزبور والانجيل اه وقد اخبرنى رجل كان يتردد الى انه دخل مرة كنيسة اليهود فكشفوا له عن صحائف التوراة فاستهان بها حتى انه اغفلهم وبصق فيها وخرج ثم انى رأيته بعد ذلك لم يزل ينكب فى دينه وفى دنياه حتى مات اقبح ميتة وقيل انه قتل نفسه والعياذ بالله تعالى فعلمت انه بسبب اهانته لما ينسب الى الله تعالى من الكلام وان كان محرفا وعرفت سر كراهة علمائنا قراءة التوراة للجنب حثا على الاحترام وتعظيما لما ينسب الى كلام ذى الجلال والاكرام والحاصل انه لا يجوز اهانة هذه الكتب المنسوخة ولا يجوز القراءة فيها ايضا ولا المطالعة * الحديث الخامس عشر (حدز) يعنى روى احمد بن حنبل والبزار باسنادهما (عن مجاهد رضى الله عنه انه قال كنا مع ابن عمر) ابن الخطاب رضى الله عنهما (فى سفر فمر بمكان فحاد) اى اعرض (عنه) اى عن ذلك المكان (فسئل) اى سأله من حضره (لم فعلت ذلك قال) يعنى ابن عمر رضى الله عنهما (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك) يعنى حاد عن ذلك المكان (ففعلت) انا كذلك وهذا من زيادة متابعته للنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع افعاله واعماله واقواله واحواله * الحديث السادس عشر (ز) يعنى روى البزار باسناده (عن ابن عمر) ابن الخطاب (رضى الله عنهما انه كان يأتى شجرة) فى موضع (بين مكة والمدينة فيقيل تحتها) من القائلة وهى نصف النهار قال قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل نام فيه فهو قائل كذا فى القاموس والمعنى انه كان ينام تحت تلك الشجرة وقت القيلولة نصف النهار (ويخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك) وهو يقتدى به ويتابعه فى مثل فعله الذى رآه يفعله حرصا على متابعة السنة المحمدية قال الامام البيهقى فى المدخل ان اباعبدالله الحافظ اخبره باسناده عن ابى جعفر محمد بن على قال لم يكن

احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا اجدران لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من ابن عمر وحدث ايضا باسناده عن مالك عن عبد الله بن عمر انه كان يتبع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك * الحديث السابع عشر (م) يعني روى مسلم باسناده (عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب) اى اعرض (عن سنتي) يقال رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة اراده كارتغب وعنه لم يرده واليه ابتهل وهو الضراعة كذا في القاموس والسنة الطريقة والسيرة تعم الاقوال والافعال والاحوال كما قدمنا (فليس) محسوبا (مني) اى من ملتي وديني لاعراضه عن السنة واتباعه البدعة فان اعرض عنها معتقدا لها فهو مبتدع فاسق وان لم يرها حقا وتهاون بها فهو كافر * الحديث الثامن عشر (حب) يعني روى ابن حبان باسناده (عن عبد الله بن عمر) ابن الخطاب (رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل عمل) من اعمال بني آدم في الخير والشر بظاهره او باطنه (شرة) اى نشاط من شرة الشباب بالكسر نشاطه كذا في القاموس والمعنى ان ابن آدم كلما عمل عملا من الاعمال بقصده واختياره كان له الى ذلك العمل نشاط وحرص شديد ورغبة زائدة في وقت عمله له ولهذا لا يمكن في الغالب ارجاعه عنه بلوم اوتضييق ما لم يرجع هو بنفسه اذا تم نشاطه فيه كما قال الشاعر

لا ترجع الانفس عن غيها * ما لم يكن منها لها زاجر

(ولكل شرة) اى نشاط الى عمل من الاعمال وشدة رغبة فيه من كل احد (فترة) يقال فتر يفتر فتورا سكن بعد حدة ولان بعد شدة وفتر الماء سكن حره وفتر جسمه فتورا لانت مفاصله وضعف كذا في القاموس والمعنى ان كل من غلب نشاطه الى شئ مطلقا واشتدت رغبته فيه لابد ان يضعف منه ذلك النشاط وتزول تلك الرغبة لان النفس جاهلة من اصل خلقتها ولها غفلة ورعونة وطيش في طبيعتها لا تتكلف لشئ من ذلك لانها مجبولة عليه فاذا ظهر لها كمال في شئ من الاعمال وغيرها سواء كان خيرا اوشرا اونفعا اوضرا حالا اوما لا اقبلت على ذلك الشئ ورغبت فيه كمال الرغبة ونشطت اليه ابلغ نشاط ولا يمكنها في ذلك الوقت ان ترجع عنه بوجه مطلقا حتى يتراءى لها في ذلك الشئ وجه من وجوه النقص ولا بد ان يظهر لها ذلك في كل ما هي رغبانة فيه وناشطة اليه كائنا ما كان ذلك الشئ فعند ذلك تذهب رغبتها ويقل نشاطها وتضعف عما كانت فيه من قبل وهذا من كمال جهلها وزيادة رعونتها وحمقها (فمن كانت فترته) اى سكونه من نشاط نفسه وغلبة رغبته في عمل من الاعمال مطلقا (الى سنتي) بان ترك اقباله على كل شئ وانهماكه في كل امر واشتغل بالسنة النبوية

والطريقة المحمدية (فقد اهتدى) اى وصل الى سعادة الدنيا والآخرة (ومن كانت فترته) اى سكون نشاطه وضعف طلبه من عمل من اعماله (الى غير ذلك) اى الى غير السنة بل كان الى البدعة او الى عمل آخر من اعماله وهو معرض عن السلوك فى طريق السنة (فقد هلك) بالضلال فى الدنيا والآخرة وفى الحديث اشارة الى ان مراعات حظوظ النفوس بالنشاط والحرص على المباحات غير مذموم لذاته بل ربما كان محمودا اذا تركه الانسان بعد الاهتمام به والانهماك فيه وعدل الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مراعات ذلك فان له اجر المهاجر من نفسه الى ربه اى من حظ نفسه الى امر ربه كما قال تعالى *واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى* وفيه اشارة ايضا الى ان الله تعالى يقبل العبد المسرف على نفسه اذا ترك ما كان فيه من الخطايا والآثام واقبل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيد بمتابعتها والمحافظة عليها وان كان تركه خطاياه وآثامه سامة منها وفتورا فيها من عدم قبول طبيعته لها وان المقصود الشرعى ترك ذلك والاقلاع عنه كيف ما كان* الحديث التاسع عشر (طك حب حك) يعنى روى الطبرانى فى المعجم الكبير وابن حبان والحاكم باسنادهم (عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم) يقال لعنه اى طرده وابعده فهو لعين وملعون والمعنى دعوت الله تعالى ان يطردهم ويبعدهم عن رحمته فقول الانسان عن غيره لعنه الله دعاء منه بان الله لا يرحمه ضد قوله عنه رحمه الله وهو الدعاء بان الله تعالى يرحمه وما ساغ ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم الا بعد علمه بلعن الله تعالى لهم ولهذا قال (ولعنهم) اى طردهم (الله) تعالى وابعدهم عن رحمته ويجوز للانسان لعن من لعنه الله تعالى كابليس والكافرين والظالمين واما من لم يلعنهم الله تعالى فلا يجوز لعنهم روى الامام النووى فى رياض الصالحين عن ابى زيد ثابت ابن الضحاك الانصارى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيمة وليس على رجل نذر فيما لا يملك ولعن المؤمن كقتله متفق عليه وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغى لصديق ان يكون لعانا رواه مسلم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة رواه مسلم وعن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذى لعن فان كان اهلا والا رجعت الى قائلها رواه ابوداود وهذا كله فى لعن معين لم يرد عن الله لعنه بعينه ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم واما لعن غير المعينين من اصحاب المعاصى فهو جائز قال تعالى * الا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى * فاذن مؤذن بينهم

ان لعنة الله على الظالمين وثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل الربا وانه لعن المصورين وانه قال لعن الله من غير منار الارض اى حدودها وانه قال لعن الله السارق يسرق البيضة وانه قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وانه قال من احدث فيها حدثا اوآوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وانه قال اللهم العن رعلا وزكوان وعصية عصوا الله ورسوله وهذه ثلاث قبائل من العرب وانه قال لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وانه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الالفاظ فى الصحيح بعضها فى صحيح البخارى ومسلم وبعضها فى احدهما وفى شرح صحيح مسلم للامام النووى رحمه الله تعالى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انما انا بشر فاى المسلمين لعنته اوسببته فاجعله له زكاة واجرا وفى رواية اوجلدته فاجعلهاله زكاة ورحمة وفى رواية فاى المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلهاله صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة وفى رواية انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن آذيته اوسببته اوجلدته فاجعلها له زكاة وقربة وفى رواية انى اشترطت على ربى فقلت انما انا بشر ارضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايما احد دعوت عليه من امتى دعوة ليس لها باهل ان يجعلهاله طهورا وزكاة وقربة هذه الاحاديث مبينة ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على امته والاعتناء بمصالحهم والاحتياط لهم والرغبة فى كل ما ينفعهم وهذه الرواية المذكورة آخرا تبين المراد بباقى الروايات المطلقة وانه انما يكون دعاؤه عليه كفارة ورحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه وكان مسلما والافقد دعى صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك بهم رحمة فان قيل فكيف يدعو على من ليس هو باهل للدعاء عليه اويسبه او يلعنه فالجواب ما اجاب به العلماء ومختصره وجهان احدهما ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية ويكون فى باطن الامر ليس اهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والثانى ان ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب فى فصل كلامها بلا نية كقوله تربت يمينك ولا كبرت سنك * وفى حديث معاوية لا اشبع الله بطنه ونحو ذلك لا يقصدون بشئ من ذلك حقيقة الدعاء فخاف صلى الله عليه وسلم ان يصادف شئ من ذلك اجابة فسأل ربه سبحانه وتعالى ورغب اليه ان يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا واجرا وانما كان يقع منه هذا فى النادر والشاذ من الازمان القليلة ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه واما قوله صلى الله عليه وسلم اغضب

كما يغضب البشر فقد يقال ان السب ونحوه كان بسبب الغضب وجوابه ماذكره المازرى رحمه الله تعالى قال يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم ارادان دعاءه وسبه وجلده كان مما تخير فيه بين امرين احدهما هذا الذى فعله والثانى زجره بامر آخر فحمله الغضب لله تعالى على احد الامرين المخير فيهما وهوسبه اولعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجا عن حكم الشرع والله اعلم (وكل نبى) من انبياء الله تعالى عليهم السلام (مجاب الدعوة) يعنى بعين مادعى من غيرتأخير الى الآخرة والافكل مؤمن مجاب الدعوة كما قال تعالى * ادعونى استجب ولكن اما بعين مادعى او باعلى منه او بادنى منه فى الحال او بعد الحال اوفى الآخرة على حسب ماتقتضيه الحكمة الالهية بل دعاء الكافر مجاب ايضا كما قال ابليس اجعلنى من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فاستجاب الله له وجعله من المنظرين واما قوله تعالى *وما دعاء الكافرين الافى ضلال *فهو اخبار منه تعالى انهم لايدعون فيما هو هدى لهم والله تعالى مجيب لهم ايضا فيما يدعونه فهو يضلهم بدعائهم على حسب مشيئته تعالى فان قلت حيث كان كل نبى مجاب الدعوة فلماذا لم تقع الاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه ان يجعل الله تعالى حساب امته اليه يوم القيمة كما ورد فى حديث الاسيوطى فى الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان يجعل حساب امتى لى لئلا تفتضح عند الامم فأوحى الله عزوجل الى يامحمد بل أنا احاسبهم فان كان منهم زلة سترتها عنك لئلا يفتضحوا عندك حتى ذكر الشارح المناوى قال ابن العربى وفيه ان المصطفى صلى الله عليه وسلم فى اصل الاجابة كسائر المسلمين فى انه يجوزان يعطى مادعى فيه وان يعرض عما سأل فالجواب ان الله تعالى اذاجعل حساب امته اليه سبحانه فان كان منهم زلة سترها لئلا يفتضحوا عند نبيهم صلى الله عليه وسلم ايضا فهذه اجابة لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم على ابلغ وجه طلبه من الله تعالى لان مراده صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى يجعل حساب امته اليه لئلا يفتضحوا يوم القيمة عند الامم كما علل بذلك سؤاله فاعطاه الله تعالى مراده من سؤاله بابلغ مما سأل ولم يفتضحهم عنده ايضا فان حلم الله تعالى اوسع ورحمته اعم ومغفرته اشمل فقد يضيق صدره صلى الله عليه وسلم لكونه بشرا فلا يحتمل قبائح العصاة اذا عرضت عليه فيشدد فى الحساب عليهم يوم القيمة وان طلب ذلك فى الدنيا من الله تعالى لانه لم يطلع عليهم تفصيلا مثل اطلاع الله تعالى فبقى العموم على اصله فى ان كل نبى مجاب الدعوة كما ذكرنا وكلام ابن العربى معناه جواز الاعراض عما سأل النبى صلى الله عليه وسلم لا وقوع ذلك وجواز الاعراض عن خصوص ماطلب لاعمومه وفى هذا الحديث الاجابة باعلى ماطلب ثم اعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم ولعنهم الله يحتمل ارادة الاخبار عن الله تعالى انه لعنهم كما ذكرنا فالواو للعطف ويحتمل انشاء اللعن عليهم من النبى صلى الله عليه وسلم فالواو للاستئناف ويناسبه الاخبار بعده بان كل نبى مجاب الدعوة فمعناه ان دعوتى بلعنهم مستجابة

ولابد وقوله وكل نبي مجاب الدعوة محتمل ايضا ان تكون الواو للحال من فاعل لعنتهم وان تكون للعطف عليه والمعنى ان كل نبي مجاب الدعوة لعنهم ايضا ويبقى قوله مجاب الدعوة صفة كاشفة لنبي كقوله تعالى *يحكم بها النبيون الذين اسلموا* فان النبيين كلهم اسلموا وليس منهم من لم يسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الستة الذين لعنهم فقال الاول منهم (الزائد) يعني الذي زاد (في كتاب الله) تعالى ما ليس منه عامدا متعمدا بان وضع كلمة مثلا زائدة وعلمها لمن لم يقرأ القرآن بعد او كتب كلمة زائدة في المصحف وادخلها في كلام الله تعالى او اخترع كيفية عمدا وقرأ بها آية من كتاب الله تعالى اوزاد حكما من احكام الله تعالى بمجرد قياس عقله وطبعه كمن حرم مالم يحرمه الله تعالى في كتابه او اباح مالم يبحه الله تعالى في كتابه ولايدخل في ذلك من حرم او اباح بالسنة او الاجماع او القياس في حق المجتهد فانه حكم بالكتاب ايضا لانها منه كما قدمنا وكذلك من اخترع بعقله ورأيه معنى لآية من كتاب الله تعالى لايليق بالشريعة كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال العلماء النهي عن القول في القرآن بالرأي انما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وماهو تابع لهواه وهذا لايخلوا اما ان يكون عن علم اولا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها ومابعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعى صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان اكثر مانقل عنه التفسير كذا قاله ابو محمد الخازن في اول تفسيره (و) الثاني (المكذب بقدر الله) اي الذي يقول لاقدر وان الامر انف اي لم يطرقه احد من قولهم روضة انف بضمتين قال الجوهري روضة انف بالضم اي لم يرعها احد والكلاء الانف الذي لم يرع وفي حواشي شرح السنوسية للعلامة الشيخ احمد المقري رحمه الله تعالى قال الابي القدر بالفتح والسكون مصدر قدرت الشيء اذا احطت بمقداره وهو

فى عرف المتكلمين عبارة عن تعلق علم الله تعالى وارادته ازلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث الا وقد قدره سبحانه وتعالى ازلا اى سبق به علمه وتعلقت به ارادته وزعم كثير ان معنى القدر جبرالله تعالى العبد على ما قدره وقضاه وليس كذلك والقول بالقدر عقيدة اهل الاسلام اجمع الى ان ظهرت هذه الطائفة المسماة بالقدرية آخر زمان الصحابة فقالوا لا قدر وانما الامر انف حتى ان الله تعالى لا يعلم الاشياء قبل وجودها وانما لا يعلمها بعد ان تقع ومعبد الجهنى هو اول من قال بالقدر وغيلان لدمشق واكثر مذهبهم مبنى على منزع الفلاسفة الا الالهيات لكن لقبحه رجعت جميع طوائفهم عنه مع بقائهم على اصل الاعتزال من اثبات منزلة بين المنزلتين ويسمونه عدلا ونفى الصفات الذى اطبقت طوائفهم عليه واخذوه ايضا من الفلاسفة ويسمونه توحيدا ليدروا بذلك عن انفسهم اسم المجوسية التى سماهم بها الشرع فى قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وزعموا ان القدر المذموم المعنى فى الحديث انما هو القدر الاول وليس المعنى فى الحقيقة الاهم فانهم شاركوا المجوس فى التنوية فى اثبات فاعل غير الله تعالى حيث قالوا العبد يخلق افعاله والخير من الله والشر من غيره اه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم عنهم ايضا بما يلزمهم معنى المجوسية الوارد فى الحديث المذكور كما اخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون فى امتى اقوام يكذبون بالقدر فقال الشارح المناوى اى لا يصدقون بان الله تعالى خلق افعال عباده كلها من خير وشر وكفر وايمان واخرج الاسيوطى ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال المناوى رحمه الله تعالى فى شرحه لان من قطع بان الخلق لو اجمعوا كلهم على ان ينفعوه لم ينفعوه الا بشئ قدره الله له ولو اجمعوا على ان يضروه لم يضروه الا بشئ قدره عليه وطرح الاسباب فقد استمسك باعظم العرى واستنار قلبه وانشرح صدره وايقن بان العبد لا يعلم مصلحته الا ان اعلمه الله اياها ولا يقدر على تحصيلها حتى يقدره الله عليه ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه ارادة ومشيئة فعاد الامر كله من ابتدئ منه وهو الذى بيده الخير كله واليه يرجع الامر كله قيل وفى التقدير بطلان التدبير والمرء طالب والقضاء غالب والقضاء يبعد القريب ويقرب البعيد اه وفى مختصر شرح الامام النووى على صحيح مسلم قال اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات القدر وهو انه سبحانه وتعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه انها ستقع فى اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها فى سابق علمه وانها مستأنفة العلم اى يعلمها سبحانه بعد وقوعها كذبوا تعالى ربنا وتقدس عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة القدرية لانكارهم القدر وقد انقرضت هذه الفرقة وصارت القدرية فى هذه

الازمان تعتقد ان الخير من الله والشر من غير تعالى الله عن ذلك قال امام الحرمين فى ارشاده ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر وهذا جهالة وتواقح فاننا بحمد الله تعالى نفوض امورنا الى الله تعالى ونضيف جميع الامور الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونها الى انفسهم ومضيف الشئ الى نفسه اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره قال امام الحرمين وقد قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس الخير الى يزدان والشر الى اهرمن وهذا الحديث اخرجه ابوداود واخرجه الحاكم فى المستدرك على شرط الصحيحين وقال الخطابى التشبيه من حيث ان المجوس اضافت الخير الى النور والشر الى الظلمة ثم قال وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد على ماقضاه وليس كذلك وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من افعال العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لخيرها وشرها والمقدر اسم لمصدر مقدرا عن فعل القادر وقدر بتخفيف الدال وتشديدها (و) الثالث (المتسلط) من التسليط وهو اطلاق القهر والقدرة والسليط الشديد واللسان الطويل والطويل اللسان وقد سلط ككرم وسمع سلاطة وسلوطة بالضم كذا فى القاموس والمعنى المطلق قهره وقدرته او المطلق لسانه بالسب والشتم (على امتى) امة الاجابة والمعاهدين من امة الدعوى (بالجبروت) اى بالتكبر والباطل والغرور (ليذل) من امتى له اولغيره اومطلق الذلة (من اعز الله) اى جعله الله تعالى عزيزا بعلم اودين وصلاح اومنصب دنيوى اومال حلال اومعرفة صنعة اوفراسة وحذق اوحسن خلق اوخلقة اونحو ذلك (ويعز) من الامة ايضا اى يجعل عزيزا عنده اوعند غيره (من اذل الله) اى جعله الله تعالى ذليلا بسبب الجهل اوفساد الدين اوقلة العمل بالعلم اوسوء الخلق ويدخل فى ذلك اعوان الظلمة الذين لم يقصدوا بخدمة الحكام نصرتهم فى تنفيذ الاحكام الشرعية (و) الرابع (المستحل) اى الذى يستحل يعنى يستبيح (لحرم الله) بالفتحتين وهو حرم مكة حرم الله ورسوله يعنى الموضع الذى يحترم لاجل الله ورسوله فلا تهتك فيه حرمة الله ورسوله قال فى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح الحرم حرم مكة ومقداره من قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثانى اثنى عشر ميلا ومن الجانب الثالث ثمانية عشر ميلا ومن الجانب الرابع اربعة وعشرون ميلا هكذا قال الفقيه ابوجعفر وذكر ان الحجر الاسود اخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرما محترما فيعظمه بأبلغ مايقدر عليه من التعظيم واعلم المواقيت الخمسة التى وقتها النبى صلى الله عليه وسلم وعينها للاحرام فناء للحرم وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى ومن قصد مكة سواء كان للزيارة اوغيرها لايحل له التجاوز من هذه الافنية غير محرم تعظيما له الا اذا كان القاصد من داخل الميقات فيحل له ان يدخل مكة بلا احرام لحاجة

غير الحج والعمرة وجاء فى الاثر ان الله تعالى ينظر فى كل ليلة الى اهل الارض فاول من ينظر اليهم اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم اهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه نائما مستقبل القبلة غفر له ولا يحل لاحد ان يحمل فيه سلاحا للمحاربة مع المسلمين اما حمل السلاح للبيع والمحاربة مع الكفار فيجوز كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم للفتح ولا يجنى فيه جناية على النفس ومادونها ولا يؤذى فيه مسلما واذا اراد ان يأكل او يقضى حاجته من البول والتغوط خرج الى الحل ان استطاع الخروج والا فالى مقدار مايستطيع عليه لماروى فى حق كل منهما من الاحاديث والآثار حكى ان عمر بن عبد العزيز وامثاله من الامراء كان يضرب فسطاطين فسطاطا فى الحرم وفسطاطا فى الحل فاذا اراد ان يصلى او يعمل شيئا من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام واذا اراد ان يتكلم او يأكل اوغير ذلك خرج الى فسطاط الحل كذا فى الخالصة ولا يطيل بمكة الاقامة فيسأم من مجاورة الحرم او يقصر فى تعظيمه ولهذا كان عمر الفاروق رضى الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم وتكره اطالة المجاورة فيها عند ابى حنيفة رضى الله عنه خلافا لهما ولا تظنن ان كراهة ذلك تناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع وفى الاشباه والنظائر فى احكام الحرم لا يدخله احد الا محرما وتكره المجاورة فيه ولا يقتل ولا يقطع من فعل خارجه والتجأ به ويحرم التعرض لصيده ويجب الجزاء بقتله ويحرم قطع شجره ورعى حشيشه الا الاذخر ويسن الغسل لدخوله وتضاعف فيه الصلوات وحسناته كسيئاته ويؤاخذ فيه بالهم ولا يسكن فيه كافر وله الدخول فيه ولا تمتع ولا قران لمكى وتختص الهدايا به ويكره اخراج حجارته وترابه وهو مساو لغيره عندنا فى اللقطة والدية على القاتل فيه خطأ ولا حرم للمدينة فلا يثبت له هذه الاحكام الا اثنان الغسل لدخولها وكراهة المجاورة بها اه وذكر والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام قال فى الحقائق لا حرم للمدينة عندنا وعند الشافعى رحمه الله تعالى لها حرم ثم اتفقت اقاويله انه لا يباح قتل صيد حرم المدينة ولا قطع اشجاره واختلفت اقاويله فى وجوب الجزاء وفى المصفى والاصل ان اثبات الشرع بالرأى لا يجوز فلا يجوز الحاق حرم المدينة بحرم مكة بالرأى حتى لا يجوز اخذ صيده واما قوله عليه الصلاة والسلام ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة وانا احرم المدينة فمعناه اجعل لها حرمة وذكر بعد ذلك فى بيان الحرم المكى قال ذهب جماعة من السلف الى ان السيئات تتضاعف بمكة كما تتضاعف الحسنات منهم ابن عباس وابن مسعود ومجاهد واحمد بن حنبل وغيرهم لتعظيم البلد والعذاب على الهم بالسيئات بها وان لم يفعلها قال تعالى * ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم * ولهذا تعدى فعل الارادة بالباء لتضمن معنى هم وهذا مستثنى

من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها كل ذلك تعظيما لحرمته ولذلك اهلك الله اصحاب الفيل قبل الوصول الى بيته وقال احمد بن حنبل رضى الله عنه لوان رجلاهم ان يقتل فى الحرم اذاقه الله تعالى من العذاب الاليم ثم قرأ الآية وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل الامكة وقرأ الآية وتورع بعضهم عن قضاء الحاجة بمكة وكان يتأول انها مسجد وهذا التأويل مردود بالاجماع وبفعله عليه السلام واصحابه والسلف نعم روى الطحاوى فى تهذيب الآثار من حديث ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة كان اذا اراد حاجة الانسان خرج الى المغمس وهو على ميلين من مكة رواه الطبرانى فى الاوسط من طريق آخر اه ووجدت فى كتاب مشارق الانوار القدسية فى العهود المحمدية للشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى قال سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص من العلماء اراد الحج اياك يا اخى ان تجاور فى مكة اوالمدينة فتعجز عن القيام بآدابهما فيصدق عليك المثل حججت ومعك خرج وزر فرجعت وفوق ظهرك الف خرج اوزارا ى لان تبعات كل من تستغيبهم تجعل وحدها يوم القيمة فكأنها خرج وحدها فقال له ياسيدى اسمحوا لى بالمجاورة فقال لا اسمح لك الا ان كنت تدخل على الشروط فقال له وما الشروط فقال الشيخ منها انك لاتدخر قط فيها قوتا ولادراهم مدة اقامتك فيها ومنها ان لا تأكل قط طعاما وحدك وانت تعلم ان فيها احدا جائعا فى ليل اونهار ومنها ان تلبس الهدم والخليقات ولاتلبس سيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع ومنها ان لاتحن مدة اقامتك الى رجوعك الى بلدك ابدا ولاتشتاق الى دار ولا ولد ولاالى وظيفة ولاالى اخوان فى غيرمكة لانك فى حضرة الله الخاصة ولايؤاخذ منك الاقلبك وقلبك خرج من حضرته فبقيت فى حضرته جسما بلا قلب ومنها ان لايطرقه مدة قامته هلع ولارايحة اتهام للحق تعالى من امر رزقه ولايخاف ان يضيعه ابدا لان اهل حضرته تعالى لايجوزلهم ذلك بل ربما مقت صاحب الاتهام وطرد من حضرة الله تعالى لسوء ادبه وضعف يقينه وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من حين كان فى بطن امه الى ان شابت لحيته وهذا من اقبح مايكون مع ان تلك الارض تعطى ساكنها بالخاصية الهلع والاتهام للحق فى امر الرزق حتى لايكاد يسلم من ذلك الاكابر الاولياء ومن هنا كره الاكابر الاقامة بمكة ومنها ان لايخطر فى نفسه مدة اقامته هناك معصية ابدا ولو بعد الوقوع من مثله فكيف بقريب الوقوع ومن هنا سافر الاكابر من الاولياء بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لاجل ذلك وكان الشعبى رضى الله عنه يقول لان اقيم فى حمام احب الى من ان اقيم بمكة وكان يقول لان اكون مؤذنا بخراسان احب الى من ان اقيم بمكة خوفا ان يخطر فى نفسى ارادة ذنب ولولم افعله فيذيقنى الله من عذاب اليم لقوله تعالى * ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم * وهذا خاص بالحرم المكى

فهو مستثنى من حديث ان الله تجاوز عن امتى ما حدثت به انفسها مالم تعمل وقد قالوا
لابن عباس رضى الله عنهما لما سكن الطائف لم لاتقيم بمكة فقال لا اقدر على حفظ
خاطرى من ارادة ظلمى للناس اوظلمى لنفسى فكيف لووقعت فى الفعل فان الله تعالى
لم يتوعد احدا على مجرد ارادته السوء دون الفعل له الا بمكة فقال الشخص ياسيدى
التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور (و) الخامس (المستحل) اى المستبيح بمعنى المنتهك
(من عترتى) وهى بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون ممن مضى ومن
سيأتى والمعنى من ذريتى ومن اهل بيتى الثابت نسبهم بطريق التواتر او الشهرة اوحكم
الحاكم كأن صار واقعة شرعية وثبت بالبينة والافهو مظنون محترم على الظن
(ما) اى فعلا اوقولا اوظنا (حرم الله) اى حكم الله تعالى بحرمته كالزانى بهم اوالقاذف
لهم اوالشاتم اوالذى ظن بهم سوأ اواغتابهم اوظلمهم اونحو ذلك فان اثمه ابلغ من اثم من فعل
ذلك مع غيرهم لهذا الحديث حيث آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايذاء ذريته
(و) السادس (التارك لسنتى) الفعلية اوالقولية اوالاعتقادية اوالحالية وهى السنن
المؤكدات دون الزوائد والمستحبات واخرج البيهقى هذا الحديث ايضا فى المدخل
برواية اخرى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة
لعنتهم لعنهم الله وكل نبى مجاب الزائد فى كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت
ليذل بذلك من اعز الله و يعز من اذل الله والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتى
ماحرم الله والتارك لسنتى واخرجه ايضا باسناده الى عبيدالله بن عبد الرحمن بن موهب
قال سمعت على بن الحسين يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة لعنتهم لعنهم الله
وكل نبى مجاب فذكر الحديث بتمامه * الحديث العشرون (خم) يعنى روى البخارى
ومسلم باسنادهما (عن انس رضى الله عنه انه قال قال) يعنى النبى (صلى الله عليه وسلم
لايؤمن) اى يصدق بالحق الذى جئت به ظاهرا و باطنا ويذعن له و ينقاد اليه
(احدكم) ابدا (حتى اكون احب) اى اكثر حبا (اليه) فى الظاهر والباطن
(من والديه) اى ابيه وامه الذى تولد هو منهما فهما اصله (و) من (ولده)
ايضا الذى تولد منه ذكرا كان اوانثى فهو فرعه (و) من (الناس) اى بقية
قرابته والاجانب عنه من اصحابه وغيرهم (اجمعين) تأكيد للكل من والديه وولده
والناس فان الوالد والوالدة وان لم يطلقا على الجد والجدة يراد بهما الاب والام
فيشملان الاجداد والجدات كما قال تعالى * يابنى آدم * وهو جدهم وقال لشاعر * الناس
من جهة التكريم اكفاء * ابوهم آدم والام حواء * معان حواء جدتهم وكذلك
الولد شامل للابن وابن الابن وان سفل والبنت و بنت البنت وان سفلت قال الامام
القرطبى فى شرح مسلم عند الكلام على حديث لايؤمن عبد حتى اكون احب اليه
من اهله وماله والناس اجمعين هذا الحديث على ايجازه يتضمن ذكر اصناف المحبة

فانها ثلاثة محبة اجلال واعظام كمحبة الوالد والعلماء والفضلاء ومحبة رحمة واشفاق كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة غير من ذكرنا وان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد ان تكون راجحة على ذلك كله وانما كان ذلك لان الله تبارك وتعالى قد كمله على جميع جنسه وفضله على سائر نوعه بما جمله عليه من المحاسن الظاهرة والباطنة وبما فضله به من الاخلاق الحسنة والمناقب الجميلة فهو اكمل من وطئ الثرى وافضل من ركب ومشى واكرم من وافى القيمة واعلاهم منزلة فى دار الكرامة قال القاضى ابو الفضل فلا يصح الايمان الا بتحقيق انافة قدر النبى صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن وظاهر هذا القول انه صرف محبة النبى صلى الله عليه وسلم الى اعتقاد تعظيمه واجلاله ولاشك فى كفر من لا يعتقد ذلك غير ان تنزيل هذا الحديث على ذلك المعنى غير صحيح لان اعتقاد الاعظيمة ليس بالمحبة ولا الاحبية ولا مستلزما لها اذ قد يجد الانسان من نفسه اعظام امر او شخص ولا يجد محبته ولان عمر رضى الله عنه لما سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه وولده ووالده والناس اجمعين قال يارسول الله انت احب الى من كل شئ الا نفسى فقال ومن نفسك ياعمر فقال ومن نفسى فقال الآن ياعمر وهذا كله تصريح بان هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل الى المعتقد تعظيمه وتعلق القلب به فتأمل هذا الفرق فانه صحيح ومع ذلك فقد خفى على كثير من الناس وعلى هذا فمعنى الحديث والله اعلم ان من لم يجد من نفسه ذلك الميل وارجحيته للنبى صلى الله عليه وسلم لم يكمل ايمانه على انى اقول ان كل من صدق النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به ايمانا صحيحا لم يخل عن وجدان شئ من تلك المحبة الراجحة للنبى صلى الله عليه وسلم غير انهم فى ذلك متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك الارجحية بالحظ الاوفى كما قد اتفق لعمر رضى الله عنه حين قال ومن نفسى ولهند امرأة ابى سفيان حين قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لقد كان وجهك ابغض الوجوه كلها الى فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الى الحديث وكما قال عمرو بن العاص لقد رأيتنى وما احد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل فى عينى منه وما كنت اطيق ان املأ عينى منه اجلالا له ولو شئت ان اصفه ما اطقت لانى لم اكن املاء عينى منه ولاشك فى ان حظ اصحابه من هذا اعظم لان معرفتهم لقدره اعظم لان المحبة ثمرة المعرفة فتقوى وتضعف بحسبها ومن المؤمنين من يكون مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات عن ذلك المعنى فى اكثر الاوقات فهذا باخس الاحوال لكنه اذا ذكر بالنبى صلى الله عليه وسلم او بشئ من فضائله اهتاج لذكره واشتاق لرؤيته بحيث يؤثر رؤيته بل رؤية قبره ومواضع آثاره على اهله وماله وولده ونفسه والناس اجمعين فيخطر له هذا ويجده وجدانا لاشك فيه غير انه سريع الزوال والذهاب لغلبة الشهوات

وتوالى الغفلات ويخاف على من كان هذا حاله ذهاب اصل تلك المحبة حتى لايوجد
منها حبة فنسأل الله الكريم ان يمن علينا بدوامها وكمالها ولايحجبنا عنها آمين
وفى مختصر شرح النووى على مسلم عند الكلام على هذا الحديث قال الخطابى لم يرد به
حب الطبع بل اراد به حب الاختيار اذ حب الطبع لايمكن قلبه فمعناه لاتصدق فى حبى حتى
تفنى فى طاعتى نفسك وتؤثر رضاى على هواك وان كان فيه هلاكك ومعنى الحديث
ان من استكمل الايمان علم ان حقه صلى الله عليه وسلم آكد من حق ابيه وابنه والناس
اجمعين وكيف وقد استنقذنا من النار وهدانا الى الصراط المستقيم ومن محبته نصرة سنته
وتأييد شريعته واجلالها وتعظيمه التعظيم اللائق ولايصح الا بتحقيق اعلاء قدر النبى
صلى الله عليه وسلم على كل والد وولد ومحسن ومفضل وقال ابن اقبرس فى شرح
الشفاء محبته صلى الله عليه وسلم هى الواجب الفرض الثابت الصحيح المرضى اذ لايكون
المؤمن مؤمنا دون محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك واجب عقلا وشرعا
اما عقلا فان جميع ما كان عليه قولا وفعلا امرا ونهيا مستحسن فى العقول وقد علم
ذلك عقلا للكفار كهرقل حيث سأل ابا سفيان فى قوله فماذا يأمركم به الحديث فى اول
صحيح البخارى هذا من جهة معناه واما صورة فكما ثبت انه احسن خلق الله صورة
فكان كاملا صورة ومعنى ولاشك فى كون ذلك من دواعى المحبة واسبابها من جهة
الفعل ولايخالف عاقل فى ذلك فان النفوس مجبولة على حب الصور الحسان والمعانى
الجليلة المتصورة فى الاذهان واما شرعا فبالكتاب والسنة اما الكتاب فقوله تعالى * قل
ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها * الآية
وفيها دلالة وحجة على الزام المحبة ووجوبها وعظم خطرها واما السنة فبالاحاديث
الواردة فى ذلك وقال الشيخ القسطلانى فى المواهب اللدنية روى ابو هريرة رضى الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لايؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده
رواه البخارى وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفى رواية
البخارى والنسائى تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد فى رواية عبد العزيز
ابن صهيب عن انس والناس وفى صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده
وذكر الوالد والولد ادخل فى المعنى لانهما اعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما
يكونان اعز من نفسك ولذا لم يذكر النفس فى حديث ابى هريرة وذكر الناس بعد الوالد
والولد من عطف العام على الخاص (الفصل الثانى) من الفصول الثلاثة من الباب الاول
(فى) بيان اقسام (البدع) وذكر احكامها وهى جمع بدعة خلاف السنة اسم للاعتقاد
المخالف والعمل المخالف والقول المخالف والاصل فيه ان الله تعالى لم يخلق المكلفين
الا لعبادته كما قال تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * والعبادة هى الذل للمعبود
وذلك بترك الدخول تحت احكام العقول ومقتضيات الطباع من التحسينات والتقبيحات

واسلام النفس بالكلية لربها تستحسن ما استحسنه لها ربها وتستقبح ما استقبحه منها وقد آمنت برسوله الصادق وكتابه المنزل بالحق فلزمها ان تدخل تحت تصرفات احكام الكتاب والسنة فتى اخترعت امرا مطلقا فقد خرجت عن العبودية لله تعالى وانفصلت عن مقتضى الاسلام وبرئت من حب الكتاب والسنة فان كان ذلك الامر فى الاعتقاد فان اوجب جحود مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة كانت بدعة مكفرة وان لم يكن فى الاعتقاد بل فى مجرد القول او العمل فهو الفسق ان اوجب فعل محرم او ترك فرض وسيأتى لهذا زيادة بيان ان شاء الله تعالى فى هذا الفصل والدليل على قبح البدع والنهى عنها (الاخبار) الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم وهى ستة احاديث

* الحديث الاول (خم) يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احدث) اى ابتدأ واخترع (فى امرنا) اى شأننا وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم (هذا) اشار اليه من كمال استحضاره وشرف منزلته عنده وشدة ظهوره له ومنه بحيث صار كأنه امر محسوس يشار اليه (ما) اى اعتقاد او قول او فعل او حال او زيادة فيما شرع من ذلك او نقصان منه ومعنى الاحداث فيه ادراجه فى جملة احكامه ورجاء الثواب عليه (ليس منه) اى من امرنا المذكور بان كان ليس من مقصود الشرع ولم يكن فيه داعية الى اقامة مقصود الشرع (فهو) اى ما احدثه مما ذكرنا (رد) اى صرف منه لامرنا وعدم ايمان به وتخطئة له اوهو مصدر بمعنى اسم المفعول مبالغة اى مردود عليه غير مقبول منه وفيه اشارة الى ان البدع اذا لم تكن فى الدين والعبادة بان كانت فى العادة لم تكن ردا نحو البدع فى المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمساكن مما لم يقصد بها فاعلها التقرب الى الله تعالى بل مراده مجرد الاستعمال مالم يترتب عليها ترك طاعة شرعية او فعل امر منهى عنه كما اذا ادى لبس العمامة الكبيرة الى عدم التمكن من السجود فى الصلاة او اقتضى نفى الخشوع فيها وكذلك اذا اشتغل الخاطر عن الطاعة بلبس الثياب الجميلة او ادى الى رياء وعجب ونحو هذا فيكره حينئذ فعل ذلك (وفى رواية) اخرى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عمل عملا) بقلبه او بجوارحه او بلسانه او بكله بان اعتقد او فعل او قال او تخلق بامر (ليس عليه امرنا) اى شاننا يعنى شرعنا المحمدى (فهو رد) علينا او عليه كما ذكرنا

* الحديث الثانى (خ) يعنى روى البخارى باسناده (عن الزهرى رضى الله عنه قال دخلت على انس) بن مالك رضى الله عنه (وهو) الواو للحال اى والحال ان انسا رضى الله عنه (يبكى فقلت ما) يعنى اى شئ (يبكيك) يا انس (قال لا اعرف) يعنى الان (شيئا مما) اى من الاشياء العظيمة التى (ادركت) اى ادركتها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدير الكلام فبقى من غير تغيير عما كنت ادركته (الا هذه

الصلاة) اى جنسها فيشمل الفرض والواجب والنفل اشار اليها لاستحضارها فى ذهنه وتعظيم امرها عنده لانها تالية الايمان (و) الحال ان (هذه الصلاة قد ضيعت) بالضم والتشديد اى ضيعها الناس فلم يأتوا بها على الوجه الاكمل من اتمام شروطها واركانها وواجباتها وسننها ومستحباتها وآدابها وترك مفسداتها ومكروهاتها ومراعات خشوعها والحضور فيها وجمع القلب عليها من غير التفات فيها الى غيرها كما قال تعالى * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا * قال العز بن عبد السلام فى تفسيره خلف اولاد سوء وبالفتح للمدح قيل هم من هذه الامة من بنى المشيد وركب الذلول ولبس المشهور واضاعوا الصلاة اخروا اوتركوا اوحدودها اوشروطها وهو اسم الجنس وقرأ الحسن بالجمع وغيا جزاء اوخسرانا اوعذابا وشرا اوضلالا اوخيبة وقيل واد فى جهنم وقال الخازن اضاعوا الصلاة اى تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهوان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس وقال ابو عبد الرحمن السلمى قال محمد بن حامد اولئك قوم حرموا تعظيم الانبياء والاولياء والصديقين فحجبهم الله تعالى عن معرفته واصابتهم شقاوة تلك الحال فاضاعوا الصلاة التى هى محل الوصلة للعبد مع سيده ترسموا بها ولم يتحققوا واتبعوا آراءهم واهواءهم فاصابهم الخذلان وحرموا بذلك السعادة واثر الشقاوة على العبيد هو حرمان الخدمة وتعظيم من عظم الله حرمته اه وخلاصة المعنى فى هذا الحديث هو بكاء انس رضى الله عنه على اضاعة الصلاة بالزيادة فيها والنقصان منها مما هو خلاف السنة التى كان يعهدها فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة السنة هو البدعة وفيه الحث على اظهار الاسف والحزن عند انتهاك حرمات الشرع وعدم رضاء المؤمن بذلك وفيه عدم تعيين احد فى انكار المنكر وتعميم الانكار وستر قبايح المسلمين المعيّنين فان انسا رضى الله عنه ما بكى من ذلك الا بعد رؤيته فى انسان معين اوجماعة معيّنين ولم يذكرهم ولم يبيّنهم وانما انكر منكرهم على مقتضى ما يعرفه من كيفية انكار المنكر على وجه السنة لا البدعة المخترعة من جهال العلماء فى هذا الزمان وقدمر غير مرة التنبيه على ذلك * الحديث الثالث (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن غضيف بن الحارث رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من امة) اى جماعة من المسلمين (ابتدعت) واستحدثت (بعد ذهاب (نبيها) عنها وتباعد عهد سنته حتى يمكنها ذلك (فى دينها) الذى تدين الله تعالى به اى تطيعه فيه وهو شريعتها وملتها احتراز عن الابتداع فى امور الدنيا كالبدع فى العادة وهى التى لا يقصد بها صاحبها اذا فعلها اجرا ولا ثوابا من الله تعالى يوم القيمة وانما مراده مجرد عملها لنفع دنيوى اولدفع ضرر عنه فى الدنيا اولا لنفع ولا لضرر كالاشياء المباحة فى انواع المآكل والمشارب والملابس والمساكن ونحو ذلك

(بدعة) اى فعلة ليست معروفة فى السنة النبوية من اى نوع كانت فى الاعتقاد او العمل او القول او الاخلاق ولهذا نكرها والنكرة فى الاثبات وان لم تعم عندنا لكنها مطلقة دالة على فرد غير معين فلا يختص به نوع دون نوع وعند الشافعى رحمه الله تعالى تعم كما هو مبسوط فى الوصول وهذا الحكم فى البدعة الواحدة وكذلك البدع الكثيرة وهى البدعة غير المكفرة اذ المكفرة تزيل الاسلام فضلا عن اضاعة السنة (الا اضاعت) تلك الامة اى تركت واهملت (مثلها) اى مثل تلك البدعة يعنى من جنسها اعتقادا او قولا او عملا او تخلقا (من السنة) النبوية الاعتقادية او العملية او القولية او الاخلاقية والمعنى ان الناس كلما ابتدعوا بدعة فى الدين تركوا من جنسها سنة نبوية مثل ابتداع الفرق الضالة فى الاعتقاد كاعتقاد المعتزلة انهم يخلقون افعال انفسهم مثلا على معنى ان لهم تأثيرا فى ذلك بخلق الله تعالى فيهم قدرة على ذلك فان هذه بدعة فى الدين اعتقادية لما ظهرت ذهبت سنة الاعتقاد بان الله تعالى خالق افعال العباد كلها من الخير والشر والنفع والضر منسوبة الى الانسان ولا تأثير للانسان فيها اصلا كما انه تعالى خلق للانسان يدين ورجلين منسوبات له ولا تأثير للانسان فى خلق ذلك له ابدا ومع هذا فيقال يد الانسان ورجل الانسان مع انه ليس بخالق لذلك ولا يقال يد الله ولا رجل الله مع انه تعالى خالق ذلك فكذلك جميع افعال الانسان خالقها هو الله تعالى وحده ولا تنسب اليه تعالى ولكنها تنسب الى الانسان كلها والانسان ليس بخالق لها وقد صنفت رسالة فى هذه المسئلة سميتها تحريك سلسلة الوداد فى مسئلة خلق افعال العباد جعلتها مكتوبا ارسلت بها الى بعض علماء المدينة المنورة فهذه سنة فى الاعتقاد ضاعت وتركت عند المعتزلة ومن تابعهم لما ابتدعوا ما ينافيها من بدعتهم المذكورة وكذلك اذا ابتدع الناس بدعة فى العمل ولو كانت تلك البدعة فى العادة لا فى الدين حيث لا يرجون الثواب عليها من الله تعالى ولا هى عندهم معصية يخافون العقاب منها ولكن بسبب فعلها ضاعت سنة مثلها ايضا فى العمل كالصلاة مع الغفلة وعدم حضور القلب فيها بل يبقى القلب مشتغلا بامور الدنيا وهم فى الصلاة ولا يمكنهم الخشوع فيها فان هذه بدعة ابتدعها الناس فى العادة لم تكن فى الزمان الاول ولما ظهرت ذهبت سنة الخشوع فى الصلاة والحضور فيها والمراقبة وترك البيع والشراء من فكر القلب ايضا كما قال تعالى عن الصدر الاول *رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة* وقال تعالى *يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع* وقال تعالى *قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون* وقال تعالى فى اصحاب البدعة المذكورة فى الصلاة *فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون* وقال تعالى *يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون* وقال تعالى *واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا* فهذه بدعة فى العمل

عادية لما ظهرت تركت مثلها سنة فى العمل ونسيت ومثل ذلك اذا ابتدع الناس بدعة فى القول مثل الكلام فى وقت تشييع الجنازة فانه لما فشى فى الناس خصوصا التحدث فى امر الدنيا وكثرة اللغط وان كانت بدعة فى العادة ايضا فقد ذهبت بها سنة السكوت والصمت والاعتبار والتفكر فى امر الموت والقبر فى تلك الحالة وكذلك البدعة فى الاخلاق كما اعتادت الناس ان يتبعوا بعضهم بعضا فى كل امر كانوا عليه كما سمعتهم يقولون يا ايها الناس كونوا مع الناس فان هذه البدعة فى العادة لما ظهرت ذهبت سنة اتباع النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وائمة الهدى رضى الله عنهم فصار الناس يبحثون عن عادات بعضهم بعضا فى الدين والدنيا ليتابعوا ذلك ويعملوا عليه ولا يبحثون عن سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسيرة الصحابة والصالحين ليسيروا عليها وهكذا سائر البدع فى العادة وفى العبادة الا البعض من البدع فى العادة لما ظهرت تركت ونسيت جميع السنن التى تماثلها وتقابلها وانمحت آثارها بالكلية واندرست حتى صار الجاهل اذا فعلت عنده يقطع بأنها بدع لا سنن كما نقل الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغير عن بعض الحكماء انه قال معروف زماننا منكر زمان مضى ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت انتهى وما من زمان الا وما بعده شر منه وفى روح القدس للشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره قال روينا عن ابى حامد وغيره وعن ابى مغيث فى كتاب المنقطعين له من حديث ابن المهلب قال مررت بالساحل فرأيت شابا قد احتفر لنفسه حفرة فى الرمل فسألته فتأوه ثم قال يذم اهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون انها قد افترشوا الرخص وتمهدوا الزلل واعتلوا ازلال الماضين الى مثل هذا الكلام ثم قام فمشى على الماء حتى غاب عنى * الحديث الرابع (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى بمحض عدله (حجب) اى منع وستر (التوبة) مصدر تاب الى الله توبا وتوبة ومتابا وتابة وتتوبة رجع عن المعصية وهو تائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة اورجع به من التشديد الى التخفيف اورجع عليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده كذا فى القاموس فالتوبة من العبد والتوبة من الرب ايضا فحجب الرب توبته عدم التوفيق لها اومنع الرجوع بالفضل والقبول وحجب الرب توبة العبد عدم تيسيرها له كلما أرادها العبد وفى رياض الصالحين قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها ابدا فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة وان يبرأ من حق صاحبها فان كانت مالا او نحوه رده اليه وان كان حد قذف او نحوه مكنه منه اوطلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها (عن كل صاحب) اى فاعل سواء كان هو الذى ابتدع

تلك البدعة اوفعلها فقط ولم يبتدعها (بدعة) فى الدين اعتقادية اوفعلية اوقولية اواخلاقية وهو فى بدعة واحدة فمابالك باكثر من ذلك لانه يرجوالثواب عليها فكيف يتوب منها واهذا كما اراد المبتدع ان يتوب من بدعته منع منها مانع من نفسه فلا يتيسرله ماارادلا حتجاب التوبة من تلك البدعة عنه ويحتمل مطلق التوبة من تلك البدعة وغيرها من الذنوب اما التوبة من تلك البدعة فظاهر لان شرط صحة التوبة ترك المعصية والاقلاع عنها فى الحال كما قدمناه فالتوبة محجوبة عنه حتى يقلع عن بدعته واما مطلق التوبة وؤيدها الحديث الآتى بعده فلعله لزيادة قبح البدعة وشؤم ارتكابها وكونها مكفرة فلا تتأتى معها التوبة من ذنب غيرها والافان التوبة من ذنب مع الاصرار على ذنب آخر صحيحة قال النووى رحمه الله تعالى فى رياضه ويجب ان يتوب من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته عنداهل الحق من ذلك الذنب و بقى عليه الباقى (حتى يدع) اى يترك ذلك المبتدع (بدعته) و يقلع عنها لتصح توبته منها اومن غيرها من الذنوب ايضا * الحديث الخامس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم (انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابى) اى كره والاباءة الكراهة (الله) تعالى بحكمه العدل من كثرة قبح البدعة لانها شرع النفوس الامارة بالسوء وحكم الشيطان المستولى على لقلب الغافل (ان يقبل عمل صاحب بدعة) فى الدين اى مصر على فعل بدعة من البدع الاعتقادية اوالعملية اوالقولية اوالتخلقية وهذا فى بدعة واحدة غير مكفرة فكيف بدع كثيرة غير مكفرة لاعتقاده انها طاعة مثاب عليها وعمله الذى لايقبله الله تعالى قديكون اعتقادا اوفعلا اوقولا اوتخلقا وقديكون صحيحا من جهة استيفاء شروطه ولكنه غير مقبول عندالله تعالى لتدنسه بشؤم البدعة وقبح عملها وذلك مدة ارتكابه لتلك البدعة مادام مصرا على فعلها (حتى يدع) اى يترك (بدعته) لاجل الله تعالى اماخوفا منه تعالى اوطمعا فى ثوابه اوابتغاء وجهه الكريم لاخوفا من الناس اوالعدم قدرته على ذلك اومحافظة على صلاحه وتقواه ان يزول من اعين الغير فيزول احترامه عندهم وينقص من اعينهم فان هذا تقوى الناس لاتقوى الله تعالى وهو غير مانع من الاصرار فى الباطن على المعصية وصاحبه عابد للناس باطنا وان كان يزعم انه عابد لله تعالى فى الظاهر كما قال تعالى * فلا تخشوهم واخشونى * وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول * الحديث السادس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقبل الله) سبحانه وتعالى وان حكم بالصحة بمقتضى شرعه المحمدى اذليس كل عمل صحيح بمقبول كما قال تعالى * انما يتقبل الله من المتقين * وغير المتقين من المسلمين وان صح عملهم فهو غير مقبول والقبول رفعة شان

العمل عنده وان كان قليلا واعطاؤه عليه الجزاء الوافى ومباهاة الملائكة به ورفع الدرجات به فى الدنيا باحساس العبد بمقامات الكشف الالهى والقرب الاقدس وفى الآخرة بمقامات الرؤية الربانية فى دار النعيم الابدى (لصاحب البدعة) اى المصر عليها يعنى بدعة فى العبادة غير مكفرة اذ المكفرة تنافى صحة العمل فضلا عن قبوله وهذا فى بدعة واحدة فكيف باكثر من ذلك (صوما) فرضا اونفلا ولم يذكر الصلاة لانها مفهومة بالاولى حيث انها اعظم من الصوم وكذلك الزكاة تالية الصلاة وهما تاليتا الايمان فهو كذلك (ولاحجا ولاعمرة) وان فعل ذلك على وجه السنة فهو صحيح تام لكنه غير مقبول (ولا جهادا) فى سبيل الله تعالى (ولاصرفا) اى انصرافا عن المعصية يعنى التوبة (ولاعدلا) اى استقامة فى الامر اوضد الجور قال الجوهرى الصرف التوبة يقال لايقبل منه صرف ولاعدل قال يونس فالصرف الحيلة ومنه قولهم انه ليتصرف فى الامور وقوله تعالى * فما يستطيعون صرفا ولانصرا * وقال فى القاموس الصرف فى الحديث التوبة والعدل الفدية اوهو النافلة والعدل الفريضة اوبالعكس اوهو الوزن والعدل الكيل اوهو الاكتساب والعدل الجزاء اوالحيلة انتهى وحاصل المعنى هنا ان الله تعالى لايقبل لصاحب البدعة فى الدين عملا من اعمال الطاعات مطلقا وان صحت تلك الاعمال منه لاستيفاء شروطها الشرعية مادام مصرا على فعل تلك البدعة حتى يتوب منها وانما ورد التصريح هنا من الاعمال بالصوم والحج والعمرة والجهاد فقط ثم عمم بالصرف والعدل لان هذه العبادات الاربعة المخصوصات بالذكر لها صعوبات على النفوس اكثر من غيرها فالصوم حبس النفس عن شهوتى البطن والفرج والحج والعمرة اتعاب النفس بانفاق القوة والمال مع حبسها عن شهوات الجماع والطيب ولبس المخيط وقتل صيد البر ونحو ذلك والجهاد ابلغ من ذلك للمخاطرة بالنفس فيه والمال فوقع التصريح بذلك ليفهم ماعداه بالطريق الاولى فانه حيث بذل نفسه فى هذه الطاعات المشقة عليه ولم تقبل منه لاصراره على بدعته فكيف تقبل منه الاعمال التى مشقته فيها دون ذلك (يخرج) يعنى صاحب البدعة فى الدين حيث يعدها طاعة بسبب دخوله تحت حكم نفسه وشيطانه وخروجه بظاهره عن حكم نبيه ورحمانه (من الاسلام) الظاهر فقط الذى هو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وعدم المحاربة له كما تخرج العصاة من التسليم والانقياد لحكم الله تعالى عليهم الى التسليم والانقياد لحكم النفس والشيطان مع التصديق بقبح ذلك الفعل والايمان بكونه معصية وهو الفارق بين العاصى والمبتدع لاعتقاده بدعته طاعة ودليل صحة اطلاق الاسلام على ماذكرنا قوله تعالى *قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم* قال البيضاوى اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب والاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة وقال الخازن فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل السنة فكيف

يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان في الوجود فذلك المؤمن والمسلم انتهى وحاصله ان الايمان وهو التصديق بالقلب لا يفارق صاحب البدعة غير المكفرة ابدا كما قدمناه واما الاسلام فنوعان اسلام بالقلب وهو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وهو لا يفارق صاحب البدعة المذكورة ايضا فهو مؤمن مسلم والايمان والاسلام واحد عند اهل السنة واسلام بظاهر اللسان والجوارح وهو الذي يفارق صاحب البدعة المذكورة مع وجود الايمان والاسلام في قلبه (كما يخرج الشعر) قال في القاموس الشعر ويحرك نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر والجمع اشعار وشعور وشعار الواحدة شعرة (من العجين) مثال لكمال تخليص صاحب البدعة في الدين مما كان فيه قبل ذلك من اظهار التسليم والانقياد باللسان والجوارح ايضا لحكم الله تعالى على طريقة الردع له والزجر فان الشعرة اذا جذبت من العجين لا يعلق عليها من العجين شئ فتخرج وليس فيها اثر من ذلك اصلا فان قلت كيف خرج صاحب البدعة في الدين غير المكفرة من الاسلام الظاهر وله صوم وحج وعمرة وجهاد قلت لما كان مصرا على بدعته في الدين فاعلا لها لا محالة طالبا الثواب عليها من الله تعالى خرج عن التسليم الظاهر لحكم الله الذي كلفه بالصوم والحج والعمرة والجهاد بالنسبة الى فعله تلك البدعة حيث هو مداوم عليها داخل تحت حكم من حكم عليه بتلك البدعة من النفس والشيطان فان قلت جميع المعاصي والمخالفات بدع فالمرتكب لشئ منها مذنب عاص فهل مبتدع حتى لا يقبل عمله مدة اصراره على ذنبه ذلك ومعصيته قلت ليس المذنب العاصي بمبتدع ولا المعاصي والمخالفات بدع في الدين بل البدع في الدين معاص ومخالفات وشرط البدعة في الدين كما قدمناه ان يدين الله تعالى بها ويطيعه فيها فيقصد بفعلها الثواب والاجر من الله تعالى واما المعاصي والمخالفات فلا يدين الله تعالى بها فاعلها ولا يطلب الثواب عليها والاجر من الله تعالى والا لكفر باستحلالها بل انما يحمله على فعلها الشهوة والغرض النفساني فليست بدعا في الدين ولا فاعلها بمبتدع لا يقبل عمله بل اذا خلا من فعل البدعة في الدين قبل عمله ولا يمنع من قبول عمله ارتكاب المعصية (وقد سبق) في نوع الاعتصام بالسنة عند ذكر الاخبار النبوية (حديث العرباض بن سارية) المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وتقدم منا الكلام على ذلك (و) سبق حديث (جابر) ايضا (رضي الله عنهما) اي عن العرباض وجابر المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث

كتاب الله وخير الهدى هدى محمد عليه السلام وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وتقدم منا الكلام ايضا عليه بالتمام ثم لما كان هذان الحديثان يشتملان على قوله صلى الله عليه وسلم كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة نشأ منهما اشكال اورده بقوله (فان قيل) اى قال لك قائل من الناس (كيف التطبيق) اى المطابقة والموافقة وزوال المنافاة والمناقضة (بين قوله عليه الصلاة والسلام) فى هذين الحديثين المذكورين (كل بدعة ضلالة و بين قول الفقهاء) اصحاب المذاهب الشرعية لما قسموا البدع الى اقسام كما سيبينه قريبا (ان البدعة قد تكون) بدعة (مباحة) لا يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كاستعمال المنخل) بضم الخاء المعجمة و يجوز ان تفتح خاؤه ماينخل به كذا فى القاموس وكان السلف لا يكثرون نخل الدقيق بل يأكلون الخبز غير منخول وانما كثر النخل بعد ذلك فى الخلف (والمواظبة على اكل لب الحنطة) بعد ازالة قشرها وكدرها بالمنخل وان كان فى السلف اكل لب الحنطة ايضا كما قدمناه عن احياء الغزالى فى خبر عثمان رضى الله عنه لكنه نادر من غير مواظبة عليه (والشبع منه) اى من اكل لب الحنطة قال فى شرعة الاسلام اول بدعة حدثت فى الاسلام الشبع وهذه المناخل ولم ير نبينا عليه السلام نقيا اى مانقى دقيقه من النخالة ولا منخلا وقال فى شرحها وعن سهل بن سعد ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى ولا رأى منخلا حين بعثه الله تعالى حتى قبضه كذا فى المصابيح (وقد تكون) يعنى البدعة (مستحبة) يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها (كبناء المنارة) والاصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والمأذنة والجمع مناور ومناير كذا فى القاموس والمراد هنا المأذنة موضع الاذان وفى القاموس المأذنة بالكسر موضع الاذان او المنارة والصومعة انتهى وذكر والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام انه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم مئذنة وروى ابو داود من حديث عروة ابن الزبير عن امرأة من بنى النجار قالت كان بيتى من اطول بيت حول المسجد وكان بلال يأتى بسحر فيجلس عليه ينظر الى الفجر فاذا رآه اذن ذكره فى البحر شرح الكنز وفى وسائل الاسيوطى ان اول من رقى منارة مصر للاذان شرحبيل بن عامر المرادى وقال ابن سعد بالسند الى ام زيد ابن ثابت كان بيتى اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من اول ما اذن الى ان بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شئ فوق ظهره (و) بناء (المدارس) جمع مدرسة موضع الدراسة وهى القراءة قال فى القاموس درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة قرأه كأدرسه والمدارس المواضع يقرأ فيها القرآن ومنه مدارس اليهود انتهى والمراد هنا الموضع الذى بنى لدراسة العلم مع الطلبة او دراسة القرآن (وتصنيف الكتب) اى فى جميع العلوم اى جعلها صنوفا وابوابا وفصولا لنشر العلم وبيانه (بل قد تكون) اى البدعة

(واجبة) يثاب بفعلها ويأثم على تركها للقادر عليها (كنظم) اى جمع وترتيب (الدلائل) جمع دليل وهو مايستدل به من المقدمات اليقينية او الظنية (لرد) اى ابطال (شبه) جمع شبهة وهى مايشبه الدليل فى العقائد وليس بدليل (الملاحدة) جمع ملحد من الالحاد وهو الميل والعدول عن طريقة اهل السنة والجماعة (ونحوهم) كالمعتزلة والفلاسفة وسائر فرق الضلال (قلنا) فى الجواب عن هذا الاشكال المذكور (للبدعة) بالكسر من حيث هى فعلة حادثة بعد ان لم تكن (معنيان) الاول (معنى لغوى) منسوب الى اللغة وهى لغة العرب (عام) يشمل جميع اقسام البدعة وذلك (هو المحدث) بصيغة اسم المفعول من حدث يحدث حدوثا وحداثة نقيض قدم (مطلقا) اى حدوثا مطلقا عن القيد بشئ ثم بينه فقال (عادة كان) ذلك المحدث (اوعبادة) والمراد بالعادة مالايطلب فاعله عليه ثوابا من الله تعالى يوم القيامة بل مقصوده مجرد تحصيل غرضه الدنيوى والعبادة بخلاف ذلك وهى مايطلب فاعله عليه من الله تعالى ثوابا يوم القيامة (لانها) اى البدعة (اسم) مشتق (من الابتداع) مصدر ابتدع (بمعنى الاحداث) والاختراع (كالرفعة) بالكسر للشرف والعلو اسم (من الارتفاع والخلفة) اسم (من الاختلاف) قال فى القاموس الخلفة بالكسر اسم من الاختلاف اى التردد جعل الليل والنهار خلفة اى هذا خلف من هذا وهذا يأتى خلف هذا ومعناه من فاته امر بالليل ادركه بالنهار وبالعكس يعنى ومن فاته امر بالنهار ادركه بالليل (وهذه) اى البدعة اللغوية العامة (هى المقسم) اى موضع القسمة الى الاقسام الآتية (فى عبارة الفقهاء) الحنفية وغيرهم (يعنون) اى يقصدون (بها) اى بالبدعة اللغوية العامة المذكورة (ما) اى الامر الذى وامرا (احدث) بالبناء للمفعول اى احدثه محدث من اهل الاسلام وغيرهم (بعد) ذهاب (الصدر) وهو اعلى مقدم كل شئ واوله كذا فى القاموس (الاول) نعت للصدر وهم السلف المتقدمون فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم اجمعين لقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فاحدث منهم فى زمانهم فليس ببدعة والبدعة ما حدث بعد زمان التابعين وتابعيهم قال فى شرعة الاسلام فى بيان السنة التى يجب التمسك بها هى ماكان عليه القرن المشهود لهم وهم الخلفاء الراشدون ومن عاصر سيد الخلائق ثم الذين من بعدهم من التابعين ثم من بعدهم فاحدث بعد ذلك من امر على خلاف مناهجهم فهو من البدعة (مطلقا) يعنى سواء كان فى العبادة والدين وغير ذلك (و) الثانى (معنى شرعى) اى منسوب الى الشرع وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم (خاص) بالعبادة والدين (هو الزيادة) على ما ورد (فى الدين) زيادة مستقلة كابتداع طاعة مالها اصل فى دين الله تعالى اوغير مستقلة كزيادة فى طاعة شرعية

(اونقصان منه) اى من الدين نقصانا مستقلا كترك طاعة شرعية اعتقد تاركها ذلك الترك طاعة اوغير مستقل كترك بعض طاعة شرعية اعتقد التارك ترك ذلك البعض طاعة (الحادثان) نعت للزيادة والنقصان (بعد) انقراض زمان (الصحابة) وكذا زمان التابعين وتابعيهم رضى الله عنهم وهم الصدر الاول كما قدمنا (بغيراذن) فى تلك الزيادة والنقصان (من الشارع) اى المبين للشرع فينا ابتداء وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لاقولا) اى بالقول (ولافعلا) اى بالفعل (ولاصريحا) اى بالصريح (ولااشارة) اى بالاشارة والمعنى انه يكتفى فى ورود الاذن باحد هذه الطرق الاربعة لووجد احتراز عما ورد الاذن فيه بالزيادة والنقصان كقوله صلى الله عليه وسلم من قال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك ادناه ومن قال فى سجوده سبحان ربى الاعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك ادناه ذكره فى شرح الدرر وروى عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من العابدين ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين ومن صلى ثنتى عشرة ركعة بنى الله تعالى له بيتا فى الجنة من ذهب رواه البيهقى فى السنن الصغير فقد ورد التخيير فى هذه الزيادة والنقصان فليس شئ من ذلك ببدعة (فلاتتناول) البدعة من حيث معناها الشرعى شيئا من انواع (العادات اصلا) جمع عادة وهو كل امر يقصد به حصول غرض دنيوى كالملابس المخترعة فى هذا الزمان والمساكن والمآكل والمشارب مما اتخذه الناس انواعا متنوعة فلايسمى فى الشرع بدعة لانه ليس فى الدين بل فى الدنيا وشرط البدعة فى الشرع ان تكون فى الدين بان يتخذها فاعلها طاعة يعبد الله تعالى بها (بل تقتصر) اى البدعة فى الشرع اليوم (على بعض الاعتقادات) كاعتقادات الفرق الضالة ومن تابعهم (و بعض صور العبادات) الواردة فى الشرع بان يزاد فى صورتها او ينقص منها مع اعتقاد ان تلك الزيادة والنقصان طاعة بمجرد الرأى لتخرج من البدع هذه الزيادة والنقصان الواقعة فى العبادات على حسب اختلاف المذاهب الاربعة اليوم كتثنية الاقامة عند ابى حنيفة رضى الله عنه بالنظر الى مذهب الامام الشافعى رحمه الله تعالى وافرادها عند الشافعى بالنظر الى مذهب ابى حنيفة رضى الله عنه وصلاة الكسوف بركوعين وسجودين و فاتحتين فى كل ركعة عند الشافعى لاعند ابى حنيفة رضى الله عنهما فان هذا وما اشبهه ليس ببدعة فى الدين لانه مأخوذ من الادلة الشرعية لامن مجرد الرأى وانما المأخوذ من مجرد الرأى الزيادة على الوضوء الشرعى والغسل الشرعى بكثرة صب الماء اذا اعتقده فاعله عبادة كان بدعة واذا اعتقد انه وسوسة مكروهة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فهو معصية وليس ببدعة وكذلك تكرار التكبير فى افتتاح الصلاة وتكرار النطق فى الصلاة

بكل كلمة من القراءة والتشهد وغسل الثياب الجديد لاحتمال النجاسة فيها وغسل الفم من اكل الخبز لاحتمال نجاسة الحنطة ببول الثيران عليها في وقت الدياس ونحو ذلك مما هو منصوص في كلام العلماء على كونه خارجا من قانون الشرع وهو محض وسوسة فمتى فعل ذلك احد قاصدا بانه طاعة كان بدعة وان لم يقصد انه طاعة كان معصية وليس ببدعة لاعتراف فاعله بقبحه وكونه يخالف الشرع وهكذا كل امر يضارع ما ذكرنا (فهذه) البدعة في الشرع دون العادة (هي مراده عليه الصلاة والسلام) حيث قال في الحديثين السابقين كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة يعني كل محدث في الشرع بدعة وكل بدعة في الشرع ضلالة والمراد كل بدعة في الشرع ليس فيها اعانة على الطاعة الشرعية بان كانت بدعة سيئة واما البدعة في الشرع اذا كان فيها اعانة على طاعة شرعية فانها تكون باذن من الشارع ولو بطريق الاشارة كما تقدم فهي بدعة حسنة فلا تدخل تحت كل بدعة في الشرع ضلالة (بدليل) متعلق بقوله فلا تتناول العادات يعني ان البدعة في الشرع غير شاملة للبدع في العبادات والدليل على ذلك مقتضى (قوله عليه الصلاة والسلام) في الحديث السابق (فعليكم) يا معشر المكلفين يعني الزموا العمل (بسنتي) وهي ما شرعه صلى الله عليه وسلم لهم في دينهم دون ما شرعوه هم لانفسهم من الدين وهي البدع ولم يشرع لهم صلى الله عليه وسلم شيئا في العادات لانه جاء ليعلمهم دينهم لا دنياهم فلا تدخل في ذلك البدع في العادات (وسنة الخلفاء) جمع خليفة (الراشدين) اي اهل الرشد ضد الغي (المهديين) وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين يعني الزموا ما شرعه لكم خلفائي (من بعدي) يعني في الدين اذ لم تشرع الخلفاء شيئا الا في الدين فلا يشمل امر العادة (وقوله عليه الصلاة والسلام) في صدر الحديث المتقدم (انتم اعلم بامر دنياكم) يعني لا تحتاجون ان اشرعه لكم اي ابينه وانما حاجتكم لامر دينكم ان اشرعه لكم فلا تشرعوا انتم امر دينكم لانكم لا تعلمون ما ذا يريد الله تعالى من الحكم عليكم فلا تدخل العادات في ذلك (وقوله عليه الصلاة والسلام من احدث) اي اخترع (في امرنا) اي شرعنا وديننا (هذا ما ليس منه) من الاعتقاد او العمل او القول او التخلق واعتقد ان ذلك شرع ودين (فهو رد) منه علينا اذ الشارع نحن بوحي الله تعالى ونبوته لا غيرنا اوردمنا عليه فلا يقبل منه ذلك كما سبق بيانه فهذا تصريح بان البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما ابتدعت في الشرع والدين دون العادات وكذلك ما تقدم من حديث غضيف بن الحارث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امة ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعة الا اضاعت مثلها من السنة فقد خص البدعة بكونها في الدين فخرجت البدعة في العادات فانها ليست ببدعة في الشرع ولا هي ضلالة وفي شرح الشرعة وكل بدعة قبيحة ضلالة فلا يجوز التمسك بها قال النبي صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي ما احدثه مردود جدا والمراد ان كل بدعة

فى الدين كانت على خلاف مناهجهم وطرقهم يعنى الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضى الله عنهم اجمعين بحيث لو اطلعوا عليها لانكروها وكرهوها فهى ضلالة والافقد حققوا ان من البدعة ماهى حسنة مقبولة كالاشتغال بالعلوم الشرعية وتدوينها وبناء المنارة وغيرها مما رأوا فيه مصلحة (والبدعة) الشرعية (فى الاعتقاد) كاعتقادات القدرية والجبرية وبقية الفرق الضالة واتباعهم (هى المتبادرة) فى السبق الى الذهن (من اطلاق) اسم (البدعة) الشرعية (و) اطلاق اسم (المبتدع) فى الشرع على فاعلها (و) اطلاق اسم (الهوى) اى الميل النفسانى بمجرد العقل الحيوانى (و) اطلاق اسم (اهل الاهواء) على فاعل ذلك كما هو مذكور فى كتب علم الكلام وغيره فيقال اهل البدع والمبتدعة واهل الهوى واهل الاهواء والمراد بذلك البدعة الشرعية فى الاعتقاد لاغير (فبعضها) اى بعض البدعة الشرعية فى الاعتقاد (كفر) كجحود اى نكران حشر الاجساد ونفى الصفات الالهية والحكم بقدم العالم (وبعضها) اى بعض تلك البدعة (ليست به) اى بالكفر كجحود سؤال القبر وخبر المعراج (ولكنها) اى هذه البدعة التى ليست بكفر (اكبر من كل كبيرة) كائنة (فى العمل) اى من كبائر العمل فدونها كل كبيرة لتضمنها تكذيب الشارع فيما اخبر عنه دون صريح التكذيب لثبوت ذلك بالدليل الظنى وهو خبر الآحاد لابطريق التواتر ولا الشهرة ولهذا لم تكن كفرا (حتى) انها اكبر من كبيرة (القتل) اى قتل المؤمن المعصوم الدم عمدا (و) اكبر من كبيرة (الزنا) ايضا لان صاحبها يعتقدها حقا ويدين الله تعالى بها وهى بدعة قبيحة واما القتل والزنا فاذا صدرا من المؤمن لايستحلهما ويعتقد حرمتهما فهما اخف من البدعة مع تساويهما معها فى عدم المشروعية (وليس فوقها) اى فوق البدعة المذكورة فى الاعتقاد (الا الكفر) سيما وصاحبها يحجب عنه التوبة حتى يدعها كما سبق فى لفظ الحديث ولا يقبل الله له عملا مطلقا مع ان صاحب الكبائر يقبل عمله وهو والكافر لايحجب عنهما التوبة لان صاحب الكبائر معترف بانه صاحب معاص ومخالفات والكافر غير ملتزم شرائع الاسلام ولامدعى الملة المحمدية بخلاف المبتدع فى الدين فانه يدعى الاسلام ويزعم ان بدعته طاعة من طاعات الله تعالى وقالوا فى كتب علم الكلام ولانكفر احدا من اهل القبلة قال العلامة حسن چلبى فى حاشيته على شرح المواقف معناه ان الذين اتفقوا على ماهو من ضروريات الاسلام كحدوث العالم وحشر الاجساد وما اشبه ذلك واختلفوا فى اصول سواه كمسئلة الصفات وخلق الاعمال وعموم الارادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لانزاع ان الحق فيه واحد لايكفر المخالف للحق فى ذلك والا فلانزاع فى كفر اهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفى الحشر ونفى العلم بالجزئيات ونحو ذلك وكذا الصدور شئ من موجبات الكفر عنه كذا فى شرح المقاصد

ولعله اراد ان اعتقاد قدمه مع نفي الحشر كفر والافقد ذهب كثير من حكماء الاسلام الى قدم بعض الاجسام والفحول من ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم ذهبوا الى قدم العرش والكرسي دون سائر الافلاك فلا وجه للتكفير اذلا تكذيب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم انتهى فلعل مرادهم بقدم العرش والكرسي قدمهما بالنسبة الى ايجاد الله لهما فانه تعالى موجدهما من الازل حيث لابداية للزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لانه تعالى لايمر عليه الزمان ولاعلى صفاته فقبل حضور الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه لاوجود لهما بالنسبة الينا ولهذا كانا حادثين عندنا ولاوجود لهما ايضا بالنسبة الى الله تعالى واما في الزمان الذي ابتدأ وجودهما فيه فهما موجودان فيه عندنا بطريق الحدوث والابتداء لهما لتقييدنا بالزمان وموجودان فيه ايضا عند الله تعالى لكن لابطريق الحدوث والابتداء بل من الازل والله تعالى ليس متقيدا بالزمان اذ هو من جملة محدثاته في مرتبته من الازل ولافعله تعالى حادثا بل الحادث مفعوله بالنظر الينا لابالنظر اليه تعالى لحضور الازمان كلها عنده تعالى من غير زمان يكون هو متقيدا به وعدم حضور الازمان كلها بالنظر الينا لتقيدنا بزمان دون زمان وهذا القائل بالقدم في العرش والكرسي من فحول ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم يقول بحدوثهما من جهة التقييد بالزمان ايضا كقول علماء الكلام ولهذا قال دون سائر الافلاك فان سائر الافلاك فيها خصوص في عموم لوجود الزمان بالنظر الى سائر الافلاك دونهما والحدوث منشاؤه الزمان ولكن ينفرد بالمعرفة الالهية في صدور العالم عن الله تعالى مالايعرفه غيره و يريد بالعرش والكرسي العالمين الكليين وما اشتملا عليه من جميع النفوس والاجسام وذلك مجموع العالم كله واما الحكم بقدم شئ من العالم بالنظر الى التقييدين بالزما كقول الفلاسفة ومن تابعهم فلاخلاف في انه كفر (والخطاء في الاجتهاد) وهو بذل المجهود لنيل المقصود يعني بذل تمام الطاقة بحيث يحس من نفسه العجز عن المزيد عليه (فيه) اى في الاعتقاد (ليس بعذر شرعى (بخلاف) الخطاء في (الاجتهاد في الاعمال) البدنية فانه عذر بالاتفاق قال في التلويح للسعد التفتازاني فلا يجرى الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد الجازم من اصول الدين ثم قال بعد ذلك والمخطئ في الاجتهاد يعني في فروع الدين لايعاتب ولاينسب الى الضلال بل يكون معذورا ومأجورا اذليس عليه الابذل الوسع وقدفعل فلم ينل الحق لخفاء دليله الا ان يكون الدليل الموصل الى الصواب بينا فاخطأ المجتهد بتقصير منه وترك مبالغة في الاجتهاد فانه يعاتب ومانقل من طعن السلف بعضهم على بعض في مسائلهم الاجتهادية كان مبنيا على ان طريق الصواب بين في زعم الطاعن وانما قال المخطئ في الاجتهاد لان المخطئ في الاصول والعقائد يعاتب بل يضلل او يكفر لان الحق فيها واحد اجماعا والمطلوب هو اليقين الحاصل

بالادلة القطعية اذلا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وعدمها فالمخطئ فيها مخطئ ابتداء وانتهاء و مانقل عن بعضهم من تصويب كل مجتهد في المسائل الكلامية اذالم يوجب تكفير المخالف كمسئله خلق القرآن ومسئله الرؤية ومسئلة خلق الافعال فمعناه نفي الاثم وتحقق الخروج من عهدة التكليف لا حقية كل من القولين وفي مرقاة الاصول والاجتهاد في الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والافعال من الالهيات والنبوات فان المليين اجمعوا على وحدة المصيب في العقليات الاعند بعضهم اى بعض المعتزلة وهو ابوالحسن العنبرى والجاحظ فانهما قالا ان كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام وهو باطل لان المطلوب فيها هواليقين الحاصل بالادلة القطعية ولايعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وامتناعها ونحوذلك انتهى وسبق نظيرهذا (وضد هذه البدعة) التي في الاعتقاد اى ما يضادها فيمتنع وجوده معها (اعتقاد اهل السنة) النبوية المحمدية (والجماعة) الاسلامية الايمانية من الاشاعرة والماتريدية (والبدعة في العبادة) اى الاعمال الظاهرة في مقابلة البدعة في الاعتقاد كالزيادة والنقصان في صورة بعض العبادات واشار بقوله في العبادة دون قوله في العمل الى ان صاحبها يطلب عليها الثواب من الله تعالى مثل سائر العبادات مع انها مبتدعة لا اصل لها فلهذا كانت البدعة اقبح من جميع المعاصي (وان كانت) هذه البدعة (دونها) اى دون البدعة في الاعتقاد يعني اقل منها قبحا وشناعة واثما وذلك لان البدعة في الاعتقاد تنجيس موضع نظر الرب سبحانه وتعالى وهو القلب والبدعة في الاعمال تنجيس موضع نظر الخلق وهوظاهر العبد كما ورد ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولاالى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم (لكنها) اى البدعة في العبادة ايضا (منكر) في دين الله تعالى (وضلالة) يجب تركها والاجتناب عنها اكثر من جميع المعاصي (لاسيما اذا صادمت) اى دافعت وزاحمت (سنة) من سنن النبي صلى الله عليه وسلم (مؤكدة) اى كان فعل تلك البدعة مانعا من فعل سنة مؤكدة مشغلا للعبد عن الاشتغال بالسنة فانه يشتد حينئذ قبح البدعة ويكثر الاثم على فعلها (ومقابل هذه البدعة) التي في العبادة اى مضاد لها بحيث لووجد هوامتنع وجودها (سنة الهدى) بضم الهاء وفتح الدال الرشاد والدلالة كذا في القاموس يعني التي فعلها رشاد لفاعلها ودلالة من فاعلها لغيره على الرشاد (وهي ما) اى فعل (واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم من جنس العبادة) ليخرج ماواظب عليه من العادات من غيران يقصد عبادة الله تعالى به فانه ليس بسنة هدى بل هو من الزوائد كالمشي والقعود (مع الترك) لذلك الفعل (احيانا) جمع حين يعني اوقاتا او بلاترك اصلا ولايفهم الوجوب من عدم الترك مالم يقترن به النهي عن الترك والتوعد عليه ولهذا قال (و) مع (عدم الانكار) من النبي عليه السلام (على تاركه) اى تارك ذلك الفعل لانه لوا قترن بالمواظبة انكار على الترك كان واجبا لا سنة

(كالاعتكاف) وهولغة اللبث والدوام على الشئ وشرعا لبث رجل فى مسجد جماعة اوامرأة بنيته اى الاعتكاف وهوواجب فى المنذور وسنة مؤكدة فى العشر الاخيرمن رمضان ومستحب فيماسواه اى العشر الاخير كذا فى شرح الدرر قال فى مرقاة الاصول والسنة نوعان الاول سنة الهدى مكملة للدين وتاركها مسئ مستحق اللوم كصلاة العيد والاذان والاقامة والصلاة بالجماعة والسنن الرواتب ولذا لوتركها قوم عوقبوا اواهل بلدة واصروا قوتلوا والثانى سنة الزوائد وتاركها لايستحق اللوم كتطويل اركان الصلاة وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى لباسه كالبيض وقيامه وقعوده انتهى وقال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام والحاصل ان الذى يظهران القول اوالفعل يعنى قول النبى عليه السلام اوفعله ان قارنه انكار على الترك فواجب والافان كان مع صيغة امر اونهى ولامواظبة فمستحب والا فسنة مؤكدة والسنة نوعان سنة هدى وتركها يستوجب اساءة كالجهاد والاذان وزوائد وتاركها لايستوجب ذلك كالسنن فى القيام والقعود واللباس كما فى المنار ان كانت على سبيل العبادة فسنن الهدى وعلى سبيل العادة فسنن الزوائد كلبس الثياب والاكل باليمين وتقديم اليمين فى الدخول (واما البدعة فى العادة) اى من غير ان يقصد بها عبادة الله تعالى ولايطلب عليها ثواب (كالمنخل) للدقيق وكذلك الملعقة للاكل ونحو ذلك لعدم قصد مخترعها ومستعملها عبادة الله تعالى بها والثواب عليها (فليس فعلها ضلالة) ولاوعيد البدعة شامل لها (بل) فعلها (ترك اولى) عند اهل الورع والاحتياط (فتركها) اى البدعة فى العادة (اولى) من فعلها لماتورث الطمانينة على نعيم الدنيا وتوصل راحة القلب بالغفلة والغرور قال فى الكشاف وقد شدد العلماء من اهل التقوى فى وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعادة الفسقة فى اللباس والمراكب وغيرذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها ذكره الشيخ المناوى فى شرح الجامع الصغيرفهى من البدع العادية ومن ذلك البنيان زيادة على مقدارالحاجة كما روى الشيخ النووى فى رياض الصالحين عن قيس بن ابى حازم قال دخلنا على خباب رضى الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال ان اصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وانا اصبنا مالانجدله موضعا الا التراب ولولا ان النبى صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت لدعوت به ثم اتيناه مرة آخرى وهو يبنى حائطاله فقال ان المسلم ليؤجر فى كل شئ ينفقه الا فى شئ يجعله فى هذا التراب متفق عليه وهذا لفظ رواية البخارى ومن ذلك ظهور السمن فى الرجال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من اكلة كل يوم سرف وفى شرح الجامع الصغير للمناوى ومن علامات الساعة ظهور السمن فى الرجال انتهى ومن ذلك استعمال التتن والقهوة الشايع ذكرهما

فى هذا الزمان بين الاسافل والاعيان والصواب انه لاوجه لحرمتهما ولا لكراهتهما فى الاستعمال بل هما من البدع فى العادة ومن علل حرمتهما بشئ لزمه حرمة البدعة العادية وهو خلاف ماعليه جمهور العلماء وامر السلطان ونهيه انما يعتبران اذ كانا على طبق امر الله تعالى ونهيه لا على مقتضى نفسه وطبعه كما ان امر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه على طبق امر الله تعالى ونهيه لاهو من تلقاء نفسه ومقتضى رأيه وعقله وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك ولو فرضنا ان امر النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه كانا من تلقاء نفسه لا من امر الله تعالى ونهيه لما وجب علينا امتثال ذلك فكيف يجب علينا امتثال امر السلطان ونهيه الصادر من مجرد رأيه وعقله مالم يكن موافقا لحكم الله تعالى الا اذا ظلم السلطان وجار وشدد على الناس وضيق عليهم فى النهى عن استعمال هذين المباحين وخاف الناس على انفسهم من شره خصوصا اذا كان يستحل دماء المسلمين ويوجب تعذيرهم فى رأيه بسبب ذلك فلا يجوز ان يلقى احد بنفسه الى التهلكة ويكف المؤمن عن استعمال ذلك بهذا السبب لا متعقدا الحرمة او الكراهة بل حافظا دمه وعرضه وقد روى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا اللهم من ولى من امر امتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من امر امتى شيئا فرفق بهم فارفق به رواه مسلم كما ذكره النووى فى رياض الصالحين وقال البيضاوى فى تفسير قوله تعالى *واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل *اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به اونعم الشئ الذى يعظكم به من العدل فى الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ان امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ماداموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى * واوردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم * الآية فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعنى فى ان اولى الامر هم الخلفاء والامراء لا العلماء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر يعنى فقط على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك يعنى الرد المذكور ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة اواحسن تأويلا من تأويلكم انتهى كلام البيضاوى باختصار لعبارته وسبق مايضارع هذا ولنا فى كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد كلام فى هذه المسئلة اكثر من هذا وكذلك فى كتابنا المطالب الوفية وغيره (وضدها)

اى ضد البدعة فى العادة (السنة الزائدة) المقابلة لسنة الهدى كما قدمناه ومعنى زيادتها كونها ليست لتكميل الدين بخلاف سنة الهدى كما ذكرنا فان الدين يتكمل بها (وهى ما) اى فعل (واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم) وهو (من جنس العادة) حيث لم يقصد به العبادة ليكون تكميلا للدين (كالابتداء باليمين) من اليد والرجل وغيرهما (فى الافعال الشريفة) يعنى غير الخسيسة لما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيامن فى تنعله وترجله وظهوره وفى شأنه كله قال القرطبى فى شرح مسلم كان ذلك منه تبركا باسم اليمين لاضافة الخير اليها كما قال واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ونادیناه من جانب الطور الايمن ولما فيه من اليمن والبركة وهو من باب التفاؤل ونقيضه الشمال ويؤخذ من هذا الحديث احترام اليمين واكرامها فلا تستعمل فى ازالة شئ من الاقذار ولا فى شئ من خسيس الاعمال وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء ومس الذكر باليمين وفى رياض الصالحين وعن سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه ان رجلا اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر فما رفعها الى فيه رواه مسلم وفى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح وان يأكل و يشرب بيمينه لما روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليأكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه وليعط بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله ويأخذ بشماله ويعطى بشماله ولا بأس بان يستعين بيساره فى الاكل وغيره عند الحاجة وانما البأس فى الاكل بها على الاستقلال بغير حاجة (و) الابتداء (باليسار) من اليد والرجل وغيرهما (فى) الافعال (الخسيسة) كدخول الخلاء والاستنجاء ومس الذكر حتى نقل الامام القرطبى فى شرح مسلم ان من استنجى بيمينه فقد اساء واجزأه وقال اهل الظاهر لا يجزئه لاقتضاء النهى فساد المنهى عنه وعند الجمهور لا يقتضيه وايضا فان الجمهور صرفوا هذا النهى الى عين ذات المنهى عنه وهو احترام اليمين والمطلوب الذى هو الانقاء قد حصل فيجزئ عنه ونهيه فى حديث ابى قتادة رضى الله عنه عن امساك الذكر باليمين وعن التمسح فى الخلاء باليمين يلزم منهما تعذر اختلف فى كيفية التخلص منه فقال المازرى يأخذ ذكره بشماله ثم يمسح به حجرا ليسلم على مقتضى الحديثين وتمامه هناك (فهى) اى هذه السنة الزائدة (مستحبة) اى استحبها النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الماضون قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام ثم فى الحاوى القدسى والادب والمستحب والنافلة ما فعله عليه الصلاة والسلام مرة ومرة وهى تسمى سنة ايضا وفى شرح درر البحار اعلم ان المستحب ادون من السنة واعلى من الادب ولم يفرق بعض مشايخنا بين الادب والمستحب وقد يطلق المستحب على السنة (فظهر) من هذا (ان البدعة بالمعنى الاعم) وهو ما تقدم من المعنى اللغوى العام

الذى هو مطلق الابتداع والاختراع سواء كان فى العادة اوفى العبادة (ثلاثة اصناف مرتبة فى القبح) اى اعظمها قبحا الاول وهو البدعة فى الاعتقاد ثم اوسطها قبحا الثانى وهو البدعة فى العبادة ثم ادناها قبحا الثالث وهو البدعة فى العادة قال فى شرح الشرعة وذكر فى شرح المشارق ان العلماء قالوا البدعة خمسة واجبة كنظم الدلائل لرد شبه الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة كالتبسط بالوان الاطعمة عند ضيافة الاخوان وغيرها ومكروهة وحرام وهما ظاهران (فاذا علمت هذا) التقسيم الذى تقدم بيانه (فالمنارة) المذكورة فى نوع البدعة المستحبة انما كانت مستحبة مع انها بدعة لانها (عون) اى معينة للمؤذنين فى قصدهم (لاعلام) الناس بدخول (وقت الصلاة) المفروضة كالصلوات الخمس والجمعة (المراد) نعت للاعلام (من) معنى (الاذان) شرعا اذ معناه لغة مطلق الاعلام وفى الشرع هو الاعلام بوقت الصلاة وفى المنارة اعانة فى انتشار ذلك بين المسلمين ماليس فى غيرها (والمدارس) المبنية للعلم وقراءة القرآن (و) كذا (تصنيف الكتب) الشرعية فى علم التوحيد والعقائد والاحكام الفقهية والتفسير والحديث وآلة ذلك كالنحو والصرف واللغة ونحو هذا (عون) اى معينة (للتعليم) بسبب تقرير المسائل وايضاحها وايراد كل شئ فى محله من الابحاث المناسبة والاشكالات والاجوبة وتحرير الادلة وبيان الخلاف حتى يسهل معرفة ذلك على المعلم والمتعلم (و) عون لحصول (التبليغ) ايضا من العلماء الاولين الى الفضلاء المتأخرين اى تبليغ الشرائع والاحكام على اكمل مايكون من الكلام تسهيلا على القرائح والافهام (ورد) مبتدأ اى صرف ومنع الفرق (المبتدعة) من المعتزلة وغيرهم (بنظم) اى جمع وترتيب (الدلائل) العقلية والبراهين القطعية فى تحقيق المسائل الاعتقادية الاصولية (نهى) خبر المبتدأ (عن المنكر) القبيح ممن تقدم لمن تأخر على وجه العموم كما هو الطريقة المسنونة فى ذلك من غير تعيين فاعله على حسب ماقدمناه (وذب) اى طرد ومحاماة وردع وزجر (عن الدين) المحمدى والحاصل ان السادة الأئمة الاولين من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين لما حصلوا على سعادة الجهاد فى اعداء الدين بظواهر الغرائم وقارعوهم بالسماهر والصوارم حتى فتحت البلاد واطمأنت القلوب الاسلامية وبردت الاكباد ولم يبق للمتأخرين حظ من ذلك فجعل الله تعالى لهم مسلكا بافتراق الامة وتشتت الكلمة وظهور الزائغين وكثرة المخالفين فى العقائد والمعاندين فانفتحت لهم ابواب جهاد آخر فى النفوس الجاهلية فلم يفتهم حظهم من سعادة الجهاد فى اهل الضلال فحاربوهم بعزائم البواطن وقارعوهم بسيوف الحجج والبراهين فى جميع المواطن وبنوا حصون الكتب المصنفات الكثيرة المتنوعة واتقنوها جهدهم ونصبوا فيها مجانيق الادلة لهدم حصون الضلال وهلاك وساوس اهل العناد والجدال وبنوا المدارس

وشيدوها لنشر ذلك واعلانه على حسب حال المعين على الخير من اهل التقوى فى زمانه فجزاهم الله تعالى خير الجزاء يوم القيامة وبلغهم غايات امانيهم فى دار الاقامة (فكل) بالتنوين اى كل واحد مما ذكر من بناء المنارة والمدارس وتصنيف الكتب ونظم الدلائل (مأذون فيه) من قبل الشارع اذ قصده بقاء ما شرعه وتقويته وازالة ما يمانعه وهذا المعنى موجود فيما ذكر (بل مأموربه) من قبل الشارع ولو على طريق العموم كما قال تعالى * حافظوا على الصلوات وقال تعالى * ولا تقولوا على الله الا الحق * فبناء المنارة والمدرسة من جملة المحافظة على الصلوات وتصنيف الكتب ونظم الدلائل من جملة قول الحق على الله وعدم قول الباطل وما شبه ذلك (وعدم وقوعه) اى وقوع كل من ذلك (فى الصدر الاول) زمان الصحابة والتابعين وتابعى التابعين رضى الله عنهم اجمعين (إمّا لعدم الاحتياج) الى كل واحد من ذلك لاستغنائهم بكثرة الاجتهاد والمجتهدين عن تدوين العلوم وبسهولة مراجعة الثقات من أئمة الدين عن تصنيف الكتب وبقلة المخالفين عن نظم الدلائل (اولعدم القدرة) فيه (بعدم المال) فى الانفاق على بناء المنارة والمدارس وجعل الاوقاف عليها والوظائف (اولعدم التفرغ له) اى لفعل ذلك (بالاشتغال) ليلا ونهارا ظاهرا وباطنا (بالاهم) من ذلك على حسب ما يعلمون من قتال الكفار وفتح البلاد وتمهيد القواعد الاسلامية والقوانين الايمانية بين العباد والمحافظة على فعل السنة النبوية والسيرة المحمدية والقيام بها فى الاحوال كلها صونا لها من الضياع والابتذال (ونحو ذلك) من الاعذار المانعة الاوائل عن عمل ذلك كعدم حدوث ما يقتضيه فى زمانهم ووجود ما يغنى عنه فى ذلك الزمان دون غيره وعدم تنبههم لمثله (ولو تتبعت كل ما قيل فيه) بين العام والخاص (بدعة حسنة) سواء كان اعتقادا اوقولا اوعملا اوتخلقا (من جنس العبادة) اذ جنس العادة ليس ببدعة شرعا كما مر (وجدته مأذونا فيه من) قبل (الشارع) بكل احد (اشارة) فى آية اوحديث (اودلالة) من آية اوحديث لايكاد يخرج شئ من ذلك عما ذكر اصلا والقصور فى عدم الاطلاع والفرق بين الاشارة والدلالة ان الاشارة هى ايماء النص الى غير ما سيق له كقوله تعالى * وعلى المولود له الآية سيق الكلام لاثبات النفقة وفيه اشارة الى ان النسب من الاب والدلالة افهام النص لازم معناه كالنهى عن الأفّ فيوجب حرمة الضرب بالاولى فى قوله تعالى * ولا تقل لهما أف وقد سئل بعض العلماء عن هذه المقامات المنصوبة حول الكعبة التى يصلون فيها الآن باربعة أئمة على مقتضى المذاهب الاربعة ما كانت السنة على ذلك ولا عصر التابعين ولا تابعيهم ولا عهد الأئمة الاربعة ولا امروا بها ولا طلبوها فاجاب بانها بدعة ولكنها بدعة حسنة لا سيئة لانها تدخل بدليل السنة الصحيحة وتقريرها فى السنة الحسنة لانها لم يحدث منها ضرر ولا حرج فى المسجد ولا فى المصلين من المسلمين لعامة اهل السنة والجماعة بل فيها عميم النفع فى المطر والحر الشديد والبرد وفيها وسيلة للقرب من الامام فى الجمعة وغيرها فهى بدعة حسنة

ويسمون بفعلهم للسنة الحسنة وان كانت بدعة اهل السنة لا اهل البدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فسمى المبتدع للحسن مستنا فادخله النبي صلى الله عليه وسلم في السنة وقرن بذلك الابتداع وان لم يرد في الفعل فقد ورد في القول فالسان سني لا بدعي لدخوله بتسمية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قرره من السنة وضابط السنة ما قرره اوفعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه واظهره ومن جملة فعله ايضا قوله صلى الله عليه وسلم وسكوته على الامر لانه تقرير واذن في ابتداع السنة الحسنة الى يوم الدين وانه مأذون له بالشرع فيها ومأجور عليها مع العاملين لها بدوامها اخرج الامام احمد بن حنبل ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجرهم شئ ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شئ واخرج البيهقي عن ابي جحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجره ومثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل اوزارهم من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا الحديث فيدخل في السنة تقريره صلى الله عليه وسلم كل بدعة حسنة ومنها الربط والمدارس والمرافق والمصالح حيث كانت للمسلمين بالطرق وغيرها للمنافع وكل حدث مستحسن وقال الامام النووي في شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وحديث من دعى الى هدى ومن دعى الى ضلالة هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب الامور الحسنة وتحريم سن الامور السيئة وان من سن حسنة كان له مثل اجور من يعمل بها الى يوم القيامة ومن سن سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها الى يوم القيامة وان من دعى الى هدى كان له مثل اجور تابعيه اوالى ضلالة كان عليه آثام تابعيه سواء كان ذلك الهدى اوالضلالة هو الذي ابتدأه اوكان منسوبا اليه وسواء كان ذلك تعليم علم اوعبادة اوادبا اوغير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فعمل بها بعده معناه بعد ان سنها سواء كان العمل في حياته ام بعد موته اه والظاهر ان السنة الحسنة والسنة السيئة يترتب عليهما الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما الى يوم القيامة سواء نوى من ابتدأهما عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما اولم ينو ذلك وفعلهما لنفسه فقط ابتداء كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل متفق عليه وربما يقال لا يترتب الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما مالم يكن نوى عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما وان لم ينو فليس له الا جزاؤه على فعلهما فقط لقوله عليه الصلاة

والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى فان الحصر فى هذا الحد يث ما نع من ترتب ذلك على مجرد الفعل من غير نية الامامة فيه نظيره ماصرح به الفقهاء بان الامام اذا لم ينو الامامة فى الصلا بان يتبعه غيره فيها فلا ثواب له عليها وان صح الاقتداء به وصحت متابعته وهو منفرد فيما يصلى فثوابه ثواب المنفرد لعدم النية ويؤيده حديث من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا رواه مسلم كما تقدم وحديث من دل على خير فله مثل اجر فاعله رواه مسلم ايضا وقد صدر الشيخ النووى رحمه الله تعالى باب من سن سنة حسنة اوسيئة فى كتابه رياض الصالحين بقوله تعالى * والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما * وقوله تعالى * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا * ومعلوم ان الامام لا يصير اماما مثابا على امامته بعدد المقتدين حتى ينوى ان يتابعه غيره فى عمله والافليس باما م اذلو كان المراد مطلق الفعل لكان فى الحديث من عمل عملا حسنا من عمل عملا سيئا فان السنة مشعرة بماذكرنا ويمكن ان يقال فى حديث ابن آدم المذكور ان النبى صلى الله عليه وسلم كشف له عن حال ابن آدم انه نوى بقتله لاخيه لتشفى نفسه منه وان يتبعه غيره فى ذلك ولهذا قال عنه لانه كان اول من سن القتل ولم يقل اول من قتل فان معنى السنة الطريقة المسلوكة ولو لم يكن نوى انها تسلك بعده ماقيل عنه انه سنها كما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسن السنن بنية ان يتابعه فيها غيره فيكون اماما فيها فيترتب له ثواب من عمل بها الى يوم القيامة (ثم اعلم) يا ايها المكلف (ان فعل البدعة) السيئة فى الدين (اشد ضررا) على الفاعل وغيره (من ترك السنة) معتقدا كراهة ذلك الترك وفيه اشارة الى ان ترك السنة ليس بدعة اذا لم يعتقد الترك طاعة فان اعتقده طاعة كان بدعة سيئة فى الدين ايضا فساوى البدعة الفعلية وانما كان فعل البدعة اضر من ترك السنة لتعدى ضررها الى عمل الغير واعتقاده ماليس بشرع خصوصا فيمن ظاهره الصلاح بخلاف ترك السنة فانه وان تعدى الى الغير لم يكن متعديا فى الاعتقاد (بدليل) متعلق باشد (ان الفقهاء قالوا اذا تردد) اى المكلف (فى) فعل (شئ) من الاعمال اوالاقوال اوالعقائد اوالاحوال (بين كونه) اى ذلك الشئ (سنة) من سنن النبى صلى الله عليه وسلم فيثاب على فعلها (وبدعة) فى الدين سيئة فيعاقب بفعلها وشك فى ذلك ولم يظهر له دليل يرجح عنده احد الطرفين (فتركه) اى ذلك الشئ المتردد فيه (لازم) عليه اى واجب قال فى محيط السرخسى من كتاب السجدات ان ماتردد فيه بين الواجب والبدعة يأتى به احتياطا وماتردد بين البدعة والسنة تركه لان ترك البدعة لازم واداء السنة غير لازم اه وقال ابن نجيم الحنفى رحمه الله تعالى فى كتابه الاشباه والنظائر فى قاعدة درء المفاسد اولى من جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة

ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبالان اعتناء الشرع بالمنهيات اشد من اعتنائه بالمأمورات ولذا قال عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وروى فى الكشف حديثا لترك ذرة مما نهى الله عنه افضل من عبادة الثقلين ومن ثمة جاز ترك الواجب دفعا للمشقة ولم يسامح فى الاقدام على المنهيات خصوصا الكبائر ومن ذلك ماذكره البزازى فى فتاواه ومن لم يجد سترة ترك الاستنجاء ولو على شط نهر لان النهى راجح على الامر حتى استوعب النهى الازمان ولم يقتض الامر التكرار اه والمرأة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة من الرجال تؤخره والرجل اذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره و يغتسل وفى الاستنجاء اذا لم يجد سترة يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى والمرأة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا فى شرح النقاية ومن فروع ذلك المبالغة فى المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره للصائم وتخليل الشعر سنة فى الطهارة و يكره للمحرم وقد تراعى المصلحة لغلبتها على المفسدة فمن ذلك الصلاة مع اختلال شرط من شروطها من الطهارة او الستر او الاستقبال فان فى ذلك مفسدة لمافيه من الاخلال بجلال الله تعالى بان لايناجى الاعلى اكمل الاحوال ومتى تعذر شئ من ذلك جازت الصلاة بدونه تقديما لمصلحة الصلاة على هذه المفسدة ومنه الكذب مفسدة محرمة ومتى تضمن جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب للاصلاح بين الناس وعلى الزوجة لاصلاحها وهذا النوع راجع الى ارتكاب اخف المفسدتين فى الحقيقة (واما ترك الواجب هل هو اشد) قبحا واثما (من فعل البدعة) السيئة فى الدين لفوات امتثال الامر بالكلية فى ترك الواجب وفواته من وجه فى فعل البدعة (او) القضية (على العكس) من ذلك وهو ان فعل البدعة اشد من ترك الواجب لاعتقاد انها طاعة بخلاف ترك الواجب فانه معلوم عند تاركه بانه معصية (ففيه) اى فى ترك الواجب المتردد بين الامرين المذكورين (اشتباه) اى التباس عندنا لم يرتفع من ابتداء الامر حتى يظهر وجه الصواب فيه وبيانه ان الفقهاء (حيث صرحوا فيمن يتردد فى شئ) مطلقا (بين كونه بدعة) سيئة (و) كونه (واجبا) ولم يدر ما حكم فعله بان تعارض فيه ما يقتضى وجوبه وما يقتضى عدم مشروعيته اصلا (انه يفعله) ترجيحا لما يقتضى وجوبه احتياطا فى امتثال الامر فقالوا اذا ضاق الوقت عن الاتيان بالسنن فى الصلاة يتركها و يأتى بالصلاة الواجبة عليه وان لزمت البدعة من ترك السنن ولهذا قال فى شرح الدرر من أمن فوت الوقت يتطوع قبل الفرض الا اذا ضاق الوقت وقال الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه لان صلاة التطوع عند ضيق الوقت حرام لتفويتها الفرض كما فى البحر اه وقال فى الاشباه والنظائر لو ضاق الوقت او الماء عن سنن الطهارة حرم فعلها وذكر فى تنوير الابصار ما لو نذر ركعتين بغير طهارة ايهما يلزمانه بالطهارة عند ابى حنيفة رضى الله عنه وهو ترجيح لجانب فعل الواجب على ترك

المنهى عنه وفى الاشباه والنظائر مسئلة مالواستشهد الجنب فانه يغسل عند ابى حنيفة رضى الله عنه مع ان تغسيل الشهيد بدعة ترجيحا لوجوب غسل الجنابة وهناك فروع كثيرة يعرفهـا من تتبعها فى مواضعها (وفى) كتاب (الخلاصة) فى فقه الحنفية (مسئلة تدل على خلافه) اى خلاف ماذكر من ان فعل الواجب مقدم على ترك البدعة فقتضاها ان ترك البدعة مقدم على فعل الواجب (حيث قال) فى الكتاب المذكور فى مسائل الشك فى الصلاة (اذا شك) المصلى (فى صلاته) المفروضة عليه (انه) اى الشان (هل صلاها ام لا) ولم يغلب على ظنه شئ منهما (ان كان) ذلك وقع منه (فى الوقت فعليه) اى يلزمه (ان يعيدها) ليخرج من عهدتها بيقين كما وجبت عليه بيقين (وان خرج الوقت ثم شك) هل اداها فيه ام لا (لاشئ فيه) اى فى الشك المذكور والاصل براءة ذمته من بقائها عليه قال فى الاشباه والنظائر فى قاعدة الاصل براءة الذمة ولذا لم يقبل فى شغلها شاهد واحد ولذا كان القول قول المدعى عليه لموافقته الاصل والبينة على المدعى لدعواه ماخالف الاصل فاذا اختلفا فى قيمة المتلف والمغصوب فالقول قول الغارم لان الاصل البراءة عمازاد ولواقر بشئ اوحق قبل تفسيره بماله قيمة والقول للمقر مع يمينه ومن شك هل فعل شيئا اولا فالاصل انه لم يفعل ويدخل فيها قاعدة اخرى من تيقن الفعل وشك فى القليل والكثير حمل على القليل لانه المتيقن الا ان يشتغل الذمة بالاصل فلا تبرأ الا باليقين وهذا الاستثنـاء راجع الى قاعدة ثالثة وهى ماثبت بيقين لا يرتفع الا بيقين والمراد به غالب الظن ولذا قال فى الملتقط ولو لم يفته من الصلاة شئ واحب ان يقضى صلاة عمره منذ أدرك لا يستحب ذلك الا اذا كان اكبر ظنه فسادهـا بسبب الطهارة اوترك شرط فحينئذ يقضى ماغلب على ظنه ومازاد عليه يكره لورود النهى عنه شك فى صلاة هل صلاهـا اعاد فى الوقت شك فى ركوع اوسجود وهو فيها اعاد وان كان بعدها فلا وان شك انه كم صلى فان كان اول مرة استأنف وان كثر تحرى والا اخذ بالاقل وهذا اذا شك فيها قبل الفراغ فان كان بعده فلاشئ عليه الا اذا ذكر بعد الفراغ انه ترك فرضـا وشك فى تعيينه قالوا يسجد سجدة واحدة ثم يقعد ثم يقوم فيصلى ركعة بسجدتين ثم يقعد ثم يسجد للسهو كذا فى فتح القدير ولو اخبره عدل بعد الصلاة والسـلام انك صليت الظهر ثلاثا وشك فى صدقه وكذبه فانه يعيد احتياطا لان الشك فى صدقه شك فى الصلاة ولو وقع الاختلاف بين الامام والقوم فان كان الامام على يقين لا يعيد والا اعاد بقولهم وقال والدى رحمه الله تعالى نقلا عن الخلاصة لو اخبره رجل عدل بعد السلام انك صليت الظهر ثلاث ركعـات قالوا ان كان عند المصلى انه صلى اربع ركعات لا يلتفت الى قول المخبر وان شك المصلى فى الخبر انه صادق ام كاذب عن محمد انه يعيد صلاته احتياطا وان شك فى قول عدلين يعيد صلاته وان لم يكن المخبر عدلا لا يقبل قوله وكذا لو وقع الاختلاف بين الامام والقوم

ان كان الامام على يقين لايعيد والااعاد بقولهم ولواختلف القوم فقال بعضهم صلى ثلاثا وقال بعضهم صلى اربعا والامام مع احد الفريقين يؤخذ بقول الامام وان كان معه واحد فان اعاد الامام الصلاة واعاد القوم معه مقتدين به صح اقتداؤهم لانه ان كان صادقا يكون هذا اقتداء المتنفل بالمتنفل وان كان كاذبا يكون اقتداء المفترض بالمفترض ولواستيقن واحد من القوم انه صلى ثلاثا وواحد انه صلى اربعا والامام والقوم فى شك ليس على الامام والقوم شئ وعلى المستيقن بالنقصان الاعادة ولوان الامام استيقن انه صلى ثلاثا كان عليه ان يعيد بالقوم ولااعادة على الذى يتيقن بالتمام ولواستيقن واحد من القوم بالنقصان وشك الامام والقوم فان كان ذلك فى الوقت اعادوها احتياطا وان لم يعيدوا لاشئ عليهم الااذا استيقن عدلان بالنقصان واخبرا بذلك وقيد فى الظهيرية الاعادة بقول العدل بان كان فى الوقت والمسئلة فى المحيط مذكورة بنحوما فى الخلاصة وفى الظهيرية قال محمد بن الحسن اما انا فاعيد بقول عدل واحد بكل حال ثم فى واقعات الناطفى امام صلى بقوم وذهب فقال بعضهم هى الظهر وقال بعضهم هى العصر فان كان فى وقت الظهر فهى الظهر وان كان فى وقت العصر فهى العصر لان الظاهر شاهد لمن يدعى مايوافقه الوقت فان كان مشكلا قال فى العنابية بان كان غيما قال فى المحيط جاز للفريقين مايزعم فى القياس بمنزلة قطرة الدم وقعت من خلف الامام ولا يدرى ممن هى لان الشك فى وجوب الاعادة والاعادة لا تجب بالشك اه وتمام هذه الفروع فى المطولات (ولوكان الشك) من المصلى (فى صلاة العصر) حيث يكره النفل بعدها فانه يحترز ان تقع اعادته نفلا صحيحا تباعدا من الكراهة بان (يقرأ فى الركعة الاولى) من هذه الاربع المعادة فاتحة وسورة اوآية طويلة اوثلاث آيات قصار (و) كذلك يقرأ فى الركعة (الثالثة ولايقرأ) شيئا اصلا (فى) الركعة (الثانية و) لافى الركعة (الرابعة) كيلا يصح النفل بعد العصر على احتمال صحة صلاة العصر فان القراءة فرض فى جميع ركعات النفل متى تركها فى ركعة بطل ذلك الشفع منه وفى ركعتين غير معينتين من الفرض فقط وعلى احتمال عدم صحة صلاة العصر تقع هذه الاربع ركعات فرض صلاة العصر (انتهى) يعنى فرغ كلام الخلاصة ثم قال المص رحمه الله تعالى (وتعيين) الركعتين (الاولين للقراءة فى) صلاة (الفرض واجب) يعنى دون الفرض فتركه سهوا يوجب سجود السهو وعمدا يقتضى نقصان الصلاة لابطلانها فتجب اعادتها فى الوقت ويستحب اعادتها اذا خرج الوقت كماهو مقرر فى موضعه من كتب الفقه (وقدامر) اى امره الشارع على مقتضى اجتهاد المجتهد القائل بذلك (بتركه) اى بترك ذلك الواجب (حذرا) اى لاجل الحذر والاحتراز (عن احتمال وقوع النفل) من الصلاة (بعد) اداء صلاة (العصر) على تقدير كونه صلى العصر واما على تقدير كونه ماصلى العصر يقع النفل قبل اداء صلاة العصر وهو جائز ولهذا

يستحب تأخير صلاة العصر مالم تصفر الشمس تكثير للنوافل (وهو) اى وقوع النفل بعد العصر (بدعة مكروهة) لحديث الصحيحين لاصلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولاصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وهذه الكراهة باقية الى اداء صلاة المغرب فدخل فى النفل المكروه فى هذين الوقتين الصلاة المنذورة وركعتا الطوف ومابدأ به فافسده لا قضاء فائتة واووترا وصلاة جنازة وسجدة تلاوة وفى شرح الدرر فى مسئلة مالواتى بالقعود الاخير ثم قام فلم يتذكر حتى سجد فى الخامسة ضم اليها سادسة وقدتم فرضه قال ولوعصرا اشارة الى ضعف ماقيل لايضم فى العصر لكراهة النفل بعدها وقيل يضم لان هذا ليس بمقصود والنهى عن النفل بعد العصر يتناول المقصود فلايكره بدونه وهو الاصح كذا قال الزيلعى وفى غرر الاذكار والاصح انه اذا اتى بالفجر والعصر بعد القعود الاخير بركعة ساهيا يضم اليها ركعة اخرى لان المنهى بعدهما هو التنفل قصدا وفى شرح ابن ملك قالوا اذا صلى فى الفجر والعصر بعد القعدة الاخيرة ركعة ساهيا لايضم اليها اخرى لكراهة النفل بعدها والاصح انه يضم اليها لان المنهى عنه هو النفل المقصود وهذالم يشرع فيه بالقصد اه وهو يقتضى انه لاحاجة الى ماسبق ذكره فى مسئلة الخلاصة من ترك القراءة فى صلاة العصر فى الثانية والرابعة اذا شك فى ادائها حذرا من كراهة النفل بعد العصر حيث كان الاصح انه لايكره الا اذا كان مقصودا وهنا فى مسئلة الشك غير مقصود فلايكره ولكن لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه المسئلة لخصوص بيان الحكم فيها بل لترجيحهم فيها ترك واجب القراءة حذرا من الوقوع فى بدعة التنفل بعد صلاة العصر حيث عارض هذا القول منهم لقولهم بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة اذا وقع التردد بينهما وقداجاب عنه بقوله (فالتطبيق) اى المطابقة بين قول الفقهاء بترجيح فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة وبين عبارة الخلاصة المقتضية ترجيح ترك البدعة المكروهة على فعل الواجب (امايحمل البدعة) المكروهة فى كلام الفقهاء حيث حكموا بترجيح فعل الواجب على تركها كامر (على ما) اى فعل بدعة مكروهة (لم ينه) اى لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى (عنه) اى عن فعل تلك البدعة المكروهة (بخصوصه) اى خصوص فعل ذلك بل كان داخلا فى عموم النهى ومسئلة الخلاصة لاترد حينئذ لان البدعة فيها ورد النهى عنها بخصوصه وهو ماسبق من حديث الصحيحين (اويحمل الواجب) الواقع فى قول الفقهاء بترجيح فعله على ترك البدعة

(على معنى الفرض) الاعتقادى اوالعملى وهو مرجح على ترك البدعة المكروهة ولهذا قالوا لم يكره قضاء الفوائت بعد العصر والفجر لانها فرائض (او) يحمل (الواجب) فى قولهم على الواجب الذى هو دون الفرض (المستقل) كالوتر فى رواية وصلاة العيدين (لا) الواجب (الضمنى) الذى يكون فى ضمن غيره كتعيين القراءة

فى الاولين من الفرض اذ التابع لغيره اسهل من المستقل فى نفسه حيث يجبر الاول بسجود السهو دون الثانى (او بالحمل على) ورود (الروايتين) عن المجتهد فى مسألة الخلاصة والاصح منهما ماذكرناه مما يقتضى عدم كراهتها لان النفل فيها بعد صلاة العصر غير مقصود فلا كراهة فيه (والله تعالى اعلم) بما هو الحق والصواب فى ذلك والمشاركة فى العلم بيننا و بينه المستفادة من افعل التفضيل باعتبار ان علمنا اثر صادر عنه سبحانه فهو من علمه كنسبة لا شئ الى شئ لا يتناهى قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر اى يطلع على غيبه احدا الامن ارتضى من رسول الآية ومقتضاها انه يطلع من ارتضى من رسول والرسول يطلع امته فيكون علم الامة من علم الله تعالى فقد وجد افعل التفضيل بالمشاركة والزيادة واستعمله بعضهم بالالف واللام ولا يفيد غير حصر الاعلمية فيه سبحانه ومعنى المشاركة باق (فان قيل) اى قال قائل (ماسبق) اى فى فصل الاعتصام بالكتاب والسنة وفى اوائل هذا الفصل (قد دل) بمجموع ذلك كله جملة وتفصيلا (على ان الكتاب) العزيز القرآنى (والسنة) النبوية المحمدية (كافيان) لكل مكلف (فى امر الدين) الحق لا يحتاج من يريد القيام به فى الظاهر والباطن الى متابعة غيرهما والاستضاءة بغير انوارهما (و) دل ذلك ايضا على (ان ما) اى الذى اوامر (لم يثبت باحدهما) اى الكتاب والسنة فهو (بدعة) مكروهة (وضلالة فكيف يستقيم) مع هذا (قول الفقهاء) فى اصول الفقه (الادلة الشرعية اربعة) قال الامام النسفى فى المنار اصول الشرع ثلاثة الكتاب والسنة واجماع الامة والاصل الرابع القياس و زاد فى اصول فخر الاسلام والاصل الرابع القياس المستنبط من هذه الاصول وفى شرح مرقاة الوصول الادلة اربعة وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس وجه الضبط ان الدليل اما وحى اوغيره والوحى اما متلو فالكتاب اولا فالسنة وغير الوحى ان كان قول كل مجتهد فى عصر فالاجماع والا فالقياس (قلنا) فى الجواب عن ذلك نعم ادلة الشرع اربعة ولكنها ترجع الى اثنين الكتاب والسنة اذ (لابد للاجماع من سند) اى دليل يستند قول اهل الاجماع اليه قال فى شرح مرقاة الوصول ولابد له اى للاجماع من سند اى دليل اوامارة يستند الاجماع اليه لاستحالة الاتفاق بلا داع عادة ولان الحكم الذى ينعقد به الاجماع ان لم يكن عن دليل سمعى كان عن عقل وقد ثبت ان لا حكم له عندنا وفى شرح المنار لابن ملك وقيل ينعقد الاجماع لا عن دليل بل بالهام وتوفيق بان يخلق الله تعالى فيهم علما ضروريا ويوفقهم لاختيار الصواب كبيع التعاطى واجرة الحمام ولكن نقول ذلك فاسد لان العدول لا يتصور منهم الاجماع على حكم من احكام الله تعالى جزافا بل بناء على حديث او معنى من النصوص رواه مؤثر وماذكره من بيع التعاطى واجرة الحمام فالاجماع فيهما واقع عن دليل لانه لم ينقل الينا اكتفاء بالاجماع كذا فى جامع الاسرار وقال التفتازانى

في التلويح والجمهور على انه لايجوز الاجماع الاعن سندوامارة لان عدم السند يستلزم الخطأ اذ الحكم في الدين بلادليل خطأ ويمتنع اجماع الامة على الخطأ وايضا اتفاق الكل من غيرداع مستحيل عادة كالاجتماع على اكل طعام واحد وفائدة الاجماع بعد وجود السند سقوط البحث وحرمة المخالفة وصيرورة الحكم قطعيا ثم اختلفوا في السند فذهب الجمهور الى انه يجوز ان يكون قياسا وانه واقع كالاجماع على خلافة ابي بكر رضي الله عنه قياسا على امامته في الصلاة حتى قيل رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ديننا افلا نرضاه لأمر دنيانا وذهب الشيعة وداوود الظاهري ومحمد بن جرير الطبري الى المنع من ذلك واما جواز كون السند خبر واحد فمتفق عليه كذا في عامة الكتب وقد وقع في الميزان واصول الامام السرخسي ان المذكورين خالفوا في الظني قياسا كان او خبر واحد ولم يجوزوا الاجماع الاعن قطعي لانه قطعي فلا يبتنى الآعلى قطعي لان الظن لا يفيد القطع وجوابه ان كون الاجماع حجة ليس مبنيا على دليله اي سنده بل هو حجة لذاته كرامة لهذه الامة واستدامة لاحكام الشرع والدليل على بطلان مذهبهم انه لواشترط كون السند قطعيا لو قع الاجماع لغوا ضرورة ثبوت الحكم قطعيا بالدليل القطعي (من احدهما) اي من الكتاب اوالسنة (حالا) بان كان صريح آية او حديث واو خبر واحد (اوما لا) اي مرجعا يرجع الى كتاب اوسنة وهو القياس كما قدمناه (على) القول (الصحيح) اذ في اشتراط السند للاجماع خلاف ذكرناه وكذا في كون القياس وخبر الواحد سندا للخلاف الذي مر (و) لابد (للقياس) ايضا (من اصل ثابت باحدهما) اي بالكتاب اوالسنة (فانه) اي القياس (مظهر) للحكم الثابت به (لامثبت) له قال في شرح مرقاة الوصول القياس مظهر لامثبت والمثبت ظاهرا دليل الاصل وحقيقة هو الله تعالى ثم قال في شروط القياس وان يكون المعدى حكما شرعيا ثابتا بأحد الادلة الثلاثة الكتاب والسنة والاجماع اذ لو كان حسيا اولغويا لم يجز لان المطلوب اثبات حكم شرعي للمساواة في علته ولا يتصور الابذلك وكتب التفتازاني في التلويح على القول بان مثبت الحكم هو الله تعالى انه غير واف بالمقصود لانه ينبغي على هذا التقدير ان لا يجعل شئ من الادلة مثبتا للحكم بل يجعل مظهرا على ما ذهب اليه المحققون من ان مرجع الكل الى الكلام النفسي والاوجه ان حكم الفرع يثبت بالنص اوالاجماع الوارد في الاصل والقياس بيان لعموم الحكم في الفرع وعدم اختصاصه بالاصل وهذا واضح وفي شرح المنار لابن ملك قدم الكتاب لانه حجة من كل وجه واعقبه بالسنة لان حجيتها ثابتة بالكتاب واخرا لاجماع لتوقف حجيته عليهما ثم قال والقياس اصل بالنسبة الى حكمه فرع بالنسبة الى الثلاثة انتهى وكون حجية السنة موقوفة على الكتاب لقوله تعالى * وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * وتوقف الاجماع عليهما بسبب اشتراط

السندله وهو من احدهما حالا اوما لا كما مر فالكتاب اصل من وجه والسنة والاجماع والقياس اصول من وجه وفروع من وجه (فرجع) اى موضع رجوع (الاحكام) الشرعية كلها (ومثبتها) اى الحاكم باثباتها وتحققها (اثنان) فقط (فى الحقيقة) وهما الكتاب والسنة والادلة الباقية راجعة اليهما كما مر قال فى شرح مرقاة الوصول واما شرائع من قبلنا فملحقة بالكتاب والسنة والعرف والتعامل ملحق بالاجماع والاستصحاب والتحرى عمل باحد الاربعة والعمل بالظاهر والاظهر عمل بالاستصحاب والاخذ بالاحتياط عمل بقوله عليه السلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك والقرعة لتطييب القلب بالسنة اوالاجماع وآثار الصحابة وكبار التابعين بشبهة الحديث اوبقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقوله عليه السلام خير القرون قرنى الذين انا فيهم ثم الذين يلونهم الحديث وفى شرح ابن ملك على المنار فان قلت قد ثبت الحكم بشرائع من قبلنا وبتعامل الناس وبالاخذ بالاحتياط وبالتحرى وبآثار الصحابة فكيف حصرت الاصول فى الاربعة قلنا هذه الاحكام غير خارجة عنها اما شرائع من قبلنا فقد صارت شريعة لنا لان نبينا صلى الله عليه وسلم قصها علينا ولم ينكرها والتعامل ملحق بالاجماع العملى والاخذ بالاحتياط عمل باقوى الدلائل كما فى الاصول الثلاثة والعمل بالتحرى عمل بالسنة لانها وردت فى جوازه عند الحاجة والعمل بالآثار عمل بقوله صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم انتهى والحاصل ان كل ما ذكر راجع الى الاصول الاربعة والاصول الاربعة راجعة الى الكتاب والسنة والسنة شرح الكتاب وبيانه فهى راجعة اليه قال البيهقى فى اول المدخل ووضع يعنى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى دينه موضع الابانة عنه ما اراد بكتابه عاما وخاصا وفرضا وندبا واباحة وارشادا ووقتا وعددا فقال جل ثناؤه *وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون* انتهى فالاصل الحقيقى هو كتاب الله تعالى لا غير (فظهر) لك ايها المنصف فى الدين السالك طريق المتقين (من هذا) الكلام كله الذى تقدم فى بيان الاعتصام بالكتاب والسنة والاحتراز من البدعة وان اصول الشريعة اربعة ترجع الى اثنين هما الكتاب والسنة (ان ما) اى القول الذى (يدعيه بعض المتصوفة) اى المنتسبين الى التصوف وليسوا من اهله حيث لم يقل بعض الصوفية تطهيرا للسادة الصوفيه خلاصة اهل السنة والجماعة ان ينسب اليهم مثل هذه المقالات الشنيعة (فى زماننا) هذا الذى نحن فيه وهو عصر التسعماة وذكر امور الزمان وذم وقائعه شيء مشى عليه السلف والخلف من غير تعيين احد بذم ولا تخصيص شخص بنقيصة لقصد تحذير الغير ونصيحته قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس لما قرأت بالحرم الشريف على الناس ما ذكرته فى حق المنتسبين الى الصوفية وذمى احوالهم ثقل ذلك على شخص فقال ما دعاك الى هذا والاعراض عن هذا كان احسن وما اشبه هذا الكلام

فزادعندي اعتراضه تقوية ان هذا هوالحق لكونه ثقل عليه ولقدعمى هذا القائل
عن الاصول التي استندت اليها في هذا وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غيرمرة ولم يعتب
عليهم بل استحسن ذلك فلما وقع ذلك في اهل زمانه رأى ان ذلك فضول لكونه في ذلك
الزمان فيخاف ان يتطرق اليه الذم في نفسه فحزن ولو انصف لبحث عن نفسه
اما الاصول التي استندا اليها في ذلك فكثيرة جدا روينا عن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه انه قال يوم فتح مكة في القرن الفاضل لما فقد عقدا من عنق بعض اهله تأوه وقال
ارتفعت اليوم الامانة من الناس وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ذكره في السير
في غزوة فتح مكة والاصل الآخر بنته رضي الله عنها لما نظرت الى زمانها واهله وماهم
فيه من البخل والمذام تأوهت وقالت يرحم الله لبيدا حيث يقول * ذهب الذين يعاش
في اكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب * ثم قالت كيف به لو ادرك زماننا هذا
فذمت زمانها واهله وروينا عن غير واحد عن ابن القشيري وعن الغانمي كلاهما
عن القشيري انه قال في رسالته يذم اهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض علي واستحسن
ذلك منه انه قال لم يبق في زماننا من اهل هذه الطريقة الا آثارهم اما الخيام فانها كخيامهم
وارأى نساء الحي غير نسائها حصلت الفترة في الطريقة لا بل قد اندرست الطريقة
بالحقيقة وذمهم باشد الذم في اول الرسالة ولتداولها بين ايدي الناس اضربنا
عن حكاية قوله وروينا عن غير واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسين عن هارون
عن ابي معونة عن الاعمش عن ابي صالح قال لما قدم اهل اليمن زمان ابي بكر وسمعوا
القرآن جعلوا يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا * ثم قست القلوب * وتقريع النبي
صلى الله عليه وسلم المعذبين بمكة على اسلامهم ومنهم خباب وقاسى بلاء شديدا من اجل
اسلامه قال خباب شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم ما نلقاه من البلاء وقلنا الا تدعو الله
الا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من كان قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق
باثنين ما يصرفه عن دينه شئ او يمشط بامشاط الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه
عن دينه شئ اه ثم بسط الكلام باكثر من ذلك ولا زال كل زمان يشتمل على ما يذم
وما يمدح في طبقات جميع الناس والخير والشر باق الى يوم القيامة ومن ذم نوعا من انواع
الناس مراده اهل الشر منهم وهم موجودون وكذلك من مدح نوعا مراده اهل الخير
من ذلك النوع وهم موجودون ايضا وان زاد كل فريق على ما يقابله او نقص في كل
زمان فالفريقان لا يزولان البتة ولا يجوز تعميم الذم في زمان من الازمان لجميع اهل ذلك
الزمان لما روى مسلم باسناده في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال
الرجل هلك الناس فهو اهلكهم قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه روي اهلكهم
على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع اشهر ومعناه * اشدهم هلاكا
واما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لا انهم هلكوا في الحقيقة واتفق العلماء

على ان هذا الذم انما هو فيمن قاله على سبيل الازراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح احوالهم لانه لايعلم اسرار الله تعالى فى خلقه قالوا فاما من قال ذلك تحزنا لما يرى فى نفسه وفى الناس من التقصير فى امر الدين فلا بأس عليه كما لا اعرف من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم يصلون جميعا هكذا فسره الامام مالك وتابعه الناس عليه قال الخطابى معناه لا يزال الرجل يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فاذا فعل ذلك فهو اهلكهم اى اسوء حالا منهم لما يلحقه من الاثم فى غيبتهم والوقيعة فيهم وربما اداه ذلك الى التعجب بنفسه ورؤيته انه خير منهم (اذا انكر) بالبناء للمفعول اى انكر (عليهم) احد من الناس (بعض امورهم) التى هم موصوفون بها فى ظواهرهم اوبواطنهم اذا اظهروها (المخالف) ذلك البعض من امورهم (للشرع الشريف) والمراد لما هو المجمع عليه بين المجتهدين كالزنا وشرب الخمر والسرقة وترك الصلاة وما اشبه ذلك واما ما لم يكن كذلك فليس بمنكر قال الامام الغزالى فى الاحياء فى شروط المنكر ان يكون كونه منكرا معلوما بغير اجتهاد فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفى ان ينكر على الشافعى اكله الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربه للنبيذ الذى ليس بمسكر الى آخر ما بسطه من الكلام فى هذا المقام وقال الشيخ اللاقانى فى شرح جوهرة التوحيد قال الكافة للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثلاثة شروط الشرط الاول ان يعلم ما يأمر به وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له النهى عما يراه ولا الامر به قال السعد قال امام الحرمين ان الحكم الشرعى اذا استوى فى ادراكه الخاص والعام ففيه للعالم وغير العالم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واذا اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه امر ولا نهى بل الامر فيه موكول الى اهل الاجتهاد ثم ليس لمجتهد ان يعترض بالردع والزجر على مجتهد آخر فى موضع الاجتهاد اذ كل مجتهد مصيب فى الفروع عندنا ومن قال ان المصيب واحد فهو غير متعين عنده الشرط الثانى ان يأمن من ان يؤدى انكاره الى منكر اكبر منه والثالث ان يغلب على ظنه ان انكاره المنكر مزيل له كما سيأتى (ان حرمة ذلك) الامر المنكر المذكور ثابتة (فى العلم الظاهر) فقط فهو حرام على اهل الظاهر وحدهم (وانا) معشر المتصوفة (اصحاب العلم الباطن) وهو علم القلب ومعرفة احواله وجريان الامور على مقتضاه (وانه) اى ذلك الامر المنكر (حلال فيه) اى فى العلم الباطن فهو حلال لنا وليس بحرام علينا وهذا كفر صريح من قائله والراضى به اذ فيه انكار ما علم حكمه من الدين بالضرورة واجمعت عليه المجتهدون قال فى شرح الدرر ومن اعتقد الحلال حراما او بالعكس يكفر اذا كان حراما لعينه وان كان حراما لغيره لا يكفر وان اعتقده وانما يكفر اذا كانت حرمته ثابتة بدليل قطعى واما لو كان باخبار الآحاد فلا يكفر وقال فى جامع الفتاوى اتفق العلماء

من المتكلمين والفقهاء انه اذا انكر الحكم الشرعى الثابت بالقرآن او الحديث المتواتر او الاجماع القطعى مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج والغسل من الجنابة او من الحيض او الوضوء بعد الحدث يكفر ويقتل ان دام على ذلك ولا يقبل تأويله ولا يكون جهله عذرا الان فرض العين يكون شائعا بين المسلمين فجهله لا يكون عذرا الا اذا دق بحيث لا يعلم الا بنظر دقيق وتأمل صادق فجهله حينئذ يكون عذرا وسيأتى بقية هذا (وانكم) معشر اهل العلم الظاهر (تأخذون) جميع احكامكم العملية والاعتقادية (من الكتاب العزيز) (وانا) معشر اهل العلم الباطن (نأخذ) جميع احكامنا (من صاحبه) اى صاحب الكتاب الذى انزله الله تعالى عليه (محمد) بدل من صاحبه (صلى الله عليه وسلم فاذا اشكل علينا مسئلة) فى الاعتقاد او فى العمل (استفتيناها منه) اى طلبنا منه الفتيا فيها قال الجوهرى استفتيت الفقيه فى مسئلة فأفتانى والاسم الفتيا والفتوى وتفاتوا الى الفقيه اى ارتفعوا اليه فى الفتيا (فان حصل لنا) بفتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قناعة) اى اكتفاء (فبها) اى فقد رضينا بها (والا) اى وان لم يحصل لنا قناعة بذلك (رجعنا) فى تلك المسئلة (الى الله تعالى بالذات) تأكيد لاسم الجلالة وال عوض عن المضاف اليه والباء زائدة يعنى الى الله تعالى ذاته دون غيره لانا نعرفه تعالى فنعرف كيفية الرجوع اليه لانه اقرب الينا من حبل الوريد (فنأخذ) حكم تلك المسئلة التى اشكلت علينا (منه) سبحانه بلا واسطة احد وهذا القول كفر ايضا لا محالة بالاجماع من وجوه الاول التصريح بعدم الدخول تحت احكام الكتاب والسنة مع وجود شروط التكليف بذلك من العقل والبلوغ ووصول الدعوة والكون فى دار الاسلام ومنها التصريح بعدم قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتاه فى حكم من الاحكام وانه مخير فيه ان شاء قبله وان شاء رده ومنها دعوى تلقى الاحكام الشرعية من الله تعالى بلا واسطة نبى وذلك دعوى نبوة قال السعد التفتازانى فى شرح العقائد عند قول النسفى ولا يصل العبد ما دام عاقلا بالغا الى حيث يسقط عنه الامر والنهى لعموم الخطابات الواردة فى التكاليف واجماع المجتهدين على ذلك وذهب بعض الاباحيين الى ان العبد اذا ابلغ غاية المحبة وصفاء القلب واختار الايمان على الكفر من غير نفاق سقط عنه الامر والنهى ولا يدخله الله تعالى النار بارتكاب الكبائر وبعضهم الى انه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته التفكر وهذا كفر وضلالة فان اكمل الناس فى المحبة والايمان هم الانبياء عليهم السلام خصوصا حبيب الله تعالى مع ان التكاليف فى حقهم اتم واكمل واما قوله عليه السلام اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب فمعناه انه عصمه من الذنوب فلم يلحقه ضررها اه يعنى تيسر التوبة له ظاهرا وباطنا فى كل حال حتى يصير يستغفر الله ويتوب اليه من وجوده ومن هفوات خاطره فضلا عن افعاله الظاهرة بلا صعوبة عليه فى ذلك ولا مشقة

(وانا) معشر اهل العلم الباطن (بالخلوة) وهى الانفراد عن الخلق (وهمة شيخنا) وهوالذى عاهدوه على الدخول تحت امره ونهيه يربيهم باقواله وافعاله على حسب حالته التى هوفيها وهمته خاطره المتوجه دائما من غير فتور الى مراتب الكمال بمقتضى مايظهرله على زعمه (نصل الى) معرفة (الله تعالى) ونحظى بكمال قربه والفوزلديه (فتنكشف لنا العلوم) كلها فنأخذ منها مانريد (فلا نحتاج) مع ذلك (الى) قراءة (الكتاب) اى القران اوكتاب العلم (ولا) نحتاج الى (المطالعة) فى الكتب مطلقا (و) لاالى (القراءة على الاستاذ) اى المعلم للقرآن وللعلم وهذاالقول منهم كذب محض وافتراءعلى الله تعالى واجتراء عليه سبحانه حيث زعموا انه يوصلهم الى معرفته مع قولهم الاول الذى هوكفرصريح ان الله لايهدى القوم الكافرين نعم الخوة وهمة الشيخ الصادق العارف الكامل فى مرتبتى العلم والعمل الجامع بين علمى الظاهر والباطن كافية للمريدين ومغنيةلهم عن قراءة الكتاب والمطالعة والاشتغال فى العلوم اذهمته وحدها وغيرته الالهية لاتتركهم على جهل فى حكم من الاحكام مطلقا وحيث دخلوا تحت تربيته فهوكتاب لهم وزيادة لان عنده جميع مايحتاجون اليه ممافى الكتاب وربماكانت قراءتهم ومطالعتهم ودراستهم على استاذ غيره مانعة لهم من الدخول تحت امره ونهيه فيما يعلمه من صلاح احوالهم على مقتضى الشريعة المحمدية فهوينهاهم عن طلب العلم لئلا تألف قلوبهم الاكثار من العلم مع ترك العمل به فيكون علمهم حجة عليه ويعلمهم ماينفعهم شيئافشيئا لانه اعرف بمصالحهم منهم واما اذاكان شيخهم قاصرا جاهلا لايعلم حكم الله تعالى عليه ولاعليهم و قدامرهم بذلك فهو ضال مضل (وان الوصول الى) معرفة (الله تعالى) والتحقق بوجوده سبحانه (لايكون) اى لايوجد فى احد (الابرفض) اى ترك الالتفات الى (العلم الظاهر) بالكلية وهوالعلم المستفاد من معانى الكتاب والسنة فيما يتعلق بالاعتقاد ومايتعلق بالعمل (و) رفض اى ترك (الشرع) وهوالبيان الالهى الوارد على السنة الوسائط من الملائكة والانبياء عليهم السلام خطابا لجميع المكلفين وهذا القائل ان ارادبترك العلم الظاهر وترك الشرع عدم تعلم ذلك وعدم الاعتناء به والالتفات اليه لان العلم الظاهر والشرع لاحاجة اليه فقد سفه الخطاب الالهى وسفه الانبياء ونسب العبث والبطلان الى ارسال الرسل وانزال الكتب فلاشك فى كفره اشد الكفر وان اراد بترك العلم الظاهر وترك الشرع ترك الاشتغال بذلك عن شهود الله تعالى وحده ومراقبته سبحانه فى جميع الاحوال فهو لعمرى طريق الوصول الى الله تعالى ان لم ينضم اليه ماتقدم من المقالات لانه لايصل اليه سبحانه من اشتغل عنه بسواه ولاشك ان العلم الظاهر والشرع سواه تعالى فمن اشتغل بشئ من ذلك وظنه مقصودابالذات فقد احتجب عن الوصول اليه تعالى وغايته الوصول الى الحرمان والغرور فى جميع الامور فان من اشتغل بالطهارة ليلا

ونهار او انهمك فيها ظانا انها مقصودة بالذات وانه ماطلب منه غيرها فقد انقلب فعلها عليه ضلالا وخسرانا كما نقل الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى رحمه الله تعالى فى كتابه لطائف المنن عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى قدس الله سره انه كان يقول لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله وكان يقول لن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته او تدبير من تدبيراته اواختيار من اختياراته قال ومعنى كلام الشيخ رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله اى انقطاع ادب لا انقطاع ملل يغلب عليه التفويض الى الله وشهود حسن الاختيار عنه فيلقى القياد اليه ويترك نفسه سلما بين يديه فلا يختار مع مولاه شيئا لعلمه بما فى الاختيار مع الله من الافات ونقل عن الشيخ ابى الحسن ايضا انه قال كنت انا وصاحب لى قد اوينا الى مغارة نطلب الوصول الى الله فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل علينا رجل له هيبة فقلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك كيف حالك كيف حال من يقول غدا يفتح لى بعد غد يفتح لى فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لم تعبدين الله لله قال فتفطنا من اين دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح لنا ونقل عن الشيخ ابى الحسن ايضا انه قال الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه واجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله و بالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم فى عموم اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون فى عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلى ولا فيما هو ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا او مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع و يستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم (وانا لو كنا على الباطل) فى اعتقاد او عمل كما تزعمون انتم (لما حصل لنا) من الله تعالى (تلك الحالات) جمع حالة (السنية) اى المضيئة الرفيعة التى تقدم ذكرها وهى انا نأخذ الدين من محمد صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا اشكل علينا مسئلة استفتينا ها منه فان حصل لنا قناعة بذلك والا رجعنا الى الله تعالى بالذات فنأخذ منه سبحانه وانا بالخلوة والشيخ نصل الى الله تعالى فتنكشف لنا العلوم كلها فلا نحتاج الى قراءة و لا مطالعة ولا استاذ (والكرامات) جمع كرامة

وهى مايكرم الله تعالى به العبد فى الدنيا من الامور الخارقة للعادة من غير تحد (العلية) اى المرتفعة عن قدرة الغير (من مشاهدة) بيان للكرامات (الانوار) الملكوتية المتنزلة بالحضرات الرحمانية (ورؤية الانبياء الكبار) بالبصائر والابصار مناما بالليل ويقظة بالنهار وقائل هذا الكلام كاذب مفتر على الله وعلى الانبياء عليهم السلام وعلى نفسه اذ من كان قائلا بهاتيك المقالات المتقدمة الباطلة فهو كافر بالله تعالى والكافر فى الوساوس والاباطل فكيف يكرمه الله تعالى فى الدنيا والآخرة وكيف يهديه تعالى الى شهود الانوار ويحفه سبحانه برؤية الانبياء الاخيار ان الله لايهدى القوم الكافرين وانما يتركه يتخبط فى بحار الغرور والمكر والاستدراج يرتوى من الشراب بالسراب ويكتفى عن العذب بالاجاج كما ذكر الامام الغزالى فى كتاب ذم الغرور من احياء علوم الدين فى بيان غرور المتصوفة وقسمهم الى فرق قال* وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة فى عين الشهود والوصول الى القرب ولايعرف هذه الامور الا بالاسامى والالفاظ الا انه تلقف من الالفاظ الطامات كلمات فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والآخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيفة فهو يرددها كأنه يتكلم عن الوحى ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول فى العباد انهم اجراء متعبون ويقول فى العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعى لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه * وفرقة منهم وقعت فى الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملى فلم اتعب نفسى وبعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا مالايمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا فادركنا ان ذلك محال ولايعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع الشهوة والارب من اصلهما بل تأديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لاوزن لها وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور اهل العبادة من المتشبهين بالصوفية لاتحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن

فى الدين والعلم صالح للاقتداء وذكر الامام المحاسبي فى كتاب الغرة من الرعاية قال ان الغرة بالله عزوجل تكون من الكافرين ومن العاصين من المسلمين ومن الديانين النساك ومن العلماء وغيرهم فكل قد اغتر بشئ من الاشياء حتى ضيع امر الله عزوجل وقل حذره منه وخوفه فالغرة بالله عز وجل انما هى خدعة من النفس بصنيع الله عزوجل بالعبد وبابهم رجاء الله عزاسمه او ببعض العبادة او العلم فيغتر كثير من العباد ببعض ذلك حتى يعصى الله عزوجل وهو يرى انه من المحسنين او يكفر بالله عزوجل وهو يرى انه من المهتدين اويغتر فيعصى على علم وهو يرى انه مغفورله ناج لا يعذب فاما الغرة من الكافرين فهى خدعة من انفسهم وعدوهم بظاهر الدنيا عن الآخرة اه وقد اكثر علماء اهل السنة فى تصانيفهم من الكلام على اقسام هؤلاء المغرورين وبينوا زيغهم لئلا يغتر بهم احد من المسلمين فيفسد عليه امره كما فسدت امورهم ولم يعين العلماء احدا منهم بعينه ولا طائفة مخصوصين فلا يجوز لاحد من الناس ان يأخذ هذا الكلام الذى ذكره المصنف رحمه الله تعالى وذكرناه نحن فى حق اهل الزيغ والضلال على وجه العموم فيحمله على طائفة مخصوصين تفرس فيهم انهم على هذا الوصف المذكور فيظن فيهم سوء ويوذيهم بسبب ذلك بل كل من اشكل عليه حاله من امة محمد صلى الله عليه وسلم يحسن الظن به ويصرف كل ما يلقيه الشيطان فى قلبه من النقائص عن اخيه المسلم فان الشيطان للانسان عدو مبين ويحمل جميع ما يسمعه من ذلك على ما يعلمه الله تعالى من احوال عباده ويحترز فى نفسه من وجود شئ من ذلك فيها او يعظ به غيره على وجه العموم متقيا وقوع قلبه فى تهمة احد معين ويجتنب التجسس والظن السوء ولا يفترى على هذا المصنف اوغيره بانه يحكم على طائفة مخصوصين بما يذكره فى كتابه فينكرهو على اهل زمانه بسوء ظنه وتجسسه ويتعلل بكلام غيره من العلماء فان النهى عن المنكر فى الدين من اصله وارد على العموم والتخصيص من فهم المتفقه القاصر لقبح نيته وخبث طويته والله على ما نقول وكيل (وانا) معشر اهل العلم الباطن (اذا صدر منا) فعل (مكروه اوحرام) فى ظاهرنا او باطننا (نبهنا) بالبناء للمفعول اى نبهنا الله تعالى على ذلك الفعل المكروه او الحرام (بالنوم بالرؤيا) التى يرينا الله تعالى اياها اعتناء بنا وتسديد لامرنا وتقوية لشأننا (فنعرف بها) اى بالرؤيا التى نراها فى المنام (الحلال والحرام) من الاحكام الشرعية (وانما) اى الفعل الذى (فعلنا) مخالفا للشرع (مما قلتم) انتم يامعشر علماء الظاهر (انه حرام) علينا (لم ننه) اى لم ينهنا الله تعالى (عنه فى المنام) بالرؤيا كما عودنا ذلك (فعلمنا) من عدم نهينا عنه فى المنام (انه حلال) لنا فعله وهذا القول من غلبة الجهل عليهم وفساد عقولهم لانهم فى احكام شريعتهم يتكلون على ما يرونه فى مناماتهم من الخيالات الشيطانية والوساوس النفسانية لعدم اعتنائهم بالحلال والحرام ورفضهم بالكلية

لشرايع الاسلام نعم ان الله تعالى يجوز ان ينبه بعض اهل خصوصه ممن هو سالك على طريقة اهل السنة والجماعة فيريه فى منامه ما يسوغ له فعله وما لا يسوغ فى خصوص بعض القضايا حيث كان ذلك السالك مؤمنا كاملا على يقظة وسنة فيزل ويهفو والله تعالى يأخذ بيده وينبهه عناية به لكونه من خاصة اهل الاسلام كما كان يعرض للحارث المحاسبى رضى الله عنه فى اليقظة انه اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك فيه اصبعه وكان بعض مشايخنا ينبه للأكل الحرام برائحة كريهة كان يشمها منه ونحو هذا مما يقع للعلماء العاملين يقظة ومناما وبعيد من هذا احوال الكفرة الطغاة اعداء الشرائع والاحكام المصرين على ما تقدم من قبيح الكلام (ونحو هذا) من المقالات الشايعة التى تهدم قواعد الشريعة وترفع احكام الاسلام (من الترهات) المبنية على زخارف الاوهام وفى القاموس الترهة كقبرة الباطل والجمع ترهات وترارية وتره كسمع وقع فيها (كله) اى كل ما ذكر (الحاد) يقال الحد مال وعدل ومارى وجادل وفى الحرم ترك القصد فيما امر به واشرك به اوظلم كذا فى القاموس وهذا معناه فى اللغة وفى الشرع هو العدول عن ظواهر الكتاب والسنة لغير ضرورة دعت الى ذلك (وضلال) وهو ضد الهدى ومعناه الحيرة فى الدين والاعراض عن سبيل المؤمنين (اذ) تعليلية (فيه) اى فى كل ما ذكر من المقالات القبيحة (ازدراء) اى تحقير قال الجوهرى اذدريته اى حقرته (للشريعة الحنيفية) اى المائلة عن الباطل الى الحق قال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة قال فى شرح الكرمانى الملة السمحة التى لاحرج فيها ولاضيق على الناس وفى المغرب الحنيف المائل من كل دين باطل الى الدين الحق وفى القاموس الحنف محركة الاستقامة والحنيف كأمير الصحيح الميل الى الاسلام الثابت عليه واحتقارهم لذلك باعتبار قولهم انهم لا يأخذون من الكتاب بل من صاحبه محمد عليه السلام واذا اشكل عليهم امر استفتوه منه وان اراد وامن الحق تعالى فان فى هذا تحقيرا للشريعة المحمدية (و) ازدراء ايضا لكل من (الكتاب) العزيز (والسنة النبوية) المحمدية باعتبار قولهم انا بالخلوة وهمة شيخنا نصل الى الله تعالى فلا نحتاج الى الكتاب والمطالعة والقراءة على الاستاذ فان هذا احتقار للكتاب والسنة (وعدم) معطوف على ازدراء (الاعتماد عليهما) اى على الكتاب والسنة باعتبار قولهم ان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا برفض العلم الظاهر والشرع فانه صريح فى عدم الاعتماد المذكور (وتجويز الخطأ) فى الالفاظ (والبطلان) فى المعانى او بالعكس (فيهما) اى فى الكتاب والسنة باعتبار قولهم وانا لو كنا على الباطل الى آخره والتقدير كما انكم انتم على الباطل (العياذ) اى الالتجاء والاحتماء (بالله) تعالى من هذه المقالات الفاسدة والاباطيل الكاسدة (فالواجب) اى فرض العين (على كل من سمع) من المكلفين (مثل هذه الاقاويل) جمع اقوال (الباطلة) المضادة لقول الحق (الانكار)

اى الرد والردع (على قائله) اى قائل مثل ذلك لان انكار الباطل حق كما ان انكار الحق باطل (والجزم) اى القطع (ببطلان مقاله) اى قول مثل ذلك فى القاموس جمع القول اقوال وجمع الجمع اقاويل وقال قولا وقيلا و قولة ومقالة ومقالا (بلاشك) فى الحكم ببطلان ذلك (ولا تردد) فيه (ولا توقف ولا تلبث) اى تصبر عن الحكم بذلك فان الباطل باطل قطعا من غير شبهة (والا) اى وان شك اوتردد اوتوقفا وتلبث (فهو) محسوب (من جملتهم) اى جملة هؤلاء الكافرين القائلين بالمقالات المذكورة حيث تحقق من قائلها وتابعهم عليها وصدقهم فيها فهو منهم (فيحكم) بالبناء للمفعول اى يحكم الشرع المحمدى (بالزندقة عليهم) كلهم جملة القائلين بذلك والموافقين لهم فيه ولو بالشك والتردد والتوقف والتلبث فى امرهم بعد تحقق قولهم ذلك ومعاينته منهم لا اذا لم يتحققه ولم يعاينه بأن اخبره بذلك عنهم مخبر من الناس ولم يثبت الثبوت الشرعى و بعد الثبوت الشرعى ايضا يحتمل كون الشهود زورا فان حكم الحاكم مستندا الى الشهادة ان صدقت وان كذبت فلا قطع فى ذلك باطنا كما اشار اليه الشيخ عبد الوهاب الشعراوى فى خاتمة كتابه ميزان الذرية فى عقائد الطائفة العلية وفى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح قال ابو الليث الزنديق معروف و زندقته انه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق وعن ثعلب ليس زنديق من كلام العرب و معناه على ما يقوله العامة ملحد ودهرى وعن ابن دريد انه فارسى معرب واصله زنده اى من يقول بدوام الدهر اه وفى القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية اوالقائل بالنور والظلمة اومن لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية اومن يبطن الكفر و يظهر الايمان اوهو معرب زندين اى دين المرأة وجمعه زنادقة اوزناديق وقد تزندق والاسم الزندقة (وقد صرح العلماء) من الاصوليين وغيرهم (بان الالهام) يقال الهمه الله خيرا لقنه اياه كذا فى القاموس و يكون فى الخير والشر كما قال تعالى * فالهمها فجورها وتقواها * قال الواحدى جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا القول فى حمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا هو الوجه فى تفسير الالهام فان التبيين والتعليم والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع فى قلبه و يجعل فيه اذا اوقع الله فى قلب عبد شيئا فقد الزمه ذلك الشئ كما ذكره سعيد بن جبير وهذا صريح فى ان الله تعالى خلق فى المؤمن تقواه وفى الكافر فجوره (ليس من اسباب المعرفة بالاحكام) الشرعية التكليفية فان فى شرح مرقاة الوصول ان الهام النبى وحى بان يريه الله تعالى بنوره كما قال تعالى * لتحكم بين الناس بما اراك * الله وهو حجة منه لامته يجب عليهم اتباعه بخلاف الهام الاولياء فانه لا يكون حجة على غيره و فى شرح العقائد للتفتازانى والالهام المفسر بالقاء معنى فى القلب بطريق الفيض ليس من اسباب المعرفة بصحة الشئ عند اهل الحق وكان الاولى ان يقول ليس من اسباب العلم بالشئ الا انه حاول

التنبيه على ان مرادنا بالعلم والمعرفة واحد لاكما اصطلح عليه البعض من تخصيص العلم بالمركبات او بالكليات والمعرفة بالبسائط او بالجزئيات الاان تخصيص الصحة بالذكر مما لاوجه له ثم الظاهر انه اراد ان الالهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للالزام على الغير والافلا شك انه قد يحصل به العلم وقد ورد القول به فى الخبر وقد حكى عن كثير من السلف اه وطائفة المحققين من اهل الله تعالى جميع علومهم التى يعتمدون عليها فى دينهم الهامية وهبية واما العلوم الاكتسابية فهى آلة عندهم لتحصيل مقام الالهام كما نقل المناوى فى شرح الجامع الصغير قال الامام مالك علم الباطن لايعرفه الامن عرف علم الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل به فتح الله عليه علم الباطن ولايكون ذلك الامع فتح قلبه وتنويره وقال ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله فى القلب يشير الى علم الباطن وقال التونسى اجتمع العارف على وفا والامام البلقينى فتكلم على معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقينى من اين لك هذا ياعلى قال من قوله تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * فامسك وقال العارف سهل التسترى خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ولولا ان ادراك قلب من له قلب بالنور الباطنى حاكم على علم الظاهر لما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم استفت قلبك فكم من معان دقيقة من اسرار القرآن تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلو عنها زبر التفاسير ولايطلع عليها افاضل المفسرين ولامحقق الفقهاء المعتبرين وفى طبقات الشعراوى فى ترجمة الشيخ على الخواص رضى الله عنه انه كان يقول لايسمى العالم عالما عندنا الااذا كان علمه غير مستفاد من نقل اوصدر بان يكون خضرى المقام اماغير هذا فانما هو حامل لعلم غيره فقط فله اجر من حمل العلم حتى اداه لااجر العالم والله لايضيع اجر المحسنين ثم قال ومن اراد ان يعرف مرتبته فى العلم يقينا لاشك فيه فليرد كل قول حفظه الى قائله وينظر بعد ذلك الى علمه فما وجده معه فهو علمه واظن لايبقى معه الاشئ يسير لايسمى به عالما اذا علمت هذا فاعلم ان الالهام ليس حجة عند علماء الظاهر والباطن بحيث تثبت به الاحكام الشرعية فيستغنون بذلك عن النقل من الكتاب والسنة بل هو طريق صحيح لفهم معانى الكتاب والسنة عند المحققين من علماء الباطن بعد تصحيح العمل على مقتضى مافهم بالاجتهاد من معانى الكتاب والسنة والاكان وسوسة شيطانية لايجوز العمل به كما قال الامام القسطلانى فى مواهبه لايظهر على احد شئ من نور الايمان الاباتباع السنة ومجانبة البدعة واما من اعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق بالعلم من مشكاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدعواه علما لدنيا اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا موافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدنى نوعان لدنى روحانى ولدنى شيطانى فالروحانى

هوالوحى ولاوحى بعدالرسول صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها فى تجويز الاستغناء عن الوحى بالعلم اللدنى الحاد و كفر مخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمور ابمتابعته ولوكان مأمورابها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى و يكون معه ولهذا قال له انت موسى بنى اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة للانس والجن فى كل زمان ولوكان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه فمن ادعى انه مع محمد صلى الله عليه وسلم كالخضر مع موسى عليهما السلام اوجوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه وليشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدنى الروحانى هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبى الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ دون الناس فقال لا الافهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه فهذا هو العلم اللدنى الحقيقى واتباع هذا النبى الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستوحشين ودليل المتحيرين (وكذلك) اى كالالهام ليس من اسباب المعرفة بالاحكام الشرعية (الرؤيا) التى يراها الانسان (فى المنام) قال فى شرح المواقف واما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين وفى حاشية حسن چلبى فيه بحث لانه ثبت بالاحاديث الصحيحة ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل الرؤيا الصالحة جزأ من ستة واربعين جزأ من النبوة وعمل بها قبل الوحى ستة اشهر فكيف تكون خيالا باطلا اللهم الا ان يقال الباطل مطلقا عند المعتزلة هو كون ما يتخيله النائم ادراكا بالبصر رؤية وما يتخيله ادراكا بالسمع سمعا وهكذا واما كون العلم الحاصل فى النوم خيالا باطلا وكون النوم مضادا للعلم فانما هو بالنسبة الى عامة الخلق واما عند الاصحاب فالظاهر ان الكل بالنسبة الى عامة الخلق ويؤيده تعليلهم ذلك لعدم جريان العادة بخلق الادراك فى الشخص وهو نائم لدلالته على جواز ذلك بطريق خرق العادة كسائر المعجزات والكرامات وفى شرح المناوى على الجامع الصغير ذكر الحكيم الترمذى ان سبب الرؤيا ان الانسان اذا نام سطع نور النفس حتى يجول فى الدنيا ويصعد الى الملكوت فيعاين الاشياء ثم يرجع الى معدنه فان وجد مهلة عرض على العقل والعقل يستودع لحفظ ذلك وقال بعضهم الرؤيا الصالحة من اقسام الوحى فيطلع الله النائم على ما جهله من معرفة الله والكون فى يقظته ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اذا اصبح سأل هل رأى احد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لانها

آثار نبوة فى الجملة فكان يجب ان يشهدها فى امته قال والناس فى غاية من الجهل بهذه المرتبة التى كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعتنى بها و يسأل عنها كل يوم واكثرهم يهزأ بالرائى اذا رآه يعتمد الرؤيا وفى شرح مسلم للامام النووى عند قوله صلى الله عليه وسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب قال الخطابى وغيره قيل المراد اذا قارب الزمان ان يعتدل ليله ونهاره وقيل المراد اذا قارب القيامة والاول اشهر عند عبر الرؤيا وجاء فى حديث ما يؤيد الثانى وقوله صلى الله عليه وسلم اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ظاهره انه على اطلاقه وحكى القاضى عن بعض العلماء ان هذا يكون فى آخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين ومن يستضاء بقوله وعمله فجعله الله تعالى جابرا وعوضا ومنبها لهم والاول اظهر لان غير الصادق فى حديثه يتطرق الخلل الى روايته وحكايته اياها وقوله صلى الله عليه وسلم ورؤيا المؤمن جزء من خمسة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة وفى رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزأ من النبوة فحصل ثلاث روايات المشهورة ستة واربعين والثانية خمسة واربعين والثالثة سبعين جزأ وفى غير مسلم من رواية ابن عباس اربعين جزأ وفى رواية من تسعة واربعين وفى رواية العباس من خمسين وفى رواية ابن عمر من ستة وعشرين وفى رواية عبادة من اربع واربعين قال القاضى اشار الطبرى الى ان هذا الاختلاف راجع الى اختلاف حال الرائى فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزأ من ستة واربعين جزأ * والفاسق جزء من سبعين جزأ وقيل المراد ان الخفى منها جزء من سبعين جزأ والجلى جزء من ستة واربعين قال الخطابى وغيره قال بعض العلماء اقام صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ثلاثا وعشرين سنة منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى فى المنام الوحى وهى جزء من ستة واربعين جزأ قال المازرى وقيل المراد ان للمنامات شبها مما حصل له ومزية من النبوة بجزء من ستة واربعين قال وقد قدح بعضهم فى الاول بانه لم يثبت ان امد رؤياه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ستة اشهر وبانه رأى بعد النبوة منامات كثيرة فلتضم الى الاشهر الستة وحينئذ تتغير النسبة قال المازرى هذا الاعتراض الثانى باطل لان المنامات الموجودة بعد الوحى بارسال الملك منغمرة فى الوحى فلم تحسب قال ويحتمل ان يكون المراد ان المنام فيه اخبار بالغيب وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير فى جنب النبوة لانه يجوز ان يبعث الله نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا ولا يقدح ذلك فى نبوته ولا يؤثر فى مقصودها وهذا الجزء من النبوة وهو الاخبار بالغيب اذا وقع لا يكون الا صدقا قال الخطابى هذا الحديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها قال وانما

كانت جزأ من اجزاء النبوة فى حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى اليهم فى منامهم كما يوحى اليهم فى اليقظة قال الخطابى وقال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تأتى على موافقة النبوة لا انها جزء باق من النبوة اه والحاصل ان الرؤيا المنامية بمنزلة الالهام الروحانى ليس من اسباب المعرفة بالاحكام الشرعية وان كان كل واحد منهما جزأ من اجزاء النبوة ووجها من وجوه الوحى النبوى فى اهل الدين والصلاح يعتمد عليهما اصحاب التقوى فتكشف بهما لهم ما خفى عنهم من دقائق المعارف والحكم الربانية ولطائف الاسرار والحقائق الرحمانية بعد اعتمادهم فى اصلاح ظواهرهم وبواطنهم على طبق الكتاب والسنة وترك البدعة والمعصية دون تقليد شئ منهما فى ثبوت حكم من الاحكام العملية او الاعتقادية بخلاف ما يزعمه اهل الزندقة والالحاد من الاكتفاء بهما عن الكتاب والسنة فى استفادة احكام الله تعالى منهما فان ذلك دعوى نبوة اذ الالهام والرؤيا المنامية قسمان من اقسام الوحى النبوى يأخذ النبى منهما احكام الشرايع التى كلف الله تعالى بها نفسه وامته فلو كان الولى كذلك لكان نبيا وغاية ما للولى من الوراثة فى ذلك الهام الاحكام التى جاء بها اليه نبيه فقبلها منه فى اليقظة وتعرض عليه فى المنام ايضا فيقبلها فالهامه ورؤياه مظهران له ما خفى عليه لا مثبتان عنده ما جحده والله الموفق للصواب (خصوصا اذا خالفا) اى الالهام والرؤيا فى المنام مقتضى (كتاب) الله (العليم العلام او) مقتضى (سنة محمد) نبى الله (عليه الصلاة والسلام) فانهما حينئذ ليسا من اسباب المعرفة بالاحكام بالطريق الاولى اذ لا يصلح ذلك فى الولى مثبتاً لشرع جديد ولا ناسخاً لشئ من احكام الشرع المحمدى لانقطاع الوحى وختم النبوة والشرع لا يثبته الا النبوة ولا ينسخه الا شرع مثله (وقد قال سيد الطائفة الصوفية) من التصوف قال القشيرى فى رسالته هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفى وللجماعة الصوفية ولمن يتوصل الى ذلك يقال له متصوف وللجماعة المتصوفون وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فاما قول من قال انه من الصوف وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فالنسبة الى الصفة لا تجئ على نحو الصوفى ومن قال انه من الصفا فاشتقاق الصوفى من الصفا بعيد فى مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكأنهم فى الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة من الصف ثم هذه الطائفة اشهر من ان يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واستيبان اشتقاق وتكلم الناس فى التصوف ما معناه وفى الصوفى من هو وكل عبر بما وقع له ثم استقصى جملة من كلام القوم فى التصوف

والصوفى يطول ذكرها (وامام ارباب) اى اصحاب (الطريقة) وهى معرفة اخلاق النفس وصفات القلب وكيفية قطع المنازل فى السير الى الله تعالى ودخل فيها الشريعة التى هى معرفة كيفية الاعتقاد الصحيح اجمالا وكيفية العمل الصالح اجمالا لانها قبل الطريقة فلا طريقة لمن لا شريعة له (والحقيقة) وهى مشاهدة الربوبية فى حالة القيام بالعبودية والانباء عن تصريف الحق فيما ورد من تكليف الخلق ابو القاسم (الجنيد) بن محمد (البغدادى) نسبة الى بغداد المدينة المعروفة اصله من نهاوند ومنشاؤه ومولده العراق وابوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريرى وكان فقيها على مذهب ابى ثور صحب السرى السقطى والحارث بن اسد المحاسبى ومحمد بن على القصاب مات سنة سبع وتسعين ومأتين (عليه رحمة الله الهادى) لمن يشاء الى صراط مستقيم (الطرق) جمع طريق وهو المسلك الموصل الى الله تعالى (كلها) تأكيد للطرق (مسدودة) اى لا يمكن السلوك منها الى الله تعالى لعدم ايصالها اليه بسبب رد السالك فيها وصده عن بلوغ غايتها والمراد بها جميع الشرايع والاديان والمذاهب المخالفة فان اهلها الآن ما سلكوا فيها الا ليصلوا منها الى الله تعالى فهى طرق الى الله تعالى باعتبار زعم اهلها لا فى حقيقة الامر ولهذا اخبر عنها انها مسدودة والمسدود ليس بطريق الا بمجرد الزعم لمن لم يعرف ذلك فان الجاهل اذا سلك طريقا فانتهى فيه الى حدور اوثه مسدود تبين له حينئذ انه ليس بطريق فيرجع من حيث سلك وقد زعم فى الاول بانه طريق ثم تبين له خلاف ذلك (الا على من) اى الذى او رجل (اقتفى) اى اتبع (اثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) بان سار كسيره فى تلك الطرق المذكورة كلها فانها حينئذ ليست بمسدودة عنه بل مفتوحة له يدخل منها الى حضرة الله تعالى بسبب سيره فيها السير المخصوص الذى لا تعرفه اهلها السالكون فيها وهم على الباطل منها والى هذا المعنى يشير شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه من ابيات له مطلعها قوله

ما فى المناهل منهل مستعذب * الا ولى فيه الالذ الاطيب

وقول الشيخ محيى الدين بن العربى قدس الله سره من ابيات له ايضا * عقد الخلائق فى الاله عقايدا * وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه * فان جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات الحق تعالى من حيث حضرات افعاله سبحانه وكفر اهلها باعتبار دعواهم ان بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الافعالية هى ذات الحق سبحانه على ما هى عليه فى الغيب المطلق وهو خطأ محض وجهل وكفر وهذا المعنى هو الذى سدت به تلك الطرق كلها وما انفتحت الا للمحمديين من ورثة الاولياء فاخذوا منها الالذ الاطيب وهو شهود تجليات حضرات الافعال الالهية وتركوا ما انسدت به هذه الطرق من دعاوى ما فوق ذلك من تجليات الذات الالهية المطلقة

مع بقاء شهود آثار افعالها الكونية فانظر قول الجنيد رضي الله عنه ذلك فانه لولا اقتفاء اثر الرسول صلى الله عليه وسلم لما انفتحت تلك الطرق للسالك في الوصول الى الله تعالى وفيه اشارة الى ان طريق الحق ليس طريقا معينا منفردا عن تلك الطرق كلها ولا واحدا منها بل هو طريق منفتح يوصل من سلك فيه الى الله تعالى وجميع تلك الطرق اذا انفتح شيء منها كان هو طريق الحق واذا انسد فهو طريق الباطل وانفتاحه بعدم الوقوف فيه عند شيء مطلقا دون من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والوقوف عند شيء هو الانسداد (وقال) الجنيد البغدادي ايضا رضي الله عنه (من لم يحفظ القرآن) بكلماته ومعانيه وحدوده واحكامه وظاهره وباطنه ومعارفه وحقائقه واسراره (ولم يكتب) اي يجمع في طرسه اونفسه (الحديث) النبوي بلفظه ومعناه وظاهره وباطنه واسراره وانواره (لايقتدى) بالبناء للمفعول اي لايجوز لاحد من السالكين ان يقتدى (به) اي بمن خلا عن ذلك وهو الجاهل المغرور بالغفلة والقصور (في هذا الامر) العظيم الذى هو السلوك والوصول الى الله تعالى وفيه اشارة الى انه اذا لم يقتدبه لايلزم ان يكون هو على باطل في نفسه اذ يجوز ان يفتح الله تعالى على قلب احد من الناس وهو امي لايقرء ولايكتب ولايعرف قرآنا ولاحديثا فيصير عارفا بالتجليات الالهية والحقايق الربانية واذا قرئ عليه القرآن اوالحديث تكلم في معاني ذلك بما يبهر العقول من الفتح لامن النقل وقد وجد كثير على هذه الصفة لكن لايصلح للاقتداء به وجعله اماما في الارشاد والتسليك وان كان هو وليا فانه ليس بمرشد كما قال تعالى * ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اذ الارشاد يحتاج الى معرفة احكام الكتاب والسنة واساليبهما في المحاولة للامور بالترغيب والترهيب والامر والنهي وغير ذلك كمن شدت عيناه بخرقة وادخل الى دار فانه لايعرف من اين دخل اليها هو حتى يرشد غيره الى طريق الدخول فيها بخلاف من دخلها مفتوح البصر فانه يعرف طريقها الموصل اليها فيهتدى السالك بدلالته الى الوصول اليها (لان علمنا) هذا الذى هو علم الحقايق الالهية والمعارف الربانية (ومذهبنا هذا) الذى هو مذهب السلف الصالحين والخلف المتقين (مقيد بالكتاب والسنة) لايخرج شيء من ذلك عن مقتضاهما اصلا وان كان متلقى من الفيض والفتح لامن الكتب ولامن افواه المشايخ لكنه مطابق لمقتضى ذلك اذا حققه العارف وجده كذلك ولايجهله وينكره على اهله لعدم قدرته على المطابقة بينه وبين الحق النقلي الا الشقي الهالك قال الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره في الباب الرابع عشر وثلاثمائة من كتاب الفتوحات المكية ثم لتعلم انه اذا رقت الاولياء في معارج الهمم فغاية وصولها الى الاسماء الالهية التي تصليها فاذا وصلت اليها في معارجها افاضت عليها من العلوم وانوارها على قدر الاستعداد

الذي جاءت به فلا تقبل منها الا على قدر استعدادها ولا يفتقر في ذلك الى ملك ولا رسول فانها ليست علوم تشريع وانما هي انوار فهو فيما اتى به هذا الرسول في وحيه او في الكتاب الذي انزل عليه او الصحيفة لا غير وسواء علم ذلك الكتاب اولم يعلمه ولا سمع بما فيه من التفاصيل ولا يخرج علم هذا الولي عما جاء به ذلك الرسول من الوحي عن الله تعالى وكتابه وصحيفته لابد من ذلك لكل ولي صديق برسوله الى هذه الامة فان لهم من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبي العلم والفتح والفيض الالهي بكل ما يقتضيه وحي كل نبي وصفته وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت هذه الامة على كل امة من الاولياء فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه قال الجنيد رحمه الله تعالى في هذا المقام علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الآخر كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشيء فلا يفتح لولي قط الا في الفهم في الكتاب العزيز فلهذا قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال سبحانه في الواح موسى عليه السلام وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فلا يخرج علم الولي جملة واحدة عن الكتاب والسنة فان خرج واحد عن ذلك فليس بعلم ولا علم ولاية مقابل اذا حققته وجدته جهلا والجهل عدم والعدم ماله وجود محقق وفي الباب الثاني والتسعين وما ئتين قال رضي الله عنه في علم الافصاح الالهي عن درجات القرب الالهي من حضرة اللسن اعلم ان ذلك معرفة علم الشارع المترجم عن الله تعالى الذي امرنا بالايمان بمحكمه ومتشابهه ولنقبل جميع ما جاء به فان تأولنا شيئا من ذلك على انه مراد المتكلم في نفس الامر زال عنا درجة الايمان فان الدليل حكم على الخبر فتعطل حكم الايمان وجاء العلم الصحيح من المؤمن يقول لصاحب هذا الدليل اما القطع منك بان هذا اعطاك نظرك هو مقصود المفصح بما افصح به فهو عين الجهل وفقد العلم الصحيح وقد ازال عنك الايمان والسعادة مرتبطة بالايمان وبالعلم الصحيح والعلم الصحيح هو الذي يبقى معه الايمان فعلى العارف ان يبين طريق السعادة نيابة عن الله تعالى في خلقه كنيابة القمر عن الشمس في اتصال النور فالانبياء عليهم السلام هم التراجمة عن الحق والورثة على مدرجتهم بما يعطيهم الله تعالى من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة اه وذكر الشيخ محيي الدين ايضا في شرح الوصية اليوسفية قال ومريد التربية ما عنده ميزان الشرع انما ذلك للشيخ الذي يربيه فحقه ان يعرض غرضه وخياله على الشيخ خاصة والشيخ ينظر في ذلك بما يعلمه من الله فيه والميزان هنا ما اراده الجنيد بقوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة والمعنى في ذلك ان الذي وجدوه من العلم في بواطنهم والعزم وغير ذلك انما هو نتيجة عن العمل بالكتاب والسنة وسبب ذلك ان الامور المفتوح بها على النفوس من جانب الارواح العلوية المسمين في الشرع ملائكة وعند القدماء عقولا فعالة قد ترد بهذه الامور

على النفوس عند تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من اسرها وصفائها برياضة
ومجاهدة وصقالة مرآتها ينتقش بها فيها جميع ما فى العالم فينطق بالغيوب و يعلم
ماهو الامر عليه وسواء كانت هذه النفوس مقيدة بالشرع الخاص على طريق
الايمان به اولم تكن فان صفائها يعطى ذلك اى يعطى لحوقها بالاصل الذى صدرت
منه فاخبرت الاعما اعطاه مقامها ومحلها فقال الجنيد هذا الحاصل لنا ولاهل الله
لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء يعنى بالنظر الفكرى فى اصل خلقة النفوس وما اهلت
له وانما سلكنا بما قال لنا الشارع وآمنا به واخذنا عنه سلوكنا وان وقعت المشاركة
فى الفتح والنتيجة فان اصحاب الاذواق يجدون فرقا بين الادراكين بينا ذوقا ثم ان اهل الله
العاملين على الايمان يكون لهم من الله القاء خاص لاينا له ابدا من لم يكن طريقه
الايمان وبهذا ايضا يفترق الصنفان وهذا قول الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة
اى انه لم يحصل لنا الا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله اه فاذا علمت هذا ظهر لك
ان علم الولى مأخوذ من الله تعالى بطريق الالهام والفتح والفيض لا بطريق التعلم
والقراءة والدراسة على المشايخ ومطالعة الكتب ولكن شرطه ان يكون مطابقا لعلم
الكتاب والسنة الذى عند المجتهدين فيما اجمعوا عليه من الحق وقد يخالف ما اختلفوا
فيه لعدم تعين الحق عندهم فى موضع الاختلاف وهو معنى قول الجنيد رضى الله
عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة لا ان معناه ان الولاية مشروطة بقراءة الكتاب والسنة
على المشايخ وتعلم العلوم الظاهرة التى هى مادة الفهم فى ذلك عند المحجوبين من اهل
الغفلة كما يظنه كثير ممن يطالع هذا الكتاب وغيره فينكر الكمال على اهل الفتح
والفيض من الاميين الذين لا يقرؤن ولا يكتبون ونحوهم ممن يقرأ ويكتب ولكن
لم يشتغل فى طلب العلم الظاهر وان كان ذلك شرطا فى الارشاد واقتداء المريدين به
ليتيقن المطابقة ويصير على بصيرة فى امره فانها حالة الداعى الى الله كما قال تعالى
* قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى * واما بقية الاولياء ممن لم يقمهم
الله تعالى فى مقام الدعوة اليه وان اجتمعت عليهم الناس واتخذوهم مشايخ لا باذنهم
بل للناس فى ذلك اغراض ومقاصد فلا يشترط فى كونهم اولياء حفظهم الكلمات
القرآن ولا كتابتهم للحديث النبوى بل يكفى موافقة علومهم الكشفية لذلك عندهم
وعند من يعرف الموافقة بينهما ولا يضر انكار الجاهل والقاصر لان المقصود
من الكتاب والسنة العمل بمقتضى ما فيهما لا مجرد علمهما فاذا وجد المقصود
بتعليم الله تعالى حصل المراد الالهى ولهذا لما ظن المغرورون بعلم الكتاب
والسنة على فرض اتقانهم معرفة ذلك انهم ممتثلون امر الله تعالى ونهيه
بمجرد علمهم بذلك ومباشرتهم وعظ غيرهم به من غير عمل بشئ منه فى انفسهم
وان عملوا بالبعض ابتدعوا بالزيادة والنقصان ومهدوا لانفسهم الرخص فى تسليك

اغراضهم عند الظلمة انكروا على المتقيدين بالاعمال الصالحة بتوفيق الله تعالى لهم ذلك والهامه لهم وفتحه على قلوبهم ماهو الحق والصواب عنده من غير اشتغال بتلك العلوم القولية واستحالوا وجود ذلك الابتعلم علمهم واخذه عنهم والسير على سيرتهم وعلموا لفظ التوفيق وانكروا معناه فى المكلفين الذى هو خلق الطاعة فى العباد وجعل العباد موافقين لماهو الحق والصواب عناية من الله تعالى بهم كما وقع لسيد التابعين اويس القرنى رضى الله عنه وغيره ممن لايعرف القراءة ولا الكتابة اتخذهم الله تعالى اولياء ووفقهم للاعمال الصالحة على طبق الكتاب والسنة من غير تعلم ولا اخذ عن شيخ اصلا وهؤلاء المنكرون تجسسوا على عباد الله وقد ورد فى علمهم حرمة التجسس وكشفوا عورات اهل الاسلام وفى علمهم حرمة ذلك ولم يأولوا ماظهر لهم من احتمال الخطأ فى اقوال المؤمنين وافعالهم وهم مأمورون بذلك فى علمهم الذى يتكبرون به على عباد الله ويقطعون بسببه لانفسهم بالنجاة من الله يوم القيامة وهلاك غيرهم ممن لايعلم علمهم المذكور ويسيؤن الظنون بكلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وكلام غيره من اهل التصانيف المصرحين بالانكار على من خالف الشريعة ونابذ احكامها على العموم فى كل من خالف ونابذ فتراهم يخصصونهم فى انكارهم فيقذفون قوما مخصوصين ويلعنونهم ويشتمونهم وينسبون ذلك الصنيع الى الكتب فيقولون قال فلان فى كتابه كذا وقال فلان فى كتابه كذا وفلان انما قال فيمن هو موصوف بذلك وجميع العالم باعيانهم عنده بريئون مما قال وان قال مما هو موجود فى زماننا فان مالم يعلم بعينه لا اثم فيه والكتاب والسنة على انكار المناكر بوجه العموم لا الخصوص لان الخصوص فضيحة وهتك وسوء ظن وتجسس وكل هذا حرام فى علمهم الذى هم يزعمون القيام به (وقال) ابو الحسن (السرى) ابن المفلس (السقطى) خال الجنيد واستاذه وكان تلميذ معروف الكرخى كان اوحد زمانه فى الورع والاحوال السنية وعلوم التوحيد (التصوف) عند السادة الصوفية (اسم لثلاثة معان) هى اصول فى طريق القوم رضى الله عنهم المعنى الاول (وهو) اى الصوفى المفهوم من ذكر التصوف (الذى لايطفئ نور معرفته) بالله تعالى (نور ورعه) اى امتثاله لأوامر الله تعالى واجتنابه عن نواهيه على اكمل الوجوه وقال القشيرى فى رسالته الورع ترك الشبهات وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل اه وانما كان الصوفى قائما بالنورين لان نور المعرفة فى القلب يكشف به عن حقايق الموجودات الجسمانية والعرضيه ويطلع على حضرات الذات وتجليات الاسماء والصفات ونور الورع فى الجسد يعمل به جميع ماامره الله تعالى ان يعمله به على وجه الكمال ويكف به عن كل مانهاه الله تعالى عنه بأتم مايكون فتى اشكل مراعاة النورين واشتغل عن الآخر الالتفات لاحد الشيئين يكون قد فقد معنى التصوف وزالت حقيقته من التعرف وقال الغزالى فى مشكاة الانوار القلب بيت هو منزل الملائكة والصفات

الردية كالغضب والشهوة والحسد والكبر كلاب نابحة فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال عليه الصلاة والسلام ان الملائكة لاتدخل بيتافيه كلب ولاصورة قال ولست اقول المراد بلفظ البيت القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة بل اقول هو تنبيه عليه ودخول من الظواهر الى البواطن مع تقرير الظواهر فبهذه القضية فارقنا الباطنية فان هذا طريق الاعتبار ومسلك الائمة الابرار ومعنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلاتقتصر على ماذكر ولاتظنن ان هذا الانموذج بطريق ضرب الامثال رخصة مني في دفع الظواهر واعتقادي ابطالها حتى اقول مثلالم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك وحاشالله فان ابطال الظواهر رأى الباطنية كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فان الذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولهذا ورد للقرآن ظاهر وباطن وحد ومقطع بل اقول فهم موسى عليه السلام من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الأمر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بطرح العالمين فهذا هو الاعتبار اى العبور من الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لاتدخل بيتافيه كلب فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة اذالغضب غول العقل وبين من يمتثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضرارة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن سر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر فهذا هو الكمال وهو المعنى بقولهم الكامل من لايطفئ نور معرفته نور ورعه اه والحاصل ان الكمال هو الجمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة وهو معنى التصوف في قول السري المذكور (و) المعنى الثاني الصوفي هو الذي (لا يتكلم بباطن) اى بحقيقة (في علم) من علومه النورانية (ينقضه) اى ينقض ذلك الباطن بمعنى يبطله ويظهر فساده (عليه ظاهر الكتاب) العزيز اى مايظهر من معاني القرآن لكل مكلف فاذا لم ينقضه ظاهر الكتاب فهو تصوف صحيح وان نقضه كان فاسدا والذي يتأتى منه نقضه هو صاحب التحقيق في العلم الظاهر والعلم الباطن لاكل احد من الناس فان نقض القاصر في درجة الكمال لايعتبر لعدم معرفته بالتطبيق بين بواطن الحقايق وظواهر الشرايع خصوصا اذا كان لايعرف اصطلاحات الصوفية في خطاباتهم ومواقع كلامهم فان قول ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه سبحاني ما اعظم شاني مثلا عند من لم يعرف اصطلاح القوم ولم يكن صاحب تحقيق في علمي الظاهر والباطن منقوض بظاهر القرآن العظيم فان ذلك دعوى ربوبية منه عند القاصر مع ان ابا يزيد رضي الله عنه عارف رباني وكامل صمداني فلابد من عالم محقق في العلمين يعرف اصطلاح الفريقين بشرح معنى ذلك على وجه لايخالف ظاهر القرآن ويكون معنى عظم الشان

والمفهوم من كلام الشيخ محي الدين بن العربي رضي الله عنه في بعض كتبه ان معنى ذلك كمال التنزيه للحق تعالى وهو تنزيه التنزيه فانه لما رأى تنزيهه لله تعالى وتسبيحه له عما لايليق به مخلوقا فيه لله تعالى ورآه ظاهرا منه على حسب استعداده والحق تعالى اعظم واجل تحقق ان الحق تعالى ظهر له على حسب استعداده بل استعداده ظهر له في حضرة تجلي الحق المطلق فعلم ان تسبيحه لله تعالى وتنزيهه راجع الى غاية استعداده الظاهر له في مرآة التجلي المطلق فارجعه الى استعداده في نفسه وقنع بالعجز عن التنزيه والتسبيح في تنزيه الله تعالى وتسبيحه فقال سبحاني ثم لما رأى جميع المنزهين والمسبحين متوجهين بالتنزيه والتسبيح الى غاية استعدادانهم في التجلي المطلق واستعداده اتم الاستعدادات فقال ما اعظم شاني وهو موافق لما في القرآن لامناقض له وهذا مقدار مايليق بهذا الموضع من معنى كلامه فاذا تكلم احد من العارفين في هذا الزمان بكلام نظير هذا الكلام ينبغي ان يعرض كلامه على اهل المعرفة الجامعين بين علمي الظاهر والباطن فانهم يعرفون معناه من غير ان ينقضه ظاهر الكتاب واما القاصرون من علماء الرسوم الذين لايعرفون الاظواهر العلوم فلاعبرة بكونه مناقضا عندهم لظاهر القرآن لانهم لايعلمون اشارات الصوفية ولاموا جيد اهل الكمالات العرفانية فغايتهم انهم يستنطقون الكلمات بحسب اعرابها ومعانيها اللغوية و يفوتهم الوضع الخاص المسمى بالاصطلاح فيقعوا في سب اهل الكمال وهم قاصرون و يحكموا بتخطئة المصيب وهم لايشعرون فان لكل ميدان مجالا ولكل مجال رجالا ونظير هذا ما وقع للشيخ ابي الغيث ابن جميل قدس الله سره انه جاء اليه جماعة من الفقهاء فقال لهم مرحبا بعبيد عبدي فاشتد انكارهم عليه فذكروا ذلك للشيخ اسماعيل الحضرمي رضي الله عنه وكان من اهل العلم الظاهر والباطن فقال صدق انتم عبيد الهوى والهوى عبده (و) المعنى الثالث الصوفي هو الذي (لاتحمله الكرامات) جمع كرامة وهي الامور الخارقة للعادة بلادعوى نبوة (على هتك) اي عدم احترام (محارم الله تعالى) اي محرماته التي حرمها تعالى على عباده المكلفين القطعية والظنية وهذا شرط لكونها كرامات فلو انتهك بها محرما من المحرمات الشرعية كانت مكرا من الله تعالى واستدراجا لا كرامات وكونها تقتضي انتهاك محرم من المحرمات يحتاج الى نظر دقيق من صاحب تحقيق ولاعبرة بنظر القاصرين عن مقاصد الواصلين فان لله تعالى تلبيسات على الجاهلين بافعال الكاملين ولادخل للكاملين في قصد ذلك ويضل الله الظالمين و يفعل الله مايشاء (وقال ابو يزيد) طيفور بن عيسى (البسطامي) كان جده مجوسيا اسلم وكانوا ثلاثة اخوة آدم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادا وابو يزيد كان اجلهم حالا قيل مات سنة احدى وستين ومأتين وقيل اربع وثلاثين ومأتين (رحمه الله تعالى لبعض اصحابه) من اهل بسطام (قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه

بالولاية) وشهرة النفس بهما كناية عن الدعوة الى الله بتربية قلوب المريدين فان كانت بحق كانت محمودة وان كانت بباطل كانت مذمومة ولما احتملت الامرين لم يكن هذا الكلام ذماً من ابي يزيد لذلك الرجل لعدم قصده الذم ولكن لما غلب عليه حب الخفا كان ذلك عنده على خلاف مشربه فخرج كلامه كذلك وليس فيه تجسس ايضا منهى عنه لانه فى قصد ظهور الكمال له من ذلك الرجل لينتفع بصحبته ولقياه لا بقصد الاستكشاف عن معايبه (وكان) ذلك (رجلا مقصودا) اى تقصده الناس من كل جهة من جهات الارض يتبركون به (مشهورا بالزهد) والتقوى والدين بين الخاص والعام (فقصدنا اليه) بقصد زيارته والتماس بركته (فلما خرج من بيته ودخل المسجد) ونحن ننظر اليه قبل ان نكلمه (رمى ببزاقه) من فمه (تجاه القبلة) اى جهتها (فانصرف ابو يزيد) فى الحال حين رآه فعل كذلك (ولم يسلم عليه) ولم يكلمه (وقال) لمن كان معه (هذا رجل غير مأمون) اى لم يؤمنه الله تعالى (على ادب) واحد (من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وذلك لانه استهان بالقبلة التى جعل الله تعالى استقبالها شرطا فى صحة الصلاة وورد النهى عن استقبالها ببول وغائط وكره العلماء مد الرجلين اليها فى نوم وغيره واوجب الله تعالى الطواف بها والطهارة لذلك الطواف وحكم بانها بيته تعالى تعظيما لها وتشريفا وآداب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله تعالى احترام ما احترمه الله تعالى وانتقاص ما انتقصه واستهان به سبحانه كالكفر والكافرين ومواضع عباداتهم الباطلة ونحو ذلك وفى شرح اليوسفية للشيخ محيي الدين بن العربى رضى الله عنه اذا رأينا من يدعى فى هذه الامة مقام الدعاء الى الله على بصيرة ويخل بادب من آداب الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقول ويقول ان ذلك ادب يخصه لا يلتفت اليه وليس بشيخ ولا بحق فانه لا يؤمن على اسرار الله تعالى الا من يحفظ عليه آداب الشريعة ولكن شرطه ان يبقى عليه عقل التكليف فان طرأ عليه ما يخرجه عن عقل التكليف فيسلم اليه حاله ولا يقتدى به وهو سعيد وهو فى الوقت الذى سلب عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عندما يموت فكما تقبض روحه على ما كان عليه كذلك يؤخذ عن هذا الموله عقله على ما كان عليه فتبقى سعادته سعادة الميت ولا تدبير لنفسه الناطقة فى هيكله لفقد آلامها فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبره روحه الحيوانى ولا يعترض عليه فان الله ما كلفه كما انه لم يكلف الموتى وان كانوا سعداء فافهم ما ذكرناه لك تسعد فان هذه الحال جهلها اكثر اهل الطريق فكيف عامة الفقهاء فاذا عرفوا ما قلناه لم يقدروا على انكاره وانما يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعية فى اكل وشرب ونكاح وشبه ذلك فيقولون كما انه ينكح ويأكل ويشرب فليصل ويحجبهم الصورة الانسانية الظاهرة وما يعلمون انه حيوان فى صورة انسان وان نفسه الناطقة انتقلت الى البرزخ

انتقال الموتى وان كان لها التفات الى هذا الهيكل فن اجل بلوغ الاجل المسمى الذي للروح الحيواني في كل حيوان يموت فان الموت انما هو للحيوان لا للانسان الا من كونه حيوانا فافهم فيعتقد في مجانين اهل الله ولا يقتدى بهم بخلاف عقلائهم (فكيف يكون ذلك الرجل (مأمونا) من قبل الله تعالى (على ما) اى الذى او شئ (يدعيه) من الولاية والزهد فان الله تعالى لا يؤمن على اسراره وانواره الا من آمنه اولا على الاخلاق المرضية والآداب المحمدية الله اعلم حيث يجعل رسالته والحكمة وضع الشئ في موضعه وهى الملازمة لافعال الله تعالى لا ينفك عنها فعل من افعاله تعالى البتة وليس من الحكمة وضع الولاية والكمال في المنتهك للحرمة والتارك للادب بل الحكمة تقتضى عقابه لا ثوابه او العفو عنه لا المدح منه فان قلت يمكن ان يكون ذلك لرجل رمى ببزاقه تجاه القبلة خطأ وغفلة من غير تعمد فكيف انكر عليه ابو يزيد رضى الله عنه حاله ولم يحمله على محمل حسن والخطأ مرفوع الاثم كما تقرر في الشرع قلت وقد فعل ابو يزيد رضى الله عنه كذلك فانه ما حكم باثمه ولا نسب اليه فسقا ولا قال عنه انه فعل مكروها لاحتمال ان يكون فعل ذلك خطأ منه والخطأ لا مؤاخذة فيه والمسلم محمول على الكمال في كل حال ولكنه نفى عنه ما يدعيه بلسان حاله حيث دعى الناس الى الله من الولاية ومقام القرب فان ذلك قدر زائد على مجرد الصلاح والتقوى والديانة ولا يثبت الزائد الا بعلامة تدل عليه ولم توجد العلامة عند ابى يزيد فلم ينسب اليه ما اشتهر عنه من الولاية من غير طعن فيه ولا انتقاص له وقوله غير مأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبار عن الواقع لا احتقار واستنقاص له وحاشا مثل ابى يزيد رضى الله عنه من احتقار احد من اهل اسلام (وقال) ابو يزيد البسطامى ايضا رحمه الله تعالى في غير واقعته المذكور كما يشير اليه كلام القشيري في رسالته (لو نظرتم) ايها الناس وهو ابلغ من سمعتم او ظننتم لكمال الانكشاف (الى رجل) يدعى الولاية وقد (اعطى) اى اعطاه الله تعالى (من الكرامات) اى الخوارق للعادات من المشى على الماء واحياء الموتى وطى المسافة البعيدة في الزمان القليل ونحو ذلك (حتى تربع في الهواء) بين السماء والارض ابلغ من مشى على الهواء لما في المشى من وضع القدمين الموهمين احتمال التمسك بهما (فلا تغتروا به) اى لا تستدلوا على ولايته ورفيع جاهه عند الله تعالى بما رأيتموه من ذلك لاحتمال ان يكون مكرا من الله تعالى به من حيث لا يعلم هو ولا تعلمون انتم ايضا واستدراجا له من الله تعالى كما قال تعالى * سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * واستهزاء به من الحق تعالى وسخرية كما قال تعالى * الله يستهزئ بهم وقال * سخر الله منهم (حتى تنظروا) يتحقق ايضا وكمال معرفة ولو تمسكا بالاصل وهو الصلاح لانه يقين وحق مبين من دون تشكيك ولا وسوسة فان المؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا وكذلك الفاسق فاسق حقا والصالح صالح حقا ولا شك ولا تردد

الا عند اهل القلوب الضعيفة والبصائر المطموسة والزيغ المبين والقصور المهين فان من لم تظهر مخالفته الموجبة لفسقه ظهور اتاما لا يحتمل التأويل اصلا من غير تجسس عليه فليس بفاسق وهو ملحق باهل العافية اوالتهمة من الصالحين (كيف تجدونه) بنفوسكم وانتم تاركون التجسس عنه والوساوس الشيطانية التى يلقيها الشيطان اليكم فى حقه ومن غير سماعكم ذلك من الغير الا اذا حضر تم ثبوته على الوجه الشرعى عند حاكم شرعى فتكونوا وجدتموه ظاهرا لا حقيقة الوجدان فانكروه حينئذ ظاهرا لا حقيقة الانكار (عند الامر) الالهى القطعى والظنى (والنهى) الالهى كذلك (وحفظ الحدود) التى حدها الله تعالى لعباده المكلفين فى مقدار ماء الطهارة واعضائها واعداد حركات الصلوات واوقاتها ومقادير جميع العبادات واوقاتها ومقادير المعاملات ومايجوز منها وما لايجوز وكيفيات العقائد والقصص الواردة والمواعظ من غير زيادة فى شئ من ذلك ولا نقصان منه (واداء) اى تسليم جميع ماهو المطلوب منه فى (الشريعة) المحمدية علما وعملا امرا ونهيا وتخييرا على وجه العدل فيه والمراد ان يجد ذلك من يعلمه على حسب ما اجمعت عليه الامة او اختلفت فيه فيعلم المجمع عليه والمختلف فيه كله من المذاهب الاربعة الموجودة الآن فى الارض وغيرها ايضا من مذاهب جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم اذ يحتمل ان ذلك الولى قلد فى عمله ذلك مذهبا ثبت عنده تلك المسئلة فيه بشروطها فعمل بها فلا يجوز انكارها عليه قال الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير وقد نقل الامام الرازى اجماع المحققين على منع العوام من تقليد اعيان الصحابة واكابرهم نعم يجوز لغير عامى من الفقهاء تقليد غير الاربعة فى العمل لنفسه ان علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه عنه اه ويحتمل ايضا ان يكون ذلك الولى مجتهدا علم من الادلة مالم يعلمه غيره والاجتهاد باق الى يوم القيامة فمن اجتمعت فيه شرائطه ولا يلزمه بيانها وشروط الاجتهاد عند العارفين من اهل الله تعالى غير شروطه عند اهل الاصول من علماء الظاهر كما نقلته فى كتابى لمعات البرق النجدى شرح تجليات محمود افندى فلا يكاد احد يجد المخالفة من الولى على وجه اليقين وانما ينكر الجاهل بجهله ما لم يفعله الولى فيأثم الجاهل لدخوله فيما لا يعرفه ولانكاره حكم المجتهد الذى اقره عليه الله ورسوله ويثاب الولى وترفع درجته قال الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه شرح الوصية اليوسفية التى تكلم بها الشيخ على الكردى على لسان يوسف ابن ابراهيم الشافعى ويقصد جهده ان يدفع عن نفسه الخيالات الردية يعنى فى حق شيخه كيلا يحرم المنفعة به فان الشيطان لا يزال يأتى الى نفس المريد فى شيخه ما يكرهه اليه ولهذا بعض المريدين المحرومين يعترضون على شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولا سيما ان كان لظاهر الشريعة التى عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرر

عندهم ولاسيما عند صاحب المذاهب الاربعة وما علم ان الشيخ من المحال ان يحلل
ما حرم الله او يحرم ما احل الله او يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتى فيه او يدل
عليه مريده او يفعله الشيخ على طريق الحل وهو محرم فى حكم الله تعالى على لسان النبى
صلى الله عليه وسلم الواصل الينا بشرع الله فانهم رضى الله عنهم قد يصح عندهم
من طريق الكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة منه اليهم او الهاما من الله
عزوجل او القاء فى قلوبهم على الطريقة المعهودة التى لاولياء الله مع الله فى تلقياتهم
ان حكم الرسول عن الله فى ذلك الامر هو هكذا لا ما حكمت به المذاهب الاربعة
اومذهب مّا وان كان الله قد قرر ذلك الحكم بالنظر الى ذلك المجتهد ومن قلده وقد رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فى المطلقة بالثلاث فى المجلس الواحد كيف
حكمه عندك يارسول الله فقال هى ثلاث كما قال لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فقلت له
فان جماعة من اهل الظاهر حكموا انها واحدة فقال هؤلاء حكموا بما وصل اليهم
واصابوا وحكمى انا فى المسئلة ماذكرته لك فى رؤيا طويلة فمن ذلك الوقت صرت
اقول بهذا الحكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايلزم الشيخ مع هذا الكشف
تقليد امام فى اجتهاده كما لايلزم المجتهد تقليد مجتهد آخر فى مسئلة مع اجتهاده
ولا يحل لمجتهد ان يحكم فى نازلة باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل
فاذا نزلت تعين الحكم منه فيها بما يؤديه اليه اجتهاده فان نزلت مرة ثانية ويسأل
فيها استأنف الاجتهاد ايضا فى الحكم فان وافق الاول كان وافقى به عن هذا
الاجتهاد وان لم يوافق وحكم بامر آخر فى تلك النازلة حرم عليه ان يحكم فيها
الا بما ظهر له الآن مع صحة الاول فى وقته لا فى هذا الوقت ولذلك كان يقول مالك
ابن انس اذا سئل فى مسئلة هل نزلت فان قيل له نعم نظر وافتى وان قيل له لم تنزل
ولكن فرضنا نزولها كان لايفتى فيها بشىء الا ان تنزل فانظر الى تحرى هذا الامام
رضى الله عنه فمتى رأيت المريد يزن الشيخ وحركاته بميزان الشرع المقرر عنده
من اجتهاده او من تقليده لامام فاعلم ان المريد فى ادبار لايفلح ابدا فلذلك قال الشيخ
يعنى على الكردى على لسان يوسف بن ابراهيم الشافعى فى وصيته هذه المقالة
فى الخواطر الردية هذا فى تحليل محرم او تحريم محلل واما ان لايعصى الشيخ فذلك
لايمكن ان يقطع به فى حق احد لا شيخ ولا غيره فان ابا يزيد قيل له ايعصى العارف قال
* وكان امر الله قدرا مقدورا * فينبغى للمريد ان لايصحب شيخا على طريق العصمة
وانما يصحبه على طريق العلم بطريق الله ولينظر فى اقواله وفتياه لا فى افعاله ولذلك
قال الله تعالى * فاسئلوا اهل الذكر * وما امرنا ان نتاسى بافعالهم لعدم فرض العصمة
فيهم وقال فى حق الانبياء لما عصمهم الله تعالى * لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة * وقال تعالى
لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فانا نتبع الرسول فى جميع افعاله الا ما نص علينا

من افعاله التي يختص بها ولا يجوزلنا فعلها واعلم ان هذا من اعظم الادوية لهذه العلة التي تطرأ على المريد من الشيطان ولاشك ان النفس الخبيثة تقبل على الفور مثل هذا الالقاء بمازاه من حكم الشيخ عليها وهي بالطبع لاتريد ان تكون محكومة لاحد فاذا اخطرلها ابليس فى الشيخ خاطرا رديا قبلته من حينها الاان يوفقها الله ولقد خدم صادق شيخا فرآه قدزنى بامرأة وعلم الشيخ ان المريد قدرآه ثم رآى المريد يبالغ فى خدمته كما كان وماتغير عليه من حاله شئ فقال له الشيخ يافلان انت قدرأيتني قدوقع مني ماوقع وثبت على طريقك فى خدمتي فقال ياسيدى ماصحبتك على انك معصوم عن المعاصي وانما صحبتك انك عالم بطريق الله الذى فيه رشدى وانت مع نفسك بحسب ماقدرالله عليك فقال الشيخ مثلك من يدعى انه خديم قلت ذكر شيخنا ان بعض من روى هذه الحكاية قال ان ماوقع من الشيخ المذكور كان اختبارا للمريد ولم يكن ماوقع منه زناء فى نفس الامر وقدجرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكانمعه مثل هذا المريد ووالله ماتغيرلى باطن ولاقلب على شيخ من اجل حركته وسكونه وانى ماصحبته الا انه ينصحني فيمايلق الى وان اقتدى بكلامه لابفعله وكل مريد خرج عن هذه القضية فانه لايجئ منه رجل ابدا ثم لتعلم ان لله عبادا قدقيل لهم افعلوا ماشئتم فقدغفرت لهم فمايدريك ان هذا الشيخ منهم وباب المريد حسن الظن لاسوء الظن واعلم ان الله عزوجل اذافتح على عبد فى باطنه بسوءظن باحد من خلق الله فان ذلك من مقت الله به ومن عمى بصيرته ومن فرض العصمة لاحد فذلك غاية الجهل بالله والمعاصي لاتغير مسلما ولايتغيرلها وان كره فيكره الفعل لاالفاعل فان سلطان الايمان اقوى فانه يكفيه فى المعصية من الطاعة اعتقاده انها معصية فالناصح نفسه ينبغى له ان يحمي باطنه من الخواطر الردية فى حق المؤمنين والكافرين فى الوقت لانه لايدرى بماذا يختم لهذا الكافر المعين بالكفر فى الوقت وانمايكره الكفر من حيث هو كفر لاهذا الكافر فكيف المؤمن وكل من اساءالظن باحد من خلق الله بلاخلاف انه ممقوت من الله وذلك بدوالحرمان وطريق الخسران وقدقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس واى عيب اعظم من سوء الظن بالناس وهل يكون ذلك الامن مراقبة هذا المحروم لحركات الناس فلواشتغل بنفسه ماتفرغ الى النظر فى غيره كماقال بعض شيوخنا * وفى النفس لى شغل عن الغير شاغل * فرحم الله هذا الشيخ بما وصى به ولقد وصى بخير كثير (وقال ابوسليمان) عبدالرحمن بن عطية (الداراني) نسبة الى داريا قرية من قرى دمشق مات بهاسنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ورضى عنه (ربما) لافادة التقليل اشارة الى ان الغالب انه يجد فى الوقت شاهدين من الكتاب والسنة على مايقع فى قلبه اوفى ثاني الوقت دون المدة المذكورة (تقع فى قلبي) بطريق الفيض من حضرة ربى (النكتة) مشتقة من النكت بالتاء المثناة الفوقية

وهوان ينكت فى الارض بقضيب اى يضرب فيؤثر فيها والنكتة كالنقطة قاله الجوهرى وفى القاموس النكتة بالضم النقطة والجمع نكات كبرام اه وكأنها سميت بذلك لانها تنكت فى القلب اى تؤثر فيه بلطف بلاغتها (من نكت) جمع نكتة (لقوم) وهم اهل التحقيق من السادة الصوفية والمراد مما يفتح الله تعالى على قلوبهم بطريق الفيض والالهام من المعارف والاسرار الالهية (اياما) اقلها ثلاثة فيتردد فى قبول ذلك الواقع فى قلبه اوعدم قبوله والمبادرة الى رده حرصا على المحافظة على الاتباع واحترازا من الوقوع فى الابتداع (فلا اقبل) ذلك الواقع فى قلبى (منه) اى من قلبى (الابشاهدين) اى دليلين مثبتين معنى النكتة (عدلين) اى موثقين ليس مطعونا فيها الاول (من الكتاب) اى القرآن العظيم وهو متواتر لاضعف فى سنده الامن حيث القراآت الشاذة والتفسير الغريب (و) الثانى من (السنة) النبوية المحمدية ومنها الصحيح وغير الصحيح وفى العقد النضيد فى تحقيق كلمة التوحيد لابن الهمام رحمه الله تعالى قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز ويستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف مالم يكن موضوعا اه ومعنى كونه لايقبل ذلك الابشاهدين عدلين من الكتاب والسنة على حسب مايفتح له فى معانى الكتاب والسنة ولايلزم ان يذكر ذلك الدليل الذى فتح عليه فيه حتى يعلمه غيره ولاان يفتح لغيره مافتح له فيعلمه به والمقصود بيان ان علمه مقيد بالكتاب والسنة كما سبق عن الجنيد البغدادى رضى الله عنه واهل الفتح والالهام يجدون فى الكتاب والسنة من المعانى الصحيحة والاحكام الرجيحة مالايجده غيرهم من علماء الرسوم المتحكمين فيما يجدونه بالفهوم فان صفاء البصائر وسلامة السرائر يكشف الاسرار الخفية ويورد على القلب المعارف الالهية فلا يتأتى نقد احوالهم الالامثالهم باعتبار نظرهم فى الوقايع بالله واتكالهم فى الاطلاع على الله كما قال عليه السلام احذروا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ونظر علماء الغفلة والحجاب بأنفسهم المغموسة وبصائرهم المطموسة فان ايمانهم قاصر وعقلهم حاصر فكشفهم انوار الشمس والقمر والنجوم من اعظم المنن عليهم فلايطمعون مع نقصانهم الذى هم فيه فى كشف حقائق العلوم وهو من عدل الحى القيوم حيث تسلطوا بسوء الظن وبذاءة اللسان على من يعلمهم الله تعالى من اهل ولايته الذين لحومهم سموم والله يفصل بين الظالم والمظلوم (وقال) ابو الفيض (ذوالنون المصرى) واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض ابن ابراهيم وكان ابوه نوبيا توفى سنة خمس واربعين ومأتين (رحمه الله تعالى ومن علامات المحبة) من الانسان (لله تعالى متابعة حبيب الله محمد عليه الصلاة والسلام) ظاهرا وباطنا (فى اخلاقه) اى طبايعه وعاداته صلى الله عليه وسلم فانها من اعظم الاخلاق كما قال له الله تعالى * وانك لعلى خلق عظيم (وافعاله) التى كان يفعلها من القيام بحقوق الله تعالى عليه وحقوق الخلق والنصرة لدين الله تعالى

(واوامره) من قبل الله تعالى بالفعل قطعا اوظنا وبالكف كذلك فتدخل الفروض والواجبات والمحرمات والمكروهات (وسننه) جمع سنة وهى طريقته وسيرته صلى الله تعالى عليه وسلم التى كان عليها من تلقاء نفسه فيما لم يأمره الله تعالى به واوحى به تعالى اليه باطنا قال الامام القسطلانى فى المواهب اللدنية اعلم ان محبة الله تعالى على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصى والرضاء بما يقدره فمن وقع فى معصية من فعل محرم اوترك واجب فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل ويجتنب الوقوع فى الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تعالى انه قال ماتقرب الىّ عبدى بمثل اداء ماافترضته عليه وفى رواية بشئ احب الىّ من اداء ماافترضت عليه ولايزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطيته ولئن استعاذنى لاعيذنه وماترددت عن شئ انا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت واكره مساءته واستفيد من قوله وماتقرب الى عبدى بشئ احب الىّ ان اداء الفرائض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولاتنتجها الفرائض واجيب بان المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده ان فى رواية ابى امامة بن آدم انك لن تدرك ماعندى الابأداء ماافترضته عليك او يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لالخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض وقال الفاكهانى معنى الحديث انه اذا ادى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل ايضا كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الى آخره واجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره فى اتيان امرى فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى ان كليته مشغولة بى فلايصغى بسمعه الاالى مايرضينى ولايرى ببصره الا ماامرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلايسمع الامايحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى آخره قاله الفاكهانى قال ويحتمل معنى آخر ارق من الذى قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قدجاء بمعنى المفعول مثل فلان املى بمعنى مأمولى والمعنى انه لايسمع الا ذكرى ولايلتذ الا بتلاوة كتابى

ولا يأمن الا عناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا بما فيه رضائي ورجله كذلك وقال غيره اتفق العلماء ممن يقتدى بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه البيهقي في الزهد اه واحسن ما رأيت في قريب من معنى ذلك ما قرأته بخط ابي الطيب الغزي رحمه الله تعالى وهو فان قيل كيف يجوز ان يتصف المخلوق بصفات الخالق ولا حلول بينهما ولا اتصال الجواب انظر كيف تكسو النار صفتها الماء بواسطة الحجاب فيعود الماء في الصورة ماء وفي المعنى نارا فيفعل فعل النار في احراقها من غير ان تحيز النار في ذات الماء ولا اتصلت به ولا مازجته ولا جانسته فهي متصلة بالصفات منفصلة بالذات وما ذلك الا انه بواسطة قرب الماء من النار كسته صفتها فصار محرقا فكذلك لطف الله سبحانه وتعالى بواسطة قرب عبده منه واقباله عليه كساه الله تعالى صفته الباقية من غير تحيز ولا اتصال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وانشد في المعنى

سلم اذا ذكر الحسا دا عاشق * وافطن فطور المرء ليس يزيد
فالنار يدخلها الحديد فيغتدى * نارا وذاك معاين مشهود
فاذا تخلى عن مقام وصالها * فالنار نار والحديد حديد

وفي المواهب اللدنية تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته تعالى في امرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله تعالى فاذا صار محبوبا لله تعالى اوجبت محبة الله له محبة اخرى فيه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر والاهتمام لغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا زمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني

في مرادي في امتثال اوامري والتقرب الى محابي فانا اوافقه في رغبتـه ورغبته فيما يسألني ان افعله به و يستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقــة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه في اماتتـه عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره مايكره عبده ويكره مساءته فن هذه الجهة يقتضى ان لايميته ولكن مصلحتـه في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لاسواه وقال الخطابي التردد في حق الله تعالى غير جائز والبدأ عليه في الامور غير سائغ ولكن له تأويلان احدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعوا الله فيشفيه منها و يدفع عنه مكروها فيكون ذلك من فعـله كتردد من يريد امرا ثم يبدوله فيـه فيتركه و يعرض عنه ولابدله من لقـائه اذا بلغ الكتاب اجله لان الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه والثاني ان يكون معناه مارددت رسلي في شئ انا فاعله كترددي اياهم في نفس المؤمن كما روى في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى عـلى الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه مايشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه و بالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت اعينهم بحبو بهم وسكنت نفوسهم اليـه واطمأنت قلوبهم واستأنسوا لقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لايسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدى اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية ويرغب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لاتنفعـه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه

فيطالع سيرته ومبادى اموره وكيفية نزول الوحى اليه ويعرف صفاته واخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعباداته ومعاشرته لاهله واصحابه الى غير ذلك مما يحبه الله تعالى حتى يصير كأنه معه من بعض اصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحى المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا نزلت فيه وماذا اريد بها وحظه المختص به منها من الصفاء فى الاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم علامات كثيرة من اتصف بها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه السلام للذى حده فى الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب الله ورسوله نفى وجود ماصدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهى عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لاتنافى بين ارتكاب النهى وثبوت محبة الله ورسوله فى قلب المرتكب وان من تكررت منه المعصية لاتنزع منه محبة الله ورسوله اه وذكر فى فتح الصفا شرح الشفا لابن اقبرس فى لزوم محبة الله تعالى ورسوله الاقتداء بالسنة النبوية والاتباع لجميع الاحكام الشرعية قال والمراد باللزوم ههنا اللزوم عند اهل المحبة التى ينتهى الحال فيها عندهم الى مقام الفناء فيها وسلب الاختيار مع المحبوب فهذه هى المحبة التى يلزمها ذلك وهذه محبة الخواص واما محبة العوام فهى الواقع فيها التفاوت بالشدة والضعف الى ان ينتهى الحال فيها الى الذرة المشار اليها بقوله عليه السلام يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد دل عليه حديث الرجل الذى حده النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر حيث نهى عن لعنه واخبر بكونه يحب الله ورسوله فاثبت له المحبة مع المعصية فان قلت فامعنى قوله عليه الصلاة والسلام لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن قلت هو محمول على كمال الايمان لاسيما على مذهب من يطلق الايمان على الاعمال (وقال) ابونصر (بشر) بن الحارث (الحافى) اصله من مرو فسكن بغداد ومات بها سنة سبع وعشرين ومائتين (رحمه الله تعالى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى يابشر هل تدرى بم رفعك الله تعالى) فى الدنيا والآخرة (من بين اقرانك) اى المماثلين لك فى زمانك (قلت لا يارسول الله) يعنى لااعرف السبب فى ذلك (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعك الله (باتباعك لسنتى) ظاهرا وباطنا على وجه اليقين والاخلاص (وخدمتك) باعتقاد قلبك وعمل جوارحك وثناء لسانك ومحاماته وتأويل مايحتمل الخطاء (للصالحين) من اهل الخصوص والعموم والصالح كل من لم يتحقق فسقه وعصيانه ولاعبرة بالشك والظان السوء من اول وهلة فاسق وكذا المتجسس والقاصد فضيحة

اخيه والذي يحب ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا فلا عبرة باقوالهم وشهاداتهم شرعا وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى كتابه روح القدس ولم ازل ابدا الحمد لله اجاهد الفقها فى حق الفقراء السادة حق الجهاد واذب عنهم واحمى وبهذا فتح لى ومن تعرض اذمتهم والاخذ فيهم على التعيين فانه لاخفاء بجهله ولا يفلح ابدا اه وقد احترز بقوله على التعيين من الاخذ فيهم على طريقة العموم من غير تخصيص احد منهم بعينه تنبيها على النوع الفاسد منهم من غير خصوصه ليعلم المكلف ان فيهم الدخيل فيحذر ويكون على يقظة كما هو عادة غالب الفقهاء المتقدمين ومنهم المصنف لهذا الكتاب رحمه الله تعالى بخلاف فقهاء زماننا الذين يأخذون الكلام العام الصادر من الاولين ويخصصون به فقراء زمانهم ويحكمون فيهم يظنونهم السيئة ولهذا قال فيمن يفعل كذلك فانه لاخفاء بجهله ولا يفلح ابدا اه (ونصيحتك لاخوانك) المسلمين بتبيين ما يصلح عقائدهم واقوالهم وافعالهم واحوالهم على طبق السنة من غير تخصيص احد بعينه مخافة احتمال فهمه انه بخلاف ذلك فيتأذى واقتفاء لآثار الكتاب والسنة فى كيفية ذلك البيان (ومحبتك لاصحابى) كلهم من غير طعن فى احد منهم مع السكوت عما وقع بينهم من الحروب والمخاصمات والقطع بان ذلك كله اجتهاد منهم فى الدين مثابون عليه وان اخطأ بعضهم فيه (و) محبتك (لاهل بيتى) اى ذريتى واقربائى من اولاد فاطمة وعلى وجعفر وعقيل واولاد العباس وحمزة رضى الله عنهم وقد سبق بيانهم (هو) اى مجموع ماذكر من الامور الاربعة اتباع السنة وخدمة الصالحين ونصيحة الاخوان ومحبة الاصحاب واهل البيت (الذى بلغك) اى اوصلك (منازل) جمع منزل وهو موضع النزول وهى الاحوال والمقامات التى تنزلها فى القرب الالهى جملة (الابرار) جمع بر وهو الصادق فى معاملة الحق والخلق (وقال ابو سعيد احمد بن عيسى (الخراز) من اهل بغداد مات سنة سبع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (كل) امر (باطن) اى من علم الباطن وهو علم الحقائق الالهية والمعارف الربانية (يخالفه) امر (ظاهر) اى من الظاهر وهو علم الشرايع النبوية والاحكام المحمدية (فهو) اى ذلك الامر الباطن شئ (باطل) لا عتبار له لانه وسوسة شيطانية وزخرفة نفسانية حيث خالف الظاهر وهذه المخالفة لا يعرفها غير اهل التحقيق فى علمى الظاهر والباطن ولا اعتبار بعلم القاصرين لها فانهم ربما ينكرون المعروف زعما منهم بانه مخالفة خصوصا من لم يعرف اصطلاح الصوفية فى مواجيدهم واذواقهم (وقال) ابو عبد الله (محمد بن الفضل البلخى) ساكن سمرقند بلخى الاصل اخرج منها فسكن سمرقند ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة (ذهاب الاسلام) اى اضمحلال رسومه واستتار انواره عن قلوب العاملين بحيث يبقى له اسم بلا رسم ويصير طبيعة بعد ان كان شريعة فلا يحكم الرجل الا بما يستحسنه برأيه وعقله ويترك ماعلمه من الشرع قانعا

بجهله وذلك عند تقهقر الزمان وانكار العلم النافع على اهل الايمان (من اربعة امور) الاول انهم (لايعملون بما يعلمون) لانهم تعلموا العلم ليتميزوا به عن العوام ويجمعوا به الدنيا من حلال وحرام لاليعملوا به فهم جارون على مقتضى قصدهم فى ذلك والاسم علماء وافعالهم افعال الجهلاء بل افعال المستهزئين بربهم كأنهم علموا دينه ليحتجوا به عليه فتراهم يقعون فى الكبائر عمدا وهم معتقدون انه غفور رحيم وانه يسامحهم قطعا بسبب ما علموه من دينه فيزدادون مقتا على مقت وغضبا على غضب وهم لايشعرون الا بانهم محسنون (و) الثانى انهم (يعملون) فى اعتقاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم او فى بعضها (بما لايعلمون) من احكام الله تعالى فيها فيتبعون عقولهم وما ادى اليه رأيهم واستحسنته نفوسهم ويأمرون بذلك غيرهم ويحاربون عليه من خالفهم وهم يعتقدون ان ماهم فيه هو الصواب ويرجون من الله تعالى عليه غاية الثواب (و) الثالث انهم (لايتعلمون) من المشايخ او الكتب (ما يعملون) به من الاعتقادات والاقوال والافعال والاحوال وليس لهم خلوص سريرة ولاصفاء بصيرة حتى يتولى الله تعالى تعليمهم ويوفقهم لما يحبه منهم ويرضاه لهم ولايحوجهم الى الشيخ ولا الكتاب كما قال تعالى *الرحمن علم القرآن وقال الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقال واتقوا الله ويعلمكم الله* ولكن بواطنهم مملوءة من الاخباث والادناس وظواهرهم مزخرفة بانواع اللباس لايقدر المؤمن ان ينظر فى وجوههم من قبح نياتهم وسوء طوياتهم يتقلب الواحد منهم فى اليوم والليلة الف مرة ليس لاحدهم صديق يثق به لاغتيابه له فى غيابه ولاعدو يحذر منه لمداهنته له فى حضوره (و) الرابع ان (الناس) المضمر ذكرهم فى الثلاثة الاول (من التعلم) للعلم النافع فى الدنيا بمعرفة كيفية العمل الصالح الخالى من البدعة وفى الآخرة بالنجاة من النيران والخلود فى دار الجنان ورؤية الرب تعالى بالمشاهدة والعيان مع الذين انعم الله عليهم من اهل الايمان (يمنعون) كل من قدروا على منعه بتخويفه من العلم النافع او ممن يعلمه ذلك او بتزيين العلم المضر فى الدنيا والآخرة ترويجا لسلعتهم الكاسدة فى الدنيا وتلبيسا لطريق المتقين حبا للعاجلة ورغبة فى الحاضرة الحاصلة فيحتقرون العلوم الشرعية ويعظمون القشارات العقلية وهم غالب اهل زماننا هذا من غير تعيين والله اعلم بالظالمين ثم قال المصنف رحمه الله تعالى (كل ماذكر) اى ذكره هو (من) ابتداء (كلام سيد الطائفة) الصوفية الجنيد البغدادى رضى الله عنه على حسب ماتقدم (الى هنا منقول) كله بحروفه من رسالة الشيخ الامام العارف بالله تعالى عبد الكريم بن هوازن (القشيرى) رحمه الله تعالى وهى رسالة كتبها الى جماعة الصوفية ببلدان الاسلام فى سنة سبع وثلاثين واربعمائة (انظر) بعين الانصاف واترك التعصب والاعتساف يا (ايها العاقل الطالب للحق) ليعرفه ويعمل به (ان هؤلاء) السادة المذكورين وهم الجنيد والسرى وابو يزيد وابو سليمان الدارانى

وذوالنون المصرى ويشر الحافى وابو سعيد الخراز ومحمد بن الفضل كلهم (عظماء) جمع عظيم مضاف الى (مشايخ) جمع شيخ مضاف الى (علماء) جمع عالم مضاف الى (الطريقة) وهى طريقة السادة الصوفية اهل العلم والعمل المؤسسة على الكتاب والسنة (وكبراء) جمع كبير مضاف الى (ارباب) جمع رب بمعنى صاحب (السلوك الى الله تعالى) على الكشف والعيان فى مقام الاحسان (و) ارباب (الحقيقة) وهى مشاهدة الربوبية فى افعال العبودية وارتفاع الحجاب مع القيام فى الاسباب (وكلهم يعظمون الشريعة المحمدية) والطريقة المصطفوية بظواهرهم وبواطنهم وكيف وهم ماوصلوا الى مقاماتهم العالية ودرجاتهم السامية الا بذلك التعظيم والسلوك على هذا المسلك المستقيم ولم ينقل عن احد منهم ولا عن غيرهم من السادة الصوفية الكاملين انه احتقر شيئا من احكام الشريعة المطهرة ولا امتنع من قبوله بل كلهم مسلمون له مؤمنون به عاملون له عاملون به ومن طعن فى احد منهم فانما طعن لقصور باعه فى العلم عن معرفة مقام القوم والقاصر معذور بالجهل والقصور والله عليم بذات الصدور (ويبنون علومهم الباطنة) المفاضة عليهم بالفتح الربانى والالهام الرحمانى فى معانى القرآن العظيم والسنة النبوية مما هو مذكور فى كتبهم النافعة ومصنفاتهم الرافعة (على السيرة) اى الطريقة (الاحمدية) المنسوبة الى نبينا احمد صلى الله عليه وسلم (والملة الحنيفية) اى المائلة عن الباطل الى الحق وهى ملة الاسلام وحاشاهم ان تخالف علومهم المذكورة لشئ من ذلك عند كل عارف وسالك بخلاف مايدعيه الجاهل المغرور فيقتحم به المهالك من المخالفة لعدم العلم والذوق والسلوك على هذه المسالك (فلا يغرنك) حيث علمت تمسك القوم بالشرائع وتقربهم الى الله تعالى باقرب الذرائع (طامات) جمع طامة من طم الماء طما وطموما غمر والاناء ملأه والشئ كثر حتى علا وغلب والطامة الداهية تغلب ماسواها كذا فى القاموس والمراد هنا الامور المضرة فى الدين من افعال (الجهال المتنسكين) اى المتعبدين بلا علم ولا معرفة (وشطحهم) اى مجاوزتهم الحدود الشرعية عن قصد منهم (الفاسدين) نعت للجهال وفسادهم باعتبار اعتقادهم ماليس بحق من امور الدين جهلا منهم بعقائد اهل السنة وقولهم ما يخالف الشريعة وعملهم الاعمال الباطلة من جهلهم المركب وتخيلهم فى انفسهم انهم على هدى ورشاد (المفسدين) لمن تابعهم من العوام على غير بصيرة (الضالين) اى المتحيرين فى معرفة الحق المبين (المضلين) المحيرين فى معرفة ذلك (لغيرهم) من الناس (بعد) متعلق بالمضلين (ان كانوا) قبل ان يضلوا غيرهم (زائغين) اى مائلين (عن الشرع القويم) الى الدين الباطل والمذهب العاطل (ومائلين عن الصراط) اى الطريق الواضح (المستقيم) الى صراط الجحيم (خارجين) بظواهرهم وبواطنهم (عن مناهج) جمع منهج وهو الطريق الواضح (علماء الشريعة) المحمدية

لتمسكهم باحكام عقولهم الضعيفة وآرائهم السخيفة و علماء الشريعة يتمسكون باحكام كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المهديين وتعميم الدليل بحكم القياس فى الثابت باليقين (ومارقين) اى متجاوزين (عن مسالك) اى طرق (مشايخ الطريقة) النبوية والسيرة الاحمدية لاعراضهم عن التأدب بآداب الشريعة وتركهم الدخول فى حصونها المنيعة فهم كافرون بانكارها مدعون الاستنارة بانوارها ومشايخ الطريقة قائمون بالآداب الشرعية معتقدون تعظيم احكام الله تعالى على كافة البرية ولهذا اتحفهم الله تعالى بالكمالات القدسية فى المقامات الانسية وهؤلاء المغرورون بالقشار اللابسون حلة العار الذين هم مسلمون فى الظاهر واذا حققتهم فهم كفار لم يزالوا معتكفين على اصنام الاوهام مفتونين بما يلقى لهم الشيطان من الوساوس فى الافهام (فالويل) وهو حلول الشر وكلمة عذاب وواد فى جهنم كذا فى القاموس (كل الويل لهم) حيث كانوا فى هذه المثابة مصرين على هذه الحالة لايعلمون انها سوء ليرجعوا عنها ولا يخطر لهم انهم جاهلون ليقبلوا تعليم الغير لهم ماينفرهم منها (و) الويل كل الويل ايضا (لمن تبعهم) فى حالتهم القبيحة وسيرتهم التى هى فى الدنيا والآخرة فضيحة (او حسن) بالتشديد اى حكم بانه حسن اغترارا بهم وافتتانا بحالهم (امرهم) اى شأنهم الذى هم عليه مما تقدم بيانه (فهم) اى هؤلاء المذكورون واتباعهم والذين حسنوا امرهم كلهم (قطّاع طريق الله تعالى على العابدين) لله تعالى بحيث يمنعون من اراد سلوك طريق العبادة والطاعة والاخلاص والورع باقوالهم المزخرفة واعمالهم المنحرفة واحوالهم المنكوسة وآرائهم المعكوسة (يلبسون) اى يخلطون من لبس عليه الامر يلبسه خلطه كذا فى القاموس (الحق) فى كل امر من امور الاسلام (بالباطل) لانكارهم شرايع الاحكام وجحودهم ما اشتمل عليه الدين من الحلال والحرام (ويكتمون الحق) الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الى كافة المكلفين (وهم يعلمون) انه الحق المبين غير انهم قصدوا تسهيل الامر عليهم والفوا نسبة الكمال اليهم مع ماهم فيه من سخافة العقول واضاعة الفروع والاصول واعلم ان هؤلاء المذكورين هنا لم يعينهم المصنف رحمه الله تعالى فى طائفة مخصوصين باعيانهم وانما نبه على من هذا وصفهم فلايلزم ان يكونوا موجودين بالنسبة الى زماننا هذا وبلادنا هذه ولايلزم عدم وجودهم ايضا فالواجب علينا ان لانسيئ الظن باحد من الناس بعينه ونؤول الاقوال والاعمال لاخواننا المسلمين سترا عليهم ولانتجسس عن عوراتهم وننصحهم على العموم من غير ان نظن فيهم ما نذكره لهم فضلا عن التصريح لهم بانه فيهم ونتبع فى ذلك طريقة الله ورسوله فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والله يعلم المفسد من المصلح ونخالف ما اصطلح عليه علماء هذا الزمان ووعاظهم من تخصيص الناس بالمقاصد فى الكلام وتقريعهم

وتوبيخهم وفضيحتهم على رؤس الانام مع التجسس والظنون السيئة فى الخاص والعام واعتقادهم كل ذلك طاعة وهو من اقبح الآثام ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهو بكل شئ عليم وفى شرح اليوسفية للشيخ محيى الدين بن العربى رضى الله عنه قال ولقد رأيت والله اعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم او بعض المعصومين فقال لى اتدرى بم نلت ما نلت من الله قلت له لا قال باحترامك لمن يدعى انه من اهل الله سواء كان ذلك فى نفس الامر كما ادعاه ام لا فراعى الله لك ذلك وشكره منك فاعطاك ما قد علمت وذكر ايضا قال ولله رجال ونساء جبلهم الله على الخير المحض فلا يرون احدا الا ويحسنون الظن به بل ما يخطر لهم فيه خاطر ردئ وهذه قلوب قد خبأها الله للخير المحض فهم ينتفعون بكل احد فمن وجد ذلك من نفسه فليشكر الله على ما منحه جعلنا الله واخواننا ممن سلم من الوقوع فى اوليائه بل من الوقوع فى عامة المسلمين بمنه وكرمه ❁ الفصل الثالث ❁ تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الاول من ابواب الكتاب الثلاثة (فى) بيان (الاقتصاد) وهو ضد الافراط ومعناه التوسط من غير تكثير ولا تقصير (فى العمل) بالجوارح والاعضاء لانواع العبادات وعليه ادلة من الكتاب والسنة اما من الكتاب فهو (الآيات) جمع آية والمذكور منها هنا سبع آيات *الآية الاولى من سورة البقرة وهى قوله تعالى (يريد الله بكم) يا معشر المكلفين (اليسر) وهو السهولة يقال تيسر هذا الامر اذا سهل ولان ذكره الواحدى وقال الخازن اى التسهيل فى هذه العبادة وهى اباحة الفطر للمسافر والمريض وفى تفسير البغوى قال الشعبى ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى الله عزوجل (ولا يريد بكم العسر) اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر قاله البيضاوى وقال الواحدى لانه لم يشدد ولم يضيق عليكم قال الشعبى اذا اختلف عليك امران فان ايسرهما اقربهما الى الحق لان الله تعالى يقول يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا فى المسجد يطيل الصلاة فاتاه فاخذ بمنكبيه ثم قال ان الله رضى لهذه الامة اليسر وكره لهم العسر قالها ثلاث مرات وان هذا اخذ بالعسر وترك اليسر * الآية الثانية من سورة النساء وهى قوله تعالى (يريد الله ان يخفف عنكم) فلذلك شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم فى المضايق قاله البيضاوى وقال البغوى يسهل عليكم فى احكام الشرع وقد سهل وقد قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة وقال الواحدى يخفف عنكم فى احكام الشرع وفى جميع ما يسره لنا وسهله علينا ولم يثقل التكليف كما ثقل على بنى اسرائيل وقال الخازن يعنى يسهل عليكم احكام الشرايع فهو عام فى كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا وقال ابو عبد الرحمن السلمى يخفف

عنكم اثقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم وقيل يريد الله ان يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الامانة (وخلق الانسان) اى جنسه من ذكر وانثى (ضعيفا) قال ابن عباس والاكثرون يضعف عن الصبر عن الجماع ولا يصبر عن النساء ولا يكون الانسان فى شئ اضعف منه فى امر النساء لا يصبر عنهن فلذلك اباح له نكاح الامة اى يستميله هواه وشهوته فهو ضعيف فى ذلك قاله الواحدى وقال الحسن هو انه خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى * الله الذى خلقكم من ضعف * ذكره البغوى وقال البيضاوى لا يصبر عن الشهوات ولا يحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثمان آيات فى سورة النساء خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث يعنى قوله تعالى قبل هذه الآية يريد الله ليبين لكم وقوله والله يريد ان يتوب عليكم وقوله يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوء ما يفعل الله بعذابكم وقال ابو عبد الرحمن السلمى قيل ضعيف الرأى ضعيف العقل الا من ايد بنور اليقين فقوته باليقين لا بنفسه * الآية الثالثة من سورة المائدة وهى قوله تعالى (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) يعنى من ضيق فى الدين ولكنه جعله واسعا قاله الواحدى * الآية الرابعة من سورة المائدة ايضا وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم) الطيبات اى اللذيذات التى تشتهيها النفوس وتميل اليهـا القلوب قال المفسرون هم قوم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عزموا ان يرفضوا الدنيا ويحرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمشـارب اللذيذة وان يصوموا النهـار ويقوموا الليل ويخصوا انفسهم فانزل الله تعالى هذه الآية واعلم ان الطيبات لا ينبغى ان تجتنب قاله الواحدى (ولا تعتدوا) يعنى لا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معنـاه ولا تعتدوا بالاسراف فى الطيبات قاله الخازن وقال الواحدى وسمى الخصاء اعتداء فقال ولا تعتدوا اى لا تجبوا انفسكم قال ابن عبا س كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا له الا نستخصى فنهانا عن ذلك ثم قرأ هذه الآية (ان الله لا يحب المعتدين) يعنى المتجاوزين الحلال الى الحرام ذكره الخازن وقال البيضاوى كأنه لما تضمن ما قبله يعنى من آية طمعهم فى الدخول مع القوم الصـالحين وغير ذلك من مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حده الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم وداعية الى القصد بينهما * الآية الخامسة من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده) يعنى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده ان تتزينوا بها وتلبسوها فى الطواف وغيره ثم فى تفسير الآية قولان

احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذى يستر العورة والقول الثانى ذكر الرازى انه يتناول جميع انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل فى هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء

(والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التى اخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكروا فى معنى الطيبات فى هذه الآية اقوالا احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم الذى كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم والقول الثانى وهو قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوائب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشياء احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله سبحانه *قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا* فانزل الله قل من حرم* الآية والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ و يشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه كذا قاله الخازن وفى هذا دلالة واضحة على اباحة نحو القهوة والتتن مما تستلذه بعض الطباع و تجد له نفعا وليس هو من المسكرات لها وليس فى حرمته نص آية ولا حديث ولا قياس على ثابت باحدهما وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم وقال البيضاوى قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وقال الواحدى المعنى قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا مشتركة وهى لهم فى الآخرة خالصة وهذا قول ابن عباس والمفسرين شارك المسلمين المشركون فى الطيبات فى الحياة الدنيا فاكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شئ وقرأ نافع خالصة والمعنى قل هى ثابتة للمؤمنين فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال الخازن وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم فى الحياة الدنيا فى تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم فى الآخرة من ذلك كله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا انى انا الله وحدى لا شريك لى فاحلوا حلالى وحرموا حرامى* الاية السادسة من اول السورة وهى قوله تعالى (طه) اختلف فى تفسيرها

فقال

فقال اهل اللغة هى من فواتح السور نحو حم والم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع رجلا ووضع اخرى فانزل الله تعالى طه اى طأ الارض بقدميك جميعا وقوله (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتصلى على احدى رجليك فيشتد عليك وقيل طه لغة بالعجمية معناه يارجل قاله الزجاج وقال الخازن قيل طه قسم اقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى فالطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هادى وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا تكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات فى هذه الكلمة وقيل هو يا انسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به فى التهجد وذلك لما نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى الصلاة لطول قيامه وكان يصلى الليل كله فانزل الله هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال * طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى * وقيل لما رأى المشركون اجتهاده فى العبادة قالوا ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتعنى وتتعب وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن طه طأ الارض هديت لبساط القربة والانس وقال الواسطى هو مستخرج من الطاهر الهادى اى انت طاهر بنا هادى الينا وقال محمد بن عيسى الهاشمى طوى عن سر محمد صلى الله عليه وسلم الاكوان كلها بما فيها وهدى الى الاشتغال بمكونها وقال محمد بن على الترمذى اى طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل الينا وقال الواسطى سمى القرآن قرآنا لانه مقارن للمتكلم به لا يفارقه تعظيما لشأن القرآن كما وصل الينا شعاع الشمس وحرارتها ولم تباين القرص وقال ابن عطاء ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب فى خدمتنا فكان جوابه من النبي صلى الله عليه وسلم زيادة تعبد واجتهاد حتى تورمت قدماه كأنه يقول وهل يشقى احد فى خدمتك ويتعب احد وهى محل استرواح العارفين فاما هذه الحركات فهى القيام بشكر ما نالنى من لذيذ قربك ومنا جاتك وخدمتك والدنو منك الا تراه عليه السلام لما قيل له اتفعل هذا وقد غفر الله كل ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا * الاية السابعة من سورة الحج وهى قوله تعالى (وما جعل) اى الله تعالى (عليكم فى الدين من حرج) اى من ضيق جعل الله تعالى على من لم يستطع الشئ الذى يثقل فى وقت ما هو اخف منه فجعل للصائم الافطار فى السفر وتقصير الصلاة وللمصلى اذا لم يطق القيام ان يصلى قاعدا وان لم يطق القعود ان يومى وجعل للرجل ان يتزوج اربعا وجميع ما ملكته يمينه فوسع الله تعالى ذلك قاله الزجاج وقال الواحدى من حرج قالوا جميعا من ضيق واختلفوا فى وجه رفع الحرج فروى عن ابن عباس انه قال جعل الكفارات مخرجا يعنى من اذنب ذنبا جعل له منه مخرجا اما بالتوبة او بالقصاص او برد المظلمة

اوبنـوع كفارة فلم يبتلى المؤمن بشئ من الذنوب الاجعل له منه مخرج وهذا رواية الزهرى عنه وروى عنه قول آخر قال هذا فى هلال شهر رمضان اذا شك فيه الناس وفى الحج اذاشكوا فى الهلال وفى الفطر واشباهه حتى يتيقنوا وعلى هذا رفع الحرج يعود الى انا امرنا بالاخذ باليقين عند الاشتباه وروى عن ابى هريرة انه قال لابن عباس اما علينا فى الدين من حرج ان نسرق او نزنى قال بلى قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج قال ذلك الامر الذى كان على بنى اسرائيل وضعه الله عنكم وقال مقاتل بن حيان يعنى اباحة الرخص عند الضرورات كالقصر فى الصلاة والتيمم واكل الميتة والافطار عند المرض والسفر وهو قول الكلبى وقال الخازن من حرج اى ضيق وشدة وهوان المؤمن لايبتلى بشئ من الذنوب الاجعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بانواع الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس فى دين الاسلام مالايجد العبد سبيلا الى الخلاص منه من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وماجعل عليهم فى الدين من حرج وقال البيضاوى من حرج اى ضيق بتكليف مايشتد به القيام عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه اوالى الرجعة فى اغفال ماامرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشئ فأتوا به ما استطعتم واما الادلة من السنة فهى (الاخبار) جمع خبر وهى عشرة احاديث *الاول (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسناد هما (عن انس رضى الله عنه انه قال جاء رهط) هم من ثلاثة اوسبعة الى عشرة اومادون العشرة ومافيهم امرأة ولاواحد له من لفظه وجمعه ارهط وارهاط واراهيط كذا فى القاموس (الى بيوت ازواج النبى صلى الله عليه وسلم) يعنى زوجاته فالزوج اسم للمرأة وللرجل قال فى القاموس الزوج البعل والزوجة (يسألون) من ازواجه صلى الله عليه وسلم (عن) كيفية (عبادة النبى صلى الله عليه وسلم) الزائدة على مايعلمونه منه عليه السلام مما يفعله فى بيته ليلا اونهارا اذلايطلع على سر الرجل فى الغالب الازوجته (فلما اخبروا) بالبناء للمفعول اى اخبرتهم زوجاته عليه السلام عما سألوا (كأنهم تقالوها) اى اشبهت حالتهم حالة من رآها قليلة وقللها بعضهم لبعض وكانوا يعهدون انها كثيرة مبالغ فيها على حسب ماتدعو اليه عقولهم وتستحسنه* نفوسهم من اعتقاد الكمال فى الاكثار وحسن التشديد على النفوس فى رأيهم ثم بعد ذلك اعتذروا عن قلتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث (قالوا) بان قال بعضهم الى بعض (فاين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى لاتقاس نفوسنا الغير المعصومة على نفسه المعصومة ولانعامل ربنا فى عباداته مع قصورنا مقدار مايعامل هو ربه مع كماله وكيف نفعل ذلك (و) الحال انه (قد غفر) بالبناء للمفعول اى غفر الله تعالى بمعنى ستر

ويجاوز (له) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ما) اى جميع الذى (تقدم) في ابتداء عمره صلى الله عليه وسلم (من ذنبه وما) اى الذى (تأخر) منه اى جنس ذنبه الذى صدر منه بالنظر الى رفعة مقامه صلى الله عليه وسلم وانكشاف عظمة الله تعالى له وهو قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين و الا فالانبياء كلهم عليهم السلام معصومون من الذنوب قبل النبوة وبعدها كما سيأتى تحقيقه (قال احدهم) اى واحد منهم (اما انا فاصلى) النوافل (الليل) كله (ابدا) اى مدة عمرى (وقال الآخر) منهم (وانا اصوم) الصوم النفل (الدهر كله) اى مدة عمرى (ولا افطر) ولا يوما (وقال الآخر وانا اعتزل النساء) فلا ابيت معهن واحفظ نفسى من اشتهائهن والميل اليهن (ولا اتزوج) شيئا منهن حرائر واماء (ابدا) اى مدة عمرى (فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال) لهم معاتبا على ما صدر منهم (انتم الذين قلتم كذا وكذا) كناية عما سبق من قولهم ثم لم ينتظر جوابهم مسارعة لبيان الحق فقال مؤكدا بالقسم (اما) بفتح الهمزة وتخفيف الميم (والله انى لاخشاكم) اى اكثركم خشية (لله تعالى) والخشية تبع للعلم كما قال تعالى *انما يخشى الله من عباده العلماء* يعنى العلماء به والنبى صلى الله عليه وسلم اعلم الخلق بالله فهو اخشاهم له تعالى (واتقاكم) اى اكثركم تقوى (له) سبحانه وتعالى يعنى فكيف تقولون مع ذلك بانى اقل اعمالا وادنى طاعات وتعتذرون عن ذلك بان الله تعالى غفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فلم احتج الى كثرة ذلك وانتم لم يغفر الله تعالى لكم فتحتاجون الى الكثرة (ولكنى) فى مقابلة ما فهمتم من حالى واخطأتم فيه (اصوم) مرة ما بدا لى ان اصوم من غير تكلف كما كان عليه السلام يدخل على بعض اهله فيقول هل عندكن اليوم غداء فاذا قالوا لا قال انى صائم وامره الله تعالى ان يقول وما انا من المتكلفين (وافطر) ما بدا لى ان افطر ايضا كما ورد عن اسامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائى وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن ان لا يفطر منه شيئا ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال افطر افطر وعن ابن عباس كان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخارى ومسلم والنسائى (واصلى) فى ليلة (وارقد) اى انام عن التهجد فى ليلة اخرى او اصلى بعضا من الليل وارقد البعض الآخر ولا اصلى الليل كله يدل عليه قول عائشة رضى الله عنها كان عليه السلام ينام اول الليل ويقوم آخره فيصلى ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه السلام ربما اغتسل فى اول الليل وربما اغتسل فى آخره وربما اوتر فى اول الليل وربما اوتر فى آخره وربما جهر بالقراءة وربما

خفض وقالت ام سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي والنسائي (واتزوج) اي اعقد وربما يراد الوطئ فيشمل الامة (النساء) وهي النسوة بالكسر والضم والنسوان والنسون بكسرهن جموع المرأة من غير لفظها كذا في القاموس وكانت نساؤه صلى الله عليه وسلم اللواتي تزوج بهن احدى عشرة امرأة ستا من قريش خديجة بنت خويلد وعائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع عربيات زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلالية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة غير عربية من بني اسرائيل هي صفية بنت حيي من بني النضير ومات عنده اثنتان منهن خديجة وزينب ام المساكين ومات هو صلى الله عليه وسلم عن تسع واما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربعة مارية القبطية وريحانة بنت شمعون واخرى وهبتها له زينب بنت جحش واخرى اصابها في بعض السبي وتمامه مبسوط في المواهب اللدنية للقسطلاني (فمن رغب) اي اعرض (عن سنتي) يقال رغب عنه اذا اعرض عنه ولم يرده والسنة السيرة والطريقة (فليس) محسوبا (مني) يعني انا بريء منه (وزاد) الراوي لهذا الحديث (في رواية) اخرى عند (النسائي وقال بعضهم) اي بعض الرهط الذين جاؤا الى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسئلون عن كيفية عبادته عليه السلام اخذا عن فم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا اكل اللحم) اي لحم الحيوانات مطلقا قال المناوي في شرح الجامع الصغير قال الغزالي وينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي كرم وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه وفي تفسير البغوي عند قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم * قال اهل التفسير ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الناس ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان ابن مظعون الجمحي وهم ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابوذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت ابي امية واسمها الحولاء وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم

على كذا وكذا قالوا بلى يارسول الله وما اردنا الا الخير فقال عليه السلام انى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم ثم قال مابال اقوام حرموا النسا والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم فى الديارات والصوامع فانزل الله عزوجل هذه الآية وعن سعد ابن مسعود ان عثمان بن مظعون اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ائذن لنا فى الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء امتى الصيام فقال يارسول الله ائذن لنا فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله قال يارسول الله ائذن لنا فى الترهب فقال ان ترهب امتى الجلوس فى المساجد انتظار الصلاة وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا قال يارسول الله انى اصبت من اللحم فانتشرت فاخذتنى شهوة فحرمت اللحم فانزل الله *ياايها الذين امنوا لاتحرموا طيبات مااحل الله لكم* يعنى اللذات التى تشتهيها النفوس مما احل الله لكم من المطاعم الطيبة والمشارب اللذيذة وقال ابو محمد الخازن فاعلم الله عزوجل بهذه الآية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ماعزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغى ان يجتنب الطيبات المباحات ومعنى لاتحرموا لاتعتقدوا تحريم الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شئ احله الله فقد كفر اما ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتفرغ لعباداته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير فضيلة لامنع منها بل مأمور بها *الحديث الثانى (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها انه) اى الشان (صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا) لعله من المآكل اللذيذة صنع له باذنه اوغير ذلك من انواع المباحات ولم ينص عليه لعدم تعلق حكم بخصوصه اولقصد التعميم فى كل مباح (فرخص فيه) اى حكم بالرخصة وعدم الحرج على احد بتعاطيه (فتنزه) اى تباعد وامتنع (عنه) فلم يرغب فيه (قوم) من الصحابة رضى الله عنهم ايثارا للزهد فى الدنيا وكفا لانفسهم عن تناول شهواتها مخافة ان تبغى عليهم نفوسهم فى الاسترسال مع المباحات فلا يقدرون على منعها فتوقعهم فى المحرمات وعلمهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم محفوظ مغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فلا يضره فعل شئ من ذلك فلا تقاس انفسهم على نفسه (فبلغ ذلك) التنزه الذى صدر منهم (النبى صلى الله عليه وسلم) فغضب غضبا شديدا لجمع الصحابة (فخطب)

لهم فى ذلك (فحمد الله تعالى) كما هو عادته صلى الله عليه وسلم فى خطبه (ثم قال بعد ذلك (مابال اقوام) استفهام انكار والبال الحال يعنى اى شئ حال اقوام نكرهم سترا عليهم حتى لا يفتضحوا عند غيرهم فيصيروا مذمومين بذواتهم والمقصود ذم صفاتهم لاذواتهم (يتنزهون) اى يتباعدون و يمتنعون (عن) معاطاة (الشئ الذى اصنعه) ولا يقبلون على سنتى ويرغبون فى اتباعى (فوالله انى لاعلمهم) اى اكثر علما منهم (بالله) سبحانه وتعالى لكماله فى مقام النبوة والرسالة وفقد النبوة منهم اصلا (واشدهم) اى اكثرهم (له) تعالى (خشية) اذا العلم بالله سبب الخشية له فكلما كثر العلم به كثرت الخشية له كما قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال النووى فى شرح مسلم عند قوله صلى الله عليه وسلم فغضب حتى بان الغضب فى وجهه ثم قال مابال اقوام يرغبون عما رخص لى فيه فوالله لانا اعلمهم بالله و اشدهم له خشية فيه الحث على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم والنهى عن التعمق فى العبادة وذم التنزه عن المباح شكا فى اباحته وفيه الغضب عند انتهاك حرمات الشرع وان كان المنتهك متأولا تأويلا باطلا وفيه حسن المعاشرة بارسال التعزير والانكار فى الجمع ولا يعين فاعله فيقال مابال اقوام ونحوه وفيه ان القرب الى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة خشيته واما قوله صلى الله عليه وسلم فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية فمعناه انهم يتوهمون ان رغبتهم عما فعلت اقرب لهم عندى وان فعلى خلاف ذلك وليس كما توهموا بل انا اعلمهم بالله واشدهم له خشية وانما يكون القرب اليه سبحانه وتعالى والخشية على حسب ما امر لا بخيالات النفوس وتكلف اعمال لم يؤمر بها * الحديث الثالث (خ د) يعنى روى البخارى وابوداود فى صحيحيهما باسنادهما (عن ابى جحيفة انه) اى النبى (صلى الله عليه وسلم آخى) فعل ماض من الاخاء قال فى القاموس ولقد آخوت اخوة وآخيت وتآخيت وآخاه مواخاة واخاء واخاوة ووخاء اتخذه اودعته اخا (بين سلمان) الفارسى (و) بين (ابى الدرداء رضى الله عنهما فزار سلمان ابا الدرداء فرأى) سلمان (ام الدرداء) زوجة ابى الدرداء (مبتذلة) اى لابسة الثياب الخلقة قال فى القاموس مبذلة كمكنسة ما لا يصان من الثياب كالبذلة بالكسر والثوب الخلق والمبتذل لابسه ومن يعمل عمل نفسه كالمتبذل (فقال لها ما شانك) اى لماذا انت لابسة الثياب العتيقة الخلقة ولم تلبسى الثياب الحسنة وتتزينى لابى الدرداء (فقالت) له (اخوك ابو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا) يعنى فلا يرغب فى شئ من الشهوات والزينة الظاهرة (فجاء ابو الدرداء) فوجد اخاه سلمان فى داره (فصنع له طعاما) ليضيفه به وقدمه اليه (فقال) ابو الدرداء (له) اى لسلمان (كل) يعنى من هذا الطعام وحدك (فانى صائم قال) سلمان (ما انا باكل) يعنى وحدى (حتى تأكل) معى (فاكل) ابو الدرداء معه مواساة لضيفه ومراعاة لحقوق الاكرام (فلما كان الليل)

وقد

وقد بات سلمان فى دار ابى الدرداء رضى الله عنهما (ذهب ابو الدرداء يقوم) يصلى بالليل متهجدا (فقال) له سلمان (نم فنام) وامتثل قوله ولم يخالفه محافظة على حقوق الاخوة معه (ثم ذهب) ابو الدرداء (يقوم) من الليل ايضا (فقال) له سلمان (نم فلما كان من آخر الليل) عند ثلث الليل الاخير (قال سلمان) لابى الدرداء (قم الآن) للصلاة (فقاما) يعنى سلمان وابا الدرداء رضى الله عنهما (فصليا) ما قدرهما الله تعالى عليه من الصلاة ولعل اختيار هذا الوقت للقيام لما قال القرطبى فى شرح مسلم الساعة التى فى الليل وهى الساعة التى ينادى فيها المنادى من يسألنى فاعطيه الحديث وهى فى الثلث الاخير من الليل الى ان يطلع الفجر وفيها ينزل ربنا الى السماء الدنيا كذا صحت الرواية هنا وهى ظاهرة فى النزول المعنوى وتمامه هناك يعنى نزول العطف والاحسان والانعام والاكرام (فقال له) اى لابى الدرداء (سلمان ان لربك) الذى خلقك (عليك حقا) لازم الاداء وهو ان تعبده لاتشرك به شيئا على حسب ما امرك به وتكف عما نهاك عنه وقدم حق الله للاهتمام به (وان لنفسك) التى قيامك بسببها وهى مطيتك الحاملة لك الى الآخرة (عليك حقا) يلزمك اداؤه اذ من حق الراكب ان يحتفظ على مطيته التى تبلغه امانيه وحوائجه فى الدنيا والآخرة وقدمها على ما بعدها لانها اهم منه اذ هى الاصل بالنسبة اليه وما قبلها اصلها (وان لاهلك) اى زوجاتك واولادك واقربائك اللواتى حسن معيشتك فى الدنيا بهن وانتظام حالك دائر عليهن وتسهيل سيرك الى آخرتك منوط بهن قال فى القاموس اهل الرجل عشيرته وذوو اقربائه وللبيت سكانه وللرجل زوجته كاهلته (عليك حقا) بالمبيت معهن وحسن القيام عليهن بالانفاق والحماية والرعاية وصلة الرحم والشفقة والرأفة (فاعط) وجوبا عليك شرعيا وعرفيا (كل ذى حق) من هذه الثلاثة (حقه) الذى تعين فى ذمتك ولا تظلمه بمنعه حقه فيعاقبك الله تعالى يوم القيامة (فاتى) ابو الدرداء (النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك) اى الذى صنع سلمان وقوله الصادر منه (له) اى للنبى عليه السلام (فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق سلمان) يعنى فى جميع ما صدر منه فى حقك وفى هذا الحديث حث الاخوان فى الدين على نصح بعضهم بعضا ووجوب اطاعة بعضهم بعضا فى الخير والهدى والانقياد الى الحق حيث كان وان الرجل الكبير اذا عرض عليه كلام من هو دونه وكان حقا فى نفسه يصدقه فيه ويصوبه ولا يابى قبوله ممن هو دونه وفيه الحث على مواخاة الاخوان الصالحين ومخالطتهم وجواز الدخول الى بيوتهم من غير اذنهم مع المحافظة على حرماتهم واموالهم وزوجاتهم واستحقاقهم الضيافة منهم اذا حضروا واجتمعوا بهم * الحديث الرابع (خ س) يعنى روى البخارى والنسائى فى صحيحيهما باسنادهما (عن انس رضى الله عنه) انه قال (دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد) يعنى مسجد المدينة (فاذا حبل ممدود بين الساريتين)

اى الاسطوانتين المعهودتين هنالك فكأنهما معروفتان للمخاطب (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم لمن حضر (ماهذا الحبل قالوا) اى الحاضرون (حبل لزينب) بنت جحش زوجة النبي صلى الله عليه وسلم يعنى ربطته بين السارية بين في المسجد لتستعين به على دفع النعاس عنها (فاذافترت) اى ضعفت عن قيام الليل وتراخت اعضاؤها من هجوم النوم عليها (تعلقت به) ساعة ليذهب عنها النعاس فتنشط للصلاة (فقال) النبي (صلى الله عليه وسلم لا) اى لاتفعل زينب هكذا (حلوه) اى ذلك الحبل بمعنى فكوا ربطه واطرحوه (ليصل احدكم) يعنى في الليل (نشاطه) اى مقدار نشاطه ولا يكلف نفسه العبادة بالمشقة في التهجد وغيره (فاذافتر) اى ضعف ووجد من نفسه ضد النشاط من العى والكسل (فليقعد) عن العبادة اى يتركها ومنه ذوالقعدة ويكسر شهر كانوا يقعدون فيه عن الاسفار اى يتركون وفى رياض الصالحين للنووى رحمه الله تعالى وعن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذانعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهوناعس لايدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه متفق عليه وعن ابى عبدالله جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال كنت اصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم قوله قصدا اى بين الطول والقصر اه ويناسب الاول ماقاله فقهاء الحنفية من انه اذاغلب عليه النوم تكره له التراويح كذا فى جامع الفتاوى والمجتبى والخانية بل ينصرف حتى يستيقظ لان فى الصلاة مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ذكره والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر* الحديث الخامس (د) يعنى روى ابوداود باسناده (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتشددوا) اى تضيقوا الامر يامعشر المكلفين (على انفسكم) بارتكابكم العبادات المشقة المتعبة لكم بحيث توصلكم الى الملالة والكسل (فيشدد) اى يضيق الامر الذى ارتكبتموه والتزمتموه بشروعكم فيه (الله) تعالى (عليكم) لان الشروع فى النوافل ملزم بها وموجب لاتمامها كما قال تعالى ولاتبطلوا اعمالكم والتشديد على النفوس موصل للملالة والكسل وفى ذلك تشبه بالمنافقين كما قال تعالى فيهم* واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى (فان قوما) من امة عيسى عليه السلام كانوا قبلكم (شددوا) اى ضيقوا امر العبادة (على انفسهم) بتكليفها المشقات والمتاعب (فشدد) بالبناء للمفعول اى شدد الله تعالى (عليهم) فالزمهم بما تكلفوه من ذلك بحيث صار النقصان منه بينهم تهاونا بطاعة الله تعالى وتكاسلا عنها (فتلك) يعنى الطائفة الموجودة الآن من النصارى (بقاياهم) اى بقايا الاولين (فى الصوامع) جمع صومعة قال فى القاموس صومعة كجوهرة بيت للنصارى (والديار) دار وهى المحل يجمع البناء والعرصة كذا فى القاموس (رهبانية) وهى المبالغة فى العبادة والرياضة

والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قاله البيضاوى (ابتدعوها) اى اخترعوها قال الخازن والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس بالتقلل من ذلك (ما كتبناها) اى ما فرضناها (عليهم) روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منهما ثلاث وهلك سائرهن فرقة وزأت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازأة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد ورهبوا وهم الذين قال الله عزوجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم لها لكون وعن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا ابن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق احد للذى ندعوا اليه فقالوا نتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال * واحدثوا الرهبانية فنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها فآتينا الذين امنوا منهم يعنى من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على القلاع وروى انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو سمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم اودخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسهم فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح فى لارض ونهيم ونسرب كما تسرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الغيافى ونحتفر الآبار

ونجتذب البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان فيتعبد كما تعبد و يسيح كما ساح فلان و يتحدون كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم كذا نقله ابو محمد الخازن وذكر الواحدى فى تفسير هذه الآية بسنده عن الزهرى عن عروة قال دخلت امرأة عثمان بن مظعون على عائشة وهى باذة الهيئة فسألتها ما شأنك قالت زوجى يقوم الليل و يصوم النهار فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عائشة ذلك له فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فقال يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا افمالك فى اسوة فوالله ان اخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا * الحديث السادس (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين يسر) ضد العسر وهو السهولة يعنى سهلا لا صعوبة فيه ولهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره ابو بكر بن اسحق الكلاباذى فى كتابه بحر الفوائد وشرح الآثار عن ابى التياح قال سمعت انس بن مالك رضى الله عنه يحدث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يسّروا ولا تعسّروا وسكّنوا ولا تنفروا فمعنى يسروا اى اصرفوا بوجوه الناس الى الله عز وجل فى الرغبة اليه وردوهم فى طلب الحوايج الى الله وداوهم فى جميع احوالهم على الله فان اليسر كله عند الله قال تعالى * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال * ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولا تعسروا اى لا تردوهم الى المخلوقين فى طلب الحوايج منهم وقضائها من عندهم فانهم محتاجون الى مثل ما يحتاج اليهم فيه فكأنهم يتجاذبون شيئا بينهم كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول الى ما تتجاذبونه بينكم وقوله سكنوا تصديق لما قلنا لان السكون هو الطمأنية وقد قال تعالى * الا بذكر الله تطمئن القلوب * فلا يزال قلب المؤمن فى اضطراب فى نيل ما يرجوه ودرك ما يريده حتى يرده الى الله فهنالك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارا وكذلك قوله ولا تنفروا اى لا تفرقوهم فى دلالتهم على غير الله وردهم الى سواه فتتفرق بهم المذاهب وتختلف عليهم المسالك والطرق فى طلب ما يريدونه فالتنافر فرقة والسكون جمع فكان معنى قوله يسروا اى ردوهم الى اليسر ولا تعسروا اى لا تردوهم الى العسر وسكنوا اى اجمعوهم ولا تنفروهم اى لا تفرقوهم قال النبى صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له شمله هذا فيمن اراد الدنيا والآخرة فما ظنك فيمن اراد ربهما يدل على صحة هذا التأويل ماروى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار الذى هو ايسر ويجوز ان يكون معناه اختار الذى هو لله فانه اذا اختار ما اراد الله فقد اختار اليسر لان الله عز وجل يريد اليسر (ولن يشاد)

من المشادة وهى التشدد اى المغالبة والمخاصمة (الدين) المعهود ذكرا (احد) من الامة (الا غلبه) اى قهره فمن شدد على نفسه فيه ليأخذنه بحظ وافرطال عليه المدى فرجع الى السهولة فغلبه الدين ولم يقدر هو ان يغلب الدين اصلا (فسددوا) سدده تسديدا قومه وسد الثلمة اصلحها ووثقها واستد استقام كذا فى القاموس فالمعنى قوموا اموركم واصلحوها ووثقوها (وقاربوا) من قارب الخطو داناه يعنى اجعلوا سيركم فى طريق الله تعالى وسبيل عبادته مقاربة ومداناة فلا تبالغوا فى ذلك ولا تغلوا فيه (وابشروا) يعنى بالقبول من الله تعالى وبالمنازل العالية عنده ولا تظنوا ان ذلك يحصل لكم بالمبالغة والغلو دون التوسط فى الامور (واستعينوا) على اعمال دينكم ودنياكم (بالغدوة) بالضم البكرة او ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداوة والغدية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدو ولا يقال غدايا الا مع عشايا وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر وغاداه باكره كذا فى القاموس (والروحة) من الرواح وهو العشى او من الزوال الى الليل وروحنا رواحا سرنا فيه او عملنا كذا فى القاموس وفى شرح المناوى على الجامع الصغير الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو الخروج اول النهار الى انتصافه والروحة المرة من الرواح وهو من الزوال الى الغروب (و) استعينوا ايضا (بشئ من الدلجة) بالضم والفتح السير من اول الليل وقد ادلجوا فان ساروا من آخره فادلجوا بالتشديد كذا فى القاموس والمعنى فى الاستعانة بذلك المبادرة الى الاعمال والمسارعة اليها والمسابقة عليها من غير تأخر عنها فى اعمال النهار ودون ذلك فى اعمال الليل ولهذا قال بشئ من الدلجة ولم يقل بالدلجة (وزاد) الراوى لهذا الحديث (فى رواية) اخرى (والقصد القصد) وهو ضد الافراط كالاقتصاد كما فى القاموس ومعناه التوسط فى الامور بين الافراط والتفريط (تبلغوا) اى تصلوا الى مقصودكم ومقصود الله تعالى منكم من قبوله ورضوانه والحلول فى فراديس جنانه وذكر الكلاباذى فى بحر الفوائد قال حدثنا محمد بن احمد القاضى عن عيسى عن جابر بن عبد الله قال مر النبى صلى الله عليه وسلم على رجل يصلى على صخرة بمكة فاتى ناحية مكة فمكث مليا ثم انصرف فوجد الرجل يصلى على حاله فجمع يديه ثم قال يا ايها الناس عليكم بالقصد ثلاث مرات فان الله لا يمل حتى تملوا الملال تكره يعرض للانسان من عمل يعمله واذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصير عليه ويحمل التعب فيه حتى يضجر ويسأم فيترك ذلك العمل استثقالا ورفضه تضجرا منه وسآمة له وهو شئ يعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ورغبته فيه وهذه صفة الانسان المطبوع على طبايع مختلفة واوصاف متباينة واخلاق متغايرة والله جل وعز يجل عن هذه الاوصاف ويتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا من اوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة للانسان المطبوع الذى يضعف عن تحمل ما يعرض له و يثقل عليه و يؤده الشئ و يؤذيه فمعنى قول

النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا ليس على الغاية والتوقيت فيوصف تعالى بهذه الصفة فى وقت او عند امر بل هو على النفى عنه والتبرئة له منه فيجوز ان يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا اى لا يمل فتمل ولا يمل بل تملون كأنه يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذا تكلفتم الاعمال فاكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم ما يلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها وبغضا لها فلا تعودوا اليها والله تعالى جده لا تصيبه هذه الآفات ولا تعرض له العوارض فلا يصرفكم عما تكلفون ولا يبنها كم عما تعملون ولا يحول بينكم وبينها كراهة لها واستثقالا منه اياها وبغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى اى المركب المنبت بمعنى المنقطع من كثرة العدو عليه لا قطع الارض المقصود قطعها لبعد مسافتها ولا ابقى ظهره مستريحا قابلا للسير عليه بعد ذلك وهو مثل مضروب للمبالغ فى العبادة لا يصل بكثرة عبادته الى غاية مقصوده ولا يقدر ان يدوم على السير كذلك بل مآله ان يعجز ويترك من التعب والملل وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالقصد كره التعمق والغلو فى الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف وما فى طباعهم من الملالة والسآمة خوفا عليهم ان يبغضوا عبادة الله ويستثقلوا طاعته ويملوا خدمته فامرهم بالاستجمام والاستراحة لاسترجاع القوى وزوال الضجر ويكون ذلك ادعى لهم الى حسن الطاعة لله ومحبة الخدمة له والف عبادته كما قال لكنى اصوم وافطر واصلى وارقد وآتى النساء الا فمن رغب عن سنتى فليس منى الا وكل قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة وقال عليه السلام لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان لله عليك حقا ولبدنك عليك حقا ولاهلك عليك حقا وكتب سلمان الى ابى الدرداء رضى الله عنهما انى انام واقوم فاحتسب نومتى كما احتسب قومتى فعد واحتسب نومه طاعة لله وخدمة له كما احتسب قيامه وصلاته لان النوم حق البدن وقد اوجب الله تعالى هذا الحق فايفاؤه اياه طاعة لله ولان فى نومته استجلاب القوة لقومته وتشحيذ الطباع وحثا منه لنفسه على طاعة ربه وتحبيب عبادة الله الى نفسه لان الله جل وعز احب من عباده ان يحبوه ويؤثروه ويقبلوا عليه ولذلك كلفهم الاعمال ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه ويتوجهوا بادائها اليه فاذا تحملوا منها فوق طاقتهم ملوا فتركوها وفى تركها ترك الاقبال عليه والتوجه اليه جل وعز وهو غنى عن افعال عباده لا تزيده طاعتهم ولا تنقصه معصيتهم وانما اراد منهم اظهار فقرهم اليه ورؤية اضطرارهم وعجزهم ليعينهم ويقويهم ويجعلهم ملوكا خالدين واغنياء لا يفتقرون واقوياء لا يضعفون سبحان اللطيف بعباده الرؤف

بهم ويجوز ان يكون معنى قوله ان الله لايمل حتى تملوا اى لايترك ثوابكم والاقبال عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولين فيها مالم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كأنه يقول الله عزوجل يقبل عليكم وان قصرتم فى عبادته ويقبل يسيراعما لكم ويثيبكم عليها الجزيل مادمتم فيها راغبين ولها مريدين وبنياتكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها ومقاصدكم منها وانما يترك ثوابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها ومللتموها * الحديث السابع (زطب حب) يعنى روى البزار والطبرانى وابن حبان باسنادهم (عن ابن عباس رضى الله عنهما) اى عنه وعن ابيه العباس عم النبي عليه السلام (انه) اى ابن عباس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى (يحب ان تؤتى رخصه) جمع رخصة بضمه وبضمتين مارخص الله للعبد فيما يخففه عليه كذا فى القاموس وفى التلويح الرخصة اسم لمابنى على اعذار العباد وهو مايستباح مع قيام المحرم وذكر ابواليسران الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع قيام المحرم وحرمة الفعل وترك المؤاخذة بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب وفى الميزان ان الرخصة اسم لمايغير عن الامر الاصلى الى تخفيف وتيسير ترفيها وتوسعة على اصحاب الاعذار وفى مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول قال فى الرخصة وهى انواع اربعة نوعان من الحقيقة اى رخصة حقيقة لكن احدهما احق بكونه رخصة من الآخر ونوعان من المجاز اى يطلق عليهما اسم الرخصة مجازا لكن احدهما اتم فى المجازية من الآخر اى ابعد من حقيقة الرخصة قال فى المنار وشرحه لابن ملك اما احق نوعى الحقيقة فما استبيح مع قيام السبب المحرم وقيام الحرمة والمراد من الاستباحة ان يعامل معاملة المباح فى سقوط المؤاخذة لانه يصير مباحا فلايلزم من سقوط المؤاخذة ثبوت الاباحة فان الكبيرة اذاعفيت عن مرتكبها لاتصير مباحة مع عدم المؤاخذة عليها وذلك كترخص من اكره بمايخاف على نفسه اوعلى عضو منه على اجراء كلمة الكفر فانه رخص له الاجراء على اللسان وقلبه مطمئن بالايمان لان حقه فى نفسه يفوت عند الامتناع صورة ومعنى اماصورة فبتخريب البنية واما معنى فبزهوق الروح والاقدام عليها لايفوت حق الله تعالى معنى لان الركن الاصلى هو التصديق وكذلك اذا اكره الصائم على الافطار يباح له الافطار لانه اذا امتنع وقتل يفوت حقه صورة ومعنى واذا اقدم على الفطر يفوت حق الله تعالى صورة لانه يفوت الى بدل وهو القضاء فكان له رخصة فى الفطر رجحان حقه وكذلك اذا اكره على اتلاف مال الغير رخص له ذلك لرجحان حق نفسه وحق الغير لايفوت لانجباره بالضمان وكذلك اذا خاف على نفسه رخص له ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لانه لواقدم يفوت حقه صورة ومعنى ولو ترك يفوت حق الله تعالى صورة لامعنى لان اعتقاد

حرمة الترك باق وكذلك جناية المكره المحرم على احرامه وتناول المضطر طعام الغير بان اصابته مخمصة حيث يرخص له ذلك بالضمان وحكم هذا النوع من الرخصة ان الاخذ بالعزيمة اولى لبقاء المحرم والحرمة حتى لو صبر واحتمل ما اكره به وامتنع عما هو الرخصة وقتل كان شهيدا لكونه باذلا نفسه لاقامة حق الله تعالى والنوع الثانى من الرخصة ما استبيح مع قيام السبب المحرم لكن الحكم وهو الحرمة متراخ عنه اى عن السبب الى زمان زوال العذر فمن حيث ان السبب قائم كانت الرخصة حقيقة ومن حيث ان الحكم متراخ غير ثابت فى الحال كان هذا القسم دون الاول وذلك كافطار المسافر مع قيام السبب وهو قوله تعالى *فمن شهد منكم الشهر فليصمه وحكم هذا النوع ان الاخذ بالعزيمة اولى لكمال سببه وهو شهود الشهر حتى كان الصوم فى السفر افضل من الافطار الا ان يضعفه الصوم يعنى اذا اضعفه الصوم كان الفطر اولى واو صبر حتى مات كان آثما لانه لو بذل نفسه لاقامة الصوم كان قاتلا نفسه من غير تحصيل المقصود بالصوم وهو الارتياض بخدمة المولى واما اتم نوعى المجاز فهو ما سقط عنا ولم يشرع فى حقنا من الاصر وهو الاعمال الشاقة كقتل النفس فى التوبة وقطع الاعضا الخاطئة وعدم جواز صلاتهم فى غير مساجدهم وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصائم بعد النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع مالهم وكتابة ذنب احدهم على الباب بالصبح والاغلال وهى المواثيق اللازمة لزوم الغل كما روى ان بنى اسرائيل كانوا اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسله واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكريما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى ما حط عنا من الاصر والاغلال التى وجبت على من قبلنا رخصة مجازا لان الاصل وهو العزيمة وهى الاصر والاغلال لم يبق مشروعا اى لم يجب علينا وسقط عنا تخفيفا بالنظر الى غيرنا والنوع الرابع من انواع الرخص ما سقط عن العباد باخراج سببه من ان يكون موجبا للحكم فى محل الرخصة مع كون ذلك الساقط مشروعا فى بعض الاوقات فمن حيث انه سقط فى محل الرخصة كان نظير القسم الثالث وكان مجازا اذ ليس فى مقابلته عزيمة ومن حيث انه بقى السبب والحكم مشروعا فى بعض الاوقات اخذ شبها بالحقيقة ولكن جهة المجاز غالبة لان جهة المجاز بالنظر الى محل الرخصة وشبه الحقيقة بالنظر الى غير محلها فكانت جهة المجاز اقوى قال فى شرح مرقاة الوصول كالخمر والميتة للمضطر والمكره فان حرمة تناولهما ساقطة فى حقهما بخوف الهلاك على النفس حتى لم تبق مشروعة عندنا وتبدلت بالاباحة حتى اذا صبر ومات اثم ان علم بالاباحة فى هذه الحالة لان فى انكشاف الحرمة خفاء فيعذر بالجهل كذا ذكره الامام الاسبيجابى وقال فى التلويح فى اكل الميتة وشرب

الخمر حال الاضطرار فان المختار عند الجمهور انه مباح والحرمة ساقطة لانه حرام
رخص فيه بمعنى ترك المؤاخذه ابقاء للمهجة كما فى اجراء كلمة الكفر واكل مال الغير على
ماذهب اليه البعض امافى اكل الميتة فلان النص المحرم لم يتنا ولها حالة الاضطرار
لكونها مستثناة فبقيت مباحة بحكم الاصل وبمثل قوله تعالى * خلق لكم مافى الارض
جميعا * بل عند القائلين بان الاستثناء من الاثبات نفى يكون النص دالا على عدم
حرمتها حالة الاضطرار ثم بسط الكلام فى ذلك وقال فى شرح مرقاة الوصول
وكقصر المسافر فانه رخصة اسقاط عندنا فاتمام المسافر بنية الظهر لايجوز كاتمام
الفجر وبنية الظهر والنفل اساءة وترك العقدة الاولى مفسد وكذلك مسح المتخفف
فان غسل الرجل الذى هو عزيمة سقط فى مدة المسح رخصة لان استتار القدم بالخف
يمنع سراية الحدث الى القدم فثبت ان الغسل ساقط وان المسح شرع لليسر ابتداء
لاعلى معنى ان الواجب من غسل الرجل يتأدى بالمسح اذ لو كان كذلك لما اشترط كون
الرجل طاهرة وقت اللبس ولاكون اول الحدث بعد اللبس طاريا على طهارة كاملة
كما فى المسح على الجبيرة لان المسح يصلح رافعا للحدث السارى الى القدم وان الشرع
اخرج السبب الموجب للحدث من ان يكون عاملا فى الرجل مادامت مستترة بالخف
وجعله مانعا من سراية الحدث الى القدم وحكم هذا القسم من الرخصة ان العزيمة
لاتبقى مشروعة فيه مادام متخففا فان رأى المسح ولم يمسح اخذا بالعزيمة يثاب باعتبار
النزع والغسل (كما تؤتى عزائمه) جمع عزيمة من عزم على الامر اراد فعله وقطع
عليه اوجد فيه وعزمة من عزمات الله حق من حقوقه اى واجب مما اوجبه وعزائم الله
فرائضه التى اوجبها كذا فى القاموس وفى شرح مرقاة الوصول والعزيمة ماشرع
ابتداء غير مبنى على اعذار العباد وهى فرض وواجب وسنة ونفل وحرام ومكروه
ومباح وتمامه مفصل فى كتب الاصول بماذكره يطول والحاصل ان الرخص احكام
الله تعالى كما ان العزائم احكامه ايضا وهو تعالى يحب طاعته بالعمل باحكامه على كل حال
ويلزم من هذا ان يبغض مخالفته سبحانه بالعمل باحكام النفس والهوى والشيطان
وليست الرخص من احكام النفس ولا الهوى ولا الشيطان حتى يبغضها سبحانه وان كان
فيها تسهيل على النفوس وتوسيع عليها فانه تسهيل وتوسيع من قبل الحق تعالى لاهو
من قبل النفوس حتى يكون مذموما كما قال تعالى * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
لكن نقل الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير انه لايجوز تتبع الرخصة
بان يأخذ من كل مذهب الاهون بحيث تنحل ربقة التكاليف من عنقه خلافا لابن عبد
السلام حيث اطلق جواز تتبعها وقد يحمل كلامه على مااذا تتبعها على وجه
لايصل الى الانحلال المذكور ونقل عن السبكى فى المنتقل من مذهب الى آخر
ان قصد الرخصة فيما يحتاجه لحاجة لحقته اوضرورة ارهقته يجوز وان قصد مجرد
الترخص فيمتنع لانه متبع لهواه لا الدين وان اكثر ذلك وجعل اتباع الرخص ديدنه

يمتنع لما ذكر ولزيادة فحشه انتهى ولنا رسالة مستقلة فى مسئلة التقليد سميناها خلاصة التحقيق بينا فيها حكم مذهبنا فى جواز التقليد وما يمتنع منه وليس من الرخص التى يجوز فعلها الحيلة اذا وردت على تحليل حرام او تحريم حلال كما ذكر ذلك العلامة بن العز الحنفى فى رسالة له صنفها فى بيان الاقتداء بالامام المخالف للمذهب قال فيها ومما يجب الاحتراز منه لقصور الفهم عن الائمة وعدم فهم الادلة الشرعية فيتساهلون فى الحيل فى التحليل وغيره اما القصور فى فهم الادلة فظاهر واما القصور فى الفهم عن الائمة فانهم يسمعون عمن يقول بجواز الحيل فيسترسلون فى الاكثار منها ومجاوزة الحد فيها وقد قال ابو حنيفة رضى الله عنه انه يحجر على المفتى الذى يعلم الناس الحيل لكن قد يشكل على من يسمع هذا عن ابى حنيفة رضى الله عنه ويقول كيف يقال بالحجر على من يعلم الناس الحيل مع القول بجوازها ولا اشكال بحمد الله وان كان قد وقع فى الحيل كثير ممن ينسب الى ابى حنيفة لظنهم انه يقول بجواز تعاطى اسبابها وليس الامر كذلك فان ابا حنيفة انما يقول لو فعل مثل هذا الفعل المحرم لترتب عليه حكمه لانه يقول بجواز فعله ابتداء كما يقول فى البيع الفاسد لو فعل لترتب عليه حكمه بخلاف البيع الباطل لانه يقول بجواز الاقدام على البيع الفاسد وكما قالوا فى البيع عند اذان الجمعة انه لا يجوز فعله ولو فعل لترتب عليه حكمه ونفذ واصل ابى حنيفة فى ذلك معروف وهو انه يفرق بين النهى عن الشئ لمعنى فى عينه والنهى عنه لمعنى فى غيره ومن ذلك العينة وامثالها فان العينة مذمومة قال الشيخ حسام الدين السغناقى فى النهاية شرح الهداية فى كتاب الكفالة وهذا النوع من البيع ذميم اخترعه اكلة الربا وقد ذمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر ذللتم وظهر عليكم عدوكم وقيل اياك والعينة فانها لعينة ومصداق هذا الحديث مادهانا من البلاء ودهمنا من اللاواء واذا الناس فى زماننا اشتغلوا بالعين فابتلوا بهذا اللعن وبعضهم اقبلوا على الجد على الزراعة فقرعوا بقارعة ذات بأس وفظاعة وعلماؤهم اخذوا فى اقتراب ابواب السلطان فأخذوا بانواع الافتتان * ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون * كذا ذكره الامام المرغينانى فى الفوائد خصوصا فى هذا الوقت الذى نحن فيه حيث نزل بيع العينة منزلة البياعات الصحيحة بالنسبة الى بياعات هذا الزمان فلاجرم ابتلوا ببلايا اشد مما كان البلاء فيمن قبلهم هذه عبارة السغناقى رحمه الله تعالى فالحيلة اذا كانت على تحريم حلال او تحليل حرام او ابطال حق او تحقيق باطل فهى حرام بلا خلاف وانما الخلاف فى الحيلة اذا فعلت مع كونها حراما هل يترتب عليها الحكم ام لا فعند ابى حنيفة والشافعى رضى الله عنهما يترتب عليها الحكم خلافا لمالك واحمد رضى الله عنهما واما قول من قال من الاصحاب ان الحيلة على اسقاط الزكاة لا تكره لانه امتناع من الوجوب لا اسقاط بعد الوجوب

يعنى اذاملّك المال قبل حولان الحول لمن يثق به ثم استرده بعدالحول فالظاهر ان هذا لم يقله ابوحنيفة فان قولهم انه امتناع من الوجوب انما يكون الامتناع من الوجوب اذاترك الاكتساب امااذاملك النصاب ثم ملّكه قبل حولان الحول لمن يثق به فقدسعى فى اسقاط الوجوب بعدانعقاد سببه فان السبب ملك النصاب النامى ولهذاجاز تعجيل الزكاة قبل الحول والمصلحة التى شرعت لاجلها الزكاة تفوت بفتح باب الحيل على اسقاطها وكذلك المفسدة التى حرم لاجلها الربالم ترتفع بالحيل على تحصيله وكذلك المصلحة التى شرع لاجلها الاستبراء وهى خوف اختلاط المياه واشتباه الانساب تفوت بالحيلة على اسقاطه وكذا قال ابوحنيفة ان القضاء بشهادة الزور فى العقود والفسوخ ينفذ ظاهرا و باطنا حتى لواقام رجل شاهدى زورانه تزوج امرأة حل له وطؤها مع حرمة تعاطى ذلك السبب الباطل فالاثم فى تعاطى السبب الباطل لكن اذاوجد السبب وجدالمسبب واما ما يفعله بعض قضاة زماننا من الحكم بصحة المعاملة وان قصدبها المداينة مع علمه بالخلاف فشئ محدث لا اصل له ولاينبغى ان يرفع الخلاف بل من اراد ابطال تلك المعاملة ابطلها فان قوله وان قصدبها المداينة معناه وان قصدبها الربا ولااعتبار للالفاظ بل العبرة بالمعانى واى حكم اقبح من الاعانة على فعل المحرم فانه اذاقال حكمت بصحة هذا الفعل ان قصد به تحليل ماحرم الله وتحقيق ماابطله الله يكون حكمه على خلاف حكم الله فى هذه القضية واحل الله البيع وحرم الربا فالحاصل ان الحيلة اذاتضمنت تحليل حرام اوتحريم حلال اوابطال حق اوتحقيق باطل لايفتى بها المفتى وان كان يترتب عليها حكمها لوفعلت فانه لايسوغ له الاعانة على فعل المحرم قال تعالى* وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب* ويحجر على من يفتى بها من المفتين كما قال ابوحنيفة فاذارفعت اليه قضية وهولايعلم انها حيلة على ابطال حق اوتحقيق باطل حكم بها لانه معذور حكم بالظاهر والله يتولى السرائر فمن افتى اوحكم وهويعلم بالحال فليعلم انه موقوف بين يدى الله تعالى ومسؤل فليعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا انتهى كلام ابن العز رحمه الله تعالى وهو كلام حسن عندمن تأمله بالانصاف موافق للمذهب بل لاصل الدين من غير خلاف فان الحيلة على استباحة المحرم وانتهاك حرمة الله تعالى فيه امر قبيح جدا عند من لم يسكر بحب الدنيا والاكثار من الاموال قال خاتمة المحدثين الشيخ نجم الدين الغزى الدمشقى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه ومن اعمال بنى اسرائيل يعنى اليهود الحيلة فى اكل ماحرم عليهم قال الله تعالى* واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذيعدون فى السبت اذتأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون* روى الحاكم باسناد صحيح عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وهو يقرأ فى المصحف قبل ان يذهب بصره

وهو يبكى فقلت مايبكيك جعلنى الله فداك قال فقال هل تعرف ايلة قلت ومايلة قال قرية بها ناس من اليهود فحرم الله عليهم الحيتان يوم السبت زاد فى رواية لغير الحاكم وذلك ان اليهود امروا باليوم الذى امرتم فيه يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا فيه وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه ان اطاعوا لم يؤجروا وان عصوا عذبوا قال الحاكم فى روايته فكانت حيتانهم تأتيهم يوم سبتهم شرعا بيض سمان كامثال المخاض فاذا كان فى غير يوم السبت لم يجدوها ولم يدركوها الا فى مشقة ومؤنة شديدة فقال بعضهم لبعض اومن قال ذلك منهم لعلها لو اخذناها يوم السبت واكلناها فى غير يوم السبت ففعل ذلك اهل بيت منهم فاخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء فقالوا مانرى اصحاب بنى فلان بشئ فاخذها آخرون حتى فشى ذلك فيهم وكثر فافترقوا ثلاثا فرقة اكلت وفرقة نهت وفرقة قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فقالت الفرقة التى نهت انا نحذركم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف اوقذف او ببعض ماعنده من العذاب والله لا نأتيكم فى مكان وانتم فيه فخرجوا من السور فغدوا عليه من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فأتوا بسبب فاسندوه الى السور ثم رقى راق منهم الى السور فقال ياعباد الله قردة والله لها اذناب تعاوى ثلاث مرات ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرف القردة انسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القردة قال فيأتى القرد الى نسيبه وقريبه من الانس فيحك به ويلصق به ويقول الانسان انت فلان فيشير برأسه اى نعم ويبكى وتأتى القردة الى نسيبتها فتقول لها انت فلانة فتشير برأسها اى نعم وتبكى فتقول لهم الانس اما انا حذرناكم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف اومسخ او ببعض ماعنده من العذاب قال ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول * فانجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون * فلا ادرى مافعلت الفرقة الثالثة قال ابن عباس وكم قد رأينا من منكر فلم ننه عنه قال عكرمة فقلت ماترى جعلنى الله فداك اذكر هوا حين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فاعجبه قولى ذلك وامر لى ببردين غليظين فكسانيهما * الحديث الثامن (حد زطط خز) يعنى روى الامام احمد والبزار والطبرانى فى المعجم الاوسط وابن خزيمة باسنادهم (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك) اى تقدس وتنزه صفة خاصة بالله كذا فى القاموس (وتعالى) اى ارتفع عن ادراك العقول (يحب) من احب والمحبة فى حق الله تعالى لبعض الاعمال او الاشخاص كناية عن كمال الرضاء بذلك والاقبال عليه (ان تؤتى) بالبناء للمفعول (رخصه) جمع رخصة وتقدم معناها والمراد انه تعالى يرضى من عبده المكلف ان يفعل مارخصه له من الاحكام الشرعية اى سهله عليه (كما) اى مثل ما (يكره) سبحانه وتعالى اى لا يحب ولا يرضى (ان تؤتى)

اى تفعل يعنى يفعلها عبده المكلف (معصيته) التى نهى عنها نهى تحريم اوكراهة وفيه اشارة الى انه تعالى يحب عبده اذافعل الافعال التى يحبها سبحانه ويكره عبده اذافعل الافعال التى يكرهها سبحانه وانه تعالى يحب مارخص فى فعله كما يحب ماامر بفعله ويكره مانهى عن فعله فاوجب ترك معصيته من الصغائر والكبائر (زاد) الراوى على قوله ان الله يحب ان تؤتى رخصه (فى رواية ابن خزيمة) اى روى ابن خزيمة فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما (كما يحب ان تترك) بالبناء للمفعول (معصيته) بدل كما يكره ان تؤتى معصيته والحاصل ان الرخص التى سهل الله تعالى على المكلفين فى فعلها لايجد الحرج فى نفسه بفعلها الا الذى ترك الدين الحق وتبع العقل والهوى قال النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه ومن اخلاق الشيطان اللعين كراهية الرخصة والمنع منها وهو خلاف مايحبه الله من العبد ثم اورد نحو ماهنا من الاحاديث ثم قال وروى ابن ابى شيبة عن ابراهيم النخعى قال مسح اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الخفين فمن ترك ذلك رغبة عنه فانما هو من الشيطان ومن هنا قال العلماء من وجد فى نفسه كراهة الترخص فاخذه بالرخصة افضل من اخذه بالعزيمة ومهما اخذ بالرخصة فلابد ان لايفضى به الاخذ بها الى تتبع الرخص بان يأخذ بالاهون من كل مذهب فان هذا حرام وهو من خطوات الشيطان اه وقدمنا مافيه من الكلام *الحديث التاسع (ط طك) يعنى روى مالك فى الموطأ والطبرانى فى المعجم الكبير باسنادهما (عن ابى الدرداء و) عن (واثلة بن الاسقع و) عن (ابى امامة) الباهلى (و) عن (انس) بن مالك (رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب) اى يرضى كمال الرضاء (ان تقبل) بالبناء للمفعول (رخصه) اى يقبلها عبده فيعمل بها ولاينفر منها قلب العبد فيتساهل بها ولايعمل الا بمايشق عليه (كما يحب العبد) المذنب (مغفرة ربه) لذنبه حتى لايؤاخذ به يوم القيامة *الحديث العاشر (خم) يعنى روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما باسنادهما (عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما انه قال اخبر) بالبناء للمفعول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اخبره مخبر من الناس (انى اقول والله لاصومن النهار) حسبة لوجه الله تعالى (ولاقومن الليل) كله ابتغاء القرب اليه سبحانه والنجاة منه فى الآخرة (ماعشت) اى مدة عيشى اى بقائى فى الحياة الدنيا وذكر القرطبى فى شرح مسلم قال حديث عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما اشتهر وكثر رواته فكثر اختلافه حتى ظن من لابصيرة عنده انه مضطرب وليس كذلك فانه اذاتتبع اختلافه وضم بعضه الى بعض انتظمت صورته وتناسب مساقه اذليس فيه اختلاف تناقض ولاتهاتر بل يرجع اختلافه الى ان ذكر بعضهم ماسكت عنه غيره وفصّل بعض ماجمله غيره ثم ذكر رواية مسلم الم اخبر انك تصوم ولاتفطر وتصلى ثم قال هذا انمافعله عبدالله رضى الله عنه بعد ان التزمه بقوله لاصومن

النهار ولاقومن الليل ماعشت كما جاء فى الرواية الاخرى فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحكى بعض الرواة الفعل وحكى بعضهم القول (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعبدالله بن عمرو المذكور (انت الذى تقول ذلك) يعنى ماتقدم من قوله لاصومن النهار ولاقومن الليل (فقلت له بابى وامى) اى افديك بهما (قدقلته) اى ذلك الذى اخبرت به (يارسول الله قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فانك لاتستطيع ذلك) اى لاتقدر على فعله لان النفوس تمل بسبب نقصانها خلقة عن كمال الطاعة فلابد من تعهدها بنوع من حظوظها لتستروح اليه ثم ترجع الى الطاعة بنشاط فيها ولهذا شرعت صلاة التراويح وسميت بذلك للاستراحة فيها بين كل اربع واربع بقدرها حتى انه يكره ان لم يفعل ذلك لعدم القيام فى ذلك بالنشاط غالبا وفى رواية مسلم لاتفعل قال القرطبي نهى عن الاستمرار فى فعل ماالتزمه لاجل مايؤدى اليه من المفسدة التى نبه عليها بقوله فانك اذافعلت ذلك هجمت عيناك قال المفسرون اى غارتا وتحقيقه هجمت على الضرر دفعة واحدة فان الهجم هو اخذ الشئ بسرعة بغتة ويحتمل ان يكون معناه هجمت العين عليه بغلبة النوم لكثرة السهر السابق فينقطع عما التزمه فيدخل فى ذم من ابتدع رهبانية ولم يدمها وكما قال له ياعبدالله لاتكن مثل فلان يقوم الليل فترك قيام الليل وفى رواية ونقهت نفسك اى اعيت وضعفت عن القيام بذلك كما قال فى لفظ آخر نهكت نفسك (فصم) اى ماعسى ان تصوم من غير تقدير عدد فى نفسك عند شروعك فى الصوم حتى لاتكون داخلا تحت طاعة نفسك بل صم على حسب مايقدره الله تعالى لك لتكون داخلا فى طاعة ربك على كل حال (وافطر) كذلك على حسب مايتيسر لك من غير تقدير عدد بنفسك لتكون ربانيا لانفسانيا وليسهل عليك امر الطاعة لربك فيكثر الخشوع فيها وتوافق السنة كما ذكر القرطبي فى شرح مسلم قال فى سؤال شقيق لعائشة رضى الله عنها عن زمن صوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مقداره فاجابت بهما فقالت كان يصوم حتى نقول قدصام قدصام ويفطر حتى نقول قد افطر قدافطر ومعنى هذا انه كان يصوم متطوعا فيكثر ويوالى حتى يحدث نساوه وخاصته بصومه ويفطر كذلك ومثل هذا حديث ابن عباس رضى الله عنهما كان يصوم حتى يقول القائل لايفطر ويفطر حتى يقول القائل لايصوم وبمثل هذا اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم به عن نفسه فقال بل اصوم وافطر واقوم وانام فمن رغب عن سنتى فليس منى (ونم) ماعسى ان تنام ولو فى الليل كله (وقم) كذلك ماعسى ان تقوم ولو فى الليل كله ولاتواظب على كثرة النوم فى جميع الليالى ولا كثرة القيام فى جميع الليالى بل كن مع تيسير ربك لك مايريد ولاتدخل تحت اختيار نفسك لك ماتريد ولاتثقل على نفسك بالكلية ولاتخفف عنها بالكلية والزم الحالة الوسطى يستقيم امرك وتدوم لك الطاعة وقال النووى

فى شرح مسلم قال اصحابنا يعنى الشافعية تكره صلاة الليل كله دائما لكل احد وفرقوا بينه وبين صوم الدهر فى حق من لايتضرر به ولايفوت حقا بان صلاة الليل كله الضرر فيها متعين اه وذلك لان هذا الدين يسر لاعسر فيه كما قال الكرمانى فى شرح البخارى عند ذكر الحديث السابق لن يشاد الدين احد الاغلبه معناه لايتعمق احد فى الدين و يترك الرفق الاغاب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع عن عمله كله او بعضه ومعنى هذا الحديث ان الدين اسم يقع على الاعمال اذالتى توصف باليسر والعسر هى العمل والدين والايمان والاسلام بمعنى واحد المراد منه التحضيض على ملازمة الرفق والاقتصاد على مايطيقه العامل و يمكنه الدوام عليه وان من شاد الدين وتعمق انقطع وغلبه الدين وقهره و يصير الدين غالبا وهو مغلوب (وصم من الشهر) اى من كل شهر اردت ان تصوم فيه (ثلاثة ايام) وفى رواية لمسلم من سرة الشهر قال النووى فى شرحه سرة الشئ وسطه واستحبوا ان تكون الايام الثلاثة هى ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل ابتداؤهما الثانى عشر ولعله صلى الله عليه وسلم يواظب على ثلاثة بعينها لئلا يظن تعينها ونبه بسرة الشهر و بحديث الترمذى فى ايام البيض على فضيلتها وقال القرطبى لم يكن صلى الله عليه وسلم يعين لصوم الثلاثة زمانا مخصوصا من الشهر يدوم عليه وانما كان يصومها مرة فى اوله ومرة فى آخره ومرة فى وسطه ثم بسط الكلام فى ذلك (فان الحسنة بعشر امثالها) يعنى كل يوم صمته من الايام الثلاثة بعشرة ايام فهذه تمام الشهر (وذلك) اى صوم ثلاثة ايام من كل شهر (مثل صيام الدهر) حيث كانت المواظبة على ذلك باعتبار التضعيف المذكور وفى رواية لمسلم صم من كل عشرة ايام يوما قال القرطبى وهذا موافق للرواية التى قال فيها صم من كل شهر ثلاثة ايام وكذلك قوله فى الرواية الاخرى صم يوما ولك اجر مابقى وهذا الاختلاف وشبهة من باب النقل بالمعنى وقال بعضهم اجر مابقى من العشر وهو تسعة وكذلك قال فى قوله صم يومين ولك اجر مابقى من العشرين وكذلك صم ثلاثة ايام ولك اجر مابقى اى من الشهر وهذا الاعتبار حسن جار على قياس تضعيف الحسنة بعشر امثالها (قلت) يعنى قال عبدالله بن عمرو المذكور (انى اطيق) من الاطاقة وهى القدرة على الشئ (افضل) اى اكثر (من ذلك) الذى ذكره له النبى صلى الله عليه وسلم (قال) له النبى صلى الله عليه وسلم (فصم يوما) واحدا (وافطر) بعده (يومين) وفى رواية لمسلم صم يومين وافطر يومين قال القرطبى انه نقله من صيام ثلاثة ايام فى الشهر الى اربعة فيه ومنها الى صوم يومين وافطار يومين ثم منها الى صوم يوم وافطار يوم وهذا محمول على ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم درجه فى هذه المراتب هكذا لكن بعض الرواة سكت عن ذكر بعض المراتب اما نسيانا

اواقتصارا على قدر مايحتاج اليه فى ذلك الوقت ثم فى وقت آخر ذكر الحديث بكماله
(قلت) اى قال عبدالله (فانى اطيق افضل من ذلك) اى اقدر على صوم اكثر
من هذا (قال) صلى الله عليه وسلم (فصم يوما وافطر يوما) وذلك لتأخذ قوتك
الفائتة منك يوم صومك بيوم فطرك فتنشط بالفطر للصوم (فذلك) اى صوم يوم
وافطار يوم (صيام داود) النبى (عليه الصلاة والسلام) وفى رواية المسلم فانه كان
اعبد الناس قال القرطبى انما احاله على صوم داود ووصفه بانه كان اعبد الناس
لقوله تعالى فيه* واذكر عبدنا داود ذاالايدانه اواب* قال ابن عباس الايد هنا القوة
على العبادة والاواب الرجاع الى الله تعالى والى عبادته وتسبيحه وفى الشرعة وشرحها
والمتطوع فى الصوم يختارا فضل الصيام وهو صوم داود عليه السلام كان يصوم
يوما و يفطر يوما وانما كان ذلك افضل لكونه ابلغ فى تاثير النفس لعدم الاعتياد لان
الاعتياد على الدواء يبطل اثره فاذا امرض لم ينتفع به ولان العبد فيه بين صبر يوم
وشكر يوم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا
و كنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع
اليك اذاجعت وفى الاحياء ومن لايقدر على صوم نصف الدهر فلابأس بثلثه وذلك
بان يصوم يوما و يفطر يومين واذا صام ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من الاوسط
وثلاثة من الاخير فهو ثلث و واقع فى الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس
والجمعة فهو قريب من الثلث (وهو) اى صوم يوم و افطار يوم الذى هو صوم
داود عليه السلام (اعدل الصيام) من العدل خلاف الجور اى اكثر عدلا فى معاملة
النفوس من غيره لعدم الجور عليها فيه و قال القرطبى هو اعدل الصيام من حيث
حفظ القوة وو جد ان مشقة العبادة واذا كان اعدل فى نفسه فعندالله افضل واحب
ولاصوم فوقه فى الفضل كما جاءت هذه الالفاظ وهى كلها متقاربة فى مدلولها
وهو بلاشك نقل بالمعنى ومضمون هذه الالفاظ ان هذا الصوم اعدل فى نفسه واكثر
فى ثوابه (وفى رواية) اخرى (افضل الصيام) يعنى اكثر فضيلة من المراتب المتقدمة
(قلت) اى قال عبدالله (فانى اطيق افضل من ذلك) لثقته بنفسه فى الرغبة فى الطاعات
والاكثار منها (فقال) له (رسول لله صلى الله عليه وسلم لا افضل من ذلك)
قال النووى فى شرح مسلم اختلف العلماء فيه فقال المتولى من اصحابنا يعنى الشافعية
وغيره هوافضل من السرد لظاهر الحديث وغيرهم فضل السرد وحملوا الحديث
على ان ذلك فى حق عبدالله بن عمرو ومن فى معناه قالوا لم ينه حمزة عن السرد ولا
ارشده الى يوم ويوم ولوكان افضل فى حق الكافة لارشده اليه فان تأخير البيان
عن وقت الحاجة لايجوز (وزاد فى رواية) اخرى من روايات هذا الحديث (فان
لجسدك عليك حقا) يعنى فى تقويته و تنميته لتقوم به فى اعمال الدنيا والآخرة فانه

يضعف من كثرة الصوم (وان لزوجك) اى امرأتك قال فى الصحاح زوج المرأة بعلها وزوج الرجل امرأته قال تعالى * اسكن انت وزوجك الجنة (عليك حقا) فى جماعك لها اعفافا لنفسك ونفسها ورجاء حصول ولد صالح بينكما يعينك ويعينها فى المهمات (وان لزورك) اى زائرك وهو الضيف الذى يزورك (عليك حقا) وذلك بخدمته واكرامه وتأنيسه وفى رواية لمسلم فان لعينك عليك حقا ولنفسك عليك حقا وفى رواية حظا قال القرطبى اى من الرفق بهما ومراعات حقهما وقد سمى فى الرواية الاخرى الحظ حقا اذ هو بمعناه وزاد فان لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا وفى لفظ آخر ولاهلك مكان ولزوجك اما حق الزوجة فهو فى الوطئ وذلك انه اذا سرد الصوم ووالى القيام بالليل منعها بذلك حقها منه واما حق الزور وهو الزائر والضيف فهو القيام باكرامه وخدمته وتأنيسه بالاكل معه واما الاهل فيعنى به هنا الاولاد والقرابة وحقهم هو فى الرفق بهم والانفاق عليهم ومواكلتهم وتانيسهم وملازمة ما التزم من سرد الصوم وقيام الليل يؤدى الى امتناع تلك الحقوق كلها ويفيد ان الحقوق اذا تعارضت قدم الاولى (وفى) رواية (اخرى) قال له النبى صلى الله عليه وسلم (الم اخبر) بالبناء للمفعول اى يخبرنى مخبر (انك تصوم الدهر) يعنى كله فلا تفطر الايام الكراهة والمعنى انك عازم على ذلك من قوله فى الرواية السابقة والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ماعشت (وتقرأ القرآن) يعنى كله فى (كل ليلة) من جميع الليالى بان تختمه فى الصلاة وغيرها (فقلت) اى قال عبدالله (بلى يانبى الله) والمعنى قلت ذلك وعزمت على فعله (وانى لم ارد) اى اقصد (بذلك) المذكور من صيام الدهر وقراءة القرآن كل ليلة (الاخيرا) وهو التقرب الى الله تعالى ورجاء الثواب فى الآخرة لا لارياء ولا السمعة ولا الاعجاب وحب المحمدة (وفيها) اى فى هذه الرواية (قال) له صلى الله عليه وسلم (واقرؤا القرآن) من اوله الى آخره (فى كل شهر) مرة وقال فى شرح الشرعة وفى القنية فيه اقوال والاحسن الختم فى كل شهر مرة وفى زين العرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعبدالله بن عمرو بن العاص اقرأ القرآن فى كل شهر اه ولعل هذا وجه ما فى القنية وهو المذكور هنا (قال) يعنى عبدالله (قلت يانبى الله انا اطيق افضل من ذلك) اى اقدر على اكثر من ذلك فضيلة (قال) صلى الله عليه وسلم له (فاقرأه) اى القرآن كله (فى سبع) اى سبع ليال والمراد ايام مع لياليهن قال القرطبى قوله اقرأ القرآن فى كل شهر ثم قال بعد ذلك فاقرأه فى كل عشرين ثم قال اقرأه فى كل سبع هكذا فى اكثر روايات مسلم ووقع فى كتاب ابن ابى جعفر وابن عيسى زيادة قال فاقرأه فى عشر وبعد ذلك قال له اقرأه فى سبع ومقصود هذه الرواية بيان تجزية القرآن على ليالى الشهر بالنسبة الى التخفيف والتثقيل فالمخفف يقرأه فى كل شهر لا اقل من ذلك والمثقل لا يزيد على سبع كما قد نهاه عنه (لاتزد على ذلك) اى على السبع

قال القرطبي ذهب الى منع الزيادة على سبع كثير من العلماء واختار بعضهم قراءته في ثمان وكان بعضهم يختم في خمس وآخر في ست وبعضهم يختم في كل ليلة وكان من لم يمنع الزيادة على السبع حمل قوله لا تزد على انه من باب الرفق وخوف الانقطاع فان امن ذلك جاز بناء على ان ما كثر من العبادة والخير فهو احب الى الله تعالى والاولى ترك الزيادة اخذا بظاهر المنع واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرو عنه انه ختم القرآن كله في ليلة ولا في اقل من السبع وهو اعلم بالمصالح والاجر فضل الله يؤتيه من يشاء فقد يعطى على القليل ما لا يعطى على الكثير لاسيما وقد بنيت مصلحة القلة والمداومة وآفة الكثرة والانقطاع وقال الاسيوطي في الاتقان وقد كان للسلف في قدر القراءة عادات فاكثر ما ورد في كثرة القراءة من كان يختم في اليوم والليلة ثمانی ختمات اربعا في الليل واربعا في النهار ويليه من كان يختم في اليوم والليلة اربعا ويليه ثلاثا ويليه ختمتين ويليه ختمة وقد روت عائشة ذلك واخرج ابن ابي داود عن مسلم ابن مخراق قال قلت لعائشة ان رجالا يقرأ احدهم القرآن في ليلة مرتين او ثلاثا فقالت قرأ ولم يقرأ كنت اقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فيقرأ بالبقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها استبشار الادعا ورغب ولا بآية فيها تخويف الادعا واستعاذ ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث وهو حسن وكره جماعات الختم في اقل من ذلك لما روى ابو داود والترمذي وصححه في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا لا يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلاث واخرج ابن ابي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا قال لا تقرأ القرآن في اقل من ثلاث واخرج ابو عبيد عن معاذ بن جبل انه كان يكره ان يقرأ القرآن في اقل من ثلاث ويليه من ختم في اربع ثم في خمس ثم في ست ثم سبع وهذا اوسط الامور واحسنها وهو فعل الاكثرين من الصحابة وغيرهم اخرج ابو عبيد وغيره من طريق واسع ابن حبان عن قيس ابن ابي صعصعة وليس له غيره انه قال يارسول الله في كم اقرأ القرآن قال في خمس عشرة قلت اني اجدني اقوى من ذلك قال اقرأه في جمعة ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين واخرج ابن ابي داود عن مكحول قال كان اقوياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤن القرآن في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في اكثر من ذلك وقال ابو الليث في البستان ينبغي للقارئ ان يختم في السنة مرتين ان لم يقدر على الزيادة وقد روى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد ادى حقه لان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين وقال غيره يكره تأخير ختمة اكثر من اربعين يوما بلا عذر نص عليه احمد لان عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم في كم نختم القرآن قال في اربعين يوما رواه ابو داود وقال النوى في الاذكار المختار ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص

فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم وفصل الحكومات اوغير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه اخلال بما هو مرصد له ولا فوات كمال وان لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل اوالهذرمة به فى القراءة وقال فى شرح الشرعة وفى قاضيخان قالوا ينبغى لحامل القرآن ان يختم القرآن فى كل اربعين يوما مرة واما سبب الاستحباب فى خصوصية الاربعين فقد قيل لان فيه من خاصية الاستكمال ما ليس فى غيره من الاعداد الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن الله تعالى خمرت طينة آدم اربعين صباحا وقال عليه السلام ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الحديث وقال تعالى* وواعدنا موسى ثلاثين ليله واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة* وقال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولما كان القرآن منبع جميع الحكم ينبغى للقارئ ان يخلص فى كل اربعين بترتيل بعض منه فى كل يوم من تلك الاربعين لينبع من ينابيع الحكمة الى قلبه والى لسانه واما لاحسنية فى كل شهر فلسهولة القراءة وحساب كل يوم بجزء كل شهر يختم فعلى هذا لا يستحب الختم فى اقل من شهر وان جاز وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختم القرآن فى كل عام مرة وختم فى العام الذى قبض فيه مرتين وعن المرغينانى من ختم القرآن فى السنة مرة لايكون هاجرا فالختم سنة مؤكدة فاكتفاؤه عليه السلام بمرة ومرتين فى السنة مع كمال رسوخه فى القرآن وكمال تدبره لا ينافى استحباب الاكثر لغيره على ان قوله عليه السلام تعاهدوا القرآن وقوله استذكروا القرآن وغيرهما يدل على استحباب التكثير (قال) يعنى عبدالله بن عمرو بن العاص (فشددت) اى ضيقت على نفسى فى كثرة الاعمال (فشدد) بالبناء للمفعول اى شدد الله تعالى (على) بخلقه تعالى الضعف والعجز لى عن دوام ما قصدت من تلك الاعمال الكثيرة وفى رواية لان اكون قبلت الثلاثة الايام التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الى من اهلى ومالى (و) قد كان (قال لى النبى صلى الله عليه وسلم انك لاتدرى لعله يطول بك عمرك) يعنى فتعجز عن القيام بهذه الاعمال الكثيرة فربما نقص رجاؤك لنقصان عملك فينقص قدرك عند الله تعالى وتسفل منزلتك لديه اوتصير الاعمال الكثيرة لسهولتها عندك عادة فلا تثاب عليها ثواب الطاعات لالفتك لها وقلة حضورك فيها (قال) يعنى عبدالله (فصرت) اى وصلت (الى) الحال (الذى قال لى النبى صلى الله عليه وسلم) بان طال به عمره (فلما كبرت) يقال كبر كفرح طعن فى السن وكبر ككرم نقيض صغر كذا فى القاموس (وددت) اى احببت (انى كنت قبلت رخصة النبى صلى الله عليه وسلم) التى رخص لى فى ابتداء عمرى لاعتادى عليها فلا يتغير على حالى فى انتهاء

العمر قال القرطبي وهذا يدل من عبدالله رضي الله عنه على انه كان قد التزم الافضل مما نقله اليه النبي صلى الله عليه وسلم والاكثر اما بحكم التزامه الاول اذ قال لاصومن الدهر ولاقومن الليل ماعشت واما بحكم انه هو الحال الذى فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فكره ينقص ان من عمل فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فلم ير ان يرجع عنه وان كان قد ضعف عنه (وزاد فى رواية لاصام) اى لايسمى صائما من جهة انه لاثواب له لفعله المنهى عنه اودعاء بعدم تيسير الصوم (من صام الابد) اى طول عمره ولم يفطر اصلا اوسوى يوم العيدين وايام التشريق وفى المرأة سوى ايام حيضها ونفاسها (ثلاثا) اى ثلاث مرات ليتأكد حكم النهى عند المخاطب ويتبين على اتم الوجوه وقال القرطبي فى حديث اصوم الابد وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن صيام الابد فقال لاصام ولاافطر يحتمل ان يكون دعاء عليه لانه اخبر عنه ويحتمل ان يكون خبرا عن انه لم يأت بشئ ووجه ذلك ان من سرد الصوم صار له عادة ولم يجد له مشقة فيعود النهار فى حقه كالليل فى حق غيره فكأنه ماصام اذ لم يجد مايجده الصائم ولاافطر لصورة الصوم ونكون لابمعنى ماكما قال الله تعالى *فلاصدق ولاصلى* وحمل كثير من العلماء هذا على ما اذا صام الا المحرمة فاما لوافطرها فكرهه قوم واجازه آخرون وقال ابو الطاهر بن بشير هو مستحب وهذا ابعدها وقال النووى فى شرح مسلم فى احاديث النهى عن صوم الدهر وقد اختلف العلماء فيه فذهب الظاهرية الى منع صيامه وذهب الجمهور الى جوازه اذا لم يصم الايام المنهى عنها وهى العيدان وايام التشريق وذهب الشافعى واصحابه ان صومه اذا افطر ايام النهى مستحب اذا لم يلحقه ضرر ولا يفوت حقا فان وجد افكروه واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو فى الصحيحين انه قال يارسول الله انى اسرد الصوم فاصوم فى السفر فقال ان شئت فصم ولو كان مكروها لم يقره لاسيما فى السفر وكان عمر يسرد الصوم وكذلك ابو طلحة وعائشة وخلائق من المسلمين واجابوا عن حديث لاصام من صام الابد باجوبة منها انه محمول على حقيقته بان يصوم معه العيد والتشريق وبه اجابت عائشة رضى الله عنها ومنها انه فى حق من تضرر به اوفوت حقا ومنها انه لم يجد مشقة فهو خبر لادعاء وفى شرح الشرعة ولا يصوم احد الدهر كله فانه مكروه لماروى ان عمر الفاروق رضى الله عنه قال يارسول الله كيف من يصوم الدهر كله قال لاصام ولاافطر يعنى كأنه لم يصم لانه لم يكن باذن الشارع فلا يثاب ولم يفطر ايضا وهو ظاهر واما من يفطر الايام المنهية فلابأس عليه لان بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يصومه ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال ويكره صوم الدهر لانه يضعفه او يصير طبعا له ومبنى العبادة على مخالفة العادة كذا فى فتح القدير (وزاد فى رواية) اخرى (وكان) يعنى عبدالله بن عمرو بن العاص

رضی الله عنه (يقرأ على بعض اهله) ای زوجته (السبع من القرآن) وهو جزء من سبعة اجزاء منه (بالنهار) يكرره عليها ليحفظه (والذی يقرأه) عليها من السبع المذكور (يعرضه) ای يأتی به (من الليل) يعنی فی صلاة الليل (ليكون) ذلك الذی يقرأه على اهله بالنهار (اخف عليه بالليل) فی الصلاة فتسهل قرآءته ولايثقل عليه شیء من ذلك وفی رياض الصالحين للنووی وفی رواية قال يعنی عبدالله المذكور انكحنی ابی امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته ای امرأة ولده فيسألها عن بعلها فتقول نعم الرجل من رجل لم يطألنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا منذ آتيناه فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبی صلی الله عليه وسلم فقال القنی به فلقيته بعد فقال كيف تصوم قلت كل يوم قال وكيف تختم قلت كل ليلة وذكر نحو ما سبق وكان يقرأ على بعض اهله السبع الذی يقرأه يعرضه من النهار ليكون اخف عليه بالليل (واذا اراد) يعنی عبدالله المذكور (ان يتقوی) لضعفه بكثرة لصيام والقيام (افطر اياما) تزيد على يومين (واحصی) ای ضبط مقدار ما افطر من الايام (وصام مثلهن) فی باقی مايصوم حتی لايكون افطر فيما مضی له من الايام شيئا لصيامه بدل ذلك فتكون ايام صيامه القضاء مشغولة بصيام عما مضی وان لم يكن له فيها صوم حاضر (كراهة) ای انما كان يفعل ذلك لانه كره (ان يترك شيئا) من العبادة التی (فارق عليه النبی صلی الله تعالى عليه وسلم) يعنی عهد نفسه تفعله ولاتفتر عنه فی زمان النبی صلی الله تعالى عليه وسلم لانه كان يقوی عليه (وفی) رواية (اخری ان رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم قال) لعبدالله المذكور (ان احب الصيام) يعنی الی الله تعالى على ارادة كثرة الثواب منه تعالى عليه ورفع درجة من يأتی به لديه (صيام داود عليه السلام) وهو صوم يوم وفطر يوم كما قدمناه (واحب الصلاة) الی الله تعالى ايضا (صلاة داود عليه السلام) وذلك ان داود عليه السلام (كان ينام نصف الليل) الاول اوالثانی (ويقوم ثلثه) من بعد النصف الاول اوقبله (وينام سدسه) بقية النصف الآخر من آخر الليل اومن اوله فيكون جملة نومه الثلثين من الليل وقيامه الثلث ويحتمل تقديم القيام اوتأخيره تارة وتارة (وكان يصوم يوما ويفطر يوما) وهو بيان لصيام داود عليه السلام المذكور فی هذه الرواية ويضارع حديث عبدالله هذا المذكور هنا مانقله الامام النووی فی رياض الصالحين قال وعن ابی ربعی حنظلة بن الربيع الاسيدی الكاتب احد كتاب رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم قال لقينی ابو بكر رضی الله عنه فقال كيف انت ياحنظلة قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ماتقول قلت نكون عند رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كأنا رأی عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلی الله تعالى عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا قال ابو بكر رضی الله

عنه فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كأنا رأى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده ان لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات رواه مسلم واما (اقوال الفقهاء) جمع فقيه وهو العالم بمذهب المجتهد فى الفروع العملية * والمراد فقهاء الحنفية فيما يشيرون اليه من الاقتصاد فى العمل فهو كثير (قال فى) كتاب (الاختيار) شرح المختار (لا يجوز الرياضة) اى تعليم النفس مكارم الاخلاق (بتقليل الاكل) والشرب (حتى) يصل الى حالة (يضعف) معها جسده فتقل قواه الظاهرة والباطنة (عن اداء الفرائض) بحيث لا يقدر ان يؤديها قائما مع السهولة وربما لا يقدر على ضبط ركعاتها وسجداتها وتسبيحاتها لفساد خياله وفى بعض الكتب ولا يجوز الرياضة بتقليل الاكل حتى يضعف عن اداء العبادة وهى اعم من الفرائض فتشمل النوافل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم (لمعاذ بن جبل رضى الله عنه) يامعاذ ان نفسك (التى انت) قائم بسببها فى الحياة الدنيا وهى التى تعبر عنها بقولك انا وهى المكلفة المخاطبة بالامر والنهى الحالة فى الجسد حلول ماء الورد فى الورد و بالموت تفارق الجسد فتشرق عليه وعلى اجزائه اذا تفرقت كاشراق الشمس على الارض وهى فى عالمها فى نعيم اوعذاب اليم (مطيتك) والمطية الدابة تمطو فى سيرها اى تسرع وانما كانت نفسه مطيته لقيامه بسببها و بقاء وجوده فى الدنيا مادام جسده محمولا بها وكونها مطيته مع انه ليس غيرها باعتبار انقسامها الى عالم ومعلوم فهى من حيث هى معلومة مطية لها من حيث هى عالمة (فارفق بها) اى تعاهدها بما يحفظ عليها بقاءها من الشهوات المباحة مقدار الحاجة (وليس من الرفق) بها (ان تجيعها وتذيبها) حتى تضعف بقلة الامداد فانها مخلوقة على تركيب يقتضى المادة الطبيعية وماهى ملك يقتات بالغذاء المعنوى من التسبيح والخشوع والحضور غاية الامر انك لا تكثر عليها المادة الطبيعية حتى يرجع بهيمته وتوسط فى رعايتها لانك محتاج اليها مدة بقائك فى عالم التكليف وقد اوصاك الله تعالى بحفظها والحذر عليها حيث قال تعالى * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * وقال تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * الآية ومتى تركت رعايتها وحفظها ضعفت فانقطعت عن عبادة الله تعالى بسبب ضعفها ولا يمكنك العبادة الا بها فيلزمك مراعاة حقوقها كما تقدم فى حديث سلمان رضى الله عنه وان لنفسك عليك حقا (ولا ترك العبادة) المفروضة والواجبة (لا يجوز)

مع القدرة عليها (فكذا) لايجوز فعل (ما يفضى) بالفاء اى يوصل (اليه) اى الى ترك العبادة من عدم مراعاة الحقوق النفسانية قال فى الشرعة وشرحها فرض الاكل من اعظم الفرائض لانه قوام الخير كله لان تحصيل الخير انما يكون بسلامة البدن وذلك لايتيسر الابالاكل وعلم الاكل والشرب مقدم على علم العبادة لان العبادة بهما تقوم كقيام الصلاة بالطهارة فى امتناعها بدونها ولكن فيه تنبيه على ان قيام العبادة بهما بحسب جرى عادة الله تعالى لانها تمتنع بدونهما عقلا وعدم تقديم فصل الاكل والشرب على فصول العبادة مع تقدم علمهما عليها لما انها مقصودة بالذات وهما من الوسائط وحكى ان رجلا قال لابن سيرين علمنى العبادة وآدابها قال كيف تأكل الطعام قال آكل حتى اشبع قال لا تأكل اكل البهائم بعد اذهب فتعلم الاكل والشرب اولاثم تعلم العبادة وآدابها كذا فى الخالصة وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر معزيا الى الاختيار قال بعد ذكر نحو ماتقدم فاما تجويع النفس على وجه لايفضى الى العجز عن اداء العبادات فهو مباح وفيه رياضة النفس وبه يصير الطعام مشتهى بخلاف الاول فانه اهلاك للنفس وكذا الشاب الذى يخاف الشبق لابأس بان يمتنع عن الاكل ليكثر شهوته على وجه لايعجز عن اداء العبادات على ماقال صلى الله عليه وسلم فانه له وجاء (وقال فيه ايضا) اى فى الاختيار شرح المختار (الكسب) اى تحصيل امور المعيشة على الوجه المشروع (انواع) اربعة الاول (فرض) بحيث يثاب على فعله بالنية الصالحة ويعاقب على تركه متى امكنه وتركه (وهو الكسب) اى التحصيل (بقدر الكفاية) اى مقدار مايكفيه ويسد حاجته (لنفسه وعياله) كزوجته واولاده وآبائه ومن تجب عليه نفقته من حيث الاكل والشرب والكسوة والسكنى (وقضاء ديونه) فانه فرض عليه لاصحابها اذا كان قادرا على ادائها ومن عجز فمات وكان من نيته لوقدر لأداها لاياثم كما ذكر فى البزازية اوائل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الاداء لايؤاخذ به يوم القيمة لانه لم يتحقق المطل (ثم قال) يعنى فى الاختيار (فان ترك الاكتساب) مع قدرته عليه (بعد ذلك) اى بعد تحصيل مقدار كفايته منه (وسعه) ذلك اى جازله الترك قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال محمد بن سماعة سمعت محمد بن الحسن يقول طلب الكسب فريضة كما ان طلب العلم فريضة وهذا صحيح لما روى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طلب الكسب فريضة على كل مسلم وقال عليه الصلاة والسلام طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة اى الفريضة بعد الفريضة ولانه لايتوصل الى اقامة الفرض الابه فكان فرضا لانه لايمكن من اداء العبادات الابقوة بدنه وقوة بدنه بالقوت عادة وخلقة قال الله تعالى * وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام * وتحصيل القوت بالكسب ولانه

يحتاج فى الطهارة الى آلة الاستقاء والآنية و يحتاج فى الصلاة الى مايستر عورته وكل ذلك انما يحصل بالكسب والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فآدم زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وعجنها وخبزها ونوح كان نجارا وابراهيم كان بزازا وداود كان يصنع الدروع وسليمان يصنع المكاتل من الخوص ونبينا صلى الله عليه وسلم رعى الغنم وكانوا يأكلون من كسبهم وكان الصديق رضى الله بزازا وعمر رضى الله عنه يعمل فى الاديم وعثمان رضى الله عنه كان تاجرا يجلب الطعام فيبيعه وعلى رضى الله عنه كان يكتسب فقد صح انه كان يوءاجر نفسه ولا يلتفت الى جماعة انكروا ذلك وقعدوا فى المساجد اعينهم طامحة وايديهم مادة الى مافى ايدى الناس يسمون انفسهم المتوكلة وليسوا كذلك متمسكون بقوله تعالى * وفى السماء رزقكم وماتوعدون * وهم بمعناه وتأويله جاهلون فان المراد به المطر الذى هو سبب انبات الرزق ولو كان الرزق ينزل من السماء لما امرنا بالاكتساب والسعى فى الاسباب قال تعالى * فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه * وقال تعالى * انفقوا من طيبات ما كسبتم * وفى الحديث ان الله تعالى يقول ياعبدى حرك يدك انزل عليك الرزق وقال تعالى * وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * وكان تعالى قادرا ان رزقها من غير هز منها لكن امرها ليعلم العباد ان لايتركوا الاسباب فان الله تعالى هو الرزاق ونظير هذا خلق الانسان ضعيفا فان الله تعالى قادر على خلقه لا من سبب ولا فى سبب كآدم عليه السلام ويخلق من سبب لا فى سبب كحواء وقد يخلق فى سبب لا من سبب كعيسى عليه السلام وقد يخلق من سبب فى سبب كسائر بنى آدم فطلب العبد الولد بالنكاح لا ينفى كون الله تعالى هو الخالق فكذلك طلبه الرزق باسبابه لا ينفى كون الرزاق هو الله تعالى والدلائل على ذلك كثيرة والاحاديث الواردة فيه متواترة وكتابنا هذا يضيق عن استيعابها وفى هذا بلاغ النفع كذا فى الاختيار ونحوه فى جامع الفتاوى اه قلت وهذا كلام فى غاية الحسن وهو متوجه على البطالين الفارغين من الاشتغال بالخالق المشتغلين ببواطنهم بالناس وبمراقبة شهواتهم واما من اشتغلت قلوبهم بالله تعالى وتفرغت بواطنهم لمراقبته فى جميع احوالهم العادية بحيث استسلمت قلوبهم له وانطرحت اسرارهم بين يديه فلم يطلبوا منه نعيما فى الآخرة ولم يخافوا عذابا وانما يرجونه هو ويخافونه لا ماسواه فضلا عن الرغبة فى الشهوات العاجلة فليس هذا الكلام فى شأنهم وهم موجودون فى الناس ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة ولا يجوز لاحد ان يظن فى احد يراه متوكلا بلا اشتغال بكسب فى مسجد اوغيره انه هو بعينه من القسم الذى اراده الفقهاء فى انه آثم تارك لفرض الاكتساب خصوصا اذا كان له عائلة فقراء محتاجون وهو مشتغل بالعبادة عن الاكتساب فان مثل هذا يحتمل ان يكون من القسم الثانى الذى ذكرناه شغله الله تعالى به عما سواه وسوء الظن حرام والتجسس

حرام ايضا بل كلام الفقهاء باق على حاله فى حق من كان موصوفا بماذكروه فيما يعلمه الله تعالى وكلامنا ايضاباق فى حق من كان موصوفابماذكرناه فيما يعلمه الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح والنوع الثانى من انواع الاكتساب المباح بلااثم فيه ولاثواب عليه وقداشار اليه بقوله (وقال فيه) اى فى كتاب الاختيار شرح المختار (وان اكتسب مايدخره) اى يبقيه الى وقت الحاجة اليه من المأكل والمشرب والملبس ونحو ذلك (لنفسه وعياله) ولو الى سنين مستقبلة (وهو) يومئذ (فى سعة) اى وسعة من العيش (فقد صح) فى الحديث (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادخر قوة عياله سنة) اى حولا فلو كان ذلك مكروها لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير ان من مذهب ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار مازاد على حاجته من المال اه ويرد على مذهبه فعله عليه السلام وعن سفيان بن عيينة انه قال ليس شئ فى الحيوان يخبأ قوته الا الانسان والنملة والفارة والعقعق ومن الكسب المباح اكتساب الزيادة على حاجته لاجل التجمل قال فى المبتغى بالغين المعجمة من الكسب ماهو مباح للتجمل والتنعم حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان ويشترى السرارى والغلمان لقوله عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح انتهى ومحل ذلك كله اذا لم يكن للتكبر والتفاخر والتكاثر والافهو من قسم الحرام والاعمال بالنيات والناس فى ذلك محمولون على المحامل الحسنة ماامكن بلاظن سوء بهم ولا تجسس عليهم (و) النوع الثالث من الكسب (مستحب) يعنى يثاب بفعله ولا يأثم بتركه (وهو) كسب (الزيادة على ذلك) اى على قدر الكفاية (ليواسى به) اى بالزائد مما اكتسبه يقال واساه بماله مواساة اناله منه وجعله فيه اسوة ولا يكون ذلك الا من كفاف فان كان من فضلة فليس بمواساة كذا فى القاموس والكفاف ما كف عن الناس واغنى وهو قدر الكفاية والمراد هنا اعلا ما يكفى حتى يواسى بالزائد على الادنى (فقيرا) اى محتاجا الى ذلك من ذكر اوانثى اوخنثى قريب منه اوبعيد (اوليجازى) على قرابته اى يقابل (به قريبا) من اقاربه الادنى اوالاباعد وهى صلة الرحم فانها تكون بالهدية ونحوها وفى عبارة ملتقى الابحر اويصل به قريبا (فانه) اى كسب الزيادة بقصد ماذكر (افضل من التخلى) اى التفرغ (لنفل العبادة) من صلاة تطوع اوقراءة قرآن اونحو ذلك مما لم يفترض عليه (لان منفعة النفل) من العبادة (تخصه) فلا يثاب بهما غير الفاعل لها (ومنفعة الكسب) على الوجه المذكور عامة (له) اى للكاسب (ولغيره) ولاشك ان النفع المتعدى افضل من القاصر (قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس) بصدقة بمال اوبكلمة حق اوبمعونة على فعل خير اوترك شر اوبتعليم علم نافع اوبدعاء واستغفار (انتهى) كلام صاحب الاختيار والنوع الرابع من الكسب مكروه وهو الجمع للتفاخر والبطر وان كان من حل فقد قال

صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيــا متفاخرا متكاثرا لقى الله وهو عليه غضبان كذا في الاختيار وسماه في ملتقى الابحر حراما لانه مكروه كراهة تحريم والمكروه تحريما يسمى حراما عند محمد وقال في شرح الشرعة ومما يجب ان يعتقد ان الكسب غير مؤثر في الرزق كما ان الشبع لا يحصل بالطعام بل بخلق الله تعـالى وربّ اكلة لا تشبع الآكل اذا لم يقدر الله تعالى الشبع فيها ويقال الناس في الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق من الكسب فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ولا يعصى الله تعالى لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله تعالى من اجل الكسب ولا يؤدي حقه فهو فاسق ومنهم من يرى الرزق من الله ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدرى ايعطيه ام لا فهو منافق شاك ذكره في مشكاة الانوار وتنبيه الغافلين وفي الخلاصة المذهب عند جهور العلماء والفقهاء ان جميع انواع الكسب في الاباحة على السواء واختلف المشايخ في ان الزراعة افضل او التجارة فقال بعضهم التجارة افضل واكثر مشايخنا على ان الزراعة افضل (وقال في كتاب الفتاوى (التاتارخانية) في فقه الحنفية (يكره) كراهة تحريم اذهى المحمل عند الاطلاق (ان يجتمع قوم) من الناس (فيعتزلون في موضع) كمسجد ونحوه ويمتنعون عن استعمال (الطيبات) اى الملذوذات في المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والمراكب من الخيل ونحوها (يعبدون الله) تعالى بانواع العبادات (فيه) اى في ذلك الموضع (ويفرّغون انفسهم لذلك) اى للعبادة فقط ليلا ونهارا دون الاشتغال بشئ من المبـاحات في بعض الاوقات فيتركون الاكتساب من الحلال والجمعة والجمـاعات معاخوانهم المسلمين فان هذا امر منهى عنه كما سبق في حديث عبدالله بن عمرو بن العـاص وغيره (وكسب) المال (الحلال) لينفق منه على نفسه وعياله ويتصدق من فضله (و) كذلك (لزوم) صلاة (الجمعة و) الصلوات الخمس مع (الجماعات) الراتبة في المساجد التى (في الامصار) جمع مصر وهي البلاد (احب) من ترك ذلك (والزم) اى اشد لزوما لافتراضه عليه في الجملة (انتهى) اى فرغ كلام التاتارخانية وفي شرح الشرعة قال عمر الفاروق رضى الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وروى ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع قال اعبد فقال ومن يقوتك قال اخى قال اخوك اعبد منك ذكره في الاحيـاء (فان قلت) هذا سؤال نشأ من جملة ما تقدم (يعارض ماذكرت) هنا من الاحاديث ونقلته عن الفقهاء من منعهم من الرياضة وكثرة المجاهدات وترك الاكتساب (ما) اى الذى (نقل) بالبناء للمفعول اى نقله العلماء في كتبهم في علم الطريقة (عن السلف) الصالحين (من شدة الرياضات) بتقليل الاكل والشرب قال في شرح الشرعة ومن المريدين من رد الرياضة الى طى الايام حتى انتهى بعضهم

الى ثلاثين يوما وار بعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلماء ايضا وقالوا من طوى
اربعين يوما عن الطعام ظهرله قدرة من الملكوت اى كوشف له بعض الاسرار الالهية
وقد وقف بعض من هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه فكلمه
بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه معجزة لاتكون
الا لنبى صادق فقال الصوفى فان طويت انا خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل
فى دين الاسلام قال نعم فقعد لايبرح الاحيث يراه حتى طوى خمسين يوما فقال ازيدك
ايضا فطوى ستين فتعجب منه الراهب وقال ما كنت اظن احدا يجاوز المسيح وكان ذلك
سبب اسلامه وذكر القشيرى فى الرسالة ان سهل بن عبدالله كان لاياكل الطعام الا اكلة
فى خمسة عشر يوما فاذا دخل رمضان كان لاياكل حتى يرى الهلال وكان يفطر
كل ليلة على الماء القراح ودخل ابوتراب النخشبى من بادية البصرة مكة فسأله احمد بن
يحيى بن الجلا عن اكله فقال خرجت من البصرة فاكلت بنباح ثم بذات عرق ومن ذات
عرق اليكم فقطع البادية باكلتين وكان ابو عثمان المغربى يقول الربانى ياكل مرة
فى اربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما وذكر النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فيما
ورد فى التشبه قال ومن هذا القبيل ما ذكره ابو طالب المكى فى القوت وابو حامد
الغزالى فى الاحياء عن ابى بكر رضى الله عنه انه كان يطوى ستة ايام وعن عبدالله
ابن الزبير انه كان يطوى سبعة ايام وعن الثورى وابن ادهم انهما كانا يطويان ثلاثة
ايام وعن محمد بن عمر الغزى وعبدالرحمن بن ابراهيم وحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن
قرافصة وحفص العابد المصيصى والمسلم بن سعيد وزهير البانى وسليمان الخواص
وسهل بن عبدالله وابراهيم بن احمد الخواص ان طيهم وصل الى ثلاثين يوما ومن اعجب
ما فى هذا الباب ما روى عن سهل بن عبدالله انه اقتات بثلث درهم فى ثلاث سنوات
وعن الشيخ محيى الدين بن العربى انه اقتات من اول المحرم الى عيد الفطر بلوزة واحدة
رضى الله تعالى عنه (و) من (كثرة المجاهدات) فى منع نفوسهم من الشهوات فى الماكل
وغيره قال القشيرى فى رسالته حكى عن ابراهيم بن سنان انه قال ما بت تحت سقف
ولا فى موضع عليه غلق اربعين سنة وكنت اشتهى فى اوقات ان اتناول شبعة عدس فلم يتفق
وعن السرى السقطى انه كان يقول ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين اواربعين سنة
ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها وقيل ان عصام بن يوسف البلخى وجه شيئا الى حاتم
الاصم فقبله فقيل له لم قبلته فقال وجدت فى اخذه ذلى وعزه وفى رده عزى وذله فاخترت
عزه على عزى وذلى على ذله وقيل لبعضهم انى اريد ان احج على التجريد فقال جرد
اولا قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال
جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيرى فلما افطر اخذ واحدة
ووضعها فى فمه ثم القاها وبكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف فى قلبى هاتف

اما تستحيي تركتها من اجله ثم تعود اليها (و) من (الاجتهاد فى) انواع (العبادات) كما روى ان اويس القرنى رضى الله عنه قال والله لاعبدن الله عبادة الملائكة فكان ليلة يقطعها قائما وليلة يقطعها ساجدا وليلة راكعا وفى ذلك اشارة الى ان اولياء الله تعالى من بنى آدم تربو همهم الى التشبه بالملائكة والاقتداء بهم والتساوى معهم فى الطاعات كذا ذكره النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه وذكر القشيرى انه قيل للجنيد رضى الله عنه ممن استفدت هذا العلم فقال من جلوسى بين يدى الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واوما الى درجة فى داره ومعلوم ان ذلك كان بكثرة عباداته لله تعالى وقد كان رضى الله عنه يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى اربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ونقل عن ابى الحسين النورى رضى الله عنه انه كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق به فى الطريق ويدخل مسجدا يصلى الى قريب من الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم فكان اهله يتوهمون انه يأكل فى السوق واهل السوق يتوهمون انه يأكل فى بيته وبقى على هذا فى ابتدائه عشرين سنة وقال يوسف بن الحسين اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لايجئ منه شئ وكان ابو حمزة الخراسانى يقول كنت قد بقيت محرما فى عباء اسافر فى كل سنة الف فرسخ تطلع على الشمس وتغرب كلما احللت احرمت وعن ابى على الثقفى امام الوقت انه كان يقول او ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام اومؤدب ناصح ومن لم يأخذ ادبه من استاذ يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات وعن ابى عبدالله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرأ فى ابتداء امرى فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت اصلى من الغداة الى العصر الف ركعة (كصيام الدهر) اى العمر كله (و) صيام (الوصال) اى المتابعة وايصال اليوم باليوم من غير فطر بينهما (والقيام) بالصلاة (فى كل الليالى) كما نقل عن سهل بن عبدالله التسترى رضى الله عنه انه كان يقول حفظت القرآن وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتى خبز الشعير اثنى عشر سنة ثم عزمت على ان اطوى ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة ومكثت عليه عشرين سنة ثم خرجت اسيح فى الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ذكره القشيرى فى رسالته وذكر ايضا عن ابى يزيد قال كنت اثنى عشر سنة حداد نفسى وكنت خمس سنين مرآة قلبى وسنة انظر فيما بينهما فاذا فى وسطى زنار ظاهر فعملت فى قطعه اثنى عشرة سنة ثم نظرت فاذا فى باطنى زنار فعملت فى قطعه خمس سنين انظر كيف اقطع فكشف لى فنظرت الى الخلق فرأيتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وكان

بعض المشايخ يصلي في مسجد، في الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار الى المسجد عائق فصلى في الصف الاخير فلم ير بعدذلك مدة فسئل عن السبب فقال كنت اقضي صلاة كذاوكذا سنة صليتها وعندى انى مخلص فيهالله فداخلني يوم تأخرى عن المسجد من شهود الناس اياى فى الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطى طول عمرى انما كان على رؤيتهم فقضيت صلواتى (والاجتناب) اى التباعد (عن) انواع (المشتهيات) اى ماتشتهيه النفوس (والطيبات) اى اللذ أنذ فى المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن ونحو ذلك على حسب ماقدمناه عن بعض السادة رضى الله تعالى عنهم (و) كذلك (الختم) للقرآن العظيم من اوله الى آخره (فى كل يوم مرة اومرتين) كما قدمناه (بل مرات) كثيرة كما نقل المناوى فى شرح الجامع الصغيرقال القسطلانى واخبرنى شيخ الاسلام البرهان ابن ابى شريف انه كان يقرأ خمسة عشر ختمة فى اليوم والليلة وفى الارشاد ان النجم الاصبهانى رأى رجلا من اليمن ختم فى شوط اواسبوع وهذا لايتسهل الا بفيض ربانى ومدد رحمانى واخبرنى بعض الثقات ان شيخنا العارف عبدالوهاب الشعراوى ختم بين المغرب والعشاء ختمتين واخبرنا الشيخ على المرصفى انه قرأ فى ايام سلوكه فى يوم وليلة ثلاثمائة الف ختم وستين الف ختم كل درجة الف ختم اه ولايستبعد هذا على اولياء الله تعالى الذين غلبت روحانياتهم على جسمانياتهم والروح من امر الله وامر الله كلمح بالبصر كما اخبر تعالى وعرض كلمات القرآن كلها مع معانيها فى لسان الولى كلمح بالبصر ماهو ببعيد والله على كل شئ قدير (قلنا) يعنى فى الجواب عن هذا السؤال المذكور من جهة المصنف رحمه الله تعالى ثلاثة اجوبة (اولا) اى جوابا اولا (لامعارضة بين الوحى) القرانى والنبوى المتقدم بيانه فى الآيات والاحاديث المقتضية لطلب الاقتصاد والتوسط من المكلف فى الاعمال (وغيره) مما نقل عن السلف الصالحين مما ذكرناه من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات اذ الوحى اقوى من كل وجه ولامناسبة بين الاقوى والاضعف وبين قول المعصوم وغيرالمعصوم فلامعارضة اذ المعارضة تقتضى التسوية ولاتسوية بينهما (حتى نحتاج الى الجواب) عن صنيع السلف فان ماورد عن الشارع لايعارضه ماورد عن غيرالشارع وانمانحن مكلفون باتباع الشارع فيما ورد عنه لاباتباع غيره (فعليك) ياايها المكلف اى الزم (الاخذ) اى التمسك (بماثبت) عندك من الدين المحمدى (بالكتاب والسنة) يعنى بالوحى القرآنى والنبوى فابحث عن ذلك واحفظه واعمل به على حسب ماكلفك الله تعالى لتخرج بذلك من عهدة الخطاب واترك عنك النظر والتفحص عماورد عن السلف الماضين من الرياضات والمجاهدات فانهم اعلم منك باعمالهم وانت جاهل بماهم مطلعون عليه من احوالهم فلاتقتد بمالاتعلم ارجحيته من الاعمال واسكت عن البحث عنه طاويا عنهم بساط المقال كما قال تعالى * تلك امة قدخلت لها ماكسبت

ولكم ما كسبتم ولاتسئلون عما كانوا يعملون* واحذر من الطعن على احد منهم واعتقاد مخالفته لما علمت من الكتاب والسنة فانهم اعلم منك بهما واكثر فهما منك ومن امثالك لمعانيهما لقرب عهدهم بزمن النبوة وتنوير عقولهم بمعرفة الله تعالى وزيادة الاتباع للسنة والاخلاص واليقين والتوحيد والزهد مالا يخطر لك ولا لامثالك ببال ولله در ابن الوردي حيث قال في وصيته لابنه رحمهما الله تعالى * لاتخض في حق سادات مضوا * انهم ليسوا باهل للزلل * وانما انت يا ايها الفقيه المسكين تعرف حصة من كيفية الاعمال الشرعية استخلصت معرفتها من بين يدى اشغالك بشهوات بطنك وفرجك ليلا ونهارا فانت فرحان بها تظن انك بسببها صرت من العلماء الكبار وساويت المتقدمين اهل العلوم الالهامية الوهبية والاعمال الصالحة المرضية المكتسبة بالارواح الامرية والنفوس الطيبة الزكية والاجسام المتغذية بالحلال المطهرة عن الشبهات وعن الحرام المحمية فاعمل بما ظهر لك ان اردت النصيحة ولا تدخل في اعمال من هو اعلى منك من اولى الهمم الصحيحة ومن اين للعصفور ان يأكل من مأكل النسور فان حوصلته المعتادة على الحبات الصغار لاتشابه حوصلة النسر التي لايقيتها غير اللقم الكبار قد علم كل اناس مشربهم يعني عذوبة واجاجا ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (وثانيا) اى جوابا ثانيا (انا نمنع صحة الرواية عنهم) اى عن السلف الماضين فيما ذكر من التشديدات في الرياضات والمجاهدات حيث كانت تخالف عندنا ظواهر الكتاب والسنة على حسب ما تقدم (اذلم يقع عنها) اى عن تلك الامور الواردة عنهم بين العلماء الناقلين لها في كتبهم (بحث وتفتيش بل اكثرها) اى اكثر تلك الامور (خال عن سند) الى من نقلت عنه وان اشتمل بعضها على السند الصحيح (بخلاف الكتاب العزيز) فانه ثابت الآن بالتواتر (والاخبار النبوية) فانه وقع فيها من اهل الحديث البحث والتفتيش الكثير حتى صححوا اسنادهم فيها (فلا مساواة في النقل) بين مالم يبحث عنه عما لم يتصل سندا كثره وبين ما بحث عنه حتى اتصل سنده وعدلت رواته (فكيف يتصور التعارض) بين ما هذا شأنه حتى يحتج به احد ويترك الاحتجاج بما هو ظاهر الكتاب والسنة وليس هذان الجوابان باقوى من الثالث لان جميع ما ورد عن السلف الماضين رضي الله عنهم من التشديدات المذكورة والرياضات والمجاهدات لاتخالف شيئا من الدين المحمدي اصلا بل هي واردة فيه ايضا في الكتاب والسنة في حق من يقدر عليها ويتفرغ لها من غير ان تكون واجبة عليه لانها نفل زائد على ما كلف به مثاب عليها كما ورد الاقتصاد والتوسط في الاعمال ايضا في الكتاب والسنة في حق من لاقدرة له ممن يخاف عليه الملل وفي الدين تسهيل وتصعيب قال الله تعالى * واتقوا الله حق تقاته وقال فاتقوا الله ما استطعتم وانزل تعالى في حق وحشي قاتل حمزة قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما فلما قرئت على

وحشي قال ان فى هذه الآية شروطا واخشى ان لا افى بها ولا اطيق ان اعمل عملا صالحا فهل عندك شئ الين من هذا يا محمد فانزل الله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فقال وحشي وانا لا ادرى لعلى ان لا اكون فى مشيئته ولو كانت الآية ويغفر مادون ذلك ولم يقل لمن يشاء كان ذلك فهل عندك شئ اوسع من ذلك يا محمد فنزل قوله تعالى * قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * فقال وحشي اما هذه فنعم واسلم رضى الله عنه ولا شك ان الآية الاولى والثانية اصعب من الثالثة لوجود الشروط فيهما دون الثالثة والآيات الثلاثة مما السبب فيها خاص والحكم عام فى حق وحشي وغيره من الامة الى يوم القيامة وقال تعالى فى آية التيمم * فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فصعب سبحانه باشتراط اخذ جزء من الصعيد ووضعه على الوجه واليدين وقال تعالى فى آية اخرى * فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم * ولم يقل منه فسهل سبحانه حيث لم يشترط اخذ جزء من الصعيد كما قرره الفقهاء فى التيمم حيث لم يحملوا فيه المطلق على المقيد كما هو من اصول مذهب الحنفية وصنف الشعراوى رحمه الله تعالى كتاب الميزان فيما شدد فيه الشارع وما سهل بحسب الاحكام فى اختلاف المذاهب وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه عرضت عليه بطحاء مكة ذهبا فاباها فشدد على نفسه ولم يأخذ من ذلك ليستعين به فى نصرة الحق ودفع شر الكافرين مع انه كان ذلك الغرض فى ابتداء الاسلام وقد خطب صلى الله عليه وسلم فى يوم عزمه لغزوة تبوك فقال من جهز جيش العشرة اضمن له الجنة حتى جهزه عثمان رضى الله عنه بماله فسهل على نفسه صلى الله عليه وسلم طلب الدنيا لترتفع بذلك درجة اصحابه وورد عنه صلى الله عليه وسلم صوم الوصال وكثرة الجوع حتى كان يربط الحجر على بطنه عليه السلام وورد ايضا انه عليه السلام قام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له فى ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا كما ورد فى صحيح مسلم وشرحه للنووى فى باب اكثار الاعمال والاجتهاد فى العبادة ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا وفى رواية حتى تفطرت رجلاه ومعنى تفطرت تشققت اه وكذلك ورد كثرة الصيام والقيام عن ازواجه امهات المؤمنين كما تقدم فى الحبل المربوط بين السارتين وانه لزينب رضى الله عنها اذا فترت من قيام الليل تعلقت به واو كان ذلك معصية لما فعلته وامر النبى صلى الله عليه وسلم بحله للشفقة عليها رضى الله عنها لانه كان بالمؤمنين رؤف رحيم ولهذا عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنه الذى سبق ذكره لما نهاه النبى صلى الله عليه وسلم عن كثرة العبادة لم يفهم انقلاب ذلك معصية بل قال لما كبر وددت انى كنت قبلت رخصة النبى

صلى الله عليه وسلم فسمى ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم رخصة وما فعله هو
عزيمة ولم يسم ما امره به عليه السلام هو الدين فقط ومن تأمل ماسبق من الآيات
والاحاديث كلها علم ان ذلك كله رحمة من الله تعالى بالامة ومن النبي صلى الله عليه
وسلم وترخيص للمؤمنين لايكون عليهم حرج في الدين فان قوله تعالى * لاتحرموا
طيبات ما احل الله لكم * اى لاتعتقدوا حرمتها بانكار الرخصة لكم فيها فاولم يحرموها
وتركوا تناولها زهدا في الشيء الفاني لامعصية في فعلهم وكذلك قوله * قل من حرم
زينة الله وقوله عليه السلام في آخر الحديث السابق فمن رغب عن سنتي فليس مني
اى من لم يعتقد جواز مافعلته ورخصت فيه وفعل اشد منه في مقابلة قولهم فاين
نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر يريدون
بذلك يبطلون الترخيص الشرعي فقال لهم عليه السلام ماقال وقوله عليه السلام
في الحديث الذي سبق ذكره ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه صريح فيما
قلناه فالحاصل ان السلف الماضين رضى الله عنهم اختاروا ان يفعلوا العزائم في انفسهم
لانهم اهل الهمم والعزائم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة
ويحرضونهم على فعلها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل احيانا يأمر بالرخص
ويعمل هو العزائم لنفسه كما اخبر في قضية صوم الوصال لما واصلوا مثله فنهاهم
شفقة عليهم ورحمة بهم ثم قال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى
وكان في عادة السلف الماضين والعلماء العاملين رضى الله عنهم انهم يشددون على
انفسهم ويسهلون على غيرهم من عباد الله تعالى شفقة على الناس وخوفا على
انفسهم من التقصير حتى نقل القشيري في رسالته عن رويم بن احمد رضى الله عنه
انه كان يقول من حكمة الحكيم ان يوسع على اخوانه في الاحكام ويضيق على نفسه
فيها فان التوسعة عليهم اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع وذكر ايضا
عن النصراباذي رضى الله عنه انه كان يقول اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك
الاهواء والبدع وتعظيم حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق والمداومة على الاوراد وترك
ارتكاب الرخص والتأويلات وقد ورد عن السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يتركون
من ورعهم سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في باب من الحرام وليس ذلك معصية
في حقهم بل اخذا بالعزيمة وذكر القشيري في باب الورع انه قال ابو بكر الصديق
رضى الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام وقال صلى الله
عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وللصالحين رضى الله عنهم في الورع
امور كثيرة سلفا وخلفا لاتكاد تحصى وليس شيء منها معصية وماهى اقتصاد ولاتوسط
في العمل فليس الدين محصورا في ذلك حتى يكون التعارض بل قال تعالى * ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات *

الآية

الآية فجعل تعالى الاقتصاد نوعا من الدين واهله بعضا ممن اصطفى سبحانه وكلام فقهاء الحنفية وغيرهم فى كراهة الرياضة بتقليل الاكل فيمن يوصله ذلك الى الهلاك والسلف رضى الله عنهم عالمون بحرمة القاء النفس الى التهلكة وقوتهم الروحانية التى كانوا يخرقون بها العادات تقدر على اكثر من ذلك وكذلك من كان مثلهم والله يخلق مايشاء وايضا مذهب الحنفية لا يقضى على مذاهب السلف وبالله التوفيق (وثالثا) اى جوابا ثالثا (ان المنع) الوارد فى ظواهر الآيات والاحاديث المتقدم ذكرها وفى قول الفقهاء ايضا (عن التشديد فى العبادة) على حسب ماقدمناه (معلل) فى الشرع المحمدى (بعلتين) موجبتين لذلك المنع عند العلماء العلة الاولى علة (لمية) اى نازلة حاصلة للمكلف فيخاف منها على المكلف ان تقتضى منع ماهو مطلوب منه ولو فى حق البعض دون البعض (هى) اى تلك العلة اللمية (الافضاء) بالفاء والضاد المعجمة اى الايصال (الى اهلاك النفس) وقد نهى الله تعالى عنه بقوله *ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة* وذلك فى حق من لم يحتمل مقاساة تلك التشديدات لعدم المتابعة لشيخ مرشد عالم بمزاج المريد وحاله كمن عمل بنفسه الرياضة المفرطة حتى وصل الى حالة لم يمكنه معها الدوام على تلك الرياضة ولا العود الى حالته الاولى لفساد معدته واحتراق امعائه بثوران الحرارة وكثرة الجفاف وربما جفت رطوبة دماغه ففسد خياله وقلت قواه العاقلة وهذه تهلكة التى بيده اليها فهى منهى عنها بحكم الآية المذكورة والشيخ المرشد الكامل لا يوصل المريد الى شئ من هذه المضار لانه عارف بالعلاج الشرعى والطبيعى فهو طبيب الاديان والابدان وهو الوارث المحمدى وليس يخلو عنه زمان من الازمان فاذا سلم المريد نفسه اليه وتأدب معه فى الظاهر والباطن اوقفه على ضرورة نفسه وسلك به فى طريق الرياضة الشرعية منزلة منزلة حتى يتحقق بنفسه ويتخلص من وساوس ظنه وحدسه فلا تفضى به تلك التشديدات حينئذ الى اهلاك النفس لانه لم يدخل فيها بنفسه بل بالمرشد الكامل فيكون كصنيع السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين حيث سلكوا فيها على ايدى المرشدين ولهذا لم ينقل عن احد منهم التضرر بشئ من ذلك بل انتفعوا بها فى معالم الدين ولم يزل الامر كذلك عند السالكين على ايدى الكاملين ولكن مراد الفقهاء التحذير فى العموم كما هو دأبهم فى جميع القضايا نفعا لكافة المكلفين (او) الافضاء اى الايصال الى (اضاعة) اى تفويت (الحق الواجب) على ذلك العبد (للغير) اى لنفسه فيما يرجع الى بقائها وبقاء حواسها الظاهرة والباطنة ولعياله واولاده واهله فى القيام عليهم وتربيتهم وخدمتهم وحفظهم والنظر فى مصالحهم فاذا كان له من يقوم بمؤنة ذلك اواستغنى عنه لعدم العيال والاهل ساغ له ذلك على يد المرشد الكامل كما ذكرنا والا امتنع فى حقه واثم به (او) الافضاء الى (ترك العبادة) لضعفه عنها وفساد بنيته

التي هو قائم بها فيها ومأادى الى ترك الفرض فهو حرام (او) الافضاء الى (ترك مداومتها) اى العبادة لضعفه فى المستقبل وفساد بنيته فيه ان لم يكن فى الحال وهذا كله يبعد فى السلوك على يد المرشد الكامل وانما معه السلامة فى البدن والدين ان من الله تعالى على العبد بمعرفته والوصول اليه وتمييزه من بين امثاله فى الخلقة الآدمية والطبيعية الانسانية (و) العلة الثانية علة (آنية) بالتشديد اى حقيقية محققة منسوبة الى ان المشددة النون المفيدة للتحقيق والتوكيد (هى) اى تلك العلة الانية (ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل) اى ارسله الله تعالى (رحمة للعالمين) كما قال تعالى * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * وقال تعالى * لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم * ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالعالمين الشفقة عليهم والملاطفة بهم والتخفيف فى كل ما امرهم به ونهاهم عنه ولهذا سأل ربه التخفيف عنهم فى ليلة المعراج وراجع ربه حتى كانت خمسين صلاة فرجعت الى خمس صلوات وكان يغضب من سؤال الصحابة له عن الاحكام التى لم تشرع مخافة ان ينزل الله تعالى فيها حكما يشق عليهم وكان يقول اتركونى ما تركتكم حتى انزل الله تعالى فى ذلك * يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم * الآية وقال لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند كل صلاة الى غير ذلك فكان نهيه عليه السلام عن التشديدات فى الدين لكمال شفقته على الامة حتى لا يكون عليهم حرج فى شئ من ذلك (و) هو (مؤيد) اى مشدد مقوى (من عند الله) تعالى بالعناية والحفظ من التقصير فى الحقوق ومن لحوق الملل والسآمة فى العبادة (فيقوى على ما) اى امر من العبادة والطاعة (لا يقوى عليه) اى على ذلك الامر (آحاد الامة) حتى انه صلى الله عليه وسلم فى قضية صوم الوصال بين انه اقوى منهم عليه حين نهاهم عنه فقال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى كما ورد فى الحديث وله خصوصيات افردت بالتصنيف تدل على قوته عليه السلام الحسية والروحانية ما لا توجد فى غيره (وانه) عليه السلام (اخشى) اى اكثر خشية من (الناس) كلهم (من الله) تعالى (واتقاهم) اى اكثرهم تقوى لربه (واعلمهم بالله) كما ورد ذلك فى الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وقدم بيانه (فلا يتصور) عند المؤمنين به صلى الله عليه وسلم وبانه ناصح الامة (منه) عليه السلام (البخل) بعدم بيان ما هو الاكمل من العبادات والطاعات وكتمان شئ مما امره الله تعالى ببيانه للامة مما هو الكمال فى حقهم (وترك النصح) لهم فى تقرير ما ينفعهم عند الله تعالى (ولا التوانى) اى التضاعف والتقاعس فى بيان الانفع (ولا التكاسل) فى ذلك (ولا الجهل) بالانفع لهم فى امر الدين) من حيث العلم والعمل (فلو كان) اى وجد (فى) امر (العبادة والقرب من الله) تعالى (طريق) يوصل الى شئ من ذلك (افضل) لهم (وانفع) عند الله

تعالى (غيرما) اى طريق (هو) صلى الله عليه وسلم (فيه) اى فى ذلك الطريق (لفعله) صلى الله عليه وسلم (او بينه) واوضحه للامة (وحث) اى حرض وحض (عليه) عباد الله الذى ارسله الله تعالى اليهم ليهديهم اليه صراطا مستقيما لانه انما ارسل لذلك ولهذا قال تعالى له* ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته (فنجزم) حينئذ (قطعا) من غير شك ولا شبهة (ان) جميع (ما) اى الذى (هو عليه) النبى (صلى الله عليه وسلم) اقوالا وافعالا واحوالا (افضل) عند الله تعالى (وانفع) للناس (واقرب الى) تحصيل (معرفة الله) تعالى (و) تحصيل (رضاه) سبحانه (من كل ماعداه) مما عليه جميع الناس فى جميع الازمان من عصره صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة والذى عليه صلى الله عليه وسلم هو ما تقدم بيانه من امره عليه السلام للامة بالاقتصاد فى الاعمال والتوسط فى الاحوال بين الافراط والتفريط كما هو سيرته فى الملأ صلى الله عليه وسلم لتقتدى به الامة وتنقل عنه اخبار دينها كما قال صلى الله عليه وسلم لما طاف راكبا على ناقته خذوا عنى مناسككم وقال صلوا كما رأيتمونى اصلى وهذا مقدار ما اطلع عليه علماء الظاهر اهل النقل والرواية من سيرته صلى الله عليه وسلم العامة واما سيرته الخاصة وباطنية شريعته صلى الله عليه وسلم مما لم تكن عليه المنافقون فى زمنه عليه السلام وبعده مما لم يعرفوه ليشاركوا فيه المؤمنين فى الظاهر فهى اموراسرها صلى الله عليه وسلم لخواص اصحابه وهم اسروها لخواصهم لانها انما تأخذ وتتلقى بالاحوال الصادقة والاعمال المصحوبة بالاخلاص والتقوى والخشوع والحضور كما قال تعالى* واتقوا الله ويعلمكم الله* وهى العلوم المخزونة والمعارف الالهية اللدنية المكنونة التى اشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا قالوه لا ينكره الا اهل الغرة بالله والمراد باهل الغرة الذين ينكرونه علماء العلم الظاهر من شريعته صلى الله عليه وسلم مما كان يعرفه المؤمنون والمنافقون فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبعد فيتساوى الفريقان فى العمل به ظاهرا ولنا رسالة صنفناها فى اثبات ان العلم الباطن كالعلم الظاهر وعلم الاذواق كعلم الكراريس والاوراق مأخوذ جميع ذلك من الكتاب والسنة سميناها التنبيه من النوم فى حكم مواجيد القوم وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث المعراج كما ذكره القسطلانى فى مواهبه وغيره وسألنى ربى فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثنى علم الاولين والاخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل يذكرنى به وعلم امرنى بتبليغه الى العام والخاص من امتى اه فانظر فانه لم يحصر صلى الله عليه وسلم العلم الحق فى العلم الذى امره الله تعالى بتبليغه الى العام والخاص الذى هو علم الشرايع والاحكام على وجه الاقتصاد والتوسط فى العلم الذى يعلمه علماء الظاهر كما فعل اهل الظاهر القاصرون وانما اخبر الصادق

صلى الله عليه وسلم ان هناك علمين آخرين هما حق ايضا بل علوم شتى كما قال عليه السلام
واما العلم الذى اخذ عليه كتمانه صلى الله عليه وسلم فهو علم النبوة مما لا يعلمه الا نبى
ولهذا قال فيه عليه السلام اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى فبين بذلك وجه
اخذه عليه كتمانه فانه لا فائدة فى بيانه حيث لا يقدر احد على حمله اى العلم به فانه لا يقدر
الا نبى ولا نبى بعده صلى الله عليه وسلم واما العلم الذى خيره فيه فهو علم الولاية وهو علم
باطن الشريعة وحقيقتها واسرارها مما لا يؤخذ الا بالتقوى وصفاء المعاملة مع الله
تعالى المشار اليه بقوله تعالى فى الخضر* وعلمناه من لدنا علما* وقوله تعالى* واتقوا الله
ويعلمكم الله* وقول النبى صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه
رشده وهو العلم الموروث للعلماء بالله من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم باسانيد الالهام
ونقلة الكشف التام الى قلبه صلى الله عليه وسلم وباطن حاله كما ان العلم الذى
امره الله تعالى بتبليغه موروث عنه ايضا صلى الله عليه وسلم باسانيد الرواة ونقلة
المشايخ الموثقين الى فمه صلى الله عليه وسلم وظاهر فعله وهذا ابو هريرة رضى الله عنه
يقول احفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين من العلم اما احدهما فبثثته
واما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم اى الحلقوم ومراده لقتلونى لحكمهم
بكفرى حيث لم يفهموا ما اشير اليه فى كلامى من حقائق المعانى واسرار الشريعة
المطهرة فالوعاء من العلم الذى بثه هو علم الظاهر الذى تعرفه الفقهاء من احكام
الشريعة المحمدية والوعاء من العلم الذى لم يبثه هو علم الباطن من حقائق الشريعة
وما لا يعلمه الا المقربون من الاولياء والصديقين والحاصل ان علم التقوى وهو العلم المأخوذ
بالرياضات والمجاهدات وحبس النفوس عن شهواتها بملازمة المراقبة والحضور علم
صحيح مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مدلول عليه عند اهله العلماء به
بالادلة من الكتاب والسنة واعمال النبى صلى الله عليه وسلم واشارات اقواله واحوال
الصحابة والتابعين والسلف الصالحين كما ان العلم الظاهر المأخوذ بالقراءة على المشايخ والرواية
عنهم والحفظ من الكتب علم صحيح ايضا مدلول عليه عند العلماء به بالادلة من الكتاب
والسنة واقوال النبى صلى الله عليه وسلم واعماله واقوال الصحابة والتابعين والسلف
الماضين واعمالهم والله تعالى لم يقطع من الارض ولا يقطع ان شاء الله تعالى علماء كلا العلمين
القائمين بهما نيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم حجة على المكلفين غير ان كل طائفة من اهل
العلمين فيهم القائمون بعلمهم على الوجه المرضى لله تعالى ولعباده وفيهم الفاسدون
المفسدون الضالون المضلون المتشبهون بالقسم الصالح وليسوا منهم اللابسون ثوب
الزور فكما ان فى الصوفية فاسقون ملحدون جاهلون فى الفقهاء ايضا كذلك فاسقون
كافرون خبيثون ولكن لا يفسد بفسادهم ذلك النوع كله وتفسد تلك الطريقة
التى يزعمون انهم قائمون بها واذا علمنا هذا فلا يجوز لنا التجسس على اهل السوء
من كلا الفريقين والا الظن السيئ باحد معين منهم ولكن نحذر على العموم من غير تقبيح

معين فى احد ظاهرا ولا باطنا والله يعلم المفسد من المصلح (فتحمل ما) اى الذى (روى عنهم) اى عن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين من التشديدات والمجاهدات (على انهم انما فعلوا ذلك التشديد) والتضييق على نفوسهم وغيرهم من اهل طريقهم مما يخالف ظاهر الحال الذى كان عليه صلى الله عليه وسلم وامر به وبلغه للخاص والعام من الاقتصاد والتوسط فى الاعمال كما ذكرنا (اما مداواة) اى تطبيبا (لامراض القلوب) السقيمة بالغفلات والغرور ليردوها بذلك الى الصحة والعافية فان القلوب تمرض كما تمرض الاجسام قال تعالى فى قلوبهم مرض وهؤلاء المرضى قلوبهم المحتاجون الى مداواة تلك الامراض هم طائفة من اهل العلم الظاهر غرتهم الحياة الدنيا وتلاعبت بهم الاغراض النفسانية فاعمتهم عن سواء السبيل فلابد لهم من حمية تلك التشديدات حتى تصح ارواحهم وتنتعش نفوسهم بروايح نسمات القبول فى رياض الرضا بين اشجار الوصول كما ذكر الشيخ عبدالرؤف المناوى فى شرح الجامع الصغير عن ابى طالب المكى صاحب قوت القلوب قال علم الباطن وعلم الظاهر اصلان لا يستغنى احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل منهما بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك احدهما عن صاحبه وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الآذان وهذا لا ينصرف اليه اسم العلماء الذين هم ورثة الانبياء اذهم العلماء العاملون الابرار المتقون الذين آل اليهم العلم الموروث بالصفة التى كان عليها عند المورث لا من علمه حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء طويته واتباع شهوته ان يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فاورده النار وبئس الورد المورود قال بعضهم وهذه صفة علماء زماننا تجدهم يجتهدون فى تحسين الهيئة والثياب الفاخرة والمراكب السنية فاذا نظر الى باطن احدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال يكاد يموت من همه وخوف الخلق وخوف سقوط المنزلة من قلوبهم والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص للظلمة والاغنياء واحتقار الفقراء والانفة من الفقر والاستكبار فى موضع الحق والحقد على اخيه المسلم والعداوة والبغضاء وترك الحق مخافة الذل والقول بالهوى والحمية والرغبة فى الدنيا والحرص عليها والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والرياء والسمعة والاشتغال بعيوب الخلق والمداهنة والاعجاب بالنفس والتزين للمخلوق والصلف والتجبر وغرة النفس والقسوة والفظاظة والغلظة وسوء الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على فوتها وترك القنع والمراء والجفاء والطيش والعجلة والحدة وقلة الرحمة والاتكال على الطاعة وامن سلب ما اعطى وفضول الكلام والشهوة الخفية وطلب العز والجاه واتخاذ الاخوان فى العلانية على عداوة فى السر والغضب اذا رد عليه قوله والتماس المبالغة لغير الله والانتصار للنفس والانس بالخلق والوحشة من الحق

والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طوية صدورهم وظاهرهم صوم وصلاة وزهد وانواع اعمال البر فاذا انكشف الغطاء بين يدى الله تعالى عن هذه الامور كان كزبلة فيها انواع الاقذار غشيت بالذبايح فانتنت فهذا عالم مرائى مداهن يتصنع عند شهواته فلم يقدر ان يخلص عمله ونفسه مقيدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه وهذه كلها عيوب والعبد اذا كثرت عيوبه انحطت قيمته (اولكون العبادة) من كثرة تمرين نفوسهم بها صارت (عادة لهم) اعتادوها (وطبعا) انطبعوا عليه فصاروا لايتكلفون لها (كالغذاء للصحيح) البدن من الناس فانه ينتفع به فى بدنه لبقاء صحته ويأخذ منه حظه بنفس مقبلة مشتهية (فيتلذذون بها) اى بالعبادة كما يتلذذ الصحيح البدن بغذائه كما ذكر الاسيوطى فى كتابه بشرى الكئيب بلقاء الحبيب عن ثابت البنانى رضى الله عنه انه كان يقول اللهم ان كنت اعطيت احدا من خلقك الصلاة فى قبره فاعطنيها وانما قال ذلك من كمال لذته بعبادة الله تعالى حتى اخرج ابونعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير قال انا والله الذى لااله الاهو ادخلت ثابت البنانى لحده ومعه حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا انا به يصلى فى قبره (بلا اضاعة حق) واجب عليهم لاحد من خلق الله تعالى (ولا ترك مداومة) بل كانوا يبقون على ذلك الى الموت (ولا اعتقاد) من احد منهم (انه) اى مايفعله من التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها (افضل مما) اى من الذى (كان عليه افضل البشر) صلى الله عليه وسلم فعمل به من الاقتصاد والتوسط (او) (افضل من الذى قاله) من ذلك وبينه للناس ولا شك ان من اعتقد رجحان عمله على عمل النبى صلى الله عليه وسلم فهو كافر وحاشا السادة الائمة العارفين من شئ من ذلك بل دائما لا يرون اعمالهم الا مدخولة قاصرة وان بالغوا فيها ماعسى ان يبالغوا ولا يرون انفسهم مع ذلك كله الا مذنبة عاصية كما نقل الشيخ بن علان الصديقى رحمه الله تعالى فى شرحه على حكم ابى مدين رضى الله عنه ان الخواجه بهاء الدين نقشبند قدس الله سره لما سئل عن الكرامات قال اى كرامة اعظم من انى مع هذه الذنوب الكثيرة امشى على وجه الارض (واما نبينا) محمد (صلى الله عليه وسلم فقد بلغ الدرجة العليا من الكمال) يعنى فلا يحتاج مع ذلك الى امثال هذه التشديدات والمجاهدات فى النفوس مع انه فعلها صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وبعدها وكان يتحنث فى غار حراء ويتبتل الى الله تبتيلا ويواصل فى صيامه ويتابع فى قيامه ولم يسبقه احد من الامة بكثرة عبادة اصلا فانه صلى الله عليه وسلم هو السابق فى كل خصلة حميدة وانما السابقون مقتدون به على كل حال (وهى) اى تلك الدرجة العليا من الكمال (ان لا يمنع عن توجه القلب) الى جناب الرب (شئ) مطلقا (لا التكلم مع الخلق ولا الاكل ولا الشرب ولا النوم ولا ملامسة النساء) اى جماعهن (وتكون الخلطة) مع الناس (والعزلة) عنهم (سواء) فى عدم اشتغال القلب بسوى حضرة القرب كما ورد عنه

صلى الله عليه وسلم انه كان يدبر الجيش وهو فى الصلاة من غير ان يشتغل عنها وورد فى حديث الجامع الصغير عن عقبة بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت وانا فى الصلاة تبرا عندنا فكرهت ان يبيت عندنا فامرت بقسمته ومعلوم انه مع ذلك لم يضيع الخشوع والحضور فى صلاته (فاقتصاره عليه الصلاة والسلام على بعض العبادات الظاهرة) فى بعض الاحيان بحسب ظاهر الحال (لكونها افضل له صلى الله عليه وسلم ولامته) باعتبار كمال اتقانها بالتوجه بالكلية الى حضرة ذى الجلال باعتبار ان العبادة الباطنية اذا كثرت قلت العبادة بالظاهر واذا كثرت بالظاهر قلت بالباطن ولاشك ان العبادة بالباطن افضل من العبادة بالظاهر لان الظاهر تابع والباطن متبوع والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فالسالكون تكثر عباداتهم اولا بالظاهر حتى يصلوا الى معرفة الله تعالى فتقل عباداتهم بالظاهر ويصيرون يقتصرون على الفرائض والسنن وتكثر عباداتهم بالباطن فيواجهون حضرة ذى الجلال والاكرام والنبى صلى الله عليه وسلم من اعظم الواصلين الى معرفة الله تعالى فالغالب فى اعماله الاقتصاد بقوله ويعمل به (وتلذذه صلى الله عليه وسلم دائم) مستمر (لا يختص بالعبادات الظاهرة) كتلذذ اهل البدايات من السالكين باعمالهم البدنية ومجاهداتهم النفسانية بل كان له تلذذ بشهود المتجلى الحق سبحانه فى جميع الامور العادية وسائر الاحوال الكونية وقوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر الله فى اليوم سبعين مرة وفى رواية مائة مرة باعتبار ترقيه صلى الله عليه وسلم فى مراتب الشهود فالمرتبة العليا اذا كان فيها صلى الله عليه وسلم يجد ما دونها غينا اى حجابا وهكذا (وقد بلغ) اى وصل (بعض المشايخ) من الكاملين (الى حيث كان له حظ) اى نصيب (من هذه الدرجة التى هى للنبى صلى الله عليه وسلم بطريق الارث عنه) فان العلماء ورثة الانبياء (حتى قال) ذلك الشيخ المذكور (من رآنى الآن) يعنى وانا واصل الى معرفة الله تعالى ومشغول بلذيذ شهوده فى كل شئ (صار زنديقا) اى اقتدى بى فى حالتى التى يفهما منى وانا غير مقبل على العمل الظاهر ولا منهمك فيه لاشتغال الباطن بما هو اكمل من ذلك وهو شهود الله تعالى ولذيذ مناجاته والاطلاع على لطائف حقائقه واسراره فى صفحات مصنوعاته فيظن انى كذلك بباطنى ايضا غير معتن بالعمل الظاهر فلا يعتنى هو ايضا بالظاهر بظاهره وباطنه فيستخف بدين الله تعالى وشرايعه فيصل الى رتبة الزندقة وهو عدم التديين بدين اصلا وذلك من اكفر الكفر (ومن رآنى قبل) اى قبل الآن وانا منهمك فى العمل الظاهر مشتغل به مكثر منه لاحتجاب الله تعالى عنى بالاغيار وخلو باطنى من لمعات البوارق الالهية والانوار (صار صديقا) لانه يقتدى بى فى هذه الحالة فيجاهد فى نفسه ويكثر من العبادات والطاعات حتى يصل الى مقام الصديقية وهى خلاصة الولاية (حيث كان) ذلك الشيخ المذكور (فى) حال وصوله الى مقام (نهايته)

بقطعه مسافة نفسه وحصوله فى حضرة ربه (يقتصر من العبادات الظاهرة على الفرائض) من كل نوع من انواع العبادات (والواجبات والسنن) ويترك ماعداذلك من النوافل المستحبات من كل نوع (ويأكل) المشتهيات وغيرها (ويشرب) كذلك (وينام كالعوام) من حيث ظاهره قال النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه كاد ان يكون مجمعا عليه عند المحققين من الصوفية رضى الله عنهم ان العارف لايضره قلة العمل اذيكون سيره قلبيا والا لم يكن متحققا بالمعرفة وقد ظفرت لذلك بدليل من الحديث وهو مارواه الطبرانى عن عبدالله بن مسعود قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اى عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال اوثق عرى الايمان الولاية فى الله والحب فى الله والبغض فى الله ثم قال يا ابن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال اتدرى اى الناس افضل قلت الله ورسوله اعلم قال فان افضل الناس افضلهم عملا اذافقهوافى دينهم ثم قال يا ابن مسعود قلت لبيك يارسول الله قال اتدرى اى الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال ان اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقتصرا فى عمله وان كان يزحف على استه زحفا الحديث (و) كان (فى) حال (بدايته يجتهد) فى العبادات والطاعات (ويرتاض) بانواع الرياضات (فمن رأى اجتهاده) فى العبادات ليلا ونهارا (يجتهد كاجتهاده حتى يصير) بسبب ذلك (صديقا ومن رآه فى) حال (نهايته) كما تقدم (ينكر الاجتهاد و) احوال (الطريقة اصلا) اى من الاصل (فيخاف) بالبناء المجهول (عليه الكفر) بل يكفر ان لم ير الاعمال الظاهرة حقا او استخف بها او باهلها بسببها كما ذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر نقلا عن التتمة قال من اهان الشريعة او المسائل التى لابد منها كفر وفى المحيط من قال لفقيه يذكر شيئا من العلم او يروى حديثا صحيحا هذا ليس بشئ ردا او قال لاى امر يصلح هذا الكلام ينبغى ان يكون الدرهم لان العز والحرمة اليوم للدرهم لا للعلم كفر اى لانه معارضة لقوله تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وقوله سبحانه وكلمة الله هى العليا اه وسيأتى نحو هذا ان شاء الله تعالى (ولو تأملت) يا ايها المذعن للحق اذا ظهر (فيما كتبنا) لك (سابقا) فى اوائل فصل الاقتصاد فى العمل من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال الفقهاء الحنفية (و) تأملت ايضا (ما) اى الذى (نقل عنهم) اى عن السلف الماضين من التشديدات فى العبادات وانواع المجاهدات (حق التأمل) بانصاف واذعان (وجدت فى اكثرهما) اى اكثر كل مما فى هذا الكتاب وما ورد عن السلف وان لم يكن فى جميع ذلك (اشارة الى هذا) المعنى المذكور هنا فى هذا الجواب الثالث المعلل بالعلتين المذكورتين فان تأملت ماسبق فى اول هذا الفصل وجدت الاشارة الى العلة الاولى واذا تأملت مانقل عن السلف وجدت الاشارة الى العلة الثانية واذا علمت هذا وتحققته (فلا يخلو) اى لاينفك جميع

(ما) اى الذى (نقل عن السلف) الماضين رضى الله عنهم اجمعين (من التشديد) فى العبادات والتضييق على النفوس فى المجاهدات (عن العلتين المذكورتين) اصلا بل لابدان يكون سببه احدهما او كلاهما معا (وهذا) التحقيق فى هذه المسئلة (هو المحمل) لمانقل عن السلف (الصحيح) لذوى الافهام السالمين من سقم الاوهام (والحق الصريح) الواضح الذى هو لكل شبهة فاضح والذى اجاب به النجم الغزى رحمه الله تعالى فى كتابه حسن التنبه فى التشبه عن مثل هذا الاشكال الذى اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى هنا والى جوابه غير ما اجيب به هنا فقال فى بحث التخلق باخلاق الملائكة فى الاقتيات بالذكر وهو ابلغ من الصيام وهو حال الصمدانيين الذين كانوا يطوون الاربعينيات فاكثر منها ودونها بحيث يكون خارقا للعادة فيكتفون بالذكر والفكر عن الطعام والشراب وذلك كله من باب خرق العادة والالتحاق بالملائكة عليهم السلام فى هذا الخلق الشريف وعن بعض العلماء العاملين انه قال انى لاقتات بوردى من الذكر كما اقتات بالطعام والشراب وقال الشيخ العارف بالله شهاب الدين السهروردى فى عوارف المعارف قيل لسهل بن عبد الله رضى الله عنه هذا الذى يأكل فى كل اربعين واكثر اكلة اين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفئه النور قال وقد سألت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت على انه يجد فرحا باربه ينطفئ معه لهب الجوع قال وهذا واقع فى الخلق ان الشخص يطرقه فرح وقد كان جائعا فيذهب عنه الجوع وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك فان قيل قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فى الصوم فقيل له فانك تواصل فقال لست كاحدكم ان الله يطعمنى ويسقينى فهذا يخالفه ما تقدم فالجواب ان هذا النهى انما هو فى مقام الدعوة العامة والتشريع لكافة الناس ولئلا يتخذ الوصال سنة جارية يتعاطاه القادر والضعيف عنه فيحتاج الى التكليف فامامن كان يقتات بالذكر بحيث يستغنى عن الطعام والشراب فقد يقال فى حقه باباحة الوصال له خاصة وعلى ذلك يخرج احوال من اسلفنا ذكرهم من السلف رضوان الله عليهم اجمعين وقد حكى القاضى عياض رحمه الله تعالى عن ابن وهب واسحق بن راهويه واحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى انهم اجازوا الوصال وحكى ابن حزم ان ابن وضاح من المالكية كان يواصل اربعة ايام واطلق اكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال واختلفوا هل هو كراهة تنزيه او تحريم على وجهين اصحهما الثانى وهو ظاهر كلام الشافعى رضى الله عنه فانه قال بعد ان ذكر حديث النهى عن الوصال وفرق الله بين رسوله وبين خلقه فى امور اباحها له وحظرها عليهم وكذلك مذهب ابى حنيفة ومالك رضى الله عنهما وقال الحافظ العراقى فى شرح الترمذى واصح ما يستدل به على عدم تحريم الوصال مارواه ابو داود باسناده الصحيح عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال حدثنى رجل من اصحاب النبى

صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحجامة والمواصلة
ولم يحرمهما ابقاء على اصحابه فقيل له يارسول الله انك تواصل الى السحر فقال انى اواصل
الى السحر وربى يطعمنى ويسقينى قلت وهنا اصل اصيل وهوان ادخال الطعام
والشراب الى الجوف انما هو فى الاصل مباح وانما يندب تعاطيه او يلزم اذا احتاج اليه
الانسان من حيث ان يتقوت به و يحفظ على حياته فاذا اخذ الانسان منه حاجته
وكفايته لم يحسن فى حقه ان يتناول زيادة عليها بل اذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذرا
من الهلاك الذى من حذره الجئ الى استعمال الطعام والشراب اذا احتاج اليه فاذ كان
فى عباد الله من رزقه الله تعالى حالة شريفة كحالة الشبع بحيث لايحصل له معها وهن
فى بدنه ولاضعف فى قواه ولاتوقان الى الطعام يشغله عن الذكر والطاعة فظاهر
هذا القياس انه مادام غنيا عن الطعام والشراب بهذه الحالة لانكلفه تناول شئ
من المطعومات ولامن المشروبات حتى يحتاج اليه كما انا لانطالب الشبعان ولا الريان
بشئ من ذلك حتى يحتاج اليه بل الدنيا وان كان الاصل فى مطعوماتها ومشروباتها
الاباحة فان اشتغال المقبل على الله تعالى بها اشتغال بمالا يعنيه فمقتضى طريقه
ان لايتناول منها شيئا الا ان يحتاج اليه و يضطر الى الاخذ منه فهما اغناه الله عنه
فلايتناوله اصلا فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب وتدفع عنه المحذور
المدفوع بهما كما يدعانه وزيادة ينبغى ان لانكلفه بهما ولوواصل الصيام عمره ثم كان
بعد الطاوين من اهل الله تعالى اذا طوى يتناول عند الغروب مفطرا ما ولوقطرة ماء عملا
بالسنة وخروجا من الخلاف وعلى ذلك فينبغى ان يتناول عند السحر شيئا ما بنية السحور
عملا بالسنة ايضا واغتناما لصلاة الله وملائكة كما فى الحديث ان الله وملائكته
يصلون على المتسحرين وروى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام الملائكة
التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع
وفى هذا الحديث دليل لما ذكرناه من ان الله تعالى قد يهب حالة شريفة لبعض عباده
تغنيه عن الطعام والشراب وان هذه الحالة تكون فى فتنة الدجال لكافة المؤمنين
وانما كانت حينئذ لعموم اهل الايمان لان من فتنة الدجال ان يمر على البلدة فيقول
لاهلها اعبدونى او اتبعونى فان اتبعوه امر السماء فامطرت والارض فانبتت فكانوا
فى ارغد عيش والا امر السماء ان لاتمطر والارض ان لاتنبت وكانوا فى اضيق عيش
فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان هذه الفتنة لاتضر المؤمنين اذا نطقوا بالتسبيح
والتقديس لانهم يستغنون عما تمطره السماء وتنبته الارض انتهى والحاصل ان عمل
الرياضة على وجه التشديد والتضييق لاهل التقوى والورع والزهد والصبر والمراقبة
لايعترض عليهم فيها ولايقال انها مخالفة للشرع فان غرض الشرع ترك المؤذيات

والمضرات وليس فيما يفعلونه مؤذ ولا مضر فى حقهم وان كان ذلك مؤذيا ومضرا فى حق
غيرهم ممن ليس على قدمهم فى الاخلاق الفاضلة والاحوال الصادقة (فلا نفرط) يا ايها العبد
المكلف من افرط اذا زاد (فى حقهم) اى فى حق اهل الرياضات والمجاهدات يعنى فى مدحهم
والثناء عليهم حتى توصلهم الى رافعة على الانبياء فى كثرة عباداتهم وسمو مقاماتهم
فانه لا يصل ولى الى درجة نبى اصلا كما سيأتى تحقيقه فى محله من هذا الكتاب ان شاء الله
تعالى (ولا تفرط) بالتشديد من التفريط وهو التقصير فى حقهم باحتقارهم واستنقاص
احدمنهم كان حيا اوميتا علمت حاله اولم تعلم واتهم نفسك فى القصور عن معرفة
اولياء الله تعالى ولا تسئ الظنون فى احد منهم وقال الشيخ الاكبر محى الدين بن العربى
قدس الله سره فى كتابه شرح الوصية اليوسفية واحذران يخطر لك خاطر ردى فى احد
من خلق الله تعالى كان ذلك الخلق من كان ممن احسن او اساء فان النبى صلى الله عليه وسلم
يقول طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس والعاقل لا يتفرغ الى غيره حتى يتفرغ
عن نفسه ولا يتفرغ عن نفسه ابدا فانه مراقب لنفسه ما يحدث الله فيها فى كل نفس
مستقبل مشتغل بما القى الله اليه فى وقته فيها من الخير هذا حظ المؤمن فكيف حظ المختص
فى الايمان بالاتباع كان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله تعالى يقول لى ياولدى ما ارى
فى العالم الا ولياء الله تعالى بالنظر الى فانه لا يخلو من يعرفنى ان يكون حامدا لما انا عليه
او ذاما فان حمدنى فاقول هذا ولى ما رآنى الا بصورته مما هو عليه والحمد لله الذى ارانى
وليا من اوليائه وان ذمنى اقول هذا رجل قد كشف الله له عن عيبى ولا يكاشف
الاولى وهذا رجل يسمينى بما ينسب الى ويذكرلى حتى لتحفظ من هذه
الصفة فاينصح عباد الله الا ولى الله هذا كان اعتقاده فى الخلق كلهم رحمه الله تعالى
فهكذا فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه ونقل صاحب كتاب تحفة الاكياس
فى تحسين الظن بالناس ومن كلام سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه اسوء المعاصى
سوء الظن وغالب الناس لا يعده ذنبا ولا يستغفر منه وقال سيدى افضل الدين
لو ان انسانا احسن الظن بجميع اولياء الله تعالى الا واحدا منهم بغير عذر مقبول
فى الشرع لم ينفعه حسن الظن عند الله تعالى ولذلك لا تجد وليا حق له قدم الولاية
الا وهو مصدق بجميع اقرانه من الاولياء لم يختلف فى ذلك اثنان كما انه لم يختلف فى الله
تعالى نبيان فمن آذى الاولياء بسوء ظنه فقد خرج من دائرة الشريعة ومن كلام
الشيخ ابى المواهب الشاذلى رضى الله عنه من حرم احترام اصحاب الوقت فقد استوجب
الطرد والمقت وذكر الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه ان معاداة
الاولياء والعلماء العاملين كفر عند الجمهور وقال من عادى احدا من الاولياء والعلماء
العاملين او الشرفاء فقد عادى ايمانه وقال سيدى على الخواص رضى الله عنه من عادى
احدا من الاولياء او العلماء خالفه ضرورة وفى مخالفة الولى والعالم الضلال والهلاك اه
وقد اطلنا الكلام فى هذا المقام فى كتابنا المطالب الوفية بما يفى بالمرام والحاصل ان الانكار

بالقلب او باللسان على احد من اولياء الله تعالى الذين هم العلماء العاملون وسواء كانوا احياء او كانوا موتى وكلهم احياء عند من يعرفهم بحياة الله تعالى لا بانفسهم وكلهم موتى من حياتهم بانفسهم سواء عرفهم من ينكر عليهم اولم يعرفهم وانكر مالم يعرف من احوالهم الصحيحة وافعالهم المستقيمة عند الله تعالى فهو كفر صريح والمنكر كافر باجماع المسلمين على مقتضى جميع مذاهب اهل الاسلام لانه انكر دين الاسلام والشريعة المحمدية وهو لا يعرف انه انكر ذلك لجهله وغباوته بل يظن انه انما انكر امرا باطلا وفعلا قبيحا تصوره فى نفسه وحكم بانه فعل ذلك الولى اوقوله فحكم بسببه على ذلك الولى بانه ليس بولى وانه فاسق او كافر اوملحد اوزنديق والولى فى حقيقة امره من حيث مايعلمه الله تعالى منه برئ من جميع مااعتقده فيه ذلك المنكر وعمله ذلك الذى انكره عليه وقوله ذلك الذى انكره عليه ايضا ليس شئ منهما باطلا فى الشريعة ولا كفرا ولا الحادا ولا زندقة بل ذلك الفعل طاعة وقربة الى الله تعالى وذلك القول قول حق وصواب وهو محض ايمان وحقيقة معرفة وايقان ولكن سماه ذلك المنكر كفرا والحادا وزندقة لمحض جهله وعناده وعدم اعترافه بالقصور عن علوم الاولياء ومعارف الصديقين وعدم احساسه بطمس بصيرته وعمى قلبه عن ادراك مداركهم والكشف عن حقايق اسرارهم ولمحات انوارهم فالمنكر يتقلب فى اودية الكفر والضلال والالحاد والزندقة وهو معتقد انه يتقلب فى اودية الايمان والطاعة وارشاد الناس الى الاحتراز عن الخطأ والضلال والنصيحة والهدى وهو لا يشعر فكفره عند الله تعالى سيظهر له ولامثاله ممن يوافقه على الانكار المذكور يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين فانه الحاكم العادل الذى يعلم المظلوم من الظالم ويعلم المحق من المبطل ولكن الآن فى الدنيا لا يحكم المنكر هو بنفسه على نفسه بالكفر ولا امثاله يحكمون عليه بذلك لاصرار المنكرين كلهم على عقيدة وحدة هى الانكار فالحكم عليهم بالاسلام مبنى على مجرد زعمهم ذلك كما ان الحكم عليهم بالكفر مبنى على اعتقاد اهل الاسلام العارفين بكلام الاولياء المطلعين على احوالهم الصحيحة المستقيمة ولا يعذرون المنكرين بالجهل لان لهم مندوحة عن الانكار بايكال الامر الى الله تعالى والتسليم فيما لا يعرفه ولا اعتراف بان الله تعالى يعلم من احوال الناس مالا يعلم هو والجهل فى الشريعة ليس بعذر فى مثل هذا اذ هو مثل جهل اليهود والنصارى والمجوس وعُبّاد الاصنام بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق والدين الصحيح فانه ليس بعذر عند اهل التصديق بذلك كما انه ليس بعذر عند الله تعالى ايضا وان ما كان عذرا عند اهل هذه الملل الباطلة بل فى زعمهم ان ما نكروه هو الباطل وما انكروا به هو الحق وحيث كان حكم المنكر على اولياء الله هو الكفر فيترتب على ذلك ما يترتب على الكفر من احكام الشريعة كفسخ النكاح والاستتابة واهراق الدم ان اصر وكذلك بقية احكام المرتد وهذا كله

ان تحققنا منه ذلك وقدرنا عليه فان لم نتحقق وغاب عنا نحكم برجوعه عنه نظير ما قال العلماء
فى المرتد وقالوا بان انكار الردة توبة ولا نحكم بالظن فى احد ولا بالتجسس عليه انه منكر
على ولى من اولياء الله تعالى اصلا كما انا لا نسئ الظن فى احد انه ينكر فرضا من الفروض
ولا نتجسس عليه فى ذلك ولكنا نحكم بما نحققه فيه فان الظن السوء والتجسس
حرمهما الله تعالى وحرمهما رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يترتب عليهما اذا فعلا حكم
من احكام الله تعالى كان النمام اذا نقل القذف فهو فاسق بنقله ذلك لفعله الحرام
فلا يترتب على قوله حكم اقامة الحد على المنقول عنه لعدم عدالة الناقل بفسقه بنفس
النقل اوعدم وجود نصاب الشهادة فكذا فى التجسس وسوء الظن يفسق فاعلهما
فلا يقبل قوله فى الشريعة ولو قبله من لم يعلم حاله فان العدالة شرط فى الديانات
(وابتغ) اى اطلب (بين ذلك) اى بين الافراط فى مدح الاولياء والتفريط فى ذمهم
(سبيلا) ى طريقا تسلكه فى ظاهرك وباطنك يكون وسطا بحيث لا تذمهم اصلا ولا تخرجهم
عن كونهم عباد الله تعالى مخلوقين لا تأثير لهم فى خرق عادة ولا فى عادة مطلقا بل هم
كغيرهم من خلق الله تعالى فى عدم التأثير فى شئ من الاشياء ولكن الله تعالى فضلهم على
غيرهم من خلقه بما يخلقه سبحانه وينسبه اليهم من خوارق العادات ومن العادات
وهم ادنى من الانبياء لان ولايتهم ادنى من النبوة كما ان الايمان ادنى من الولاية فالانبياء
ثم الاولياء ثم المؤمنون (وقل) يا ايها المكلف (الحمد لله) بقلبك ولسانك (الذى هدانا)
اى دلنا وارشدنا (لهذا) الحق المبين والكلام المتين الذى تقرر فى هذا الفصل كله
بل فى هذا الكتاب جميعه (وما كنا لنهتدى) بانفسنا الى ذلك (لولا ان هدانا الله)
سبحانه بمحض فضله واحسانه بل كنا نضل كما ضل غيرنا ممن يساويا فى الادراك
والتكليف من كل خسيس فى الناس وشريف والحمد لله الخبير اللطيف اه *

❖ الباب الثانى ❖

من الابواب الثلاثة التى اشتمل عليها هذا الكتاب (فى الامور) جمع امر وهو الشان
والحال الذى يخص او يعم (المهمة) التى توقع فى الهم والحزن على فواتها او التى
تفعل بالهمة والعزيمة (فى الشريعة) الاسلامية وهى ما شرع الله لعباده والظاهر
المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما كذا فى القاموس (المحمدية) اى المنسوبة
الى محمد صلى الله عليه وسلم (وهى) اى تلك الامور المهمة (ثلاثة) امور (نبين)
اى نشرح ونوضح (كلا) اى كل واحد (منها) اى من تلك الامور الثلاثة (بتوفيق)
اى بسبب ذلك والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد (الله) تعالى لنا يعنى لا بحولنا
ولا بقوتنا (فى فصل) مستقل (على حدة) غير تابع فى بيانه لما قبله ولا لما بعده فتكون
الفصول ثلاثة (الفصل الاول) من تلك الفصول الثلاثة (فى تصحيح الاعتقاد) اى
ذكر الاعتقاد الصحيح ولا يكون الا بالقلب واما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد

لا هو الاعتقاد بنفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحا فى القلب فليس هو بصاحب اعتقاد صحيح بل حكى الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم سواء عرف انه كذلك اولم يعرف ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الايمان ليخلق فى جوف احدكم كما يخلق الثوب فاسئلوا الله تعالى ان يجدد الايمان فى قلوبكم اخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما ذكره الاسيوطى فى الجامع الصغير وقد نقل السنوسى فى شرح الجزائرية عن ابن دهاق شارح الارشاد لامام الحرمين ان النفاق على قسمين نفاق يعلمه صاحبه ونفاق لايعلمه صاحبه كنفاق من جهل العقائد الصحيحة وبين ذلك بيانا شافيا (وتطبيقه) اى الاعتقاد بمعنى موافقته ومساواته (لمذهب) اى لماذهب اليه (اهل السنة) اى الطريقة والسيرة المحمدية وهى عامة شاملة للاقوال والافعال والاحوال (و) اهل (الجماعة) من الاجتماع والجماعة جماعة الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من المتبعين للنبى صلى الله عليه وسلم قال النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه والمراد بطريق اهل السنة والجماعة ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام وهو ماعليه السواد الاعظم من المسلمين فى كل زمان وهم الجماعة والطائفة الظاهرون على الحق والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة روى اصحاب السنن وصححه الترمذى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت امتى على ثلاث وسبعين فرقة وروى هذا الحديث من طرق اخرى كثيرة منها رواية عبدالله بن عمرو وقال فيها كلهم فى النار الاملة واحدة قالوا من هى يارسول الله قال ما انا عليه واصحابى حسنه الترمذى ومنها رواية معاوية رضى الله عنه وقال فيها اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة رواه ابوداود وغيره ومنها رواية ابن عباس رضى الله عنهما وقال فيها كلها فى النار الاواحدة فقيل وماهذه الواحدة فقبض على يده وقال الجماعة فاعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا رواه ابن ماجه وغيره وقوله فى الآية والحديث ولاتفرقوا اى فى اصول الديانات والاعتقاد كما روى عن ابن مسعود وغيره وقيل المعنى ولاتفرقوا متابعين للهوى والاغراض المختلفة النفسانية وعليهما فليس فى الآية نهى عن الاختلاف فى الفروع والاحكام اذ المنهى عنه انما هو اختلاف يؤدى الى افساد وتقاطع وليس ذلك الا فى الاختلاف فى العقائد والاصول واما الاختلاف فى مسائل الاجتهاد فانه سبب لاستخراج الحقوق والفرائض وظهور دقائق الشريعة ولم تزل الصحابة مختلفين فى احكام الحوادث وهم مع ذلك متواصلون وفى الحديث اختلاف امتى رحمة كما نقله خلائق من العلماء منهم الشيخ نصر المقدسى والحليمى والبيهقى وامام الحرمين ومن هذا القبيل اختلاف

الائمة الاربعة رضى الله عنهم وكلهم على هدى من ربهم ورحمة وهم مثابون مأجورون لهم اجورهم ومثل اجور اتباعهم رضى الله تعالى عنهم ومن هذا القبيل ايضا اختلاف العلماء فى العلوم الشرعية وما يحتاج اليه فيها حيث منهم من مال الى الحديث ومنهم من مال الى التفسير ومنهم من مال الى الفقه ومنهم من مال الى العربية وكذلك اختلاف الصوفية رضى الله عنهم فى رياضات النفوس وتربية المريدين كل واحد منهم سلك هو ومريدوه طريقة فنهم من سلك طريقة المجاهدات ومنهم من سلك طريقة المعاملات وقد قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى الطرق الى الله عدد انفاس الخلائق اى من حيث السلوك لا من حيث الاعتقاد فان عقائد اولياء الله تعالى متواردة على عقيدة واحدة وهى عقيدة اهل السنة والجماعة وكذلك اختلاف اهل الصنائع والحرف فى صنايعهم وحرفهم كل ذلك داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم اختلاف امتى رحمة وأما اختلافهم فى الاصول فانه عذاب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعة رحمة والفرقة عذاب وذكر الشيخ الامام العارف بالله تعالى احمد بن محمد المدنى المعروف بالقشاشي رحمه الله تعالى فى الجواب الشافى عن السؤال الموافى فى معنى المراد من اهل السنة والجماعة ان المخصوص بالهداية الجماعة المجتمعون على الكتاب والسنة المنتهون عن الاختلاف والفرقة الآخذون بالوارد لا بالعقل المثير للمراء والخصومات فى دين الله فالقائم على ذلك بشهادة من الكتاب والسنة وهو متابعة ما عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم قولا وفعلا بصريح الوارد محكما له ومسلما له تسليما عازلا لهواه وعقله عند ذلك هو من اهل السنة والجماعة ومسمى بذلك بالنص المذكور وان فرط منه شئ من القصور والمخالفة تداركه بالرجوع الى الله تعالى والحكم للغالب من حاله فاذا كان الغالب المحافظة على ذلك فالحكم للغالب ثم بسط الكلام فى بيان أن المراد من اهل السنه والجماعة من تابعوا الوارد فى الكتاب والسنة واعتقدوه إيمانا واذعانا ولم يعتقدوا امرا مستفادا من تحكمات العقول والآراء وان المراد بالفرق الضالة والطوائف المبتدعة من تابعوا عقولهم وآراءهم فى معانى الوارد فى الكتاب والسنة ولم يبقوا ذلك على مراد الله تعالى ورسوله ويعتقدوه كذلك وذكر امثلة لذلك من كلام الفريقين على مقتضى المذهبين (وجملته) اى جملة مذهب اهل السنة والجماعة فى العقائد يعنى محصله وملخصه اذ لا يمكن استقصاء ذلك مبسوطا فى هذا الكتاب للخروج عن مقتضى الاختصار (ان الله تعالى واحد) اى موصوف بالوحدانية وهى تقال على خمسة انواع النوع الاول الوحدانية فى الذات والمراد بها انتفاء الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها الانقسام وفى الارشاد لامام الحرمين الرب تعالى واحد والواحد فى اصطلاح الموحدين الشئ الذى لا ينقسم ولو قيل الواحد هو الشئ لوقع الاكتفاء بذلك والرب تعالى موجود فرد متقدس عن قبول التبعيض

والانقسام وفي بحر الكلام للامام النسفي ومعنى الواحد الموجود الذي لابعض له ولا انقسام لذاته فان الله تعالى واحد لا من جهة العدد يدل عليه انه تعالى لوكان واحدا من جهة العدد لكان ابعاضا فامتنع ان يكون الها واحدا والنوع الثاني الوحدانية في الصفات والمراد بها انتفاء النظير له تعالى والشبيه والمثيل في كل صفة من صفاته فيمتنع ان يكون له تعالى علوم وقدرات وارادات متعددة متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات والمرادات بل علمه تعالى واحد ومعلوماته كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وارادته واحدة ومراداته كثيرة وعلى هذا جميع صفاته وكذلك يمتنع ان يكون لغيره تعالى صفة من صفاته تعالى اومثل صفة من صفاته تعالى او يتصف تعالى بصفة من صفات خلقه سبحانه اومثل صفة من صفات خلقه سبحانه والنوع الثالث الوحدانية في الاسماء والمراد بذلك امتناع المشابه والمماثل له تعالى في كل اسم تسمى به سبحانه من حيث هو مسمى به وان جاز اطلاق بعض اسمائه تعالى على غيره من خلقه والفرق بين الاسم والصفة ان الصفة تتقدم على الاسم فالصفة اسم غير ظاهر فاذا ظهر اطلق عليه الاسم فان الرحمة كانت سابقة على الاسم الرحمن فلما رحم تسمى رحمانا والنوع الرابع الوحدانية في الافعال وذلك وجوب انفراده تعالى باختراع جميع الكائنات عموما وامتناع امتناد التأثير لغيره تعالى في شئ من الممكنات اصلا فكل ذات من ذوات المخلوقات وكل صفة وكل اسم وكل فعل وكل حكم حادث جميع ذلك مخلوق لله تعالى وحده لايشاركه في شئ من ذلك مشارك اصلا لا طبيعة ولا كوكب ولا قوة ولا سبب مطلقا والنوع الخامس الوحدانية في الاحكام كما قال تعالى * والله يحكم لا معقب لحكمه * والحكم هو الامر والنهي وهو واحد ولكنه كثير بالمتعلقات من احوال المكلفين وحكمه قديم ولكنه تبين في الخلق لاحدث وهو الذي انزل الكتب وشرع الشرايع وبعث النبيين يبلغون عنه قوله ويحكمون بحكمه فالاحكام كلها راجعة الى قوله الحق ومستندة الى خبره الصدق وهو الذي ينفذها على يدي من شاء من خلقه في الدنيا وينفذها في الآخرة من غير واسطة وهو الذي حكم بسعادة من يسره لطاعته وحكم بشقاوة من يسره لعداوته ومخالفته وهو الذي حكم بترتيب الاسباب وتوجيهها الى المسببات وبترتيب العادة وهو الذي حكم بالكفر على الكفار وبالايمان على المؤمنين وبالفسق على الفاسقين وبالنفاق على المنافقين وبالطاعة على المطيعين وبالاخلاص والتقوى على المخلصين والمتقين له الحكم واليه ترجعون ان الحكم الالله يقص الحق وهو خير الفاصلين اليس الله باحكم الحاكمين ومن احسن من الله حكما ان ربك يقضي بينهم بحكمه ومن هنا قلنا بوحدانية الحكم لوروده كذلك في هذه الآيات وان جاز اطلاق تعدده الكثرة انواعه بكثرة متعلقاته وتمام هذا الابحاث في كتابنا المطالب الوفية (لايشبهه) سبحانه وتعالى (شئ) اصلا وهو توكيد لصفة الوحدانية كما ذكرنا ثم اكد ذلك ايضا بقوله (ليس) سبحانه وتعالى (بجسم) وهو

المركب من الجزء الذى لايتجزى وادنى التركيب من جزئين فصاعدا وعند البعض لابد من ثلاثة اجزاء لتحقيق الابعاد الثلاثة اعنى الطول والعرض والعمق وفى شرح الصحايف قال اهل السنة الجسم هو متحيز قابل للقسمة فعلى هذا يكون المركب من جوهرين فردين جسما عندهم اه ومعلوم ان كل مركب حادث والله يستحيل فى حقه الحدوث فليس بجسم سبحانه (ولاعرض) ايضا بالعين المهملة والراء محركة وهو مالا قيام له بذاته والمراد ليس هو تعالى عرضا ولاصفة من صفاته تعالى ايضا عرضا ولااسم من اسمائه ولافعل من افعاله ولاحكم من احكامه لان العرض لايقوم بذاته بل يفتقر الى محل وهو الجسم يقومه اى يجعله قائما فوجود العرض فى نفسه هو وجوده فى الجسم فلو كان الله تعالى عرضا لاحتاج الى محل يقومه فكان ممكنا لاواجبا وهو محال ولان العرض يمتنع بقاؤه والالكان البقاء معنى قائما به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال لان قيام العرض بالشئ معناه ان تحيزه تابع لتحيزه والعرض لاتحيز له بذاته حتى يتحيز غيره بتبعيته وذلك محال على الله تعالى الذى يجب بقاؤه سبحانه (ولاجوهر) وهو الجزء الذى لايتجزى عند اهل السنة والجماعة وعند الحكماء الجوهر اما جرمانى مادى اوروحانى مجرد عن المادة فالجرمانى هو الجسم واجزاؤه الهيولى والصورة والروحانى العقول والنفوس المجردة والله تعالى يستحيل عليه شئ من ذلك كله اما عندنا فلان الجوهر جزء من الجسم والله تعالى متعال ان يكون جزأ واما عندهم فلان الجوهر من اقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التى اذا وجدت كانت لافى موضوع وليس الله تعالى بممكن بل هو واجب وايضا لم يرد فى الشرع اطلاق الجوهر على الله تعالى مع تبادر الفهم الى اطلاقه عند النصارى بالمعنى الذى يجب تنزيه الله تعالى عنه (ولامصور) اى ذوصورة لان ذلك من خواص الاجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات واحاطة الحدود والنهايات والصورة المنفية عنه تعالى سواء كانت فى الظاهر اوفى الذهن وكان الشيخ ابو اسحق الاسفرائنى رحمه الله تعالى يقول جميع ماقاله المتكلمون فى التوحيد قدجمعه اهل الحق فى كلمتين الاولى اعتقاد ان كل ماتصور فى الاوهام فالله تعالى بخلافه والثانية اعتقاد ان ذاته سبحانه ليست كالذوات ولامعطلة عن الصفات (ولامتناه) اى له نهاية فى زمان اومكان لان ذلك من صفات المقادير والاعداد المستحيلة عليه تعالى (ولامتجز) اى له اجزاء يسمى باعتبار تأليفه منها متركبا وباعتبار انحلاله اليها متبعضا ومتجزيا لما فى كل ذلك من الاحتياج المنافى للوجوب (ولايطعم) اى يأكل من طعمه كسمعه طعما وطعاما (ولايشرب) لما فى ذلك من الاستمداد بغيره وهو من مقتضيات الاجسام قال تعالى وهو يطعم ولايطعم *وقالوا فى قوله تعالى * الله الصمد * انه الذى لايحتاج الى الطعام والشراب وقال البيضاوى انه السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذاقصد وهو

الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته * لم يلد * لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله اوليطابق قوله * ولم يولد * وذلك لانه لم يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم * ولم يكن له كفوا احد * اى ولم يكن له احد يكافيه او يماثله من صاحبة وغيرها قاله البيضاوى وفى حقائق السلمى قال ابن عطا قل هو الله احد ظهر لك منه التوحيد الله الصمد ظهر لك منه المعرفة لم يلد ظهر لك منه الايمان ولم يولد ظهر لك منه الاسلام ولم يكن له كفوا احد ظهر لك منه اليقين وقال بعضهم الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد الذى لانظير له فى ذات ولا فعل وقال ابو بكر الرازى سمعت اباعلى الروذبادى يقول وجدنا الشرك على ثمانية انواع على التنقص والتقلب والكثرة والعدد والعلة والمعلول والاشكال والاضداد فنفى عزوجل عن صفته وذاته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفى التنقص والتقلب بقوله الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفوا احد وقال ابن عطا لم يلد دليل الفردانية ولم يولد دليل الربوبية وقال جعفر جل ربنا ان تدركه الاوهام والعقول بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن وصفه غير معقول فسبحانه ان تصل الفهوم والعقول الى كيفيته كل شئ هالك الا وجهه والبقاء والابدية والسرمدية والوحدانية والمشيئة والقدرة له تبارك وتعالى قال الواسطى نفى الحقايق والاحاطة ثم اكده بقوله لم يكن له كفوا احد فلا يشار الى مالا كفوله بوجه كيف يطلق اللسان بما لا كفوله ولا مثل الا اثبات دون المباينة وكيفية الصفات (ولا يتمكن) سبحانه وتعالى اى لايحل ولا يسكن (بمكان) اى فى مكان وهو مااستقر عليه الجسم والحيز هو ماملأه الجسم فالمكان والحيز امران نسبيان من لواحق الاجسام وتوابعها حتى لو فرض ان الاجسام لم تخلق لم يخلق المكان ولا الحيز فالمكان تستقر عليه الاجسام لافيه فان كانت فيه فتلك الاحياز والله تعالى يستحيل عليه ان يكون فى مكان اى مكان كان فى السماء او الارض لان المكان لا يفتقر اليه الا الجسم والله تعالى لو افتقر الى مكان لكان جسما ويستحيل عليه تعالى ان يكون جسما فالاستواء فى قوله تعالى * الرحمن على العرش استوى * ليس معناه ان استواء الله تعالى كاستواء الاجسام لانه تعالى ليس بجسم كما تقدم بل استواء يليق به تعالى وبكمال تنزيهه عن مشابهة كل شئ قال النسفى فى بحر الكلام لان الله تعالى كان قبل ان يخلق العرش فلا يجوز ان يقال بانه انتقل الى العرش لان الانتقال من صفات المخلوقين وامارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك ولان من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو اما ان يقول انه مثل العرش او العرش مثله او العرش اكبر منه او هو اكبر من العرش واى كان فقائله كافر لانه جعل الله تعالى محدودا وعن على بن ابى طالب

رضى الله عنه انه سئل اين كان ربنا قبل ان يخلق العرش فقال اين السؤال عن المكان وكان الله تعالى ولامكان ولازمان وهو الآن كما كان وقالت الجهمية ان الله تعالى فى كل مكان * وفى شرح العمدة وقول المعتزلة وجمهور النجارية انه تعالى فى كل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل لان من يعلم مكانا لايقال انه فى ذلك المكان بالعلم (ولايجرى) اى يمر (عليه) سبحانه وتعالى (زمان) ومعنى الزمان عندنا اقتران متجدد بمتجدد آخر فالزمان نسبة بين الشيئين المتجددين متأخرة عنهما والله تعالى ليس بمتجدد بل هو قديم ازلى فليس للوجود الاول المتجدد الحادث اقتران به فلا زمان بينه وبينه وكذلك للوجود الثانى ومابعده الى مالانهاية له من الحوادث المتجددة بل هو تعالى سابق على كل شئ من الاشياء الماضية والحالة والمستقبلة سبقا واحدا لا تفاوت فيه (وليس له) تعالى (جهة من الجهات الست) التى هى فوق وتحت ويمين ويسار وقدام وخلف لانه تعالى ليس بجسم حتى تكون له جهة كما للاجسام والجهة عند المتكلمين هى نفس المكان باعتبار اضافة جسم آخر اليه ومعنى كون الجسم فى جهة كونه مضافا الى جسم آخر حتى لو انعدمت الاجسام كلها لزم من ذلك انعدام الجهات كلها لان الجهات من توابع الاجسام واضافاتها وحيث انتفى عن الله تعالى المكان والزمان انتفت الجهات كلها عنه تعالى ايضا لان جميع ذلك من لوازم الجسمية وهى مستحيلة فى حقه تعالى والاكان تعالى مشابها للحوادث (ولاهو) اى الله تعالى (فى جهة منها) اى من تلك الجهات الست لانه تعالى ليس بجسم ولايحتاج للجهات الا الجسم وذكر بعضهم ان جملة العالم ليس فى مكان ولاجهة والا انسلسل واذا كان هذا فى جملة العالم الذى هو حادث مخلوق فكيف فى الرب الخالق سبحانه وتعالى يكون له مكان اوجهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفى شرح العقائد للسعد واعلم ان ماذكره فى التنزيهات بعضها يغنى عن بعض الا انه حاول التفصيل والتوضيح فى ذلك قضاء لحق الواجب فى باب التنزيه وردّا على المشبهة والمجسمة وسائر فرق الضلال والطغيان بابلغ وجه واوكده فلم يبال بتكرير الالفاظ المترادفة والتصريح بما علم بطريق الالتزام (ولايجب) اى لايلزم (عليه) تعالى (شئ) لغيره سبحانه من ثواب اوعقاب اوفعل صلاح واصلح اوفساد اوافسد بل هو الفاعل العدل المختار ويخلق الله مايشاء ويختار وفى شرح الطوالع للاصفهانى واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه تعالى وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولايكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولاالعقاب على المعصية لانه لايجب على الله شئ وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصى ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد فى ذلك تأثير وقال السعد فى شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لاتفى

بشكر بعض ما انعم الله تعالى به عليه فكيف يتصور استحقاق عوض عليها واو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذي يقوم بمؤنته وازاحة علله والولد على خدمته لابيه الذي يربيه وعلى مراعاته وتوخي مرضاته وايضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله فى آخر الحياة وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان فى آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق وقال الاصفهانى ولا يجب عليه تعالى شئ لان الوجوب حكم والحكم لا يثبت الا بالشرع ولا حاكم على الشارع فلا يجب عليه شئ ولانه لو وجب عليه شئ فان لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق الوجوب لان الوجوب هو كون الفعل بحيث يستحق تاركه للذم وان استوجب بتركه الذم كان البارى تعالى ناقصا لذاته مستكملا بفعله فانه حينئذ يخلص بفعله من المذمة وهو محال والمعتزلة اوجبوا على الله تعالى امورا منها اللطف ومنها الثواب على الطاعات ومنها العقاب على الكبائر قبل التوبة ومنها ان يفعل الاصلح لعباده فى الدنيا ومنها ان لا يفعل القبيح عقلا وقد عرفت فساد ذلك فانه لا قبيح بالنسبة الى الله تعالى وفى شرح العقائد للسعد ثم ليت شعرى ما معنى وجوب الشئ على الله تعالى اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بناء على استلزامه محالا من سفه او جهل او عبث او بخل او نحو ذلك لانه رفض لقاعدة الاختيار وميل الى الفلسفة الظاهرة العوار وقال السنوسى رحمه الله تعالى فى شرح الجزائرية ان الذى اوقع المعتزلة فى الضلالات كايجاب الثواب وفعل الصلاح والاصلح على الله تعالى اعتمادهم فى عقائدهم على التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم افعال الله تعالى واحكامه على افعال المخلوقين واحكامهم من غير ان يكون فى ذلك جامع يقتضى التسوية فى الاحكام والذى اجمع عليه اهل الحق ان الافعال كلها مستوية بالنسبة الى تعلق قدرة الله تعالى * وارادته بها وكذا هى ايضا مستوية بالنسبة الى تعلق احكامه تعالى الشرعية بها فلا يتصف شئ منها بالحسن لذاته او صفته كما لا يتصف شئ منها بالقبح لذاته او صفته فلا يجب اذن شئ منها عقلا على الله تعالى ولا يستحيل وكذا لا مجال للعقول فى ادراك حكم شرعى لها فليس الحسن شرعا عند اهل الحق الا ما قيل فيه من جهة مولانا عز وجل افعلوه ولا القبيح شرعا الا المقول فيه من جهته لا تفعلوه وتخصيص كل واحد من الافعال بما اختص به من الاحكام لا علة له ولا غرض يبعث عليه وللشرع حكم ان نقله نتبعه فى ذلك وان سكت فلا مجال للعقول لنا فى ذلك اصلا (ولا يحل) اى يسكن (فيه) سبحانه وتعالى اى فى حضرة ذاته العلية او فى صفة من صفاته او فى اسم من اسمائه او فى فعل من افعاله او فى حكم من احكامه (حادث) من الحوادث اصلا لان جميع الحوادث كائنة

به تعالى لا بنفسها ولا بغيره سبحانه واذا كانت به كان هو فاعلا لها فلا يتصور ان يكون الفاعل محلا للمفعول والالما كان فاعلا وهو محال والحاصل انه يستحيل ان يكون الله تعالى محلا للحوادث او الحوادث محلا له او متحدة معه او متحدا معها واذا بطل الحلول فالاتحاد يبطل بالطريق الاولى لانه اذا استحال قيامه تعالى بشئ وحلوله فيه استحال اتحاده بذلك الشئ بحيث يصيران شيئا واحدا والاتحاد محال مطلقا فى القديم والحادث كما ذكره المقرى رحمه الله تعالى فى حاشيته على شرح السنوسية والحلول على ثلاثة انواع حلول النصارى وحلول اليهود وحلول الباطنية ومن الباطنية الدروز والتيامنة والنصيرية وامثالهم خذلهم الله تعالى فحلول النصارى اعتقادهم بان الاله سبحانه حال فى عيسى عليه السلام حلول الصفة فى الموصوف على تفصيل ذكرناه مفرده فى كتابنا المطالب الوفية وحلول اليهود اعتقادهم ان الاله تعالى مستقر على العرش وقد تعب واعيا من خلق السموات والارض وقريب منه اعتقاد المجسمة والمشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى جسم ويقولون انه فى السماء واما حلول الباطنية فهو كما قال المقرى رحمه الله تعالى بان الباطنية هم القائلون بان الحق سبحانه يحل فى الانسان فتنكشف له الحقائق ولا يحل فى الذات الا المعانى وهم كفار انتسبوا لاهل التصوف واخذ واذلك من شطحات لهم (حكيم) هو الذى يعلم المناسبة بين الاشياء فيضع كل شئ فى موضعه ذكره النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه وفى شرح الاسماء لليافعى رحمه الله تعالى الحكيم وصف مبالغة من الحكمة التى هى العلم فمعناه العليم او بمعنى المحكم فهو مشتق من الاحكام وهو الاتقان او بمعنى الحاكم فهو مشتق من الحكم الذى هو المنع (لا يفعل شيئا) فى الحس او فى العقل فى الدنيا وفى الآخرة (الا بحكمة) وهى كما قال اليافعى ترجع الى العلم بالاسرار والاحكام والى الاتقان للصنع والاحكام والى الحكم الحق لنافذ على الانام وفى القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم والقرآن واحكمه اتقنه ومنعه عن الفساد (وفائدة) اى عاقبة حميدة ترجع الى عباده لانه الغنى عن العالمين (فعال) صيغة مبالغة اى كثير الفعل (لما يشاء) سبحانه بعباده من خير اوشر اونفع اوضر وقال البيضاوى فى قوله تعالى *فعال لما يريد* لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره (بلا ايجاب) لشئ من الافعال عليه تعالى بل كل ذلك جائز فى حقه اذلا معنى للايجاب كما قدمناه (منزه) سبحانه وتعالى ازلا وابدا من التنزه وهو التباعد والاسم النزهة بالضم ونزه الرجل ككرم وضرب تباعد عن كل مكروه فهو نزيه واستعمال التنزه فى الخروج الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح كذا فى القاموس ويمكن ان يكون له وجه بانهم كنوا به عن ذلك ومرادهم التباعد عن الهموم والاحزان بسبب رؤية ذلك وتفريج الضيق عنهم او باعتبار قصدهم المكان البعيد فانه انزه عند النفوس من القريب فسمى تنزها لانه تبعد عن الوطن (عن صفات

النقصان) التي توجب انحطاطا في مراتب الالوهية كالجهل والعجز والصمم والعمى ونحو ذلك (كلها) ماعلم منها ومالم يعلم (متصف) جل وعلا ازلا وابدا (بصفات الكمال) الواجبة له تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها (كلها) على حسب ماورد في الكتاب والسنة (وليس له) سبحانه وتعالى (كمال متوقع) بصيغة اسم المفعول اى منتظر وقوعه وحصوله يعني كمالا حادثا لانه تعالى قديم ولايوصف القديم بحادث والاكان تعالى حادثا ليمائل مااتصف به وهو محال (قديم) واختلفوا في معنى القدم فقيل هو صفة سلبية معناه سلب العدم السابق على الوجود يعني لم يسبق وجوده تعالى عدم اصلا وهذا هو القدم المخصوص بالالوهية واما القدم الزماني فهو مرور الازمنة على الشئ مع بقائه فيها كالعرجون القديم وقيل هو من الصفات النفسية ورد بانه لوكان كذلك لماعرى عنه موجود اذالصفة النفسية مالاتعقل الذات بدونها فيلزم ان لاتعقل ذات شئ اصلا بدونها واللازم باطل فكذا الملزوم لان ذوات الحوادث معقولة وليست بقديمة وقيل هو صفة معنى ثبوتي موجود زائد على الذات كالقدرة والارادة ورد بانه يلزم عليه التسلسل باتصاف القدم بقدم وهلم جرا وقيام المعنى بالمعنى والراجح الاول (ازلي) منسوب الى الازل وهو بالتحريك القدم وهو ازلى اواصله يزلى منسوب الى لم يزل ثم ابدلت الياء الفا للخفة كما قالوا في الرمح المنسوب الى ذى يزن ازنى كذا في القاموس ومعنى الازل عند المحققين حضرة الله تعالى التى هو موجود فيها حيث لا ماضي ولامستقبل ولاحال بالنسبة اليها ولامكان ولاجهة فكما ان شيئا من الحوادث لايمكن ان يوجد فيها لايمكن ان يوجد هو سبحانه وتعالى في الزمان اوالمكان اوالجهة فالزمان والمكان والجهة حضرة المخلوق وحده والازل حضرة الله تعالى وحده فليس الله تعالى موجودا في حضرتنا بل في حضرته الخاصة به وهي الازل وليس شئ منا موجودا في حضرته تعالى التى هي الازل بل جميع الحوادث موجودة في حضرتها الخاصة بها التى هي الزمان والمكان والجهة وفي زبدة الحقائق لعين قضاة الهمداني قدس الله سره من ظن ان الازلية شئ ماض فقد اخطأ خطأ فاحشا فحيث الازلية فلاماضي ولا مستقبل وهي محيطة بالزمن المستقبل كاحاطتها بالزمن الماضي من غير فرق فليس زمن آدم عليه السلام اقرب بالازلية من زماننا هذا بل نسبة الازمنة كلها الى الازلية واحدة ولعل نسبة الازلية الى الازمنة كنسبة العلوم مثلا الى الامكنة اذلاتوصف العلوم بكونها قريبة من مكان او بعيدة من مكان بل نسبتها واحدة الى كل مكان فهي مع كل مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان وكذلك ينبغي ان يعتقد نسبة الازلية الى كل زمان فانها مع كل زمان وفي كل زمن ومع ذلك فانها محيطة بكل زمن وسابقة الوجود على كل زمان ولايسعها زمن كما لا يسع العلم مكان فاذا فهمت هذه المعاني فاعلم انه لامغايرة بين الازلية والابدية في المعنى اصلا

بل اذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبته الى الماضى من الازمنة استعير له لفظة الازلية وان اعتبر وجوده مع نسبته الى المستقبل من الازمنة استعير له لفظة الابدية اه وهذا الكلام فى اعلى طبقات التحقيق ولا يشعر به الا اهل العناية والتوفيق (ابدى) اى منسوب الى الابد محركة وهو الدهر وجمعه اباد وابود والدائم والقديم الازلى كذا فى القاموس و يرادف ذلك الباقى من البقاء واختلف فيه كالقدم ايضا فقيل صفة سلبية ومعناه امتناع لحوق العدم لوجوده تعالى وقيل صفة نفسية وقيل صفة معنى ثبوتية وهما مردودان بما مر فى القدم (له) سبحانه وتعالى (صفات) جمع صفة اصلها وصف فحذفت الواو وعوض منها التاء ثم جمعت هذا الجمع والوصف يجمع على اوصاف وصفاته تعالى على اقسام صفات ذات وصفات افعال وصفات نفسية وصفات سلبية وصفات معانى وصفات معنوية وكلها (قديمة) ازلية يستحيل حدوث شئ منها مع قيامه بذات الله تعالى ولا انفكاك لها عن ذاته تعالى اصلا فيستحيل حدوثها وزعمت الكرامية انه له تعالى صفات حادثة وهو محال (قائمة) اى موجودة ثابته (بذاته) سبحانه ضرورة انه لا معنى لصفة الشئ الا ما يقوم به لا كما زعمت المعتزلة انه تعالى متكلم بكلام قائم بغيره تعالى وله ارادات حادثة لا فى محل (لا) تلك الصفات (هو) سبحانه وتعالى يعنى عين ذاته (ولا غيره) اى غير ذاته تعالى فلا يلزم قدم الغير ولا تكثر القدماء ورفع النقيضين فى الحقيقة جمع بينهما فهى عين الذات وغير الذات ومعناه كما قال عين القضاه الهمدانى فى زبدة الحقايق الصفات عين الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى يلى الذات وعلى هذا لا يكون فيها تغاير البتة اصلا وهى غير الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى يلى انقسام الوجود الى الاقسام المتعددة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة ولهذا مثال واضح فان العشرة لها فى ذاتها معنى مفهوم وذلك المعنى واحد لا ينقسم و يدل عليه لفظ العشرة فاما اذا اعتبر منها نسبة الى الخمسة دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى العشرين دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى الثلاثين دل عليها بلفظ الثلث وهكذا يمكن ان يدل عليها بالفاظ اخر عند اختلاف نسبتها الى اعداد اخر و هذه الصفات التى وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة من وجه وكثيرة من وجه فاذا اعتبر منها الوجه الذى يلى ذات العشرة لم يوجد فيها تعدد واذا اعتبر منها الوجه الذى يلى اقسام الاعداد التى نسبت العشرة اليها تعددت باعتبار تلك النسب لتعدد اعداد نسبت اليها فكذلك ذات واجب الوجود الحق يلزمها الوحدة وكيف لا يلزمها الوحدة والاحديه التى هى اخص من الوحدة لازمة لها اذ لا يمكن ان يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها فاذا نظرت عين الذات الواجبة الى نفسها صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من الوجوه ولكن لكثرة

نسب تلك الذات الى الموجودات الاخر التى استحقت الوجود من تلك الذات احتيج الى تغيير العبارات عنها حتى تتأدى حقائق تلك النسب بواسطتها الى الافهام واعلم بان الصفات التى هى لاعين الذات ولاغيرها انما هى الصفات الذاتية الثبوتية والصفات المعنوية وصفات الافعال عندنا واما الصفات السلبية كليس بمركب فانها غير الذات قطعا واما الصفات النفسية كالوجود فهى عين الذات قطعا كما اوضحنا فى المطالب الوفية (هى) اى الصفات يعنى صفات المعانى المذكورة انها لاهو ولا غيره ثمانية الاولى (الحياة) وهى صفة لله تعالى ازلية توجب صحة العلم قاله السعد وهو معنى قول السنوسى الحياة صفة تصحح لمن قامت به ان يتصف بالادراك والحياة لاتتعلق بشئ اى لاتقتضى امرا زائدا على قيامها بذات الحق تعالى (و) الثانية (العلم) وهى صفة تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها سواء كانت المعلومات موجودة او معدومة محالة كانت او ممكنة قديمة كانت او حادثه متناهية كانت او غير متناهية جزئية كانت او كلية و بالجملة جميع ما يمكن ان يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى لايقال يلزم على هذا التعريف الدور لان المعلومات مشتقة من العلم وقد اخذت فى تعريفه فيتوقف كل منهما على الآخر لانا نقول يمكن دفعه بان المراد بالمعلوم ما يمكن ان يتعلق به العلم الازلى القديم أو بان المراد بالمعلومات المدركات وهى انما تتوقف على العلم بمعنى الادراك لابمعنى الصفة الازلية القائمة بالذات العلية كما هنا اوهو تعريف لفظى فان قلت ذكر الانكشاف مشعر بسبق الخفاء وهو محال عليه تعالى قلت غايته انه تسامح مع ظهور المراد فهو كناية عن احاطة الذات القائمة بها تلك الصفة بسائر المدركات كما تسامح فى توقيت التعلق بقوله عند الى اخره ذكره اللاقانى فى شرح جوهرته وليس علم الله تعالى مستفادا بالاكتساب ولابالضرورة قال المقرى فى حاشيته على شرح السنوسية ويمتنع كون علم الله تعالى بالاعتقاد او النظر اوكونه كسبيا اوضروريا او بديهيا او يقينيا لان اليقينى كما قال البيضاوى افتقار العلم لما ينفى عنه الشبهة نظراً واستدلالاً ولذا لايوصف به العلم القديم اه وكذلك يمتنع فى علمه تعالى ان يكون تصورا او تصديقا لانه قديم والتصور والتصديق عرضان حادثان ينقسم اليهما علمنا الحادث فيستحيل ان ينقسم ايضا اليهما او الى احدهما علمه القديم وهو يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات الواجبة والممكنة والمستحيلة ومع ذلك لاتعدد فيه ولاتكثر وتمام هذا مبسوط فى كتابنا المطالب الوفية (و) الثالثة (القدرة) وهى صفة تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها يعنى ان الذات الازلية القائمة بها صفة القدرة القديمة تؤثر فى الممكنات ايجادا واعداما على وفق ما تعلقت به ارادتها واعلم ان تعلق الارادة على وفق تعلق العلم وتعلق القدرة على وفق تعلق الارادة ذكره اللاقانى ونقل المقرى عن القرافى فى شرح الاربعين ان معنى ايجاد القدرة انها بمنزلة القلم للكاتب والموجد

فى الحقيقة هو الذات وهذا على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الاعلى اه والقدرة انما تتعلق بالممكن الذى يقبل الوجود والعدم قبولا على السواء بحيث لايلزم من وجوده نقصان صانعه ولا كماله ولايلزم من عدمه ايضا نقصان صانعه ولا كماله وهذا معنى الممكن ويسمى الجائز ولاتتعلق القدرة بالواجب وهو ما يلزم من وجوده كمال الحق تعالى ولا بالمستحيل وهو مايلزم من وجوده نقصان الحق سبحانه وفصلنا هذا المبحث وغالب مباحث هذا الفصل فى المطالب الوفية (و) الرابعة (السمع) وهو صفة ازلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولاعلى طريق تأثر حاسة ووصول هواء ذكره اللاقانى (و) الخامسة (البصر) وعرفه اللاقانى ايضا بانه صفة ازلية تتعلق بالمبصرات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لاعلى سبيل التخيل والتوهم ولاعلى طريق تأثير حاسة ووصول شعاع وقال السنوسى فى شرح الجزائرية والجمهور من اهل الحق يقولون بان السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم مباينتان له بالحقيقة وان كانا متشاركين فى انهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشئ على ماهو به وهذا احد قولى الشيخ ابى الحسن الاشعرى والقول الثانى على مانقله عنه ابن التلمسانى فى شرح المعالم انهما من جنس العلم الا انهما لايتعلقان الا بالوجود والعلم يتعلق بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد وقال اللاقانى ليس سمعه تعالى خاصا بالاصوات بل يعم سائر الموجودات ذوات كانت اوصفات فيسمع ذاته العلية وجميع صفاته الازلية كما يسمع ذواتنا وما قام بنا من صفاتنا كعلومنا والواننا وهكذا بصره سبحانه لايختص بالالوان ولا بالاشكال والاكوان فحكمه حكم السمع سوا بسواء فمتعلقهما واحد اه يعنى متعلقهما الموجودات فقط سواء كانت قديمة اوحادثة ولايتعلقان بالمعدومات وكل موجود من الممكنات مقدر بزمان يوجد فيه سواء كان الزمان ماضيا اومستقبلا اوحالا ذلك الممكن موجود فى زمانه المقدر وجوده فيه بالنسبة الى الله تعالى المنزه عن التقيد بالزمان وان كان ذلك الممكن معدوما بالنظر الينا اما لمضيه اولاستقباله بسبب تقيدنا نحن بالزمان الذى وجدنا فيه فيكون المراد بتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات تعلقهما بالموجودات التى هى موجودات بالنظر الى صاحب السمع والبصر لابالموجودات بالنظر الينا ولايشترط فى سمعه وبصره سبحانه ان تكون الاشياء موجودة بالنظر الينا واما المعدومات التى ما ارادها الله تعالى ولاتعلقت القدرة بايجادها فى ازمنتها المقدرة لها ولاكشف عنها العلم موجودة فى تلك الازمنة فلا يتعلق بها السمع والبصر وكذلك المستحيلات بخلاف العلم فانه يتعلق بالموجود والمعدوم وقد حققنا هذا المبحث فى المطالب الوفية بمايفى بالامنية (و) السادسة (الارادة) وهى صفة قديمة تقتضى تخصيص المكونات بوجه دون وجه

فى وقت دون وقت وقال السنوسى هى صفة تؤثر فى اختصاص احد طرفى الممكن
من وجود وعدم وطول وقصر ونحوهما بالوقوع بدلا عن مقابله فصار تأثير القدرة
فرع تأثير الارادة اذ لا يوجد مولانا عز وجل من الممكنات او يعدم بقدرته الا ما اراد
تعالى وجوده او عدمه وتأثير الارادة عند اهل الحق على وفق العلم فكل ما علم تعالى
انه يكون من الممكنات او لا يكون فذلك مراده عز وجل اه والارادة تتعلق بما تتعلق به
القدرة من الممكنات فقط دون الواجبات والمستحيلات كما مر (و) السابعة (التكوين)
وهو المعنى الذى يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد والاحداث والاختراع ونحو
ذلك ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود قاله السعد فى شرح العقائد وفى شرحه
للمقاصد اسند القول بالتكوين الى الشيخ ابى منصور الماتريدى واتباعه وهم ينسبونه
الى قدمائهم الذين كانوا قبل الشيخ ابى الحسن الاشعرى حتى قالوا ان قول ابى حنيفة
والطحاوى له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق اشارة الى هذا ثم اطبقوا على
اثبات ازلية التكوين ومغايرته للقدرة وكونه غير المكون وان ازليته لا تستلزم ازلية المكونات
اه وقد حققناه فى المطالب الوفية (و) الثامنة (الكلام) وهو صفة ازلية قائمة بذاته
تعالى منافية للسكوت الذى هو ترك التكلم مع القدرة عليه والآفة التى هى عدم
مطاوعة الآلة اما بحسب الفطرة كما فى الخرس او بحسب ضعفها وعدم بلوغها
حد القوة كما فى الطفولية ولا خلاف لارباب الملل والمذاهب فى كون البارى تعالى
متكلما وانما الخلاف فى معنى كلامه وقدمه وحدوثه فعندنا كلامه مامر وخالفنا
فى ذلك جميع الفرق وزعموا انه لا معنى للكلام الا المنتظم من الحروف المسموعة الدالة
على المعنى المقصود وان الكلام النفسى غير معقول لهم ذكره اللاقانى وقال السعد
فى شرح العقائد كلام الله صفة واحدة متكثرة الى الامر والنهى والخبر باختلاف
التعلقات كالعلم والقدرة وسائر الصفات فان كلا منها واحدة قديمة والتكثر والحدوث
انما هو فى التعلقات والاضافات لما ان ذلك اليق بكمال التوحيد ولانه لا دليل على
تكثر كل منها فى نفسها (الذى ليس) هو (من جنس الحروف) اللفظية والرقمية
(والاصوات) لانها اعراض حادثة وكلامه تعالى قديم فهو منزه عنها ونقل
المقرى عن ابن مرزوق انه قال فى بعض اجوبته القرآن يطلق ويراد به القراءة وهى
الحروف والاصوات ويطلق ويراد به المقروء وهو كلام الله الذى هو معنى قائم بذاته
تعالى وهذا قديم والاول حادث وقال امام الحرمين فى الارشاد القراءة عند اهل
الحق اصوات القراء ونغماتهم وهى اكسابهم التى يؤمرون بها فى حال القراءة ايجابا
فى بعض العبادات وندبا فى كثير من الاوقات ويزجرون عنها اذا اجنبوا ويثابون
عليها ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه المسلمون ونطقت به الآثار ودل
عليه المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو من اكساب العباد

ويستحيل ارتباط التكليف والترغيب والتعنيف بصفة ازلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات والقراءة هي التي تستطاب من قارئ وتستبشع من اخر وهي الملحونة والقويمة المستقيمة وتتنزه على كل ماذكرناه الصفة القديمة ولا يخطر لمن لازم الانصاف ان الاصوات التي يمجها حلقه وتنتفخ على مستقر العادة منها اوداجه وتقع على حسب الايثار والاختيار محرفا وقويما وجهوريا وزخيما ليس كلام الله تعالى فهذا القول في القراءة واما المقروء بالقراءة فهو المفهوم منها المعلوم وهو الكلام القديم الذي تدل عليه العبارات وليس منها ثم المقروء لايحل القارى ولايقوم به وسبيل القراءة والمقروء كسبيل الذاكر والمذكور فالذكر يرجع الى اقوال الذاكر والرب المذكور والمسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد والعرب صنفت انواع الدلالات على المدلولات بالعبارات فسمت انباء الشعرا نشادا والانباء عن الغائبات التي ليست من قبيل الكلام ذكرا وسمت الدلالة على كلام الله تعالى بالاصوات قراءة وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وليس حالا بمصحف ولا قائما بقلب والكتابة قديعبربها عن حركات الكاتب وقديعبربها عن الاحرف المرسومة والاسطر المرقومة وكلها حوادث ومدلول الخطوط والمفهوم منها كلام الله تعالى وهذا بمثابة اطلاق القول بان الله تعالى مكتوب في المصاحف وليس المعنى بذلك اتصاله بالاجسام وقيامه بالاجرام (والقرآن) العظيم (كلام الله) تعالى (غير مخلوق) ولم يقل القرآن غير مخلوق بلا قوله كلام الله لئلايسبق الى الفهم ان المؤلف من الحروف والاصوات قديم كماذهب اليه الحنابلة وقرأت بخط بعض المتأخرين نقلا من كتاب السنة للامام ابي عبدالرحمن عبدالله بن الامام احمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه قال عبدالله سمعت ابي يقول من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لان القرآن من صفة الله وفيه اسماء الله وحدثني ابي حدثنا شريح بن النعمان اخبرني عبد الله بن نافع قال كان مالك بن انس يقول من قال القرآن مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب واخرج عن عبدالله بن المبارك من قال القرآن مخلوق فهو زنديق واخرج عن سفيان بن عيينة القرآن كلام الله من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر اه وحدثني محمد بن ابراهيم الدرقي حدثني يحيى بن يوسف قال حضرت عبدالله بن ادريس فقال له رجل يا ابامحمد ان قبلنا اناس يقولون القرآن مخلوق فقال من اليهود قال لاقال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوس قال لاقال فممن قال من الموحدين قال كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم ان الله مخلوق ومن زعم ان الله مخلوق فقد كفر هؤلاء زنادقة واخرج عن وكيع بن الجراح من زعم ان القرآن مخلوق فقد زعم انه محدث فيستتاب فان تاب والاضربت عنقه وعنه من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن يزيد ابن هارون انه حلف والله الذي لااله الاهو الرحمن الرحيم عالم الغيب والشهادة

من قال القرآن مخلوق فهو زنديق واخرج عن معاذ بن معاذ من قال القرآن مخلوق فهو كافر وعن شبابة بن سوار وعبد العزيز بن ابان القرشي قال القرآن كلام الله ومن زعم انه مخلوق فهو كافر وعن ابن ابي مريم من زعم ان القرآن مخلوق فهو كافر وعن يحيي بن معين من قال القرآن مخلوق فهو كافر اه وذكر ابن الكمال في بعض رسائله ان اباحنيفة وابا يوسف رضي الله عنهما تناظرا ستة اشهر ثم استقر رأيهما على ان من قال بخلق القرآن فهو كافر وقد ذكر في الاصول ان قول ابي حنيفة ان القائل بخلق القرآن كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة فهو دليل على ان القائل به مبتدع ضال لا كافر (ورؤية الله تعالى) في اليقظة (بالابصار) جمع بصر وهو حس العين ومن القلب نظره وخاطره كذا في القاموس والمراد الاول لانه موضع الخلاف بين اهل السنة وغيرهم (جائزة في العقل) على معنى ان العقل اذا خلا ونفسه لم يحكم بامتناع ان تتعلق به تعالى رؤية الرائي اذ لم يرده برهان عن ذلك وهذا لا ينافي وجوب الرؤية سمعا لورود الكتاب والسنة بها وانعقاد الاجماع قبل ظهور المخالفين عليها قاله اللاقاني وفي شرح المقاصد للسعد ذهب اهل السنة الى ان الله تعالى يجوز ان يرى وان المؤمنين في الجنة يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان وخالفهم في ذلك جميع الفرق فان المشبهة والكرامية انما يقولون برؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم جسما تعالى عن ذلك ولا نزاع للمخالف في جواز الانكشاف التام العلمي ولا لنا في امتناع ارتسام صورة من المرئي في العين واتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي اوحالة ادراكية تستلزم ذلك وانما محل النزاع انا اذا عرفنا الشمس مثلا بحد اورسم كان نوعا من المعرفة ثم اذا ابصرناها وغمضنا العين كان نوعا آخر فوق الاول ثم اذا فتحنا العين حصل نوع آخر من الادراك فوق الاولين نسميه الرؤية ولا يتعلق في الدنيا الا بما هو في جهة ومكان فمثل هذه الحالة الادراكية هل تصح ان تقع بدون المقابلة والجهة وان تتعلق بذات الله تعالى منزها عن الجهة والمكان ولم يقتصر الاصحاب على ادلة الوقوع مع انها تفيد الامكان ايضا لانها سمعيات ربما يدفعها الخصم بمنع امكان المطلوب فاحتاجوا الى بيان الامكان اولا والوقوع ثانيا ولم يكتفوا بما يقال الاصل في الشئ سيما فيما ورد به الشرع هو الامكان ما لم تدفع عنه الضرورة اوالبرهان فمن ادعى الامتناع فعليه البيان لان هذا انما يحسن في مقام النظر والاستدلال دون المناظرة والاحتجاج وفي شرح الصحائف اتفق اهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزها عن المسامتة والمحاذات والجهة والمكان خلافا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية وان جوزوا رؤية الله تعالى لكنهم انما جوزوا لاعتقاد كونه تعالى جسما حاصلا في الجهة واما بتقدير كونه تعالى منزها عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته فالرؤية المجردة عن الجسمية والمكان انما ذهب اليها اهل السنة فقط والمسامتة هي ان يكون المرئي مقابلا للعين بحيث لو اخرج خط مستقيم من الحدقة قائما على سطحها

لم على المرئى والمحاذاة اعم من ذلك وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في اثباته والغاية فيه بيان الجواز وتقرير قول الصادق وببيان الجواز يبطل قول المنكرين لانهم يحيلونها وبيان جواز الرؤية على الوجه المعقول ان المشاهدة هي ادراك عين الحاضر وان الله تعالى كامل العلم لا يعزب عنه شئ ويدرك عين الاشياء لان عدم هذا النوع من الادراك نقص محال فحينئذ يدرك عين ذاته الموجودة في الخارج فتكون عين ذاته الموجودة مشاهدة له فجاز على ذاته الموجودة المعينة ان تكون مشاهدة فعلم ان ذاته الموجودة المنزهة عن الجسمية والجهة قابلة للمشاهدة والقابلية لا تختلف بالقياس الى الاشياء لانها ذاتية ونسبة الذات في اقتضاء القابلية الى جميع الابصار واحدة فتكون قابلة بالنسبة الى ابصارنا والتفاوت لو كان فانما يكون من جهة الرائي بان لا يكون قويا على مشاهدته واعيننا رائية للاشياء الممكنة للرؤية فتكون قوية على ذلك او بعد خلق تلك القوة في اعيننا والمؤمنون في الخلد روحانيون كالملائكة فعلم انما جاز ان نرى الله تعالى اذا تجلى من غير اين وجهة ومسامتة وهذا هو الوجه المعقول في بيان جواز رؤية الله تعالى وههنا وجه آخر منقول عن امير المؤمنين على رضي الله عنه واولاده عليهم الرضوان ان لارواحنا ادراكا آخر ندرك به الاشياء باعيانها بدون توسط الحاسة اذا تجردت الروح بالارتياض والاعراض عن الاغراض البدنية الحيوانية واللذات الشهوانية وكذا هذا تواتر من مرتاضي الملل المختلفة في الاوقات المتغايرة انا قد ندرك بعد التصفية والتجريد الاشياء البعيدة مع حيلولة الجبال الشاهقة والتلال العائقة ونسمع كلامهم وقد امتحن ما اخبروا فقد اصابوا ومثل هذا التواتر يفيد اليقين وانما الارتياب في التواتر الذي صدر من امة واحدة او وقت واحد وهذا مما اتفق عليه العقلاء وايده قوله عليه السلام حكاية عن المعراج رأيت ربي بقلبي مرتين نص على الرؤية وخص بمرتين فخرج الكشف والعرفان فلعل هذا هو الوجه في هذا المطلوب وفي طريق سماع الكلام بالوحي والالهام وهذا الادراك لا يمنع ان تكون العين مع ذلك طامحة وان لم يكن لها مدخل في هذه الرؤية فيصدق انا نراه باعيننا على ان الباء بمعنى مع وحينئذ سقطت شبهة المعتزلة واستعجابهم من رؤية ما لا يكون في جهة لان هذا انما يستبعد في الرؤية التي بسبب العين اذ لابد حينئذ من المقابلة وغيرها من الشرائط واما اذا سقطت العين عن درجة الاعتبار في السببية وكان السبب شيئا آخر غير محتاج اليها والعين مصاحبة له فمعلوم ان امثال هذه الشرائط في حيز الاسقاط وهذا سر هذا الموضع واما رؤية الله تعالى في المنام فقد حكى القول بها عن كثير من السلف وفي شرح الشيبانية لابن قاضي عجلون وقد وقع الخلاف في رؤية الله تعالى في المنام فمنهم من منعه لكن معظم المثبتين للرؤية على جوازه من غير كيفية وجهة وحكى كثير من السلف انهم رأوه عز وجل كذلك (واجبة بالنقل) وهو الكتاب

والسنة واجماع الامة من السلف الصالحين والخلف المتقين الى يوم الدين (فى الدار الآخرة) وهى غير الدار الدنيا فيشمل ذلك ما بعد الموت الى ما لا نهاية له ومواطن الآخرة ثلاثة عالم القبر وعالم الحشر وعالم القرار فى جنة او نار والثلاثة بعد الموت وقد ورد فى الحديث قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا فالموت غاية لنفى الرؤية فى الدنيا فاذا وجد الموت انتهى نفى الرؤية الممنوعة فى الدنيا ومضى حكم الدنيا واتى حكم الآخرة فمن الموتى من ينعم الله عليه بالرؤيه عند موته ومنهم فى عالم البرزخ ومنهم من لا يرى ربه الى يوم القيامة فى الموقف ومنهم من يراه بعد دخول الجنة ومنهم من لا يراه ابدا كأهل الكفر على ما سنذكره (فيرى) بالبناء للمفعول اى يراه المؤمنون (لا فى مكان) لانه تعالى ليس له مكان (ولا) على اعتبار (جهة) من الجهات الست لعدم وجود الجهة فى حقه تعالى كما قدمناه (من مقابلة) بينه تعالى وبين الرائى وهو بيان لاعتبار الجهة (واتصال شعاع) يخرج من بصر الرأى فيقع عليه تعالى (وثبوت مسافة) بينه وبين الرائى لان هذا كله فى رؤية الاجسام والله تعالى ليس بجسم فليست رؤيته كرؤية الاجسام فان الرؤية تابعة للشئ على ما هو عليه فمن كان فى مكان وجهة لا يرى الا فى مكان وجهة كما هو كذلك ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة ومن لم يكن فى مكان ولا جهة وليس بجسم فرؤيته كذلك ليس فى مكان ولا جهة ولا مقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة والا لم تكن رؤية له بل لغيره وقال اللاقانى فى شرح جوهرته والمراد انه ينكشف سبحانه انكشافا تاما بحاسة البصر لكل فرد فرد من المؤمنين وهذا مجمع عليه فى الجملة وان اختلف العلماء فى بعض جزئياته وافراده وزمانه ومكانه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ان الملائكة لا ترى ربها فى الآخرة متمسكا بعموم قوله تعالى لا تدركه الابصار فانه عام خص منه مؤمنوا البشر بالنص فبقى على عمومه فيمن عداهم والحق انهم يرونه سبحانه كما نص عليه الاشعرى ووافقه البيهقى والبلقينى وجزم الجلال السيوطى بان الجن تحصل لهم الرؤية فى الموقف مع سائر الخلق قطعا وتحصل لهم فى الجنة فى وقت ما من غير قطع بذلك واما انهم يساوون الانس فى الرؤية فى كل جمعة فالظاهر خلافه وقد اختلف العلماء فى رؤية النساء الله تعالى فى الآخرة على ثلاثة مذاهب احدها لا يرينه لقصرهن فى القيام ولعدم تصريح الاحاديث برؤيتهن والثانى يرينه اخذا من عموم النصوص الواردة فى الرؤية والثالث يرينه فى الاعياد فانه تعالى يتجلى فيها تجليا عاما فيرينه فى مثل هذه الحالة دون غيرها وبه جزم السيوطى وفى المؤمنين من الامم السابقة احتمالان لابن ابى جمرة اظهرهما عنده مساواتهم فى الرؤية لمؤمنى هذه الامة واحترز بالمؤمنين عن الكفار والمنافقين فانهم لا يرون ربهم يوم القيامة لقوله تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * وقيل انهم يرونه ثم يحجبون فيكون عليهم حسرة والدليل على حصول الرؤية لاهل الجنة

من القرآن قوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * قال فى شرح الصحائف النظر اما الرؤية او تقليب الحدقة نحو المرئى طلبا لرؤيته فان كان الاول فقد حصل المطلوب وان كان الثانى تعذر ههنا حمله على ظاهره لان تقليب الحدقة انما يكون نحو المرئى الذى يكون فى الجهة فلابد من حمله على الرؤية لان النظر بسبب الرؤية واطلاق لفظ السبب وارادة المسبب من اقوى وجوه المجاز فحينئذ يكون المراد بالنظر الرؤية ولزم المطلوب وقوله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة * فسر جمهور ائمة التفسير الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية وقوله تعالى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * فاخبر تعالى انه حقر شان الكفار وخصهم بكونهم محجوبين فكان المؤمنون غير محجوبين وهو معنى الرؤية قاله اللاقانى وفى شرح المقاصد والنص من السنة قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته وقوله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة * واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية وفى حديث مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال القرطبى فى شرح هذا الحديث ومذهب اهل السنة باجمعهم ان الله تعالى ينظر اليه المؤمنون فى الآخرة بابصارهم كما نطق بذلك الكتاب واجمع عليه سلف الامة ورواه بضعة عشر من الصحابة رضى الله عنهم عن النبى صلى الله عليه وسلم ومنع ذلك فرق من المبتدعة منهم المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة (والعالم) بفتح اللام قال السعد هو ماسوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع يقال عالم الاجسام وعالم الاعراض وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك فتخرج صفات الله تعالى لانها ليست غير الذات كما انها ليست عينها (بجميع اجزائه) التى هى الجواهر الفردة والاعراض خلافا للفلاسفة فانهم اثبتوا العقول والنفوس المجردة عن المادة والهيولى (و) جميع (صفاته) من التركيب والبساطة وغير ذلك (ولو افعال العباد) المكلفين وغيرهم من الانسان وغيره فانها من اجزاء العالم ايضا (خيرها) اى الخير منها وهو ما وافق الشريعة المحمدية (وشرها) اى الشر منها وهو مالم يوافق الشريعة المحمدية وكذلك الاختيارى منها والاضطرارى (حادث) جميع ذلك على المعنى الذى يقصده اهل السنة وهو انه خارج من العدم الى الوجود بمعنى انه كان معدوما فوجد فان الفلاسفة وان اطلقوا القول بالحدوث لما سوى الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج الى الغير لا بمعنى سبق العدم عليه كما ذكره السعد (بخلق) اى ايجاد وتقدير (الله) تعالى قال فى القاموس الخلق التقدير والخالق فى صفاته تعالى المبدع للشئ المخترع على غير مثال سبق (لا خالق) لجميع ماذكر (غيره) سبحانه وتعالى ولا طبيعية ولا سبب يؤثر فى العالم اصلا (وتقديره) معطوف على بخلق الله تعالى اى

وحادث بتقدير الله تعالى ايضا ويقال له القدر بالتحريك والقدر بالسكون ايضا وهو ما يقدره الله تعالى من القضاء كذا فى الصحاح وقال السعد هو تحديد كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان ومكان وما يترتب عليه من ثواب وعقاب (وعلمه) اى وبعلمه سبحانه ايضا (وارادته) تعالى لجميع ذلك من الازل وسبق بيان العلم والارادة (وقضائه) جل وعلا لجميع ما ذكر وهو حكمه الازلى بكل ما قدره فى الازل فالتقدير يعين المحكوم به والقضاء هو الحكم بذلك المعين فهما رتبتان للوصف الواحد الالهى القديم الذى يستحيل عليه التغير والتبدل فمن جهة انه حكم على الماهيات باوصافها الخاصة بها من مقدار مخصوص وزمان ومكان ونحو ذلك مما هو مفصل فى حضرة العلم القديم الازلى يسمى قضاء ومن جهة انه تحديد وتقييد للماهيات المذكورة ببعض ما يجوز عليها مما هو ثابت لها فى حضرة العلم القديم يسمى تقديرا وقدرا (وللعباد) المكلفين بالامر والنهى (اختيارات) جمع اختيار من اختار الشئ اذا انتقاه لانهم ينتقون بنظر عقولهم ما يترجح عندهم فعله لغرض دنيوى او اخروى ولا جبر لاحد فى فعله الاختيارى اصلا وان كان الاختيار ليس موجودا فيه بالاختيار لئلا يلزم التسلسل (لافعالهم) التى كلفهم الله تعالى بها وطلب منهم الاتيان بها فى الخير والانكفاف عنها فى الشر (بها) اى بسبب تلك الاختيارات المخلوقة لله تعالى فيهم (يثابون) اى يثيبهم الله تعالى يوم القيامة على ما صدر منهم من الخير مما خلقه الله تعالى منسوبا اليهم بسبب خلق الله تعالى ارادتهم له (وعليها) اى لاجل تلك الاختيارات (يعاقبون) اى يعاقبهم الله تعالى يوم القيامة حيث صدر منهم بها افعالا من الشر خلقها تعالى لهم منسوبة اليهم بسبب خلقه ارادتهم لها وحيث ثبت ان للانسان اختيارا خلقه الله تعالى فيه فقد انتفى مذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور على فعل الخير والشر ثم ان ذلك الاختيار الذى خلقه الله تعالى فى الانسان يخلق الله تعالى عنده لا به ولا فيه ولا منه افعال الخير والشر فينسبها للانسان فيكون اختيار الانسان المخلوق فيه بمنزلة يده المخلوقة له بحيث لا تأثير لذلك فى شئ مطلقا غير مجرد قبول صحة النسبة بخلق الله تعالى فيه صحة ذلك القبول فانتفى مذهب القدرية القائلين بتأثير قدرة العبد فى الخير والشر قال امام الحرمين فى الارشاد اتفق سلف الامة قبل ظهور البدع والاهواء واضطراب الآراء على ان الخالق المبدع رب العالمين ولا خالق سواه ولا مخترع الا هو وهذا مذهب اهل الحق فالحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى ولا فرق بين ما تعلقت قدر العباد به وبين ما تفرد الرب تعالى بالاقتدار عليه ويخرج من مضمون هذا الاصل ان كل مقدور لقادر فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشئه (والحسن منها) اى من افعال العباد وهو الموافق لما اذن الله تعالى به فى الشرع (برضاء الله تعالى) اى يرضى تعالى بفعله من العبد او يرضى عن العبد فيخلق ذلك له والرضاء ترك الاعتراض وفسره

بعضهم بالارادة من غير اعتراض و يرادفه المحبة وهذا فى المحبة القديمة واما المحبة الحادثة فهى ميل النفس الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على مايقرب اليه ذكره اللاقانى وعلى هذا فيكون قوله بعده (ومحبته) تأكيدا للرضاء بمرادفه اى بمحبته تعالى لذلك النوع من الافعال اوللعبد فيخلق له ذلك النوع من الافعال قال ابن اقبرس فى فتح الصفا شرح الشفا محبة الله تعالى للخلق مؤولة قطعا وقال لانه لايكون عن ميل القلب ولا النفس ولا من رؤية الطاعة له ولا من سبب من جنس الاسباب الموجبة لمحاب الخلق بل كل صفة من اوصاف الله تعالى من العلم و القدرة والارادة وغيرها وان اتفقت فى اسماء صفات خلقه فلا يشبه حقيقتها حقيقة اوصاف الخالق حتى الوجود الذى يعم الخالق والمخلوق جميعا وذلك لان وجود الخلق عن عدم ووجود الخالق واجب لذاته ووجود كل ماسواه مستفاد منه ومن دقق النظر علم انه ليس فى الكون الا الله تعالى وافعاله منه وانه ليس فى الوجود شئ ثابت الا هو وحده لاشريك له وقرأ بعضهم على الشيخ سعيد بن ابى الخير قوله تعالى * يحبهم و يحبونه فقال الحق يحبهم لانه لايحب الا نفسه على معنى انه ليس فى الكون الا هو وماسواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه فاذا لايجاوز نفسه لان نفسه قائمة بنفسه وماسواه قائم به فهو لايحب الا نفسه اه فمحبة الله تعالى لبعض الاعمال والاشخاص محبة منه تعالى لمصنوعاته المتقنة المحكمة وجميع مصنوعاته متقنة محكمة فلا باعث حينئذ لمحبته ولا غرض له فيها اصلا بل ذلك مجرد فضل منه تعالى على ذلك المصنوع وكذلك بغضه تعالى لبعض الاعمال والاشخاص عدل منه تعالى من غير علة ولا غرض (والقبيح منها) اى من افعال العباد وهو غير الموافق للاذن الله به (ليس صادرا) من المكلفين (بهما) اى بسبب رضاء الله تعالى ومحبته بل بغضبه سبحانه وكراهته قال ابن اقبرس فى شرح الشفا اعلم ان ههنا قاعدة شريفة ينبغى ان تعلم وهى ان الاعراض النفسانية كالفرح والرحمة والسرور والحياء والمكر والخداع والاستهزاء لها اوائل وغايات فاذا وصف الله بشئ منها كان محمولا على الغايات لا على البدايات مثلا الغضب كيفية تعرض للنفس بسببها يغلى الدم وتحرك الروح الى خارج دفعا للمكروه وطلبا للانتقام فابتداؤه الدم وحركة الروح وغايته الانتقام من المغضوب عليه فهو فى حق الله تعالى محمول على ارادة الانتقام اذا طلاقه عليه بحسب الابتداء محال والحياء له اول وهو انكسار يحصل فى النفس وله غرض وهو ترك الفعل فاذا اطلق على الله تعالى حمل على ترك الفعل لا على الابتداء لانه محال عليه تعالى وعلى هذا فقس فهى قاعدة كلية وضابط لطيف فاعلمه (والثواب) يوم القيامة للمؤمنين المطيعين (فضل) اى احسان وانعام (من الله تعالى) على عباده (والعقاب) للكافرين ومن يشاء من العاصين (عدل) منه تعالى فى عباده

اى انصاف وعدم ظلم وجور (من غير ايجاب) من احد عليه تعالى شيئا من ذلك (ولاوجوب عليه) تعالى بمقتضى ربوبيته ومربوبية غيره له (سبحانه ولااستحقاق من العبد) لشئ من ذلك اصلا وذكرنا فيما تقدم انه قال الاصبهانى فى شرح الطوالع واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية عدل منه وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولايكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولاالعقاب على المعصية لانه لايجب على الله تعالى شئ وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة والعاصى ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد فى ذلك تاثير والله مخلد المؤمن الموفق للطاعات فى جنانه وفاء بوعده قال عز من قائل* ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا* ويعذب الكافر المعاند المعرض عن الحق فى نيرانه ابدا بمقتضى وعيده فى قوله تعالى * ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها ابدا* وقال السعد فى شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لاتفى بشكر بعض ما انعم الله تعالى عليه فيكف يتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذى يقوم بمؤنته وازاحة علله والولد على خدمته لابيه الذى يربيه وعلى مراعاته وتوخى مرضاته وايضا لووجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله فى آخر الحياة وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان فى آخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق كما مر (والاستطاعة) التى يوجد بها الفعل فى الخارج (مع الفعل) المأمور به او المنهى عنه او المباح اى مقارنة له لامتقدمة عليه ولا متأخرة عنه وهى حقيقة القدرة التى بها يكون الفعل لانها عرض يخلقه الله تعالى فى الحيوان يفعل بها الافعال الاختيارية والجمهور على انها شرط لاداء الفعل شرعا (وتطلق) اى الاستطاعة المذكورة (على سلامة الاسباب) التى بها حصول الامر المكلف به كاسباب العادات واسباب العبادات من حيث ماهو خارج عن ذات المكلف (و) سلامة (الآلات) التى تتأتى بها تلك الاسباب كالحواس والجوارح والاعضاء من حيث ذات المكلف والحاصل ان الاستطاعة تطلق بازاء معنيين المعنى الاول القدرة التى يوجد بسببها الفعل ويحصل فى الخارج وهى لاتتصور الا مقارنة له لانها عرض يستحيل بقاؤه فلو كانت قبله انعدمت عنده لامتناع بقاء الاعراض فيلزم ان يحصل بدونها فيلزم الجبر وهو ممتنع وان كانت بعده فكذلك ايضا فلم يبق الا المقارنة ولا يتصور ان تكون شرطا للتكليف الشرعى لانه قبل الفعل وهى مقارنة للفعل فيلزم تكليف غير المستطيع والمعنى الثانى سلامة الاسباب والآلات وهى قبل الفعل وقبل الاستطاعة

بالمعنى الاول (وصحة التكليف) بالاحكام الشرعية (تعتمد) من جهة الشارع (عليها) اى على الاستطاعة بهذا المعنى الثانى لا الاستطاعة بالمعنى الاول فلا يكلف الله تعالى احدا الا اذا كانت اسباب عاداته وعباداته مهيئة قابلة لاستعمالها والآلة سالمة قابلة للاستعانة بها سواء وجدت فيه القدرة التى يتيسر بها وجود الفعل اولم توجد (ولا يكلف) بالبنا للمفعول اى لا يكلف الله تعالى (العبد) العاقل البالغ (بما ليس فى وسعه) اى طاقته وقدرته واستطاعته والوسع هنا معناه الاستطاعة بالمعنى الثانى وهى سلامة الاسباب والآلات دونها بالمعنى الاول والمراد انه تعالى لا يكلف بالاحكام الا من تهيئت عنده اسبابها وسلمت آلاتها فهو المكلف بها وهذا معنى اقداره عليها وانتفاء الجبر عنه والعجز والقهر كما قال تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* قال السعد فى عدم تكليف العبد بما ليس فى وسعه سواء كان ممتنعا فى نفسه كجمع الضدين او ممكنا كخلق الجسم واما ما يمتنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصى فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه ثم عدم التكليف بما ليس فى الوسع متفق عليه لقوله تعالى *لا يكلف الله نفسا الا وسعها* وانما النزاع فى الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلى وجوزه الاشعرى لانه لا يقبح من الله تعالى شئ (والمقتول ميت باجله) الذى قدره الله تعالى له لان الله تعالى حكم بآجال العباد على ما علم من غير تردد قال تعالى *فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون* والاجل قد يكون قتلا اوغيره بمرض اوغيره وكل ذلك بتقدير الله تعالى ووجوب القصاص والضمان على القاتل حكم شرعى لا مدخل للعقل فيه وذلك بسبب ارتكابه المنهى عنه وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق جرى العادة (والاجل واحد) لا كما زعم الكعبى من المعتزلة ان للمقتول اجلين القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هو الموت ولا كما زعمت الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين وآجالا اخترامية بحسب الآفات والامراض وفى شرح الجزائرية للسنوسى الاجل عرفا هو منتهى زمن الحياة وسمى اجلا لانه الوقت المقدر للموت كالاوقات المقدرة لقبض الديون ونحوها فمن قتل فاجله عند اهل الحق هو ما علم الله موته فيه وهو وقت قتله واستدل اهل الحق على ذلك بان علم الله تعالى تعلق ازلا بالمعلومات على ما هى عليه فيلزم ان يكون الاجل المقدر لموت كل حى واحدا لا يمكن فيه التبدل اذ تقديره انما هو على وفق علم الله تعالى وعلمه يستحيل عليه التخلف (والحرام) وهو ما نص الله تعالى عليه اورسوله عليه السلام اواجمع المسلمون على امتناع تناوله بعينه اوجنسه اواقتضى القياس الجلى ذلك اوورد فيه حد اوتعزير اووعيد شديد غير مؤول سواء كان تحريمه لمفسدة اومضرة خفية كالزنا ومذكى المجوس اولمفسدة ومضرة واضحة كالسم والخمر فان المنتفع به اما معدن

اونبات اوحيوان وتوابعه فالمعادن باسرها حلال الاالضار منها على انه لايختص بها بل اوضر العسل بعض ارباب الامزجة الحارة حرم عليه اكله والنبات كذلك الاما ازال الحياة كالسم اوالعقل كالخمر وسائر المسكرات قال بعضهم والمخدرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب واما الحيوان فكل ماورد النص على اكله فهوحلال كالبقر والغنم والابل وكل ماورد النص على عدم اكله فهو حرام ومالانص فيه يرجع فيه الى ذوى الطباع السليمة من العرب فما استخبثوه فهو حرام ومالا فحلال كذاذكره اللاقانى فى شرح جوهرته (رزق) بالكسر فى الاصل مصدر سمى به الشئ المرزوق واما بالفتح فهو مصدر (وكل) اى كل واحد من الناس والحيوان وغيرهما (يستوفى) اى يتناول ويستعمل (رزق نفسه) الذى قدره الله تعالى له من الازل (لا) يتصور ان احدا (يأكل رزق غيره) اصلا (ولا) متصور ان يأكل (غيره رزقه) والالتغير مقدور الله تعالى ولم يجر على طبق مراده سبحانه وهومحال والحاصل ان الرزق عنداهل السنة والجماعة كل ماانتفع به الحيوان سواء كان حلالا اوحراما اوشبهة قال امام الحرمين فى الارشاد الرزق يتعلق بمرزوق تعلق النعمة بمنعم عليه والذى صح عندنا فى معنى الرزق ان كل ماانتفع به منتفع فهورزقه ولافرق بين ان يكون متعديا بانتفاعه وبين ان لايكون متعديا به ثم الرزق ينقسم الى المحظور والمباح والا فان من اغتذى بالحرام طول عمره وانصرفت انتفاعاته الى الجهات المحظورة من كل وجه يلزم ان يقال لم يدر عليه من الله رزق ومارزقه الله قط وتلك عظيمة لاينتحلها متدين (وعذاب) مبتدأ ومابعده معطوفات عليه والخبر قوله فيماسيأتى كله حق (القبر) قيد القبر جرى على الغالب اوقبر كل انسان بحسبه وقال العلماء عذاب القبر هوعذاب البرزخ اضيف الى القبر لانه الغالب والا فكل ميت اراد الله تعالى تعذيبه ناله ماارادالله به قبراولم يقبر ولو صلب اوغرق فى بحر اواكلته الدواب اوحرق حتى صار رماداوذرى فى الريح ومحله الروح والبدن باتفاق اهل السنة وكذا القول فى النعيم قاله اللاقانى (للكافرين) اى الكائن لهم كلهم (ولبعض عصاة المؤمنين) ممن مات قبل التوبة ولم يشأ الله تعالى ان يغفرله واما من شاءله المغفرة فلايعذبه كما قال تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وقال اللاقانى ولايختص عذاب القبر بكافر ولامنافق بل قديكون لعصاة المؤمنين كمالايختص بهذه الامة ايضا وقال القزوينى فى حاشية شرح العضد للجلال الدوانى فى الاستدلال على ذلك لقوله تعالى * النار يعرضون عليها الآية حيث عطف عذاب القيامة على عرض النار غدوا وعشيا اذمنه يعلم انه غيره ولما كان نزول الآية فى شان الموتى علم ان لهم عذابا غيرعذاب يوم القيامة وهوليس الاعذاب القبر هذا وانت تعلم انه يدل على عذاب القبر للكافرين دون المؤمنين لان الكلام فيهم لافى المؤمنين فتأمل وقوله

تعالى * ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * على تقدير تمامه دليل يثبت عذاب القبر في حق المؤمنين دون الكافرين اه فمجموع الآيتين يثبت بهما عذاب القبر للكافرين والمؤمنين وهو المطلوب والمراد بالاماتتين اماتة في الدنيا قبل القبر واماتة في القبر بعد السؤال وبالاحيائين احياء في الدنيا قبل الموت واحياء في القبر للسؤال وقال تعالى في قوم نوح عليه السلام * اغرقوا فادخلوا نارا * والفاء للتعقيب فادخال النار عقيب الاغراق قبل البعث فان الادخال في النار بعد البعث لا يكون عقيب الاغراق وقال النبي صلى الله عليه وسلم استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه (وتنعيم اهل الطاعة) من المؤمنين (فيه) اى القبر يعني كائن ذلك فيه (بما) اى بالوصف الذي (يعلمه الله تعالى ويريده) للعبد المؤمن كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وكما تقدم في عذاب القبر يقال في نعيمه سواء قبر العبد اولم يقبر حتى لو صلب اوغرق في بحر اواكلته الدواب اوحرق وكان مؤمنا مطيعا كان له نعيم القبر لروحه وجسده جميعا وقيل ان التنعيم والتعذيب انما هو على الروح وحده ويجوز ان يكون معه جزء من البدن (وسؤال منكر ونكير) بفتح كاف الاول وهما ضد المعروف سميا به لانهما لا يشبه خلقهما خلق آدمي ولا ملك ولا غيرهما وهما اسودان ازرقان جعلهما الله تعالى نكرة للمؤمنين ليبصره ويثبته وعذابا على غيره ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وتفصيل الكلام في سؤال القبر ذكرناه في المطالب الوفية (والبعث) وهو مشتق من بعث الشيء من مكانه اذا اثرته وهو اعادة الموتى من قبورهم كما كانوا في الدنيا ارواحا واجسادا (والوزن) وهو مساواة شيء بآخر بآلة مخصوصة قال اللقاني توزن حقائق الاعمال وذواتها بان يجعل الله سبحانه تلك الاعمال اجساما نورانية في الحسنات وظلمانية في السيئات ثم تطرح تلك الاجسام في الميزان الاولى في اليمين والثانية في الشمال وفي شرح الشيبانية للشيخ علوان الحموي ومذهب اهل السنة ان اقوال بني آدم وافعالهم توزن باعتبار ان الله تعالى يخلق من اعراضها اجراما واجساما او باعتبار الصحف المكتوبة المشتملة على الحسنات والسيئات وقيل توزن الاشخاص وفي بحر الكلام قال بعضهم يوزن العبد مع عمله (والكتاب) الذي كتبته الملائكة الحفظة على المكلف في الدنيا بجميع ما فعله وقيل الذي كتب في القبر بناء على حديث رومان الضعيف ولا ينافي هذا ان الملائكة ترفع لكل عبد في كل يوم وليلة صحيفة اما لوصلها كلها فتصير صحيفة واحدة يعني كتابا واحدا واما بنسخ ما في جميعها في واحدة كما صرح به الغزالي وقال اللقاني فان قلت دلت الآيات على ان المؤمن الطايع يأخذ كتابه بيمينه والكافر يأخذه بشماله فما حكم المؤمن الفاسق الذي مات على فسقه دون توبة قلت جزم الماوردي بان المشهور انه يأخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قائل بانه يأخذه بشماله وقال يوسف ابن عمر اختلف في عصاة المؤمنين فقيل يأخذون كتبهم بيمينهم وقيل بشمالهم واختلف

الاولون فقيل يأخذونها قبل الدخول فى النار ويكون ذلك علامة على عدم خلودهم فيها وقيل يأخذونها بعد الخروج منها ومن اهل العلم من توقف فيهم لتعارض النصوص (والسؤال) اى سؤال الله تعالى عباده المكلفين يوم القيامة وهو حسابهم وقد اختلف العلماء فى معنى كونه تعالى محاسبا عباده على ثلاثة اقوال احدها انه تعالى يعلمهم مالهم وماعليهم قال الفخر الرازى بان يخلق الله سبحانه فى قلوبهم علوما ضرورية بمقادير اعمالهم من الثواب والعقاب وثانيها ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الله يوقف عباده بين يديه ويؤتيهم كتب اعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم فيقول هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم وثالثها ان يكلم الله تعالى عباده فى شأن اعمالهم وكيفية مالها من الثواب والعقاب قال الفخر امابان يسمعوا كلامه القديم اويسمعوا صوتا يدل عليه يتولى تعالى حساب خلقه فى اذن كل واحد من المكلفين اوفى محل يقرب من اذنه بحيث لاتبلغ قوة ذلك الصوت منع الغير من سماع ماكلف به ولاشك فى صحة شهادة الآثار الصحيحة له واعلم ان كيفيات الحساب مختلفة واحواله متباينة فمنه اليسير ومنه العسير ومنه السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل (والحوض) واحد الاحواض والحياض وهو معروف من حاضت المرأة سال دمها لان الماء يسيل اليه اومن حاض الماء جمعه اشار اليه فى القاموس والمراد به هنا جسم مخصوص طوله وعرضه سواء يشعب فيه ميزابان من الجنة ذكره اللاقانى وهو حوض رسول الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يكون يوم القيامة وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال القرطبى لكل نبى حوض الاصالحا عليه السلام فان حوضه ضرع ناقته قال ولم اقف على مايدل عليه اويشهد له لكن هذا الحديث اعنى قوله عليه السلام ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة وانى ارجو ان اكون اكثرهم واردة صريح فى ان الحوض ليس من الخصائص المحمدية لكن اشتهر الاختصاص فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب من مائه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وقال السنوسى فى شرح الجزائرية ان الحوض ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة المستفيضة شاهدة بذلك وهو حوض كما وصفه صلى الله عليه وسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يصب فيه ميزابان من الكوثر عليه من الآوانى عدد نجوم السماء حافاته ورائحته المسك وحصباؤه اللؤلؤ لايظمأ من شرب منه ابدا ويزاد عنه من بدل وغير (والصراط) وهو لغة الطريق الواضح ولغاته الصاد والسين المهملتان والزاى وشرعا كما قال السنوسى فى شرح الجزائرية الصراط جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون لاطريق للجنة الا عليه وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ماوردبه الحديث الصحيح واجمع عليه اهل

السنة وفى شرح الشيبانية لابن قاضى عجلون واما الصراط فهو جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق والنبى صلى الله عليه وسلم قائم يقول يارب سلم سلم وهو ادق من الشعر واحد من السيف على ماورد فى الحديث الصحيح والناس فى جوازه متفاوتون على حسب ايمانهم واعمالهم والله تعالى يسهل الطريق على من اراد كما جاء فى الخبران منهم من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من يجر على وجهه وروى ايضا انه يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى بعض مثل الوادى الواسع (وشفاعة) وهى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سؤال الخير للغير من الشفع ضد الوتر كأن الشافع ضم سؤاله الى سؤال المشفوع له من شفع يشفع بفتح العين فيما قاله اللاقانى (الرسل) اى رسل الله عليهم الصلاة والسلام من الانبياء والملائكة ايضا فانهم رسل الله (والاخيار) جمع خير بالتشديد وهو ذو الخير وهم العلماء والاولياء والصالحون كما ورد فى الاخبار والاحاديث الصحيحة الدالة على ذلك واجمع عليه اهل السنة وعلماء النقل فعن ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه يشفع يوم القيامة ثلاث الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء وفى رواية لابى الزعرا عن عبدالله ثم يأذن الله فى الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم عيسى اوموسى الشك من ابى الزعرا الراوى عن عبدالله ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لايشفع احد من بعده فى اكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى *عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا* واخرج الترمذى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتى من يشفع للقيام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع لرجل حتى يدخلوا الجنة قال حديث حسن وفى مسند البزار عن ثابت انه سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرجل يشفع للرجلين والثلاثة وفى الشفاء عن كعب الاحبار ان لكل رجل من الصحابة شفاعة والحق ان الشفاعة العظمى اول المقام المحمود وربما يحسب من الشفعاء رب العالمين ففى الصحيح ثم ارجع الى ربى فى الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال لى يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يارب أئذن لى فيمن قال لااله الا الله قال فيقول ليس ذلك لك اوقال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى وجبريائى لاخرجن من قال لااله الا الله والمعنى لاتفضلن عليهم باخراجهم بغير شفاعة احد كما فى حديث شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاارحم الراحمين ذكره اللاقانى (لاهل الكبائر) من الذنوب (وغيرهم) قال صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وفى الاربعين فى اصول الدين للفخر الرازى قال فى الاحتجاج على ثبوت الشفاعة انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمذنبين فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والفاسق مؤمن

بدليل قوله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امر الله* سماه مؤمنا حال كونه باغيا وقال تعالى * ياايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى *سماه مؤمنا حال ماقتل النفس بغير الحق فثبت بهذا ان الله تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يستغفر للفاسق ويلزم من ذلك ان الله تعالى يقبل شفاعته عليه السلام فى الفاسق وقال تعالى فى حق الملائكة *ولا يشفعون الا لمن ارتضى* وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله لانه مرتضى بحسب ايمانه ومن صدق عليه انه مرتضى فى الصفة الفلانية صدق عليه بانه مرتضى وقال تعالى* فاتنفعهم شفاعة الشافعين* ذكر ذلك فى معرض التهديد للكفار فلو كان حال المسلم كذلك لم يبق فى هذا التهديد فرق بين الكافر والمؤمن وكان تخصيص الكافر به عبثا وقال اللاقانى فى شرح الجوهرة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات خمس احديها وهى اعظمها واعمها شفاعة فصل القضاء وهى مختصة به صلى الله عليه وسلم وثانيتها فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه ايضا خاصة به عليه السلام كما قاله القاضى عياض والنووى وتردد ابن دقيق العيد فى الاختصاص وتبعه ابن حجر قائلا لادليل عليه وثالثتها فى قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يدخلونها وهذه جزم القاضى عياض والسبكى بعدم اختصاصها به عليه السلام وتردد النووى فى ذلك ورابعتها فيمن دخل النار من المؤمنين المذنبين وهذه وقع اطباق القوم على عدم اختصاصها به عليه السلام حيث كان لهم عمل خير زائد على الايمان اذ الشفاعة فى اخراج من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان ليخرج من النار خاصة به صلى الله عليه وسلم وخامستها الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة وزاد الاسيوطى فى شرح النقاية شفاعة سادسة وهى الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فى النار كما فى حق ابى طالب وفى الصحيح انا اول شافع واول مشفع وانه ذكر عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار (والجنة) وهى الحديقة ذات النخل والشجر كذا فى القاموس وقال اللاقانى وهى لغة البستان قاله الجوهرى وقال غيره هى ماتكاثف من الشجر وظلت اغصانه والتف بعضها على بعض وتطلق على دار الثواب فى الآخرة وهى المرادة هنا بجميع انواعها وهل هى سبع جنات متجاورة اوسطها وافضلها الفردوس وهو اعلاها فوقها عرش الرحمن ومنها تتفجر انهار الجنة كما جاء به الحديث وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الخلد اوار بع ورجحه جماعة اخذا من قوله تعالى * ولمن خاف مقام ربه جنتان* ثم بعد وصفهما قال ومن دونهما جنتان* اوواحدة والاسماء والصفات كلها جارية عليها لتحقق معانيها كلها فيها خلاف فى ذلك كله (والنار) وهى جسم لطيف محرق يطلب العلو

مركزا وهي مشتقة من نار ينور اذا نفر ونار لان لها حركة واضطرابا وقد تطلق مجازا على النار المعنوية كنار الخوف ونار المحبة كما ان اطلاقها على دار العقاب الاخروى كذلك اطلاقا لاسم الحال على المحل باعتبار اللغة وقد اشتهر بين حملة الشرع اطلاقها عليها وعلى جميع طباقها السبع التى اعلاها جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم وفيها ابولهب ثم الهاوية وباب كل من داخل اخرى على استواء كما نبه عليه ابن عطيه وغيره ذكره اللاقانى (الموجودتان الآن) اى فى هذا الوقت قال امام الحرمين فى الارشاد الجنة والنار مخلوقتان اذ لا يحيل العقل خلقهما وقد شهد لذلك اى من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى * وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين * والاعداد يصرح بثبوت الشئ وتحققه وقال تعالى * ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وتواترت الاخبار فى قصة آدم عليه السلام عن الجنة وادخال آدم اياها واخراجه عنها ووعده الرد اليها وكل ذلك ثابت قطعا متلقى من فحوى الآيات والمستفيض من نقل الاثبات والثقات وقال اللاقانى وملخصه ان الجنة والنار موجودتان الآن فى عالم يعلمه الله تعالى الذى احاط بكل شئ علما وفى الحديث ان هرقل كتب الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عليه السلام سبحان الله اين الليل اذا جاء النهار وهو حديث صحيح يشهد له ما اخرجه الحاكم وصححه عن ابى هريرة قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ارأيت جنة عرضها السموات والارض فاين النار قال ارأيت الليل اذا لبس كل شئ فاين جعل النهار فقال السائل الله اعلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذلك الله يفعل ما يشاء (الباقيتان) الى ما لا نهاية له بحيث (لا تفنيان) ولا تزولان ابد الآبدين (ولا) تفنى (اهلهما) اى اهل الجنة والنار بل هم مخلدون فيهما من غير فناء ولا زوال وقال جدنا ابن جماعة المقدسى النابلسى فى شرح بدء الامالى مذهب اهل السنة ان الجنة والنار وكذا اهلهما لا يعرض لهما الفناء خلافا للجهمية وفى شرح العقائد للسعد اى دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى فى حق الفريقين * خالدين فيها ابدا * واما ما قيل من انهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * فلا ينافى البقاء بهذا المعنى وذهبت الجهمية الى انهما يفنيان ويفنى اهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع ليس عليه شبهة فضلا عن حجة ونقل اللاقانى قال القرطبى ذكر بعض من ينتمى الى العلم انه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة وانه جائز فى العقل ان ينقطع الغضب فيعكس عليه بلزوم جواز انقطاع الرحمة عمن دخل الجنة فيخرجون منها ويدخلون النار وهو خلاف نصوص الشرع قال تعالى * وما هم منها بمخرجين * عطاء غير مجذوذ

وهذا فى حق اهل الجنة وقال فى اهل النار* ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط* وبالجملة هذا قول مخالف للقرآن والسنة والاجماع من الامة (والمعراج) هو السلم والمصعد وعرج عروجا ارتقى كذا فى القاموس والمراد به مطلق الانتقال صعودا حتى يشمل الاسراء فان بيت المقدس اعلى من مكة كما قالوا (لرسول الله) محمد (صلى الله عليه وسلم فى) حال (اليقظة) محركة وهى نقيض النوم وقد يقظ ككرم وفرح يقاظة ويقظا محركة وقد استيقظ كذا فى القاموس (بشخصه) صلى الله عليه وسلم اى بصورته الجسمانية (من المسجد الحرام) الذى بمكة (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس قال ابن جميل التونسى فى التنوير مختصر التفسير الكبير والمراد بالمسجد الحرم الحرام لاحاطته بالمسجد وهو قول الاكثر وقيل من المسجد بعينه وهو الظاهر والمسجد الاقصى هو بيت المقدس وصف بالاقصى لبعده عن مكة (ثم) من المسجد الاقصى (الى السماء) اى جنسها ليشمل السموات السبع (ثم الى ماشاء الله) سبحانه (من العلى) قال شهاب المكى فى شرح همزية الابوصيرى عن بعض الائمة ان المعاريج ليلة الاسراء عشرة سبعة فى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى وفى مواهب القسطلانى وقد اختلف العلماء فى الاسراء هل هو اسراء واحد فى ليلة واحدة يقظة اومناما اواسرا آن كل واحد فى ليلة ومرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما اويقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش اوهى اربع اسرا آت ثم قال والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة فى القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغى العدول عن ذلك اذليس فى العقل ما يحيله (و) جميع (ما) اى الذى (اخبربه) النبى صلى الله عليه وسلم (من اشراط) جمع شرط بالتحريك وهو العلامة كذا فى القاموس (الساعة) وهى الوقت الذى تقوم فيه القيامة وهى ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (من خروج الدجال) من دجل كذب اومن دجل البعير طلاه بالدجيل كزبير القطران وعم جسمه لان الدجال المسيح يعم الارض اومن دجل قطع نواحى الارض سيرا اومن دجل تدجيلا غطى وطلى بالذهب لتمويهه بالباطل اومن الدجال للذهب لان الكنوز تتبعه اومن الدجال لفرند السيف اومن الدجالة للرفقة العظيمة اومن الدجال كسحاب للسرجين لانه ينجس وجه الارض ذكره فى القاموس وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال البسطامى الدجال مهدى اليهود ينتظرونه كما ينتظر المؤمنون المهدى ونقل عن كعب الاحبار انه رجل طويل عريض الصدر مطموس يدعى الربوبية معه جبل من خبز وجبل من اجناس الفواكه وارباب الملاهى جميعا يضربون بين

يديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات فلا يسمعه احد الا تبعه الا من عصمه الله قال
ومن امارات خروجه تهب ريح كريح قوم عاد ويسمعون صيحة عظيمة وذلك عند
ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكثرة الزنا وسفك الدماء وركون العلماء الى الظلمة
والتردد الى ابواب الملوك ويخرج من ناحية المشرق من قرية تسمى سرابادين ومدينة
الاهواز ومدينة اصبهان ويخرج على حمار وهو يتناول السحاب بيده ويخوض
البحر الى كعبيه و يستظل فى اذن حماره خلق كثير ويمكث فى الارض اربعين يوما
ثم تطلع الشمس يوما حمراء ويوما صفراء ويوما سوداء ثم يصل المهدى وعسكره الى الدجال
فيلقاه ويقتل من اصحابه ثلاثين الفا وينهزم الدجال ثم يهبط عيسى عليه السلام
الى الارض وهو متعمم بعمامة خضراء متقلد بسيف راكب على فرس وبيده حربة
فيأتى اليه فيطعنه بها فيقتله (و) خروج (دابة الارض) وتسمى الجساسة قال
النووى فى شرح مسلم قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال وفى تحفة الحبيب
للشيخ محمد بن الشيخ علوان الحموى ومما كتب الله ظهوره من اشراط الساعة واخبرنا
نبينا صلى الله عليه وسلم بوقوعه وخبره صدق لا مرية فيه دابة الارض وهى دابة
رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم
بعير بين كل مفصلين اثنى عشر ذراعا وقيل ان وجهها وجه رجل وسائر خلقها
كخلقة الطير ويقال بان رأسها يمس السحاب ورجلاها فى الارض يكون لها ثلاث
خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى اليمن ثم يفشو ذكرها فى البادية ولا يدخل
ذكرها مكة ثم تخرج قريبا من مكة ثم بين الناس فى المسجد الحرام واذا بها قد خرجت
ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم ثم تذهب سائحة فى الارض لا يدركها طالب
ولا يعجزها هارب ومعها خاتم سليمان وعصى موسى عليهما السلام تسم الرجل فى وجهه
فيعرف الكافر من المؤمن وقيل بانها تخرج من الصفا وتضطرب الارض لخروجها
فاول ما يبدأ منها رأسها ملمعة ذات وبر وريش ويقال بانها تخرج من شعب جياد
فاذا خرجت تكلمت بكلام عربى فصيح فقيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل
تقول قوله تعالى * ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (و) خروج (يأجوج ومأجوج)
وهما امتان مضرتان مفسدتان كافرتان من نسل يافث بن نوح وخروجهما بعد عيسى
عليه السلام والقول بانهم خلقوا من منى آدم عليه السلام المختلط بالتراب وليسوا
من حواء غريب جدا لا دليل عليه وانما يحكيه بعض اهل الكتاب وفى كتاب التيجان
ان امة منهم آمنوا فتركهم ذو القرنين لما بنى السد بارمينية فسموا لذلك الترك والديلم
ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وفى تحفة الحبيب ويقال انهم تسعة اعشار
بنى آدم واصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم

وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذوا القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لانهم تركوا خارجين وفي التواريخ ان اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فابو العرب والعجم والروم سام وابو الحبشة والزنج والنوبة حام ويافث ابو الترك والخزرج والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقيل يأجوج امة ومأجوج امة كل امة منهم اربعة آلاف امة لا يموت منهم رجل الا وينظر الف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم ثلاثة اصناف منهم مثل الارز وهو شجر معروف في الشام طوله مائة وعشرون ذراعا ومنهم من طوله وعرضه سواء مائة وعشرون ذراعا ومنهم من يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا شيء من انواع الوحوش الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه اولهم بالشام وآخرهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويقال ان منهم من هو مفرط في الطول ومنهم من طوله شبر واحد (ونزول عيسى) بن مريم (عليه السلام من السماء) التي هو فيها الآن وهي السماء الثانية على المنارة البيضاء شرقي دمشق من غير تعيين انها منارة الجامع الاموي اذ ليس في الحديث ما يدل على ذلك فيقتل الدجال ويبطل الجزية وحواريه يومئذ اصحاب الكهف والرقيم وسيحجون معه فانهم لم يحجوا ولم يموتوا ثم يقرر عيسى عليه السلام امور الشريعة المطهرة ويجدد لهذه الامة امر دينها ويصفو حال الناس فلا يموت احد ولا يمرض اربعين سنة ويقول الرجل لغنمه ولدوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين من غير ان تؤذيه ويرتفع في زمنه اذى المؤذيات من الحشرات والافاعي والسباع ويبذر الزراع مدا من القمح فيجيء منه سبعمائة مد من غير حرث ويتزوج ويولد له ويمكث في الارض خمسة واربعين سنة ويدفن في روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم (وطلوع الشمس من مغربها) فيمتنع قبول التوبة حينئذ قال العلماء ان الناس حينئذ يخلص الى قلوبهم من الفزع ما تخمد به كل شهوة وتفتر به كل قوة لتيقنهم بالقيامة كحال من حضرته الوفاة واخذ في النزع وانتهت روحه الى حلقومه ومن هذا حاله لا تقبل له توبة لانه عاين الحق ورأى مقعده من الجنة او النار فالمشاهدة لطلوع الشمس مثله وقيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم عليه السلام قال للنمرود * فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت وانقطع وانكر الملاحدة والمنجمون عن آخرهم ذلك وقالوا انه لا يمكن ولا يكون وانه لم تقم لابراهيم عليه السلام بذلك حجة على النمرود فيطلع الله سبحانه الشمس يوما من المغرب ليرى المنكرون قدرته سبحانه على ذلك وان الشمس في قبضة قهره ان شاء اطلعها من المشرق وان شاء اطلعها من المغرب ذكره اللاقاني (ونحو) اي مثل (ذلك) المذكور من باقي علامات الساعة الكبرى كرفع القرآن

من الصدور والمصاحف وهدم الكعبة والدخان والخسف الى غير ذلك مما هو مسطر في الكتب المصنفة في هذا الشان (كله) اى كل ما تقدم من قوله وعذاب القبر الى هنا (حق) اى ضد الباطل او امر مقضى او حقيقة الامر كذا في القاموس (والكبيرة) من الذنوب اذا فعلها المكلف والمراد الجنس وكذلك الكبائر الكثيرة اذا فعلها قال القرطبي في شرح مسلم وقد اختلف العلماء قديما وحديثا في الكبائر ما هي وفي الفرق بينها وبين الصغائر فروى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان الكبائر جميع ما نهى الله تعالى عنه من اول سورة النساء الى قوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * وعن الحسن انها كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقيل هي كل ما اوعد الله عليه بنار او بحد في الدنيا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انها كل ما نهى الله عنه وما اظنه صحيحا لانه مخالف لما في كتاب الله من التفرقة بين المنهيات فانه قد فرق بينها في قوله تعالى * ان تجتنبو كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * وقوله * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فجعل من المنهيات كبائر وصغائر وفرق بينهما في الحكم لما جعل تكفير السيئات في الآية مشروطا باجتناب الكبائر واستثنى اللمم من الكبائر والفواحش فكيف يخفى هذا الفرق على مثل ابن عباس رضى الله عنهما وهو حبر القرآن فتلك الرواية عن ابن عباس ضعيفة او لا تصح وكذلك اكثر ما روى عنه لقد كذب الناس عليه كثيرا انتهى كلام القرطبي ويمكن الجواب عنه بان القول بان الكبائر كل ما نهى الله عنه نظرا الى عظمة الناهى وهو الله تعالى حيث عصى عن عمد وقصد مخالفة فان كانت المعصية زلة سقط بها فاعلها لجهل او غلبة شهوة ونحو ذلك فهى اللمم المغفور مشتق من الم بالمكان اذا نزل فيه ساعة بقصد الاستراحة ثم الانتقال عنه وكذلك فعل ما نهى الله عنه اذا الم به المكلف ساعة بقصد الاقلاع والانتقال عنه بالتوبة من غير اصرار عليه فهو اللمم وهو السيئات التى قال الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه * يعنى الذنوب كلها مع الاصرار وقصد المداومة عليها والانهماك فيها نكفر عنكم سيئاتكم يعنى المامكم بها على وجه الزلة بقصد الاقلاع عنها في الحال واستقباحها فيكون الانقسام اعتباريا كما قلنا فتصح الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما بذلك ويؤيده قول امام الحرمين في الارشاد المرضى عندنا ان كل ذنب كبيرة اذ لا تراعى اقدار الذنوب حتى تضاف الى المعصى بها فرب شئ يعد صغيرة بالاضافة الى الاقران ولو صور في حق ملك لكان كبيرة تضرب بها الرقاب والرب تعالى اعظم من عصى واحق من عبد بالعبادة وكل ذنب بالاضافة الى مخالفته عظيم ولكن الذنوب وان عظمت لما ذكرناه فهى متفاوتة في رتبها فبعضها اعظم من بعض فهذا كحكمنا للانبياء عليهم السلام بالفضيلة وعلو المرتبة وبعضهم اعلى من بعض فهذا ما نرتضيه وقال اللاقانى في شرح جوهرته اختلف

السلف والخلف فى حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فعن ابن عباس رضى الله عنهما كل شئ نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا اخذ الاستاذ ابو اسحق الاسفرائنى وحكاه القاضى عياض عن المحققين احتجاجا بان كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة وقال الغزالى فى بسيطه والضابط الشامل فى حد الكبيرة انها كل معصية يقدم عليها المؤمن من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمستجرئ عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات النفس وفترات مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة وسيأتى بيان افراد الكبائر والصغائر فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (لا تخرج العبد المؤمن من الايمان) ولو كان مصرا على فعلها لبقاء التصديق الذى هو حقيقة الايمان وقال الكرمانى فى شرح البخارى واما عند الخوارج فالكبيرة موجبة للكفر وعند المعتزلة موجبة لمنزلة بين المنزلتين صاحبها لا مؤمن ولا كافر وهذا فى ارتكابها احتراز عن اعتقادها لانه لو اعتقد حل بعض المحرمات المعلومة من الدين ضرورة كالخمر كفر بلا خلاف (ولا تدخله) تلك الكبيرة اذا فعلها وكذلك الكبائر المتعددة (فى الكفر) كما قال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * الآية فسماهم مؤمنين فعلم ان صاحب الكبيرة لا يخرج عن الايمان (ولا تخلده) اى الكبيرة (فى النار) اذا ادخلها للتطهير (ولا تحبط) اى تبطل (طاعته) وقالت الرافضة والاباضية وبعض الخوارج ان المذنبين من المؤمنين يخلدون فى النار بذنوبهم وقد نطق القرآن بتكذيبهم فى مواضع منها قوله عز وجل * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * ومذهب اهل الحق على ان من مات موحدا لا يخلد فى النار وان ارتكب من الكبائر غير الشرك ما ارتكب وقد جاءت به الاحاديث الصحيحة منها قوله عليه السلام وان زنا وان سرق كذا فى شرح البخارى للعينى (والله تعالى) بمحض عدله (لا يغفر) اى لا يعفو ولا يسامح (ان يشرك به) ولو كان نبيا بدليل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والشرك اعتقاد المشاركة بينه تعالى وبين شئ فى وصف او حكم واذا ذكر مع الكفر افترق معناهما بانه اعتقاد المشاركة والكفر ستر الحق بالجحود والتكذيب وما فى معنى ذلك كالتهاون بالمحترم شرعا والاستهزاء به واما اذا ذكر كل واحد منهما على حدة شمل الآخر فى المعنى فمعنى الشرك هنا ما هو اعم منه ومن الكفر والزيغ والتكذيب فان الله تعالى لا يغفر شيئا من ذلك بلا توبة منه قبل الغرغرة بالايمان والتبرى عما عدا دين الحق من سائر الاديان ولا تقع الشفاعة فى شئ من ذلك يوم القيامة قال اللقانى فى شرح جوهرته اما الكفر فلا يقع منه تعالى العفو عنه للزوم الكذب فى اخباره تعالى بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية ولا فرق فيه بين الاصلى والارتداد شركا كان او غيره وعرف الشيخ ابن عرفة المالكى الكفر بانه عدم

التصديق الممكن بما علم ضرورة مجئ الرسول به اوفعل يدل عليه غالبا كقتل النبى والقاء المصحف فى القاذورات وقال العينى فى شرح البخارى والمراد بالشرك فى هذه الآية الكفر لان من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان كافرا ولولم يجعل مع الله الها آخر والمغفرة منتفية عنه بلاخلاف (ويغفر) اى يعفو ويسامح (مادون ذلك) اى دون الشرك من جميع الذنوب الكبائر والصغائر (لمن يشاء) المغفرة له قال العينى فى شرح البخارى والمراد من هذه الآية من مات على الذنوب من غير توبة ولو كان المراد من تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره معنى اذ التائب من الشرك قبل الموت مغفور له وقال اللاقانى اختلف فى جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد وبالآيات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات اويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم * وفى الحديث ياعبدى لو اتيتنى بقراب الارض ذنوبا لاتيتك بمثلها مغفرة الى مالا ينحصر منها ومعنى العفو والغفران واحد وهو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المؤاخذة قال والفرق بين المعاصى يجوز ان تغفر وبين الكفر فلا يجوز ان يغفر ان العاصى قلما ينفك عن خوف عقاب ورجاء رحمة وغير ذلك من خيرات تقابل ما ارتكب من المعصية اتباعا للهوى بخلاف الكافر وايضا الكفر مذهب والمذهب يعتقد للابد وحرمته لاتحتمل الارتفاع اصلا فكذلك عقوبته بخلاف المعصية فانها وقت الهوى والشهوة وقال الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى رضى الله عنه اعلم ان الشرك عدم لاوجود له هذا مايتيقنه المؤمن بايمانه واذا كان عدما فلا يغفره الله تعالى اذ الغفر الستر ولا يستر الا ماله وجود واما المعصية فلها وجود فيمكن ان تتعلق المغفرة بها (ويجوز العقاب) من الله تعالى لعبده المكلف (على) فعل (الصغيرة) من صغائر الذنوب (ولو) كان فعل تلك الصغيرة (مع اجتناب) جميع (الكبائر) لان الله تعالى لايجب عليه شئ ولا يمتنع منه شئ فمجازاته لعباده دائرة بين فضله وعدله والظلم عليه محال لدخول الصغيرة تحت قوله تعالى * ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * فعلقت المغفرة بالمشيئة فمن لم يشأ ان يغفر له يجوز ان يعاقبه على الصغيرة اوعلى الكبيرة وقال تعالى * لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها والاحصاء انما يكون للسؤال والمجازات وقال اللاقانى هذا الحكم مما اختلف فيه فذهب بعض المعتزلة وجماعة من الفقهاء والمحدثين الى ان المكلف اذا اجتنب الكبائر كفرت صغائره قطعا ولم يجز تعذيبه عليها لابمعنى الامتناع العقلى بل لورود الادلة السمعية به وذهب ائمة الكلام الى ان ذلك الحكم ظنى يقوى به الرجاء تمسكا بانا لو قطعنا لمجتنب

الكبائر بتكفير صغائره بالاجتناب لكانت له في حكم المباح الذي يقطع بانه لاتباعة فيه وذلك نقض لعرى الشريعة واجابوا عن متمسك الاولين بان الكبيرة في الآية محمولة على الكفر لاطلاقها والفرد عند اطلاقه يحمل على الكامل من نوعه وقد جمع الكبائر باعتبار تعدد انواع الكفر من تهود وتنصر وتمجس واو قلنا بأنه ملة واحدة من حيث الحكم ولتعدد افراده القائمة بافراد المكلفين وماذهب اليه المتكلمون هو الذي لاغبار عليه واعلم ان النزاع انما هو في قطعية التكفير وظنيته لا في جواز تكفير الصغائر باجتناب الكبائر فانه ليس محل خلاف لاحد ومبنى النزاع هل يجوز العقاب على الصغيرة اولا والحق جوازه والمراد من الاجتناب مايعم التوبة بعد الملابسة وقيد ابن عطية المسئلة بمن اتى بالفرائض ولفظ القرطبي فدل القرآن على ان في الذنوب صغائر وكبائر خلافا لمن قال كلها كبائر وان الصغائر كاللمس والنظرة تكفر باجتناب الكبائر قطعا بالوعد الصدق وقوله الحق الا انه لايجب عليه ذلك لكن بضميمة اخرى الى الاجتناب وهي اقامة الفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم مامن عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكبائر السبع الافتحت له ثمانية ابواب الجنة يوم القيامة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه الآية وفي مسلم عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لمابينهن اذا اجتنبت الكبائر وعلى هذا جماعة اهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب واما الكبائر فلايكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها والوضوء يكفر الصغائر وكذا الحج المبرور (و) يجوز ايضا (العفو) اى المسامحة (عن) فعل (الكبيرة) اى جنسها ليشمل الواحدة والكثيرة (ولو) كان ذلك العفو (بلاتوبة) من العبد قال اللاقاني اختلف في جواز العفو عن الكبائر بدون التوبة فجوزه اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد وبالآيات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات اويوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا * انتهى وقد سبق الكلام على هذا ومحله اذا لم يكن عن استحلال فالاستحلال كفر لمافيه من التكذيب المنافي للتصديق ولهذا تأول النصوص الدالة على تخليد العصاة في النار وعلى سلب اسم الايمان عنهم ذكره السعد في شرح العقائد (والله تعالى يجيب الدعوات) لعباده (ويقضي الحاجات) لهم (تفضلا) منه تعالى على عباده قال الله تعالى * ادعوني استجب لكم * وقال عليه السلام يستجاب للعبد مالم يدع باثم اوقطيعة رحم مالم يستعجل وفي رواية يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلا اوفلم يستجب لي وفي رواية فلا يزال يستجاب للعبد مالم يدع باثم اوقطيعة رحم مالم يستعجل قيل يارسول الله

ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار يستجيب لى فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قال اهل اللغة حسر واستحسر اذا اعيى وانقطع عن الشئ والمراد هنا انه ينقطع عن الدعاء ومنه قوله تعالى *لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون* اى لا ينقطعون عنها ففيه انه ينبغى ادامة الدعاء ولا يستبطئ الاجابة ذكره النووى فى شرح مسلم وقال السعد فى شرح العقائد واعلم ان العمدة فى ذلك صدق النية وخلوص الطوية وحضور القلب لقوله عليه السلام ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لا يستجيب الدعاء من قلب غافل لاه واختلف المشايخ فى انه هل يجوز ان يقال يستجاب دعاء الكافر فمنعه الجمهور لقوله تعالى *وما دعاء الكافرين الا فى ضلال* ولانه لا يدعوا الله تعالى لانه لا يعرفه فانه وان اقر به فلما وصفه بما لا يليق به فقد نقض اقراره وما روى فى الحديث من ان دعوة المظلوم وان كان كافرا تستجاب فمحمولة على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن ابليس رب انظرنى* فقال له الله تعالى *انك من المنظرين هذه اجابة واليه ذهب ابو القاسم الحكيم وابو نصر الدبوسى قال الصدر الشهيد وبه يفتى انتهى والجواب عن الآية ان معنى كون دعائهم فى ضلال انه يستجاب لهم فيظنون انهم على شئ فيزدادون من ضلالهم فتكون اجابة دعائهم اضلالا لهم والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال النووى فى شرح مسلم بعد ذكره الاحاديث المشتملة على الادعية وفى هذه دليل لاستحباب الدعاء وهذا هو الصحيح الذى اجمع عليه العلماء واهل الفتاوى فى الامصار فى كل الاعصار وذهبت طائفة من الزهاد واهل المعارف الى ان ترك الدعاء افضل استسلاما للقضاء وقال آخرون منهم ان دعا للمسلمين فحسن وان دعا لنفسه فالاولى تركه وقال آخرون منهم ان وجد فى نفسه باعثا للدعاء استحب والا فلا ودليل الفقهاء ظواهر القرآن والسنة فى الامر بالدعاء وفعله والاخبار عن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم بفعله (والايمان) بالله تعالى وبانبيائه عليهم السلام وجميع ما اخبروا عنه من الحق يعنى التصديق بكل ذلك هو (والاسلام) اى التسليم والانقياد والاذعان لجميع ما ذكر (واحد) باعتبار المعنى الشرعى دون المعنى اللغوى قال فى القاموس آمن به ايمانا صدقه والايمان الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة والاسلام الاسم من التسليم والتسليم الرضاء واسلم انقاد وصار مسلما كاستسلم وقال القرطبى فى شرح مسلم الاسلام فى اللغة هو الاستسلام والانقياد ومنه قوله تعالى *قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى انقدنا وهو فى الشرع الانقياد بالافعال الظاهرة الشرعية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه انس رضى الله عنه الاسلام علانية والايمان فى القلب ذكره ابن ابى شيبة فى مسنده والايمان لغة هو التصديق مطلقا وفى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية كما نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث انس هذا وقد ناقش علماء الاصول

فى هذه الاسماء الشرعية تناقشا لاطائل له اذا حقق الامر فيه وذلك انهم متفقون على انها يستفاد منها فى الشرع زيادة على اصل الوضع وهل ذلك المعنى يصير تلك الاسماء موضوعة كالوضع الابتدائى من قبل الشرع اوهى مبقاة على الوضع اللغوى والشرع انما تصرف فى شروطها واحكامها هذا تناقشهم والامر قريب والحاصل ان الشرع تصرف فى حال هذه الأسماء لافى اصل وضعها فخصص عاما كالحال فى الاسلام والايمان فانهما بحكم الوضع يعمان كل انقياد وكل تصديق لكن قصرهما الشرع على تصديق مخصوص وانقياد مخصوص وكذلك فعلت العرب فى لغتها فى الاسماء العرفية كالدابة فانها فى الاصل اسم لكل مايدب ثم عرفهم خصصها ببعض مايدب فالاسماء الشرعية كالاسماء العرفية فى هذا التصرف وقد استفدنا من هذا البحث ان الايمان والاسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا كما دل عليه حديث جبريل وغيره وهذا هو الاصل فى الاسماء المختلفة اعنى ان يدل كل واحد منهما على خلاف مايدل عليه الآخر غيرانه قد توسع الشرع فيهما فاطلق اسم الايمان على حقيقة الاسلام كما فى حديث وفد عبد القيس الوارد فى صحيح مسلم فانه اطلق فيه اسم الايمان على ماجعله فى حديث جبريل اسلاما وكقوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا فادناها اماطة الاذى عن الطريق وارفعها قول لااله الاالله وقد اطلق الاسلام مريدا به مسمى الاسلام والايمان بمعنى التداخل كقوله تعالى * ان الدين عندالله الاسلام * وقد اطلق الايمان كذلك ايضا كما روى من حديث على رضى الله عنه مرفوعا الايمان اعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان وهذه الاطلاقات الثلاث من باب التجوز والتوسع على عادة العرب فى ذلك وهذا اذ تحقق يريح من كثير من الاشكال الناشى من ذلك الاستعمال (وهو) اى ذلك الواحد الذى هو الايمان والاسلام فى الاستعمال الشرعى (تصديق النبى) محمد (صلى الله عليه وسلم فى جميع ماعلم) بالبناء للمفعول اى علم المكلف (بالضرورة) اى من غير فكر ونظر وفسره السعد فى شرح العقائد بما يحدثه الله تعالى فى نفس العالم من غير كسبه واختياره كالعلم بوجوده وتغير احواله وذكر ايضا ان العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات والبديهيات والمتواترات انتهى فالمراد بما علم بالضرورة اى بطريق التيقن والتثبت من غير شك ولاتردد امابسماعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم كالحاضرين فى زمانه عليه السلام أو بطريق تواتر الخبر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بمضمونه (مجيئه) اى مجئ النبى صلى الله عليه وسلم (به) من عند الله تعالى الى الخلق (والاقرار) اى النطق باللسان فى القادر على ذلك متى اراد (به) اى بجميع ماعلم بالضرورة مجئ النبى عليه السلام به وبيان ذلك ماقاله القرطبى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم ان الايمان بالله هو التصديق بوجوده تعالى وانه لايجوز عليه العدم وانه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال

من العلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر والحياة وانه تعالى منزه عن صفات
النقص التي هي اضداد تلك الصفات وعن صفات الاجسام والمتحيزات وانه واحد
حق فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيما يشاء من التصرفات يفعل في ملكه
مايريد ويحكم في خلقه مايشاء والايمان بالملائكة هو التصديق بانهم عباد مكرمون
لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لايعصون الله ماامرهم ويفعلون مايؤمرون
يسبحون الليل والنهار لايفترون وانهم سفراء الله تعالى بينه وبين رسله والمتصرفون
كما اذن لهم في خلقه والايمان بكتب الله هو التصديق بانها كلام الله ومن عنده
وان ماتضمنته حق وان الله تعالى امر خلقه باحكامها وفهم معانيها والايمان
برسل الله هو انهم صادقون فيما اخبروا به عن الله تعالى وان الله تعالى ايدهم بالمعجزات
الدالة على صدقهم وانهم بلّغوا عن الله رسالاته وبيّنوا للمكلفين ماامرهم الله ببيانه
وانه يجب احترامهم وان لايفرق بين احد منهم والايمان باليوم الآخر هو التصديق
بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان
والصراط والجنة والنار وانهما دارا ثوابه وجزائه للمحسنين والمسيئين الى غير ذلك
مما صح نصه وثبت نقله والايمان بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله هو مادل
عليه قوله تعالى * والله خلقكم وما تعملون * وقوله * انا كل شئ خلقناه بقدر * وقوله
* وما تشاؤن الا ان يشاء الله * واجماع السلف والخلف على صدق قول القائل ماشاء الله
كان ومالم يشأ لم يكن وقوله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس
ومذهب السلف وائمة الفتوى من الخلف ان من صدق بهذه الامور تصديقا جزما
لاريب فيه ولاتردد ولاتوقف كان مؤمنا حقيقة وسواء كان ذلك عن براهين قاطعة
اوعن اعتقادات جازمة على هذا انقرضت الاعصار الكريمة وبه صرحت فتاوى ائمة
الهدى المستقيمة حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة فقالوا انه لايصح الايمان
الشرعي الابعد الاحاطة بالبراهين العقلية والسمعية وحصول العلم بنتائجها ومطالبها
ومن لم يحصل ايمانه كذلك فليس بمؤمن ولايجزئ ايمانه بغير ذلك وتبعهم على ذلك
جماعة من متكلمي اصحابنا كالقاضي ابي بكر وابي اسحاق الاسفرائني وابي المعالي في اول قوليه
والاول هو الصحيح اذ المطلوب من المكلفين مايقال عليه ايمان لقوله تعالى * آمنوا بالله
ورسوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله * والايمان هو التصديق لغة وشرعا فمن صدق بذلك
كله ولم يجوز نقيض شئ من ذلك فقد عمل بمقتضى ماامره الله به على نحو ماامره الله
تعالى ومن كان كذلك فقد تفصى على عهدة الخطاب اذ قد عمل بمقتضى السنة والكتاب
ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعده حكموا بصحة ايمان كل من امن وصدق
بما ذكرناه ولم يفرقوا بين من آمن عن برهان اوعن غيره ولانهم لم يأمروا اجلاف العرب
بترديد النظر ولاسألوهم عن ادلة تصديقهم ولاارجؤا ايمانهم حتى ينظروا وتحاشوا

عن اطلاق الكفر على احد منهم بل سموهم المؤمنين والمسلمين واخذوا عليهم احكام
الايمان والاسلام ولان البراهين التى حررها المتكلمون ورتبها الجدليون انما احدثها
المتأخرون ولم يخض فى شئ من تلك الاساليب السلف الماضون فمن المحال والهذيان
ان يشترط فى صحة الايمان مالم يكن معروفا ولامعمولا به لاهل ذلك الزمان وهم من هم
فهما عن الله واخذا عن رسول الله وتبليغا لشريعته وبيانا اسنته وطريقته انتهى
كلام القرطبى رحمه الله تعالى وهو يقتضى عدم اشتراط النطق ايضا باللسان فى صحة
الايمان وهو قول المحققين قال الشيخ العينى فى شرح البخارى ان الايمان عند المحققين
واليه ذهب الاشعرى واكثر الائمة كالقاضى عبد الجبار والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائنى
والحسين بن الفضل وغيرهم هو مجرد التصديق بالقلب اى تصديق الرسول عليه السلام
فى كل ماعلم مجيئه به بالضرورة تصديقا جازما مطلقا اى سواء كان بدليل اولا فقولهم
مجرد التصديق اشارة الى انه لايعتبر فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة
لاخراج مالم يعلم بالضرورة ان الرسول جاء به كالاجتهاديات كالتصديق بان الله تعالى
عالم بالعلم اوعالم بذاته والتصديق بكونه مرئيا اوغير مرئى فان هذين التصديقين
وامثالهما غير داخلة فى مسمى الايمان ولهذا لايكفر منكر الاجتهاديات بالاجماع والتقييد
بالجازم لاخراج التصديق الظنى فانه غير كاف فى حصول الايمان والتقييد بالاطلاق
لدفع وهم خروج اعتقاد القلب فان ايمانه صحيح عند الاكثرين وهو الصحيح وقال السعد
فى شرح العقائد هذا الذى ذكره من ان الايمان هو التصديق والاقرار مذهب بعض العلماء
وهو اختيار الامام شمس الائمة وفخر الاسلام وذهب جمهور المحققين الى انه التصديق
بالقلب وانما الاقرار شرط لاجراء الاحكام فى الدنيا لما ان تصديق القلب امر باطن
لابدله من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وان لم يكن مؤمنا
فى احكام الدنيا ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس وهذا هو اختيار
الشيخ ابى منصور والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى * اولئك كتب فى قلوبهم
الايمان وقال تعالى * وقلبه مطمئن بالايمان وقال تعالى * ولما يدخل الايمان فى قلوبكم
وقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ثبت قلبى على دينك وقال لاسامة حين قتل من قال
لا اله الا الله هلا شققت عن قلبه (والاعمال) بالجوارح (خارجة عن حقيقته)
اى حقيقة الايمان قال فى شرح الصحائف الايمان فى اللغة التصديق وفى الشرع
مختلف فيه فقال المحققون هو تصديق الرسول بكل ماعلم بالضرورة مجيئه به ويقرب
من هذا ماذهب اليه ابو حنيفة رضى الله عنه ان الايمان هو المعرفة والاقرار اى العلم
بما قال النبى صلى الله عليه وسلم والاقرار به وقالت المعتزلة الايمان هو مجموع الطاعات
ونقل عن السلف ان الايمان هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان
ونقل عن على رضى الله عنه مثل ذلك وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى هو معرفة بالقلب

واقرار باللسان وعمل بالاركان وقال الكرمانى فى شرح البخارى وذكر فى الكتب الكلامية له تفاسير فقال المتأخرون هو تصديق الرسول بما علم مجيئه به ضرورة والحنفية التصديق والاقرار والكرامية الاقرار وبعض المعتزلة الاعمال والسلف التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان فهذه الاقوال خمسة الثلاثة منها بسيطة وواحد منها مركب ثنائى والخامس مركب ثلاثى ووجه الحصر انه اما بسيط اولا والبسيط اما اعتقادى اوقولى اوعملى وغير البسيط اما ثنائى واما ثلاثى وهذا كله بالنظر الى ما عند الله تعالى اما عندنا فالايمان هو الكلمة فاذا قالها حكمنا بايمانه اتفاقا بلا خلاف ثم لاتغفل ان النزاع فى نفس الايمان واما الكمال فانه لابد فيه من الثلاث اجماعا واذا تحققت هذه الدقائق انفتح عليك المغالق ان شاء الله تعالى وحيث كانت الاعمال خارجة عن حقيقته (فلايزيد) بالطاعات (ولاينقص) بالمعاصى والمخالفات قال الكرمانى فى شرح البخارى مذهب السلف ان الايمان قول وعمل ونية ويزيد وينقص ومعناه انه يطلق على التصديق بالقلب وعلى النطق باللسان وعلى الاعمال بالجوارح ويزيد بزيادة هذه وينقص بنقصها وانكر اكثر المتكلمين زيادته ونقصه قالوا متى قبل الزيادة والنقص كان شكا وكفرا وقال المحققون منهم نفس التصديق لايزيد ولاينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانها وهى الاعمال قال النووى والمختار خلافه وهو ان نفس التصديق ايضا يزيد وينقص بكثرة النظر وتظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديق اقوى بحيث لايتزلزل بعارض ولايتشكك عاقل فى ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لايساويه تصديق آحاد الناس انتهى ولاشك ان عدم المساواة فى القوة والضعف ليست زيادة فى حقيقة الايمان وجوهره وانما هى زيادة فى وصفه كالانسان المريض والانسان القوى فان الانسانية فيهما على السواء من غير زيادة فى القوى دون الضعيف والمراد بالزيادة المنفية عند القائلين بذلك الزيادة فى حقيقته وجوهره دون وصفه فالخلاف لفظى والآيات الدالة على زيادة الايمان محمولة على ما ذكره ابو حنيفة رضى الله عنه انهم كانوا آمنوا بالجملة ثم يأتى فرض بعد فرض وكانوا يؤمنون بكل فرض خاص وحاصله انه كان يزيد بزيادة مايجب الايمان به وهذا لايتصور فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم قال السعد فى شرح العقائد وفيه نظر لان الاطلاع على تفاصيل الفرائض ممكن فى غير عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والايمان واجب اجمالا فيما علم اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولاخفاء فى ان التفصيلى ازيد بل اكمل من الاجمالى وماذكر من ان الاجمالى لاينحط عن درجته فانما هو فى الاتصاف باصل الايمان انتهى ولايخفى ان قول ابى حنيفة رضى الله عنه وهذا لايتصور فى غير عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معناه زيادة الايمان فى حق من آمن من الصحابة رضى الله عنهم اجمالا بالنبى صلى الله

تعالى عليه وسلم و بجميع ما جاء به من عند الله تعالى فكان كل ما جاء بعد ذلك
بفرض آمنوا به تفصيلا فيزيد ايمانهم بالنسبة الى ايمانهم الاول الاجمالى و بعد انقطاع
الوحى بموت النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى يتصور ذلك واما تصوره فى كل زمان
بمن لم يطلع اولا على تفاصيل الفرائض وآمن بجميع ما ورد عن الله تعالى بطريق الاجمال
وكان كلما وصل اليه الخبر بفرض آمن به فيزداد ايمانه بالنظر الى ايمانه الاول الاجمالى
فهو امر نادر انما يتصور فيمن نشأ منفردا من غير مخالطة اهل الاسلام فان الفرائض مما يعلم
من الدين بالضرورة بحيث يشترك فى علمها الخاص والعام على ان من كان كذلك جاهلا
بتفاصيل الفرائض ثم اطلع على تفاصيلها فازداد ايمانه بها مفصلة على ايمانه بها
مجملة ليس هو موضع الخلاف فى زيادة الايمان ونقصانه بل الخلاف فى كل ايمان هل يقبل
الزيادة ام لا واذا كانت الآيات دالة على زيادة الايمان فى حق الصحابة رضى الله عنهم
فقط دون غيرهم لانهم المخاطبون بذلك حيث هم الموجودون وقت نزول الوحى
فلا مانع من تصور ذلك فى النادر فيمن جهل ما علم من الدين بالضرورة من فرائض
الاسلام فآمن اجمالا ثم علم بذلك فآمن تفصيلا على ان قول ابى حنيفة رضى الله
عنه بعدم تصوره فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم مخصوص بمن نزل ذلك
فى حقهم وهم الصحابة رضى الله عنهم فانه لا يتصور وجودهم جاهلين بالفرائض
فى غير ذلك العصر ثم يعلمون ذلك بنزوله بالوحى وان تصور فى غيرهم فيمن ذكر فان هذا
القول من ابى حنيفة رضى الله عنه صرف للآيات الواردة عليه ببيان سبب نزولها
من دون تعرض لامكان تصور نحو تلك الحالة فيما بعد فلا نظر فى قوله ولا ايراد عليه
والحاصل ان زيادة الايمان ونقصانه محمولة اما على الزيادة والنقصان فى وصفه دون
ذاته وجوهره واما على ان مراد القائل بذلك الايمان المفسر عنده بالاعتقاد والقول
والعمل فيزداد بزيادة العمل وينقص بنقصانه واليه يشير كلام الماتن هنا حيث فرع
بالفاء على كون الاعمال خارجة عنه قوله بعدم الزيادة والنقصان فالخلاف فى ذلك
لفظى على كل حال والآيات والاحاديث الوارد فيها ذكر ذلك يخرجها كل قوم
بحسب ما ذهبوا اليه وهو محتمل وللاجتهاد فى ذلك مجال وليست المسئلة مما يضر الخلاف
فيها (ويصح) فى الشرع (ان يقول من وجدا) اى التصديق بقلبه والاقرار بلسانه
(فيه انا مؤمن حقا) كما قال تعالى * فاولئك هم المؤمنون حقا * وذلك لان الايمان
اما ان يكون موجودا او غير موجود فان لم يكن موجودا فهو كافر وان كان موجودا
فهو مؤمن وان شك فى وجوده فى وقت من الاوقات فهو كافر فيتعين على المؤمن
قوله انا مؤمن حقا لتحقق الايمان منه (ولا ينبغى) اى لا يحسن ولا يليق بالمؤمن
(ان يقول انا مؤمن ان شاء الله) تعالى باحالة كونه مؤمنا على مشيئة الله تعالى دون
القطع بما هو موجود فيه من الايمان لان هذا القول منه ان كان للشك فهو كفر لا محالة

وان كان للتأدب واحالة الامور الى مشيئة الله تعالى اوللشك فى العاقبة والمآل لا فى الآن والحال اوللتبرك بذكرالله تعالى اوالتبرى عن تزكية نفسه والاعجاب بحاله فالاولى تركه لانه يوهم الشك ولهذا قال ولا ينبغى دون ان يقول ولا يجوز لانه اذالم يكن للشك فلامعنى لنفى الجواز كيف وقدذهب اليه كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين ذكره السعد فى شرح العقائد والحاصل ان الخلاف لفظى ايضا فان من منع من قوله انامؤمن ان شاءالله تعالى محله اذاقصد الشك اوكان قوله موهما للشك عند من لم يعرف مراده بذلك ومن اجاز قوله انامؤمن ان شاءالله تعالى استند فى ذلك الى ماورد عن السلف ممالم يثبت عند المانع منه كما وقفت فى ذلك على رسالة من تصنيف الامام البخارى صاحب الصحيح ذكر فيها من ورد عنه القول بذلك من الصحابة والتابعين من ائمة الدين والوارد عن السلف مستفيض من صاحب الشرع ان لم يكن بصريح الحديث فهو بمفهومه عند الصدر الاول مع تعليل جواز ذلك ايضا بماذكر من التأدب مع الله تعالى واحالة الامور الى مشيئته والشك فى العاقبة والتبرك بذكرالله تعالى والتبرى من تزكية النفس والاعجاب بحالها الى غير ذلك مما علل به المجيزون والمسئلة اجتهادية ايضا للرأى فيها مجال (والايمان) المذكور (بهذا المعنى) الذى سبق بيانه وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان (مخلوق) الله تعالى فى العبد المؤمن (كسبى) حاصل باكتسابه (واما) الايمان (بمعنى هداية الرب تعالى لعبده الى معرفته) بلا كيف ولا كيفية (فغير مخلوق) لانه حينئذ من صفات الله تعالى كما ورد فى اسمائه تعالى المؤمن بمعنى انه الهداية من الله تعالى والاهتداء من العبد فيقال آمن الرب عبده اى هداه للتصديق به وبكل ماورد عنه فاهتدى لذلك فان الايمان بهذا المعنى قديم لانه من صفات الله تعالى المفهومة من اسمه سبحانه المؤمن وصفاته تعالى واسماؤه كلها قديمة قال اليافعى فى شرح اسماء الله الحسنى واما المؤمن فقيل معناه المصدق لان الايمان فى اللغة التصديق يقال آمن يؤمن ايمانا اذاصدق والرب سبحانه مصدق نفسه ورسله بقوله الصدق فالاسم راجع الى الكلام الذى هو من الصفات القديمة وقيل المؤمن معناه انه تعالى سيؤمن عباده الابرار من الفزع الاكبر عند رؤية النار وعظيم الاهوال وعلى هذا يجوز صرفه الى القول فانه تعالى سيؤمن عباده يوم العرض الاكبر ويسمعهم قوله الا تخافوا ولا تحزنوا ويجوز صرفه الى القدرة على خلق الامن والطمأنينة فيكون من اسماء الصفات ويجوز صرفه الى نفس خلق الامن فيكون من اسماء الافعال يقال آمنه يؤمنه اذا افاده الامن فالفاعل مؤمن بكسر الميم الثانية والمفعول مؤمن بفتحها وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه قال المؤمن هو المصدق لنفسه ولانبيائه بالمعجزات اوالذى لا يتصور الامن والامان الامن قبله ثم قال والمسلم والمؤمن اسمان مشتقان من اسم الله السلام واسمه

المؤمن وهما من خصائص هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم تسمى الله باسمين سمى بهما امتى هو السلام وسمى بها امتى المسلمين وهو المؤمن وسمى بها امتى المؤمنين رواه ابن ابى شيبة وذكر الكرمانى فى شرح البخارى ان اشتقاق الايمان من الامن وامنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب وقال التيمى الايمان مشتق من الامن لان العبد اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امن من القتل والعذاب انتهى والحاصل ان الايمان اما معناه التصديق او اعطاء الامان من التكذيب او تحصيل الامن من القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخره فيقال امن العبد بالرسول اذا صدق بجميع ما جاء به اوامنه من التكذيب اوامن من القتل والعذاب فما حصل للعبد من هذه المعانى الثلاثة مما سمى بسببه مؤمنا فهو مخلوق فيه واما اذا جعل احد هذه المعانى الثلاثة اشتقاقا لاسم الله تعالى المؤمن على تقدير انه تعالى امن اى صدق بنفسه وبرسله وبما جاؤا به من عنده اوامن عباده المحسنين من مقابلتهم بالاساءة اوامن من تكذيبهم له فيما شرع لهم وذلك هو الهداية لهم الى صراطه المستقيم فالايمان حينئذ قديم وليس بمخلوق لانه من صفات الله تعالى (وايمان المقلد) من التقليد بمعنى المتابعة واصله وضع القلادة فى العنق فكأن من قلد غيره فى قول او فعل وضع التبعة فى عنق ذلك الغير فيبقى خطاؤه منسوبا الى ذلك الغير وكذا اصابته اومن تقليد الولاة الاعمال فكأن التابع قلد المتبوع ولاية الحكم عليه حيث تابعه فى قوله اوفعله اومن قلد بالتخفيف الماء فى الحوض واللبن فى السقاء والشراب فى البطن يقلده بسكون القاف جمعه فيه ثم شدد الفعل قصدا للمبالغة لان المقلد غيره يجمع عنده قول الغير اوفعله اومن قلد الشئ على الشئ لواه ثم شدد كذلك لان المقلد يلوى قول غيره اوفعله عليه والتقليد للغير هو اخذ قول ذلك الغير اوفعله مع الجزم به والمطابقة له من غير استدلال عليه فلا تقليد مع الشك والتردد ولا مع عدم المطابقة كمن يزعم انه مقلد لائمة المسلمين وهو يعتقد ان لله تعالى مكانا او جهة او جسمية اوان معه مؤثرا فى الوجود فى امر ما فانه ليس بمقلد لائمة المسلمين لانهم لا يعتقدون شيئا من ذلك حتى يقلدهم فيه (صحيح) عند المحققين من اهل السنة وان لم يكن عنده استدلال على ما قلد غيره فيه وحكاه الزركشى عن الائمة الاربعة وعزاه ابن ناجى وابو الحسن الشاذلى من المالكية وغيرهم من الشافعية للجمهور فى اجراء الاحكام الدنيوية عليه اتفاقا والاخروية عند المحققين يدل عليه قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا * الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل مسجدنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم (ولكنه) يعنى المقلد (آثم) اى عاص (بترك الاستدلال) على مسائل اعتقاده وقال بعضهم ليس بآثم الا ان كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم ليس بآثم اصلا وان كان فيه تلك الاهلية * واعلم ان بعضهم نقل عن الاشعرى والقاضى الباقلانى والاستاذ الاسفرائنى وامام الحرمين

والجمهور

والجمهور عدم صحة ايمان المقلد وانه لايكفى التقليد فى العقائد الدينية وبالغ بعضهم فيه فحكى عليه الاجماع وعزاه ابن القصار لمالك وقال السنوسى فى شرح مقدمته ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة فقال بعضهم المقلد مؤمن الا انه عاص بترك المعرفة التى ينتجها النظر الصحيح وقال بعضهم انه مؤمن ولا يعصى الا اذا كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال بعضهم المقلد ليس بمؤمن اصلا وقد انكر بعضهم وذهب غير الجمهور الى ان النظر ليس بشرط فى صحة الايمان بل وليس بواجب اصلا وانما هو من شروط الكمال فقط وقد اختار هذا القول الشيخ العارف ابن ابى جمرة والقشيرى وابن رشد وابو حامد الغزالى وجماعة انتهى وقدمنا عن القرطبى مايؤيد هذا وفى حاشية المقرى على شرح السنوسية قال ابن عطية فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله تعالى *اولو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون* وقوة هذه الآية تعطى ابطال التقليد واجمعت الامة على ابطاله فى العقائد وقال الزمخشرى لاضال اضل من المقلد وقال الفهرى ناقلا عن القاضى الباقلانى ان التقليد فى اصول الدين ممتنع حيث قال المعرفة بالله تعالى على وجه الاحاطة لاسبيل اليها فالمعتبر اذن الاقرار بالله عزوجل ورسله من مستند جلى قال اصحابنا والذى يصير به مؤمنا وهو التكليف العام ان يشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له ولانظير له فى صفاته ولاقسيم له فى افعاله وان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله ارسله بالهدى ودين الحق وان كل ما اخبر به صدق وهل يكتفى بذلك فى التقليد اولابد من معرفة الله تعالى على بصيرة اختلف فيه واختار القاضى ان التقليد غير متصور فى التوحيد ثم قال الفهرى فى موضع آخر ويكتفى فى اثبات الايمان بالعلم بالله عزوجل لامن كل وجه بل على الجملة فيعلم انه موجود ازلى غنى واحد فى ذاته وصفاته والهيته وتدبيره ليس كمثله شىء وانه عادل فى افعاله وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق وانه صادق فى جميع ماجاء به صلى الله عليه وسلم ويكفى معرفة جميع ذلك بطريق ما وفى الدلائل كثرة وكل ماسوى الله دليل عليه واما التفصيل فمن فروض الكفاية وذكر القرطبى فى شرح مسلم قال وقد اختلف المتكلمون فى اول الواجبات على اقوال كثيرة منها مايشنع ذكره ومنها ماظهر ضعفه والذى عليه ائمة الفتوى وبهم يقتدى كمالك والشافعى وابى حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من ائمة السلف رضى الله عنهم ان اول الواجبات على كل مكلف الايمان التصديق الجزمى الذى لاريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وماجاءت به الرسل على ماتقرر فى حديث جبريل عليه السلام كيف ماحصل ذلك الايمان وبأى طريق اليه توصل واما النطق باللسان فظهر لما استقر فى القلب وسبب ظاهر تترتب عليه احكام الاسلام (وفى ارسال) الله تعالى الى عباده المكلفين (الانبياء) جمع نبى (والرسل) بضم السين المهملة وبسكونها ايضا جمع رسول والخلاف فيهما على اربعة اقوال التباين والتوافق

والعموم والخصوص المطلق ومن وجه وقد فصلنا ذلك فى كتابنا المطالب الوفية والمشهور نسبة العموم والخصوص المطلق فكلّ رسول نبى ولا كل نبى رسول (بالمعجزات) جمع معجزة وهى امر خارق للعادة مقرون بالتحدّى مع عدم المعارضة (والكتب) بضم التاء المثناة الفوقية و بسكونها ايضا جمع كتاب بمعنى مكتوب من الكتب وهو الجمع لجمعه الحكم والاخبار والاحكام والمواعظ (المنزلة) بالوحى الالهى مع جبريل عليه السلام (عليهم) اى على الانبياء والرسل وفى الكلام اشارة الى اختيار عدم الفرق بينهما ولهذا نسب الارسال اليهما وهو مذهب المحققين (من البشر) الذين هم انبياء ومرسلون وهو بيان للانبياء والرسل (الى البشر) الذين هم سائر الامم وهو ارسال الجنس الى الجنس (حكمة) بالكسر وهى العدل والعلم واحكمه اتقنه ومنعه عن الفساد كذا فى القاموس (بالغة) اى عظيمة قال تعالى * لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا * قال البيضاوى لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس (وهم) اى الانبياء والرسل عليهم السلام كلهم (مبرؤن عن الكفر) بالله تعالى (و) عن (الكذب مطلقا) اى قبل النبوة و بعدها العمد من ذلك والسهو والكذب على الله تعالى وعلى غيره فى الامور الشرعية والعادية (و) مبرؤن (عن الكبائر) من الذنوب (و) عن (الصغائر) منها ايضا (المنفرة) نعت للصغائر اى التى تنفر غيرهم من اتباعهم (كسرقة لقمة) من المأكولات (وتطفيف) اى تنقيص (حبة) من الحبوب التى يبيعونها فان ذلك مما يدل على الخسة والدناءة (و) مبرؤن ايضا من (تعمد الصغائر غيرها) اى غير المنفرة (بعد البعثة) اى ارسالهم الى دعوة الخلق قال التفتازانى فى شرح المقاصد المعجزة تقتضى الصدق فى دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية الاحكام فما يتوهم صدوره عن الانبياء عليهم السلام من القبائح اما ان يكون منافيا لما تقتضيه المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ اولا والثانى اما ان يكون كفرا او معصية وهى اما ان تكون كبيرة كالقتل والزنا او صغيرة منفرة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة او غير منفرة ككذبة وشتمة وهم بمعصية وكل ذلك اما عمدا او سهوا او بعد البعثة او قبلها والجمهور على وجوب عصمتهم عليهم السلام عما ينافى مقتضى المعجزة وقد جوزه القاضى زعما منه انه لا يخل بالتصديق المقصود بالمعجزة وعن الكفر وكذا عن تعمد الكبائر بعد البعثة فعندنا سمعا وعند المعتزلة عقلا والمذهب عندنا منع الكبائر مطلقا والصغائر عمدا لا سهوا لكن لا يصرون ولا يقرون بل ينبهون وينتهون وذهب امام الحرمين منا وابو هاشم من المعتزلة الى تجويز الصغائر عمدا لنا انا نقول انه لو صدر منهم الذنب لزم امور كلها منتفية الاول حرمة اتباعهم لكنه واجب بالاجماع وبقوله تعالى * ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

الثانى رد شهادتهم لقوله تعالى *ان جاءكم فاسق* الآية والاجماع على ذلك لكنه منتف للقطع بان من ترد شهادته فى القليل من متاع الدنيا لا يستحق القبول فى امر الدين القائم الى يوم القيامة الثالث وجوب منعهم وزجرهم لعموم ادلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكنه منتف لاستلزام ايذائهم المحرم بالاجماع وبقوله تعالى * والذين يؤذون الله ورسوله* الآية الرابع استحقاقهم العذاب والطعن واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله تعالى * ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم *وقوله تعالى* الا لعنة الله تعالى على الظالمين *وقوله تعالى *لم تقولون ما لا تفعلون* وقوله تعالى* اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم *لكن ذلك منتف بالاجماع ولكونه من اعظم المنفرات الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى* لا ينال عهدى الظالمين* لان كل من صدر عنه ذنب فهو فاسق وكل فاسق ظالم السادس كونهم غير مخلصين لان المذنب قد اغواه الشيطان والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى حكاية عن الشيطان * لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين* لكن اللازم منتف بالاجماع وبقوله تعالى فى ابراهيم ويعقوب *انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار* وفى يوسف * انه من عبادنا المخلصين السابع كونهم من حزب الشيطان ومتبعيه واللازم قطعى البطلان الثامن عدم كونهم مسارعين فى الخيرات معدودين عند الله تعالى من المصطفين الاخيار اذ لا خير فى الذنب لكن الذنب منتف لقوله تعالى فى حق بعضهم *انهم كانوا يسارعون فى الخيرات وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار* وقال اللقانى فى شرح جوهرته واعلم انهم عليهم السلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها بالاجماع ثم ذكر عصمتهم من الكبائر والصغائر وقد بسطنا الكلام على ذلك مفصلا فى كتابنا المطالب الوفية وذكرنا الجواب عن جميع ما وقع من الانبياء عليهم السلام مما يشبه المعاصى والمخالفات بما يطول شرحه والحق انا نؤمن بما ورد من ذلك فى الكتاب والسنة مع تنزيه ساحتهم مما نفهمه من العصيان فعصيانهم طاعتنا واما طاعتهم فلا يعلم بكيفية وقوعها منهم على الوجه الذى هم فيه من مراتب الاخلاص الخاص بهم الا الله تعالى وكذلك بقية مقاماتهم فى القرب (واولهم) اى اول الانبياء والرسل عليهم السلام (آدم) ابو البشر (وآخرهم) وافضلهم بالاجماع (محمد) نبينا (عليهما) اى عليه وعلى آدم (الصلاة) من الله تعالى (والسلام) قال فى شرح المقاصد واجمع المسلمون على ان افضل الانبياء عليهم السلام محمد صلى الله عليه وسلم لان امته خير الامم بقوله تعالى* كنتم خير امة اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا وتفضيل الامة من حيث انها امة تفضيل للرسول الذى هم امته ولانه مبعوث الى الثقلين وخاتم الانبياء والرسل ومعجزاته الظاهرة باقية على وجه الزمان وشريعته ناسخة لجميع الاديان وشهادته قائمة فى القيامة على كافة البشر الى غير ذلك من خصائص لا تعد ولا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم انا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر (ولا يعرف) بالبناء للمجهول اى لا يعرف احد (يقينا) اى على وجه القطع (عددهم) اى الانبياء والمرسلين عليهم السلام والحديث الوارد فى ذلك

آحاد لا يفيد القطع بل الظن وهو انه صلى الله عليه وسلم سئل عن عدد الأنبياء فقال مائة الف وفى رواية مائتا الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفى رواية واربعة عشر على ان الحديث متكلم فيه ايضا (ولا تبطل رسالتهم) اى الأنبياء عليهم السلام وكذلك نبوتهم (بموتهم) فهم الآن رسل وانبياء عليهم الصلاة والسلام وان نسخت شرايعهم اذ لا يلزم من النسخ بطلان الرسالة والنبوة فان قلت الى من هم الآن مرسلون وفى حق احكام من هم انبياء قلت هم مرسلون الآن الى امهم الماضين وانبياء فى حق احكامهم و قد انتقلوا هم واممهم من دار الدنيا الى البرزخ وانقطعت تكاليف اممهم بما جاؤا به لانتهاء احكام شرايعهم فى حقهم وحججهم قائمة على اممهم بالحق فاذا كان يوم القيامة ظهر ما هم الآن فيه من الرسالة والنبوة كما قال تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين* ولولا انهم مرسلون حتى فى يوم القيامة ما سماهم كذلك وفى عمدة العقائد للنسفى قال وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما فى حال نومه وكذا الرسل والانبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل وانبياء حقيقة لان المتصف بالنبوة والايمان الروح وهو لا يتغير بالموت اه كلامه ومثل ذلك الولاية ايضا فالاولياء بعد موتهم اولياء كما انهم فى حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات الأولياء باقية بعد موتهم ايضا كما انها باقية فى حال نومهم ومن زعم خلاف ذلك فى الكرامات فهو جاهل متعصب ولنا رسالة فى خصوص اثبات الكرامة بعد موت الولى (وهم) اى الرسل والانبياء عليهم السلام (افضل من الملائكة) عليهم السلام قال فى شرح المقاصد ذهب جمهور اصحابنا والشيعة الى ان الانبياء افضل من الملائكة خلافا للمعتزلة والقاضى ابى بكر الباقلانى وابى عبد الله الحليمى منا وصرح بعض اصحابنا بان عوام البشر من المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام البشر اى غير الانبياء عليهم السلام وفى شرح الطوالع للاصفهانى ذهب الى تفضيل الانبياء على الملائكة اكثر اصحابنا والشيعة خلافا للحكماء والمعتزلة والقاضى ابى بكر الباقلانى والحليمى من اصحابنا فى الملائكة العلوية فانهم ذهبوا الى ان الملائكة العلوية افضل من الانبياء دون الملائكة السفلية (الذين) نعت للملائكة (هم عباد) لله تعالى من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد لله تعالى والآية نزلت فى خزاعة قالوا الملائكة بنات الله فقال تعالى* وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه* تنزيه له عن ذلك بل عباد (مكرمون) مقربون (لا يسبقونه) تعالى (بالقول) اى لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله (وهم بامره) سبحانه (يعملون) لا يعملون قط ما لم يأمرهم به قاله البيضاوى (لا يوصفون) اى الملائكة عليهم السلام (بمعصية) صغيرة ولا كبيرة لانهم كالأنبياء معصومون واما كفر ابليس فانه ليس من الملائكة وان استثناه الله تعالى منهم لانه كان من الجن ففسق

عن امر ربه ولكنه لما كان فى صفة الملائكة فى باب العبادة ورفعة الدرجة وكان جنيا واحدا مغمورا فيما بينهم صح استثناؤه منهم تغليبا واما هاروت وماروت فالاصح انهما ملكان لم يصدر منهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما تعاتب الانبياء على السهو والزلة وكانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر ولا كفر فى تعليم السحر بل فى اعتقاده والعمل به كذا ذكره السعد فى شرح العقائد وقال البيضاوى وماروى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصى والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوى البصائر (ولا) يوصفون ايضا (بذكورة ولا انوثة) اذ لم يرد بذلك نقل ولا دل عليه عقل وما زعم عبدة الاصنام انهم بنات الله محال باطل وافراط فى شانهم فقال تعالى فى الرد عليهم * وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون * قال البيضاوى احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم (ولا) يوصفون ايضا (باكل ولا بشرب ولوازمهما) من التغوط والبول والعرق والمخاط والريح كما قال تعالى * فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط * قال البيضاوى انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا نأكل وقال اللاقانى فى شرح جوهرته مذهب جمهور المسلمين ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل باشكال شريفة مختلفة مستدلين بان الرسل عليهم السلام كانوا يرونهم كذلك اهو انما قوت الملائكة الذكر والتسبيح لا غير فيكتفون بالذكر والتسبيح عن الطعام والشراب كما قال تعالى * يسبحون الليل والنهار لا يفترون * وروى الحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال طعام المؤمنين فى زمن الدجال طعام الملائكة التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يومئذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع (ورسل الملائكة) عليهم السلام اى المرسلون منهم وهم الخاصة (افضل من عامة البشر) وهم غير الانبياء عليهم السلام (الذين) نعت لعامة البشر (هم افضل من عامة الملائكة) كالحفظة والموكلين بالارزاق والآجال قال فى شرح الصحائف ان الانسان مركب من النفس الناطقة والبدن والنفس الناطقة من عالم الملكوت وهى من الانوار الالهية كالملائكة وافعالها افعال الروحانيات من العلوم والمعارف والتأثير فى العالم السفلى اذا صفت عن الكدورات الحيوانية كما سمعت من الانبياء والاولياء والبدن آلة لها فى اكتساب الكمالات من الادراكات والعبادات وممارسة الخيرات فذات الانسان الذى حصلت لنفسه كمالات غير ممكنة المجردات بتقدير كون الملائكة مجردات اشرف والافعال الشريفة الصادرة عنه مع عوق القوى البدنية ومنع الاضداد العنصرية

افضل من افعال الملائكة الخالية عن هذه الشوائب والانبياء موصوفون بالكمالات الروحانية من العلوم والمعارف وخوارق العادات من التأثيرات فى الاجسام العنصرية والانباء عن الغيوب فكانوا افضل من الملائكة وذهب اكثر اهل السنة الى ان الرسل من بنى آدم افضل من الملائكة الرسل وغير الرسل والرسل من الملائكة افضل من عامة بنى آدم والمتقون من بنى آدم افضل من عامة الملائكة (وكرامات) جمع كرامة وهى امر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي من الانبياء عليهم السلام مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح فامتازت بعدم الاقتران بالتحدى عن المعجزة وبكونها على يد ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهى الخارق الظاهر على ايدى عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح عن الاستدراك وبمتابعة نبي قبله عن الخوارق المؤكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة فى بئر عذبة الماء ليزداد ماؤها حلاوة فصار ملحا اجاجا ذكره اللاقانى (الاولياء) الاحياء والاموات اذ الولى لا ينعزل عن ولايته بالموت كالنبى لا ينعزل عن نبوته بالموت كما قدمناه وهو جمع ولى وهو العارف بالله تعالى وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات ذكره السعد فى شرح العقائد فبالانهماك خرج تناول اللذات والشهوات من غير انهماك بها وبتحصيلها بان كان لا يمنع نفسه من تناولها اذا تيسرت بلا تكلف منه وكانت حلالا له (حق) ثابت بالنص القرآنى من قصة مريم عند ولادة عيسى عليه السلام وانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله * فقد كانت فى كفالة زكريا عليه السلام وكان لا يدخل عليها احد غيره وكان اذا خرج من عندها اغلق عليها سبعة ابواب واذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فتعجب من ذلك وسألها فاجابته بانه من عند الله وانه يرزق من يشاء بغير حساب * ومن قصة اصحاب الكهف ولبثهم فى الكهف سنين بلا طعام ولا شراب ومن قصة آصف بن برخيا واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام اليه وقد تواتر فى المعنى وان كانت التفاصيل آحادا كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقتنا هذا من الصالحين قاله اللاقانى وفى شرح مقاصد المقاصد للدلجى قال وليس انكار الكرامة من اهل البدع بعجيب اذ لم يشاهدوا ذلك من انفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم مع اجتهادهم فى العبادات واجتناب السيئات فوقعوا فى اولياء الله تعالى اهل الكرامات يأكلون لحومهم ويمزقون اديمهم جاهلين كون هذا الامر مبنيا على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة بل العجب من قول بعض فقهاء

اهل السنة فيما روى عن ابراهيم بن ادهم رضى الله عنه انه رؤى بالبصرة و بمكة يوم التروية ان من اعتقد جوازه كفر والانصاف ما قاله النسفى وقد سئل عما قيل ان الكعبة كانت تزور احد الاولياء هل يجوز القول به فقال نقض العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عند اهل السنة (من قطع المسافة البعيدة فى المدة القليلة) من الزمان وقد رتب على ذلك الفقهاء الحنفية والشافعية كثيرا من المسائل الشرعية قال فى فتح القدير لابن الهمام من باب ثبوت النسب قال بعض المشايخ قيام الفراش كاف ولا يعتبر امكان الدخول بل النكاح قائم مقامه كما فى تزوج المشرقى مغربية والحق ان التصور شرط ولذا لو جاءت امرأة الصبى بولد لا يثبت نسبه والتصور ثابت فى المغربية لثبوت كرامات الاولياء والاستخدامات فيكون صاحب خطوة اوجنى وذكر ابن حجر الهيتمى الشافعى فى فتاواه انه اذا غربت عليه الشمس فى بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعا آخر لم تغرب فيه بعد ما صلى المغرب فى البلد الاول لا يلزمه اعادتها (وظهور الطعام والشراب واللباس) من الغيب (عند الحاجة) الى شئ من ذلك كما وقع لكثير من الاولياء (والطيران فى الهواء) كما نقل عن جعفر بن ابى طالب ولقمان السرخسى وغيرهما (والمشى على الماء وكلام الجماد والعجماء) كالبهيمة والطير (وغير ذلك) من انواع الخوارق للعادة الواقعة للاولياء تكرما لهم من الله تعالى (و يكون ذلك) اى ما كرم الله تعالى به الولى (لرسوله) اى رسول ذلك الولى (معجزة) وان كان بعد موت الرسول فالمعجزة على هذا لا يشترط لها حياة الرسول بل تكون بعد موته ايضا وكذلك الكرامة تكون بعد موت الولى ايضا كرامة له كما قدمناه (ولا يبلغ) اى لا يصل الولى (درجة النبى) اصلا فنبى واحد افضل من جميع الاولياء (ولا) يصل الولى ايضا فى مقام القرب من الله تعالى (الى حيث يسقط عنه) اى عن ذلك الولى (الامر والنهى) من الله تعالى (وافضلهم) اى الاولياء (ابو بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر) بن الخطاب (الفاروق) لقب به لانه كان يعبد سرًّا قبل اسلامه فلما اسلم قال لن يعبد الله سرا بعد هذا اليوم فهو اول من اظهر شعائر الاسلام وفرق بعزمه فى الظاهر بين النور والظلام (ثم عثمان) بن عفان (ذو النورين) لجمعه بين بنتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رقية ثم ام كلثوم تزوج اولا برقية قبل الهجرة فماتت بعد ان ولدت له غلاما سماه عبد الله ثم تزوج ام كلثوم فماتت ولم تلد له فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت عندنا ثالثة لزوجتها عثمان (ثم على المرتضى) بصيغة اسم المفعول لان الله تعالى ارتضاه للخلافة عن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الخلفاء الثلاثة دون باقى الامة اولأنّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتضاه خليفة عنه فى المدينة على اهله فى غزوة تبوك وقال له انت منى بمنزلة هارون من موسى الاانه لانبى بعدى (وخلافتهم) اى هؤلاء الاربعة عن رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم كانت (على هذا الترتيب ايضا) اى كما هى فضيلتهم كذلك
(ثم) بعدهم فى الفضيلة (سائر) اى بقية (الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ونكف)
السنتنا وقلوبنا (عن ذكرهم) اى الصحابة وذكر ما جرى بينهم من الحروب (الا بخير)
فان جميع ما كان بينهم من الحروب كان اجتهادا منهم رضى الله عنهم وهم مثابون
عليه فى كل حال فمن اخطأ اثيب مرة ومن اصاب اثيب مرتين (ونشهد بالجنة)
على وجه القطع (للعشرة المبشرة) بذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهم الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وسعد وسعيد وابو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن
ابن عوف (و) لبنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاطمة) الزهراء ايضا (و)
لابنيها من على رضى الله عنه (الحسن والحسين وغيرهم) اى غير من ذكر (ممن بشرهم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كخديجة بنت خويلد اما فاطمة بنت النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم كما روى النسائى عن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم على وبشرنى ان حسنا
وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وامهما سيدة نساء اهل الجنة وفى خبر النسائى قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد واخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن الديلمى فى مسند الفردوس
باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شباب اهل الجنة خمسة
حسن وحسين وابن عمر وسعد بن معاذ وابى بن كعب (لا) نشهد بالجنة (لغيرهم) اى
غير ما ذكر (بعينه) اى عين ذلك الغير كانسان معين من الامة فان فيه تحكما على الله
تعالى واخبارا بما لا يعلم قال الشيخ الوالد رحمة الله تعالى فى كتابه الاحكام شرح درر
الحكام من قطع لاحد من أئمة الهدى بالجنة كابى حنيفة ومالك والشافعى فقد اخطأ
وكذا الجنيد وابو يزيد والشبلى ونحوهم من الصالحين انتهى كلامه واذا لم نقطع لهم
بالجنة يكون فى غالب ظننا لهم ذلك واكبر رجائنا لانهم اهل صلاح وخير وقد عاشوا
على هدى وماتوا كذلك لان الاصل بقاء ما كان على ما كان ولا يثبت خلاف الاصل
الا بيقين ولكن لما احتمل تغير احوالهم عند الموت تركنا القطع الى غلبة الظن والله
لا يضيع اجر المحسنين وقوله بعينه احتراز عن القطع لكل مسلم لا بعينه فان ذلك جائز
من غير شبهة (ثم) بعد الصحابة فى الفضيلة (التابعون) ثم تابعوا التابعين رضوان الله
عليهم اجمعين (والمسلمون لابد لهم من امام) اى سلطان يقع هوى انفسهم بالزامهم
الحق قهرا عنهم (قادر على تنفيذ الاحكام) الشرعية فيهم لعلمه بذلك وقوته عليه
بالشجاعة والجنود (مسلم) اذ لا ولاية لكافر على المسلم (حر) لان العبد لا ولاية له
(مكلف) اى عاقل بالغ (ظاهر) غير مختف ليمكن كل احد من الرعية
الوصول اليه عند الاحتياج (قرشى) اى من قريش وهو اسم لاولاد النضر

ابن كنانة (ولايشترط ان يكون هاشميا) اى منسوبا الى هاشم وهو ابو عبد المطلب جد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللاقانى فى شرح جوهرته فى شروط الامام انها خمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة اواعتقاد لان غير المكلف من الصبي والمعتوه قاصر عن القيام بالامور على ما ينبغى والعبد مشغول بخدمة السيد لايتفرغ للامور مستحقر فى اعين الناس لايهاب ولايمتثل امره وتشترط الذكورة ايضا فلايكون الامام امرأة ولاخنثى مشكلا لانه بالنساء اشبه والنساء ناقصات عقل ودين ممنوعات من الخروج الى مشاهد الحكم ومعارك الحرب والفاسق لايصلح لامر الدين ولا يوثق باوامره ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا فكيف يصلح للولاية ومن الوالى لدفع شره اليس بجب استرعاء الغنم الذئب واما الكافر فامره ظاهر وزاد الجمهور اشتراط ان يكون شجاعا لئلا يجبن عن اقامة الحدود ومقاومة الخصوم مجتهدا فى الاصول والفروع ان وُجِد والّا فامثل المقلدين ليتمكن من القيام بامر الدين ذا رأى فى تدبير الحروب لئلا يخبط فى سياسة الجمهور ولم يشترط هذه الثلاثة بعضهم فى الامام وجوز الاكتفاء فيها بالاستعانة من الغير بان يفوض امر الحروب ومباشرة الخطوب الى الشجعان ويستفتى المجتهدين فى الدين ويستشير اصحاب الآراء الصائبة فى امور الملك محتجا بندرة وجودها فى شخص واحد وحينئذ فاما ان يجب نصب واجدها فيؤدى الى تكليف مالايطاق او يجب نصب فاقدها وذلك الغاءلها اولايجب لاهذا ولاذاك فيكون اشتراطها مستلزما للمفاسد التى يمكن دفعها بنصب فاقدها فلاتكون هذه الاوصاف معتبرة فيها ورد ماتمسك به بانا نختار عدم الوجوب مطلقا لكن للامة ان ينصبوا فاقدها دفعا للمفاسد التى تندفع بنصبه وقال السعد فى شرح العقائد ويكون الامام من قريش ولايجوز من غيرهم ولايختص ببنى هاشم واولاد على رضى الله عنهم (ولا) يشترط ان يكون (معصوما) لثبوت امامة ابى بكر رضى الله عنه مع القطع بعدم عصمته (ولا افضل زمانه) لان المساوى فى الفضيلة بل المفضول الاقل علما وعملا ربما كان اعرف بمصالح الامامة ومفاسدها واقدر على القيام بمواجبها خصوصا ونصب المفضول ادفع للشر وابعد من اثارة الفتنة (ولا ينعزل) عن الامامة (بفسق وجور) اى ظلم رعيته فلايجوز الخروج عن طاعتهم بسبب ذلك فانه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الائمة والامراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد باذنهم ولايرون الخروج عليهم واخرج الاسيوطى فى الجامع الصغير عن الطبرانى عن ابى امامة واسناده حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لاتسبوا الائمة وادعوا الله لهم بالصلاح فان صلاحهم لكم صلاح (ونجوز الصلاة) من الفرض والنفل (خلف كل بر) بالفتح اى صالح (وفاجر)

اذ الاسلام كاف فى امامة الصلاة فان الصحابة والتابعين كانوا يقتدون بالحجاج فى الجمعة وغيرها وكفى به فاجرا (ويصلى) بالبناء للمفعول اى يصلى المسلمون (عليه) اى على كل بر وفاجر اذا مات مسلما (ويجوز المسح) وهو اصابة اليد المبتلة ونحوها العضو (على الخفين) الملبوسين على طهارة تامة (فى الحضر) يوما وليلة (و) فى (السفر) ثلاثة ايام ولياليها (ولا يحرم) شرب (نبيذ) اى منبوذ (الجر) جمع جرة وهى اناء من فخار ونبيذها هو نقوع التمر والزبيب ونحوهما بان ينبذ اى يلقى فى الماء فتظهر حلاوته فيه (ان لم يكن مسكرا) اى مغيبا للعقل او مخدرا للحواس فانه حينئذ لا يجوز شربه (وفى دعاء الاحياء للاموات) الاقارب والاجانب (وصدقتهم عنهم نفع لهم) يصل اليهم بفضل الله تعالى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى ان الانسان له ان يجعل ثواب عمله لغيره صلاة او صوما او صدقة او قراءة قرآن او ذكرا او طوافا او حجا او عمرة او غير ذلك عند اصحابنا كذا فى البحر وقال فى خزانة الفتاوى وغيرها ولو صام او صلى او اعتق او قرب شيئا من القربات ليصل ثوابه الى الميت يجوز ويصل اليه وفى اذكار النووى اجمع العلماء على ان الدعاء للاموات ينفعهم ويصلهم ثوابه واحتجوا بقوله تعالى *والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان* وغير ذلك من الآيات بمعناها والاحاديث المشهورة كقوله عليه السلام اللهم اغفر لاهل بقيع الفرقد وقوله اغفر لحينا وميتنا (وفضل الاماكن) كمكة والمدينة والبيت المقدس (حق) ثابت فى الاخبار النبوية وكذلك المساجد الثلاث التى تشد اليها الرحال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاث مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى (والعلم افضل من العقل) لان العقلاء انما يتميزون بالعلم مع تساويهم فى العقل كما قال تعالى *يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات* وقال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون* وقال العينى فى شرح البخارى اختلفوا فى العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم فى اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقائق المعلومات اه وتقدم هذا فى صدر الكتاب فعلى الاول لا يتصور التفاضل بينهما وعلى الثانى لا شك فى افضلية العلم لانه اعم من العقل وكذلك على القول الثالث (واطفال المشركين) الذين ماتوا قبل البلوغ ذكورا كانوا او اناثا (لا يدرى) بالبناء للمفعول اى لا يدرى احد (انهم) بعد الموت (فى الجنة) يخدمون اهلها (ام فى النار) يعذب بهم آباؤهم ولا يعذبون فقيل انهم خدم اهل الجنة وقيل بانهم فى النار من غير عذاب كما ورد فى الحديث ان الذباب كله فى النار ليعذب به اهل النار زيادة على عذابهم ولا يعذب هو وقيل ان اطفال المشركين فى الاعراف بين الجنة والنار وقيل بالوقف فيهم وهو منقول عن ابى حنيفة رضى الله عنه (وللكفرة

حفظة) من الملائكة يحفظونهم حتى تنفذ فيهم اقدار الله تعالى لانهم مكلفون بالايمان قال الشيخ الوالد فى شرحه على شرح الدرر والاصح ان الكافر تكتب اعماله الان كاتب اليمين كالمشاهد على كاتب اليسار (والمعدوم ليس بشئ) اى لايطلق عليه لفظ الشئ الامجازا كقوله تعالى *انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون *فسماه شيئا باعتبار مايؤل اليه من الوجود والافالمحققون على ان الشيئية ترادف الوجود والثبوت والعدم يرادف النفى (والسحر) وهواتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم ثم ان اقترن بكفر فكفر والا فكبيرة عند الشافعى وكفر عند غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (واقع) اى امر محقق قال النووى فى شرح مسلم مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لا حقيقة لها وقدذكره الله تعالى فى كتابه وذكرانه مماتعلم وذكرمافيه واشار الى انه ممايكفربه وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن فيمالاحقيقة له وحديث سحر النبى صلى الله عليه وسلم مصرح باثباته وانه اشياء دفنت واخرجت وهذاكله يبطل ماقالوه فاحالة كونه من الحقائق محال ولايستنكر فى العقل ان الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عندالنطق بكلام ملفق اوتركيب اجسام اوالمزج بين قوى على ترتيب لايعرفه الاالساحر واذا شاهد الانسان بعض الاجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالادوية الحادة ومنها مضرة كالادوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله ان ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة اوكلام مهلك اومؤد الى التفرقة (واصابة العين جائزة) حتى رتب فقهاء الشافعية وجوب الضمان على من اتلف بها وفى شرح مسلم قال النووى فى قوله صلى الله عليه وسلم العين حق ولوكان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا قال الامام ابوعبدالله المازرى اخذ جماهير العلماء بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس بمخالف فى نفسه ولايؤدى الى قلب حقيقة ولا فساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشرع بوجوده وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه وهل من فرق بين تكذيبه بهذا وتكذيبه بمايخبره من امور الآخرة وقدزعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك اويفسد قالوا ولايمتنع هذا كمالايبعد انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وان كان غيرمحسوس لنافكذا العين ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عندمقابلة هذا الشخص لشخص آخر وقدورد الشرع بالوضوء لهذا الامر فى حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله فامر النبى صلى الله عليه وسلم عاينه ان يتوضأ رواه مالك

فى الموطأ وصفة وضوء العاين عند العلماء ان يؤتى بقدح ماء ولا يوضع القدح فى الارض فيأخذ منه اى الحاسد غرفة فيتمضمض بها ثم يمجها فى القدح ثم يأخذ منه ماء فيغسل به وجهه ثم يأخذ بشماله ماء يغسل به كفه اليمنى ثم بيمينه ماء يغسل به كفه اليسرى ثم بشماله ماء يغسل به مرفقه الايمن ثم يأخذ بيمينه ماء يغسل به مرفقه الايسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين ثم يغسل قدمه اليمنى ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وذلك فى القدح ثم داخلة ازاره وهو الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الايمن وقد ظن بعض الناس ان داخلة الازار كناية عن الفرج وجمهور العلماء على ما قدمنا فاذا استكمل هذا صبه من خلفه على رأسه وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه وليس فى قوة العقل الاطلاع على اسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بان لا يدفع معناه وقد اختلف العلماء فى العاين هل يجبر على الوضوء للمعين ام لا واحتج من اوجبه بقوله صلى الله عليه وسلم فى رواية مسلم هذه واذا استغسلتم فاغسلوا وبرواية الموطأ التى ذكرناها انه صلى الله عليه وسلم امره بالوضوء والامر للوجوب قال المازرى والصحيح عندى الوجوب (وكل مجتهد) من الاجتهاد وهو فى اللغة تحمل الجهد اى المشقة وفى الاصطلاح استفراغ المجهود فى استنباط الحكم الشرعى الفرعى عن دليله وهو على قسمين اجتهاد مقيد ويكفى فيه الاطلاع على اصول مقلده لان استنباطه على حسبها واجتهاد مطلق وشرطه ان يحوى علم الكتاب المتعلق بمعرفة الاحكام بمعانيه افراد اوتركيبا فيفتقر الى ما يعلم فى اللغة والصرف والنحو والمعانى والبيان بسليقة اوتعليم وبمعانيه شرعا واقسامه من الخاص والعام والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ وغيرها وضابطه ان تمكن من العلم بالقدر الواجب منهما عند الرجوع وان يحوى علم السنة المتعلقة بمعرفة الاحكام بلفظها الدال على المعنى لغة وشرعا واقسامها من الخاص والعام وغير ذلك وسندها وهو طريق وصولها الينا من تواتر وغيره وهذا يتضمن معرفة حال الرواة والجرح والتعديل والصحيح والضعيف وغيرها وطريقه فى زماننا الاكتفاء بتعديل الائمة الموثوق بهم لتعذر الاطلاع على حقيقة حال الرواة اليوم وان يحوى علم موارد الاجماع لئلا يخالفه فى اجتهاده (مصيب) فى اجتهاده (ابتداء) اى فى اول اجتهاده قبل ظهور الحكم له (بالنظر الى الدليل) لبذل تمام الوسع فيه حيث ترتبت الحسنة على الاجتهاد والخطأ كما قال عليه السلام لعمرو بن العاص رضى الله عنه احكم على انك ان اصبت فلك عشر حسنات وان اخطأت فلك حسنة والحسنة لا تترتب على الحسنة من كل وجه لا يقال يجوز ان يكون ترتب الحسنة للمشقة الاجتهادية لا للاصابة فى الدليل لانا نقول الدليل اذا لم يكن شرعيا فالاخذ به ان لم يؤد الى العقاب فلا اقل من ان لا يؤدى الى الثواب (وقد يخطئ) المجتهد (فى الانتهاء بالنظر الى الحكم) الذى ظهر له من الدليل (لان الحق واحد معين) عند الله تعالى لانه

او تعدد لزم الفساد اذا تغير الاجتهاد لان الاجتهاد الاول ان بقى حقا لزم اجتماع المتنافيين بالنسبة اليه والا لزم النسخ بالاجتهاد وكل منهما فاسد فالمجتهد يخطئ ويصيب خلافا للمعتزلة فانهم يقولون ان كل مجتهد مصيب والحق عندهم متعدد وتمامه فى مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول (والنصوص) الواردة فى الكتاب والسنة (تحمل على ظواهرها) المفهومة من غير كلفة (ان امكن) ذلك مالم يصرفها عن الظاهر دليل قطعى كما فى الآيات التى تشعر ظواهرها بالجسمية والجهة ونحو ذلك (والعدول) اى الاعراض (عنها) اى عن الظواهر مع امكانها (الى معان) اخرى (يدعيها اهل الباطن) وهم الملاحدة ويأتى الاخبار عن ذلك انه كفر قال السعد فى شرح العقائد واما ماذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفية الى دقائق تنكشف على ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان (وردّ النصوص) القطعية من الكتاب والسنة بانكار الاحكام التى دلت عليها كحشر الاجساد مثلا وقذف عائشة رضى الله عنها بالزنا (واستحلال المعصية) صغيرة او كبيرة اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعى وكان حراما لعينه كشرب الخمر واما الحرام لغيره كوطئ الحائض فلا يكفر مستحله (والاستخفاف بالشريعة) اى عدم المبالات باحكامها واهانتها واحتقارها حتى ذكر فى البحر شرح الكنز ان من ترك الصلاة متعمدا غير ناو للقضاء وغير خائف من العقوبات انه يكفر (واليأس من رحمة الله) تعالى لانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون (والامن) وهو عدم الخوف (من عذابه) تعالى (وسخطه) اى غضبه لانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (وتصديق الكاهن فيما يخبره من الغيب كله كفر) اى ردة عن دين الاسلام لقوله عليه السلام من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد والكاهن هو الذى يخبر عن الكوائن فى مستقبل الزمان ولنا رسالة فى حكم المتكلم بالاخبار الزمانية سميناها اللؤلؤ المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون وفى شرح مسلم للنووى كانت الكهانة فى العرب ثلاثة اضرب احدها ان يكون للانسان ولى يخبره بما يسترق من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم الثانى ان يخبره بما يطرأ او يكون فى اقطار الارض وما خفى عنه مما قرب او بعد ولا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين واحالوهما ولا استحالة فى ذلك ولا بعد فى وجوده لكنهم يصدقون ويكذبون والنهى عن تصديقهم والسماع منهم عام الضرب الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه اغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذى يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعى معرفتها بها وقد يعتضد بعض هذا الفن ببعض فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم واسباب

معتادة وهذه الاضرب كلها تسمى كهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم (قال فى) كتاب الفتاوى (التاتارخانية) فى فقه الحنفية (من قال بحدوث صفة من صفات الله تعالى) كالعدم القدرة ونحو ذلك (فهو كافر) بالله تعالى ولهذا يكفر من قال بحدوث كلام الله تعالى الذى هو القرآن لانه صفته تعالى (وفيها) اى التاتار خانية (سئل) مصنفها رحمه الله تعالى باللغة الفارسية (عن قوم) من الناس (ذات بارى) اى ذات الله تعالى (جلت قدرته محل حوادث ميكويند) اى قالوا بان ذات البارى محل للحوادث (ماحكمهم قال) اى فى الجواب (كافر شدند) اى صاروا كافرين (بى) اى بلا (شك) ولاريب (وفيها) اى فى التاتار خانية (سئل عمن قال بان الله) تعالى (عالم بذاته) اى ذاته علمه (ولانقول له) صفة (العلم قادر بذاته) اى ذاته قدرته (ولانقول له القدرة وهم المعتزلة) والفلاسفة نفاة الصفات (هل يحكم بكفرهم ام لا قال يحكم) بكفرهم (الا انهم ينفون الصفات) بقولهم ذلك (ومن نفى الصفات فهو كافر) والحاصل ان القائلين بان الصفات عين ذاته تعالى طائفتان محقة ومبطلة فالمبطلة المعتزلة والفلاسفة لايؤمنون ان له تعالى صفات زائدة على ذاته سبحانه عقلا بل هى عين ذاته عندهم عقلا والمحقة اهل الكمال من العارفين فانهم يقولون ان له تعالى صفات هى عين الذات بالنظر الى الامر على ما هو عليه مما لايعلمه الا الله تعالى وهى غير الذات بحسب النظر العقلى وهو محض الايمان كما بسطناه وحققناه فى كتابنا المطالب الوفية (وفيها) اى التاتارخانية (ان اعتقد ان لله) سبحانه (رجلا وهى الجارحة) اى هى جسم مركب حيث سمع قدم الجبار الوارد فى الحديث (فانه يكفر) لاعتقاده فى الله تعالى الجسمية اللازمة للحدوث وكذلك من اعتقد ان لله تعالى يدا هى جارحة اوعينا حيث ورد النص بذلك فانها صفات له تعالى لايعلم بها الا هو وهى من جملة المتشابهات والكلام فيها معروف فى محله (وفيها) اى فى التاتار خانية (ومن قال بان الله) تعالى (جسم لا كالاجسام) يعنى لايشابه جسما من الاجسام اصلا (فهو مبتدع) حيث اثبت انه جسم وهو خلاف الشرع اذ لم يرد فيه ذلك (وليس بكافر) لانه قال لا كالاجسام فقال بالتنزيه فى الجملة (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال الله عالم فى السماء ان اراد به) اى بذلك القول (المكان) له تعالى (كفر) لانه قول بانه تعالى جسم كالاجسام وهو كفر (وان اراد به) مجرد (الحكاية عما جاء فى ظاهر الاخبار) كقوله تعالى ءأمنتم من فى السماء وقوله عليه السلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا وغير ذلك (لايكفر) لانه حكى الوارد من ذلك (وان لم يكن له نية) فى قلبه حين قال ذلك لانوى المكان لله تعالى ولانوى الحكاية (يكفر عند اكثرهم) اى العلماء (وفى) كتاب (التحيير وهو) اى الكفر (الاصح وعليه الفتوى) لانه ظاهر فى التجسيم كما فى البزازية والمفهوم من قوله عند اكثرهم ان عند اقلهم عدم الكفر وكذلك المفهوم من قوله الاصح ان الصحيح عدم الكفر ولايحكم بالكفر متى كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة او كان الكلام يحتمل معنى

صحيحا وههنا يمكن حمله على نية سماء العقول وهى الغيب المطلق او نحو ذلك
من التأويلات الحسنة فى حق الغير ولايحكم فيه بالكفر قال فى تنوير الابصار ولايفتى
بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن اوكان فى كفره خلاف ولورواية ضعيفة
وفى جامع الفصولين روى الطحاوى عن ابى حنيفة واصحابنا رحمهم الله تعالى انه لايخرج
الرجل من الايمان الاجحود ما ادخله فيه ثم مايتقن بانه ردة يحكم بها اذ الاسلام ثابت
لايزول بالشك مع ان الاسلام يعلو و ينبغى للعالم اذا رفع اليه هذا ان لايبادر بتكفير
اهل الاسلام مع انه يقضى بصحة اسلام المكره وقال النووى فى ادب العالم والمتعلم
من مقدمة شرح المذهب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل
كلام يفهم منه نقص الى سبعين محملا ثم قال ولايعجز عن ذلك الاقليل التوفيق
وفى طبقات الشعراوى نقل القزوينى فى كتابه سراج العقول عن امام الحرمين انه
كان يقول حين يسئل عن كلام غلاة الصوفية لو قيل لنا فصّلوا مايقتضى التكفير
من كلامهم ممالايقتضيه لقلنا هذا طمع فى غير مطمع فان كلامهم بعيد المدرك وغير
المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهاية الحقايق لم يحصل
من دلائل التكفير على وثائق كما انشد بعضهم فى معنى ذلك

* تركنا البحار الزاخرات ورآنا * فمن اين يدرى الناس اين توجهنا *

وسئل الشيخ تقى الدين السبكى رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة واهل
الاهواء والمتفوهين بالكلام على الذات المقدس فقال رحمه الله تعالى اعلم ايها السائل
ان كل من خاف من الله عزوجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لااله الاالله محمد رسول الله
اذ التكفير امر هائل صعب عظيم الخطر لان من كفر شخصا فكأنه اخبر ان عاقبته
فى الآخرة الخلود فى النار ابد الآبدين وانه فى الدنيا مباح الدم والمال لايمكن من نكاح مسلمة
ولايجرى عليه احكام المسلمين لافى حياته ولابعد مماته والخطأ فى ترك الف كافر اهون
من الخطأ فى سفك محجمة من دم امرئ مسلم وفى الحديث لان يخطئ الامام فى العفو
احب الى الله من ان يخطئ فى العقوبة ثم ان تلك المسائل التى يفتى فيها بتكفير
هؤلاء القوم فى غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها واختلاف قرائنها وتفاوت
دواعيها والاستقصاء فى معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع على حقائق
التأويل وشرائطه فى الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة وذلك
يستدعى معرفة طرق اهل اللسان من سائر قبائل العرب فى حقائقها ومجازاتها
واستعاراتها ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه الى غير ذلك مما هو متعذر جدا
على اكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم واذا كان يعجز عن تحرير معتقده فى عبارة
فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته فابقى الحكم بالتكفير الالمن صرح بالكفر واختاره
دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة وهذا نادر وقوعه فالادب

الوقوف عن تكفير اهل الاهواء والبدع والتسليم للقوم فى كل شئ قالوه مما يخالف صريح النصوص وقال ابن نجيم الحنفى فى البحر شرح الكنز والذى تحرر انه لايفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن اوكان فى كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة فعلى هذا اكثر الفاظ التكفير المذكورة لايفتى بالتكفير بها وقد الزمت نفسى ان لاافتى بشئ منها اه وفى شرح الدرر ثم اذا كان فى المسئلة وجوه توجب الاكفار ووجه واحد يمنعه يميل العالم الى ما يمنعه ولايرجح الوجوه على الواحد لان الترجيح لايقع بكثرة الادلة ولاحتمال انه اراد الوجه الذى لايوجب الاكفار (وفيها) اى التاتار خانية (لوقال) هكذا بالفارسية (نه مكانى) اى لامكان (ازتو) اى منك والخطاب لله تعالى (خالى) يعنى مافى الوجود مكان خال منك اصلا (نه تو) اى ماانت (درهيج مكانى) اى فى مكان واحد (فهذا كفر) لان فيه نسبة المكان الى الله تعالى وهو يقتضى الجسمية فى حقه تعالى والجسمية تقتضى الحدوث وهو محال (وفيها) اى التاتار خانية (رجل قال علم خدا) اى علم الله تعالى (درهمه مكانى هست) اى موجود فى كل مكان (هذا خطأ) لان فيه ايهام حلول العلم الالهى فى المكان ولكن لما كان ذلك للعلم لاللذات والعلم صفة للذات لاتفارقها اصلا رجع معنى ذلك القول الى احاطة علمه تعالى بكل مكان فكان خطأ فى العبارة وليس بكفر (وفى) كتاب (النصاب) اى نصاب الاحتساب (والصواب) فى العبارة (ان يقول) قائل ذلك القول (كل شئ معلوم لله تعالى) فان هذه العبارة لاايهام فيها لشئ مما ذكر (وفيها) اى فى التاتار خانية (رجل وصف الله تعالى بالفوق او بالتحت) بان قال له تعالى فوق بالنسبة اليه او تحت (فهذا تشبيه) له تعالى بالاجسام التى لها فوق وتحت فهو تجسيم لله تعالى (و) التجسيم (كفر) كما ذكرنا (وفيها) اى فى التاتار خانية (رجل قال يجوز ان يفعل الله تعالى فعلا لاحكمة فيه يكفر لانه وصف الله تعالى بالسفه) وهو العبث واللهو (وهو كفر) لانه يؤدى الى مشابهة الحوادث بانتفاء صفة الحكمة فى كل افعاله تعالى وذلك محال (وفيها) اى فى التاتار خانية (ولوقال خدا اى بود) اى كان الله تعالى (وهيج نبود) اى وما كان (و باشد) اى و يكون الله تعالى ايضا (وهيچ نباشد) اى ولا يكون شئ اصلا (فقد قيل الشطر الثانى) وهو قوله ويكون الله ولايكون شئ اصلا (من كلام الملاحدة) الكافرين بالتمسك فقط بالعلم الباطن والاستهانة بعلوم الشريعة والدين (فان ظنهم ان الجنة ومافيها من الحور العين للفناء) والاضمحلال (وهو كفر عند بعض المشايخ) لان فيه الرد على النصوص المقتضية بقاء الجنة ومافيها وخلود اهلها من غير زوال (خطأ عظيم عند البعض) من العلماء لاحتمال ارادة الحكاية لمعنى قوله تعالى *كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام*

فان كل قابل للفناء والزوال فانه فى حد ذاته زائل مضمحل واما الشطر الاول و هو قوله كان الله تعالى وماكان شئ فهو حق ثابت لقوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شئ معه وهو الآن على ماعليه كان اى لاشئ معه ايضا فى وجوده اذ ماعداه تعالى من الاكوان ليس له مع الله تعالى رتبة الاثنينية لان وجود الاكوان به تعالى لامعه وماكان به فهوله (وفيها) اى فى التاتار خانية (من انكر القيامة اوالجنة اوالنار اوالميزان اوالحساب اوالصراط اوالصحائف المكتوب فيها اعمال العباد) فانه (يكفر) لانكاره ماهو الثابت بالنصوص القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية واجمعت عليه الامة المرضية (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال ان الميزان) اى الذى يكون يوم القيامة (عبارة عن العدل فقط) اى عدل الله تعالى فى خلقه ولايكون يوم القيامة ميزان حقيقى توزن به الاعمال (فهومبتدع) اى احدث فى الاعتقاد مالم يرد فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعهد من دين ائمة الهدى (وليس بكافر) لايمانه بالميزان فى الجملة حيث لم يكن منه صريح التكذيب للآيات والاحاديث (وفيها) اى فى التاتارخانية (من انكر عذاب القبر فهو مبتدع) اى صاحب بدعة فى اعتقاده ولم يصادم انكاره خبرا متواترا حتى يكفر فان عذاب القبر ثابت بالحديث الآحاد لا بالقرآن الاّعلى احتمال فى بعض الآيات كما قدمناه ولايكفر بانكار المحتمل (ومن انكر شفاعة الشافعين يوم القيامة فهو كافر) لثبوتها بالقرآن فى عدة مواضع وينبغى ان لايكفر بانكار تفاصيل الشفاعات لثبوتها بالآحاد (وفيها) اى فى التاتارخانية (ومن قال بتخليد اصحاب الكبائر) كالزناة وشربة الخمر ونحوهم (فى النار) بحيث لايخرجون منها ابدا (فهومبتدع) لاعتقاده مايخالف السنة مما اجمعت عليه الامة الناجية من ان عصاة المؤمنين اذاماتوا قبل التوبة كانوا فى مشيئة الله تعالى بدليل قوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * ولايكفر معتقد ذلك لتمسكه بظاهر بعض الآيات والاحاديث كقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها * الآية وقوله عليه السلام لايزنى الزانى حين يزنى وهومؤمن وان كان تمسكهم هذا غير صحيح الدلالة على زعمهم لارادة المستحل فى الاول اوالخلود بمعنى طول المدة لاالتأبيد وارادة الايمان الكامل فى الثانى اوالزانى المستحل كما تقرر فى موضعه (وفيها) اى فى التاتارخانية (لو انكر رؤية الله تعالى بعد الدخول) اى دخول اهل الجنة (فى الجنة يكفر) لانكاره ماهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فقوله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * واما السنة فقوله عليه السلام انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة رضى الله عنهم واما الاجماع فهو ان الامة كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الآخرة وان الآيات الواردة فى ذلك محمولة على ظواهرها

ثم ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبهاتهم وتأويلاتهم كذا ذكره السعد في شرح العقائد ثم ذكر في موضع آخر منه قال والجمع بين قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القرآن او استحال الرؤية او سب الشيخين رضي الله عنهما ولعنهما وامثال ذلك فمشكل انتهى كلامه ويمكن ان يدفع الاشكال بان قولهم بالكفر بناء على انكار الثابت بالنص القطعي وانكاره كفر بالاجماع وقولهم بعدم الكفر في احد من اهل القبلة بناء على ان لهم فيما قالوه تأويلا يحتمل صرف قولهم اليه فتى قطع نظر القائل بذلك عن التأويل كان انكاره كفرا ومتى اعتبر التأويل لم يكن كفرا بل بدعة اعتقادية ارأيت ان جميع ما وقع في كتب الفتاوى من كلمات الكفر التي صرح المصنفون فيها بالجزم بالكفر لا يجوز الفتوى بشيء منها اذا كان له تأويل يحتمل عدم الكفر او كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة كما قدمناه فيكون الكفر فيها محمولا على ارادة قائلها المعنى الذي علاوابه الكفر فيها واذا لم تكن ارادة قائلها ذلك فلا كفر بها (وكذلك) يعني كما ذكر (لو قال لا اعرف عذاب القبر فهو كافر) لان انكاره لعذاب القبر اقترن بنوع استهزاء على من ورد عنه ذلك وهو الشارع صلى الله عليه وسلم في صرايح الاحاديث وان كانت آحادا لا يكفر منكرها لكن اذا تضمن انكارها الاستهزاء والاستهانة بمن وردت عنه لا نعتبر هي من جهة عدم القطعية فيها ويبقى معنى الاستهزاء والاستهانة بالشارع وذلك كفر لا محالة (وفيها) اي في التاتارخانية (يجب اكفار القدرية) وهم فرقة من الفرق الضالة وقد افترقوا الى احد عشرة فرقة (في نفيهم كون الشر بتقدير الله تعالى) وهم فرقة يقال لهم الثنوية قائلون بان الله تعالى لم يقدر الشر والمعاصي بل قالوا الخير مخلوق لله تعالى والشر مخلوق للشيطان وقد روى اللالكائي عن رافع بن خديج رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيكون في امتي قوم يكفرون بالله وبالقرآن وهم لا يشعرون قال قلت يقولون ماذا يا رسول الله قال يقولون الخير من الله والشر من ابليس وذكر الحديث كذا في حسن التنبه في التشبه للنجم الغزي (وفي دعواهم) يعني القدرية (ان كل فاعل) من حيوان او غيره (خالق فعل نفسه) دون الله تعالى وهي فرقة منهم يقال لها المعمرية اصحاب معمر ابن عباد السلمي سموا انفسهم اصحاب المعاني وهم اعظم القدرية فرية في نفي الصفات والقدر وقالوا ان الله تعالى لم يخلق شيئا غير الاجسام والعرض من اختراعات الاجسام اما طبعا كحرق النار او اختيارا كالحيوان يحدث الحركة ذكره في حسن التنبه (وفيها) اي في التاتارخانية (يجب اكفار الكيسانية) وهم فرقة من فرق الشيعة اصحاب كيسان (في اجازتهم البدا على الله تعالى) يقال بدا له في الامر بدوا وبدأ وبدأة نشأ له رأي فيه كذا في القاموس وقد قالوا ما لم تقل به اليهود فان اليهود منعوا النسخ لزعمهم انه بدء وهو ممتنع على الله تعالى عندهم وهذه الفرقة اجازته على الله تعالى فكفرت (ويجب

اكفار الروافض فى قولهم برجع الاموات) بعد موتهم (الى الدنيا) ايضا (و) قولهم (بتناسخ الارواح) اى انتقالها من جسد الى جسد على الابد (وانتقال روح الا له الى الائمة) الاثنى عشر من اولاد على كرم الله وجهه وهم على المرتضى وحسن المجتبى وحسين الشهيد وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى المرتضى ومحمد التقى وعلى بن محمد النقى والحسين العسكرى ومحمد المنتظر (وان الائمة) المذكورين عندهم (آلهة) لحلول الاله فيهم وهذا كله كفر لاقتضائه انكار القيمة واعتقادا لحلول فى حق الله تعالى (وبقولهم) يعنى الرافضة (بخروج امام باطن) الآن وهو الامام المنتظر عندهم وهو المهدى (وتعطيلهم الامر والنهى) بحيث لا يجب على احد مراعاتهما (الى ان يخرج الامام الباطن) المذكور ولاشك فى ان ذلك كفر (وبقولهم) اى الرافضة (ان جبريل) عليه السلام (غلط فى الوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم دون على ابن ابى طالب رضى الله عنه) حتى انهم يفضلون عليا على النبى صلى الله عليه وسلم (وهؤلاء القوم) المذكورون (خارجون عن ملة الاسلام) قطعا لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (واحكامهم احكام المرتدين) حيث يدعون الاسلام ويقولون بذلك (ويجب اكفار الخوارج)وهم فرق كثيرة منهم الازارقة اصحاب نافع بن الازرق ومنهم الاباضية اصحاب عبدالله بن اباض (فى اكفارهم جميع الامة) حيث قالوا بكفر جميع المسلمين (وفى اكفارهم على بن ابى طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم) قال فى حسن التنبه الازارقه اصحاب نافع بن الازرق الذين خرجوا معه بالبصرة الى الاهواز وما وراءها فى ايام عبدالله بن الزبير كفروا عليا رضى الله عنه وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعائشه وابن عباس وسائر المسلمين وكفروا من قعد عن القتال معهم واباحوا قتل اطفال مخالفيهم ونساءهم وقالوا اطفال المشركين معهم فى النار والاباضية قالوا ان مخالفيهم من اهل القبلة كفار غير مشركين (ويجب اكفار اليزيدية) وهم فرقة من جملة الفرق الخوارج الاباضية (فى انتظار نبى من العجم) خلاف العرب (ينسخ ملة محمد صلى الله عليه وسلم) وينزل عليه كتاب قد كتب فى السماء ينزل جملة واحدة وتترك الشريعة المحمدية ولاشك فى كفرهم ولاشبهة (ويجب اكفار النجارية) اصحاب الحسين بن محمد النجار (فى نفيهم صفات الله تعالى) كالمعتزلة (وفى قولهم ان القرآن جسم اذا كتب) فهو عين الحبر والقرطاس عندهم (وعرض) بالتحريك (اذا قرئ) فهو عين الحروف والاصوات لان ذلك يقتضى ان يكون مخلوقا ومن قال ان القرآن مخلوق فهو كافر على ماهو مقرر فى موضعه (وفيها) اى فى التاتارخانية (واختلف الناس) اى العلماء (فى اكفار المجبرة) وهم الجبرية الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والقدرية فى طرفى نقيض فالقدرية يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون ان كل ما يجرى من افعال العبد فهو

فعل الله تعالى ولايثبتون للعبد كسبا واهل السنة وسط بين الطريقين لاتفريط ولاافراط و يعتقدون ان الله خالق العبد ومايعمل ويثبتون للعبدقدرة ويسمون مايصدر عنها كسبا ومنهم من يسميه اختيارا و قداخطأ القدرية فى تسميتهم اهل السنة جبرية (فنهم) اى من العلماء (من اكفرهم) اى المجبرة لانكارهم تكليف الله تعالى لعباده وتسفيههم ذلك (ومنهم من ابى) اى ترك (اكفارهم) لتأولهم نحوقوله تعالى * الله خالق كل شئ * وقوله * لايقدرون مما كسبوا على شئ * وان كان زعمهم فاسدا وتأويلهم باطلا لكنه درأعنهم الكفرو الزمهم البدعة فى الاعتقاد والزيغ عن مذهب اهل السنة والجماعة (والصواب اكفار من لم ير) اى من لم يعتقد (للعبد) المكلف (فعلا اصلا) وانما افعاله كلها افعال الله تعالى للزوم انكار التكليف الشرعى اذلامعنى لتكليف الجماد وانما تكليفه سفه وعبث وذلك محال على الله تعالى (ويجب اكفار معمر) بن عباد السلمى ومن تابعه (فى قوله ان الانسان غير الجسد) الظاهر (وانه) اى الانسان (حى) بحياة له مستقلة غير حياة الجسد (قادر) على فعل كل شئ (مختار) فى ذلك (وانه ليس بمحرك ولاساكن) لكونه ليس بجسم (ولايجوز عليه شئ من الاوصاف الجائزة على الاجسام) من الكبر والصغر والطول والقصر والاتصال والانفصال والتحيز والمكان والجهة فان قوله هذا تترتب عليه قبايح كثيرة وضلالات وافرة منها انكار كون هذا الجسد المتحرك الساكن هو الانسان الذى كلفه الله تعالى بالشرايع والاحكام فيقتضى ذلك انكار التكليف وهو كفر ومنها نسبة الانسانية الى الله تعالى الموصوف بماذكر من الاوصاف فانه تعالى حى قادر مختار ليس بمحرك ولاساكن ولايجوز عليه شئ من صفات الاجسام ومع ذلك فهو المستولى على هذا الجسد المستجمع للانسانية التى هى صفة النفس الناطقة وهى روح وعقل ونفس حيوانية ونفس نباتية ونفس جمادية ولايقال انه اراد بالانسانية الروحانية اللطيفة الحاملة للجسد التى وصفها الامام الغزالى وغيره بقوله الروح مجرد غير حال فى البدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر امره على وجه لايعلمه الا الله تعالى لانا نقول انه لواراد ذلك لما قال حى قادر مختار فان الروح لاتوصف بالحياة والقدرة والاختيار الا باعتبار الجسد فالجسد يصير حيا بالروح ويصير قادرا مختارا بها ولا وجود للارواح المجردة عند اهل السنة اصلا بل لابد من الاجساد اما الاجساد الدنيوية العنصرية اوالبرزخية النورانية اوالظلمانية ومنها انه يلزم من هذا القول ان الجسد المتحرك الساكن اذافعل من المعاصى و الكفر ما عسى ان يفعل لايكون مؤاخذا بذلك اذليس هو الانسان والمكلف بالاجتناب انما هو الانسان ومنها انه يلزم من ذلك عدم امكان الامتثال لامر الله تعالى والاجتناب عن نهيه اذالانسان المكلف بذلك غير الجسد فكيف يمتثل و يجتنب

ومنها انه يلزم من ذلك ان يكون امتثال التكاليف واجبا على الانسان بمجرد التفكر بدون فعل الجسد فاذا امتثل تفكرا سقط عنه الامر واكتفى عن النهى وهذه كلها امور ملغية لاحكام الله تعالى فهي موجبة للكفر (ويجب اكفار قوم من المعتزلة بقولهم ان الله تعالى لا يرى شيئا) من الاشياء اصلا (ولا يرى) بالبناء للمفعول اى لا يراه احد فان الاول انكار لقوله تعالى * الم يعلم بان الله يرى * والثاني انكار لرؤية الله تعالى فى الآخرة وذلك كفر لا محالة (ويجب اكفار شيطان الطاق) وهو لقب محمد بن النعمان ابى جعفر الاحول رأس الفرقة النعمانية من فرق غلاة الرافضة (فى قوله ان الله تعالى لا يعلم شيئا الا اذا اراده وقدره) فيلزم على هذا الزعم الباطل انه تعالى لا يعلم الا خلقه ولا يعلم ذاته سبحانه ولا صفاته ولا اسماءه ولا احكامه لانه لم يقدر ذاته ولا اراد ها ولا قدر صفاته ولا اسماءه ولا احكامه ولا تعلقت ارادته بذلك لان ذاته تعالى قديمة وكذلك صفاته واسماؤه واحكامه قديمات ازليات والقديم لا يتعلق به الارادة ولا التقدير وهذا نفى لعلم الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فكان كفرا (وفيها) اى فى التاتارخانية (من يقول بقول جهم) بن صفوان وهو اول من قال بخلق القرآن كان كوفى الاصل فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا جالس اهل العلم بل كان يكلم المتكلمين ويجالس الدهرية حتى شك فى الاسلام ومكث اربعين يوما لا يصلى وقيل له صف لنا ربك الذى تعبده فدخل البيت ومكث اياما ثم خرج اليهم فقال هو هذا الهواء مع كل شئ وفى كل شئ ولا يخلو منه شئ فقتل على بدعته باصبهان فلما ضربت عنقه اسود وجهه ذكره النجم الغزى فى حسن التنبه (فهو خارج عندنا) معشر اهل السنة والجماعة (من الدين) المحمدى (فلا نصلى عليه) اذا مات (ولا نتبع جنازته) لكفره بالله تعالى العظيم قال الامام ابو زرعة الرازى حدثت عن العلا بن سويد قال ذكر جهم عند عبد الله بن المبارك فقال شعرا

* عجبت لشيطان الناس داعيا * الى النار واشتق اسمه من جهنم *

وروى ابو نعيم فى الحلية عن على بن الحسن بن شقيق قال قال عبد الله بن المبارك ايها الطالب علما ائت حماد بن زيد

* فاطلب العلم بحلم * ثم قيده بقيد * لا كثور وكجهم * وكعمرو بن عبيد *

يعنى بثور ثور بن يزيد وكان هو وعمرو بن عبيد قدريين وروى بن ابى حاتم عن سعيد بن احمد صاحب ابى اسحاق الفزارى قال انما خرج جهم سنة ثلاثين ومائة فقال القرآن مخلوق فاكفره العلماء كذا فى حسن التنبه (واما صنف القدرية الذين يردّون العلم) اى علم الله تعالى (فكذلك عندنا) يعنى خارجين من الدين لا نصلى عليهم ولا نتبع جنائزهم اذا ماتوا لكفرهم بذالك (وتفسير) اى بيان (رد العلم) الذى يقولون به (انهم يقولون ان الله تعالى يعلم كل شئ

عند كونه) اى وجود ذلك الشئ (وكذلك كل شئ يكون) اى يوجد (عند كونه) اى وجوده وعلم الله تعالى به مقارن لوجوده فكما ان وجوده لايتقدم عليه علمه تعالى به لايتقدم ايضا عندهم (واما الشئ الذى لم يكن) اى لم يوجد (فانه لايعلم) اى لايعلمه الله تعالى (حتى يكون) اى يوجد (فهؤلاء) القائلون بهذه المقالة الباطلة (كفار) حيث نفوا علم الله تعالى بالاشياء قبل وجودها وحكموا بحدوث علمه سبحانه حيث كان مقارنا للاشياء الحادثة فى الوجود (لانتزوج من نسائهم ولانزوجهم) من نسائنا لردتهم بدعواهم الاسلام مع هذه المقالة ولايجوز تزوج المرتدة ولاتزويج المرتد (ولانتبع جنائزهم) اذا ماتوا لكفرهم بذلك (واما المرجئة) من الفرق الضالة (فان ضربا) اى نوعا (منهم يقولون نرجى) اى نكل (امر المؤمنين والكافرين الى الله تعالى) من غير ان يقطعوا لاحد بثواب اوعقاب (فيقولون الامر) عندنا (فيهم) اى فى المؤمنين والكافرين موكول (الى الله) تعالى (يغفر لمن يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء) من المؤمنين والكافرين ايضا (ويقولون له) اى لله تعالى (الآخرة والاولى) كما قال الله تعالى * وان لنا للآخرة والاولى * فيفعل مايشاء ويحكم مايريد (فكما نرى انه) سبحانه وتعالى (يعذب من يشاء من المؤمنين فى الدنيا وينعم من يشاء من الكافرين) فيها (وذلك منه) سبحانه وتعالى (عدل فى الحكم (فكذلك فى الآخرة) ينعم من يشاء من المؤمنين والكافرين ويعذب من يشاء من المؤمنين والكافرين (فيسوون حكم الآخرة والاولى) اى الدنيا (فهولاء ضرب من المرجئة وهم كفار) حيث انكروا وعد المؤمنين ووعيد الكافرين وساووا بين من لم يساو الله تعالى بينهم حيث قال سبحانه تعالى * ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار * الى امثال ذلك من الآيات والاحاديث الدالة على القطع للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار من غير شك ولاتردد واجمعت جماعة المسلمين على ذلك من غير شبهة (وكذلك الضرب الآخر) من المرجئة (الذين يقولون حسناتنا) التى نعملها كلها (متقبلة) اى مقبولة عند الله تعالى قطعا (وسيئاتنا) التى نأتى بها جميعها (مغفورة) لايؤاخذنا الله تعالى على شئ منها لانا مؤمنون والايمان كاف عن جميع الطاعات (والاعمال) كلها التى كلف الله تعالى بها عباده (ليست بفرائض) بل كلها نوافل يتخير العبد بين فعلها وتركها (ولايقرون بفرائض الصلاة والزكاة والصيام وسائر) اى بقية (الفرائض) كالحج والجهاد وبر الوالدين (ويقولون هذه) كلها (فضائل) زائدة (من عمل بها فحسن) يعنى له الثواب على عمله (ومن لم يعمل) بشئ من ذلك (فلا شئ عليه) من العقاب (فهؤلاء ايضا) اى كالضرب الاول (كفار) لانكارهم العقاب على السيئات بوجه القطع وجحودهم الفرائض القطعية

(واما المرجئة الذين يقولون لانتولى) اى لانتخذ اولياء يعنى لانساوى فى الايمان (المؤمنين المذنبين ولانتبرأ منهم) ايضا (فهؤلاء المبتدعة) لحكمهم بان الذنوب تنقص من حقيقة الايمان بحيث يصير المذنب لامؤمن خالص ولاكافر خالص وهذا بدعة فى الاعتقاد (ولاتخرجهم بدعتهم) هذه (من الايمان الى الكفر) لعدم استلزامها جحود شئ من القطعيات (واما المرجئة الذين يقولون نرجى) اى نفوض ونكل (امر المؤمنين الى الله) تعالى يعنى المذنبين وغيرهم (فلا ننزلهم) اى لا نجعل لهم على وجه القطع (جنة ولانارا ولانتبرأ منهم و نتولىهم) اى نتخذهم اولياء اى مساوين لنا (فى الدين فهم على السنة) النبوية والطريقة المرضية (فالزم قولهم وخذ به) فانه حق وهم الذين اخذوا بقوله تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء * وتسموا بقوله تعالى * وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم * الآية (واما الخوارج) من الفرق الضالة (فمن لم يرد قولهم شيئا من كتاب الله) تعالى وسنة نبيه القطعية (وكان خطأهم فى قولهم (على وجه التأويل) وهو تفسير الكلام باحد محتملاته (يتأولون ان الاعمال) من الفرائض وغيرها (ايمان) فهم (يقولون ان الصلاة ايمان وكذا الصوم والزكاة) كل واحدة ايمان ايضا (وكذلك جميع الفرائض) من الحج والجهاد وغيرهما (والطاعات) من الواجبات والنوافل (فمن اتى بالايمان بالله) تعالى (وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) اتى بفعل (جميع الطاعات المفروضة وغيرها (فهو مؤمن ومن ترك شيئا من الطاعات) المفروضة (كفر و يقولون الزانى يكفر حين يزنى) اى فى وقت زناه (وشارب الخمر يكفر حين يشرب) اى فى تلك الحالة اخذا من ظاهر قوله عليه السلام لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن (وكذا يقولون فى جميع مانهى الله عنه) من فعله فانه يكفر حين فعله قياسا على مافى الحديث (يكفرون الناس) اى المسلمين (بترك العمل) من فعل المنهى عنه وترك المأمور به (فهؤلاء تأولوا) الاخبار الشرعية (واخطأوا) فى تأولهم ذلك (فهم مبتدعة) مخالفون باعتقادهم لعقائد اهل السنة والجماعة وليسوا بكافرين (فاياك) ياايها المؤمن المتابع لسنة النبى صلى الله عليه وسلم فى الاعتقاد والقول والعمل (وقولهم) ذلك فتباعد عنه (ولاتقل بقولهم) اصلا (واجتنبهم) اى لاتخالطهم (واحذرهم) ان يفتنوك بشئ من زخارف مذهبهم (وفارقهم وخالفهم) تسلم منهم (واما من لم ير المسح على الخفين) من الروافض والشيعة ويرون المسح على ارجلهم من غير خفين (فقد رغب) اى اعرض (عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كان المسح على الخفين سنته عليه السلام كما وردت به الاحاديث المشهورة القريبة من التواتر (فهو عندنا) معشر اهل السنة

والجماعة (مبتدع) لمخالفة السنة النبوية ولهذا لما سئل ابو حنيفه رضى الله عنه عن مذهب اهل السنة والجماعة قال هو ان تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين فالشيخان ابو بكر وعمر والختنان عثمان وعلى رضى الله عنهم اجمعين فالختن زوج البنت (فلا تتخذه) اى من لم ير المسح على الخفين (اماما فى صلاتك) لاحتمال انه مسح على رجليه حيث يتعين عليه ذلك فى مذهبه فيبطل وضوءه فلا تصح صلاته فتكون اقتديت بمحدث (ولا توقره) اى تعظمه (ولا تختلف) اى تتردد (اليه) فتخالطه وتجالسه (فانه صاحب بدعة) وقد ورد النهى عن مجالسة المبتدع فى الدين ففى الحديث من انتهر صاحب بدعة ملأ الله تعالى قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الاكبر ذكره فى الشرعة (انتهى) اى كلام صاحب التاتارخانية (فعليك ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالجد) اى الاجتهاد (والتشمير) اى المبادرة والمسارعة (فى تحصيل) مقام (اليقين) وهو السكون واطمئنان القلب (بمذهب اهل السنة والجماعة والاذعان) اى الانقياد والتسليم (له) اى للمذهب المذكور (وغاية التيقظ) من غباوة الذهول (والتنبه) من نوم الغفلة (والتضرع) اى التوسل (والاستعانة بالله تعالى) فى احوالك كلها وامورك جميعها (حتى لا تزل) من الزلل وهو الخطأ (قدمك ولا يزول اعتقادك) الحق الذى فى قلبك (باضلال مضل) من شياطين الانس والجن (وتشكيك مشكك) يدخل عليك شبهة فيفسد عليك دينك ويكدر صفاء مشربك (فانى قد سمعت) باخبار احد لى (عن بعض متصوفة) اى مدعين التصوف وليسوا بصوفية على الجد (زماننا) وهو عصر التسعمائة الذى كان فيه المصنف رحمه الله تعالى (حكى عن شيخه ان واحدا من اقربائه) اى اقرباء الشيخ او الحاكى (يرى الله) سبحانه وتعالى (فى كل يوم مرة او مرتين وان موسى عليه السلام مع كونه كليم الله لم يتيسر له ذلك) يعنى رؤية الله تعالى (وقيل له) اى قال تعالى له (لن ترانى) حين طلب الرؤية بقوله * رب ارنى انظر اليك * اعلم ان رؤية الله تعالى فى الدنيا بالبصر جائزة من وجهين الاول قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام * رب ارنى انظر اليك * فانه دال على جواز الرؤية والا يلزم الجهل او العبث على موسى عليه السلام لانه ان لم يعلم امتناعها لزم الجهل وان علم وسأل لزم العبث ومثل موسى عليه السلام لا يجوز ان يكون جاهلا بوصف من اوصاف الله تعالى او يكون عابثا بالله تعالى والوجه الثانى قوله تعالى * فان استقر مكانه فسوف ترانى * علق رؤيته على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن والمعلق على الممكن ممكن فتكون الرؤية ممكنة كذا فى شرح الصحائف وقال السعد فى شرح المقاصد والاستدلال فى الآية من وجهين احدهما انه لو لم تجز الرؤية لم يطلبها موسى عليه السلام واللازم باطل بالنص والاجماع والتواتر وتسليم الخصم وجه الملازمة انه ان كان عالما بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز

كان طلبه الرؤية عبثا واجتراء لايليق بالانبياء عليهم السلام وان كان جاهلا لم يصلح
ان يكون نبيا وكلاهما باطل وثانيهما انه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو ممكن
في نفسه ضرورة والمعلق على الممكن ممكن لان معنى التعليق ان المعلق يقع على تقدير
المعلق عليه والمحال لايقع على شئ من التقادير انتهى وحيث ثبت انها جائزة في الدنيا
بالبصر فهل هي واقعة لاحدام لا قال الشيخ علوان بن عطية الحموى في شرح
الشيبانية اعلم ان فصل الخطاب هنا ان رؤية الله تعالى جائزة عقلا ولكنها مع جوازها
عقلا هل هي واقعة حسا جائزة شرعا اولا هذا محل النظر والذى نراه والله اعلم بغيبه
انها غير واقعة بالبصر لغير سيدنا محمد سيد البشر صلى الله عليه وسلم ولو وقعت لاعطيها
الكليم ومن المعلوم ان آخر مقامات الولاية اول مقامات الصديقية وآخر مقامات
الصديقية اول درجات النبوة وآخرها اول درجات الرسالة وآخرها اول درجات
اولى العزم الذين من جملتهم موسى عليه السلام ولم يظفر بالرؤية على المشهور
عند الجماهير من السلف والخلف مع اختلافهم في وقوعها وثبوتها للنبى الفاتح
الخاتم صلى الله تعالى وسلم ليلة الاسراء فبين منكر من الصحابة كعائشة ومن وافقها
رضى الله عنهم فقد صرحت بتكذيب من نسب ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم
كما رواه مسلم وبين معترف بها مسلم لها كابن عباس واتباعه رضى الله عنهم وكل
منهم اخبر عما وصله واعتقده فكيف يظفر بها عن دونهم في الرتبة واسفل منهم
بكثير في الدرجة والمشهور عند علماء الظاهر والباطن كالقشيرى والغزالى وغيرهما
ان الشهود والرؤية انما هما بالقلب دون المقلة في هذه الدار الفانية لان البصر
فان والحق باق ولا يرى الباقى بالفانى فاذا كان يوم القيامة ركبوا تركيبا باقيا فكانت
ابصارهم باقية فصح ان يرى الباقى بالباقى ونحو هذا منقول عن الامام مالك
مستحسن منه وقال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى كتابه
انشاء الجداول والدوائر لكل شئ في الوجود اربع مراتب الا الله تعالى فان له
في الوجود المضاف الينا ثلاث مراتب المرتبة الاولى وجود الشئ في عينه وهى
المرتبة الثانية بالنظر الى علم الحق تعالى بالمحدث المرتبة الثانية وجوده في العلم
وهى المرتبة الاولى بالنظر الى علم الله تعالى بنا والمرتبة الثالثة وجوده في الالفاظ
والمرتبة الرابعة وجوده في الرقم ووجود الله سبحانه وتعالى بالنظر الى علمنا على هذه
المراتب ماعدا مرتبة العلم الثانية يعنى وجوده في عينه هذا هو الادراك الذى
حصل بايدينا اليوم ولا ادرى اذا وقعت المعاينة البصرية المقررة في الشرع هل
يحصل في نفوسنا اثبات او مزيد وضوح في جنس العلم الذى بايدينا اليوم منه في علمنا به
سبحانه وتعالى فان كان كذلك فليس له الا ثلاث مراتب وان كان يوجب النظر
اثباتا في الدار الآخرة وحيث وقعت المعاينة لمن وقعت فصفه بالمرتبة الرابعة وقال

فى عقيدة اهل الاختصاص من اول كتاب الفتوحات المكية متعلق رؤيتنا الحق تعالى
ذاته سبحانه ومتعلق علمنا به اثباته الها بالاضافات والسلوب فاختلف فلا يقال
فى الرؤية انها مزيد وضوح فى العلم لاختلاف المتعلق وان كان وجوده غير ماهيته
فلا ننكر ان معقولية الذات غير معقولية كونها موجودة انتهى كلامه فانظر كيف
فرق بين العلم بالله تعالى وبين رؤيته وقد صرح ان الذى بايدى العارفين اليوم انما
هو العلم بالله سبحانه لا رؤيته تعالى والرؤية انكشاف آخر غير انكشاف العلم ومن
اشتبه عليه الفرق سمى العلم رؤية وادعى الرؤية فى الدنيا وهو باطل وقال اللاقانى
فى شرح جوهرته لم تقع رؤية الله تعالى فى الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم على
خلاف فيها وفى موسى عليه السلام خلاف ايضا والاصح انه لم ير واقتضى جواب القاضى
ابى بكر وحكاه ابو فورك عن الاشعرى انه رأى هو والجبل بخلق حياة ورؤية فيه فمن
ادعاها غيرهما فى الدنيا يقظة فهو ضال باطباق المشايخ وفى كفره قولان والذى
جزم به الكواشى والمهدوى كفره ونقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء
فى الدنيا والصواب مع ناقل الخلاف نعم المنع ارجح قولى الاشعرى وقد صرح ابو عمرو
ابن الصلاح وابو شامة والكلاباذى بتكذيب مدعيها يقظة فى الدنيا وان مدعى
ذلك لم يعرف الله تعالى قال العلامة القونوى فان صح عن احد من المعتبرين وقوع
ذلك امكن تأويله ان غلبات الاحوال تجعل الغائب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال
السر بشئ واستحضاره له صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالواجدان
لكل احد وعليه يحمل ما نقل عن ابن عمر وغيره رضى الله عنهم انه كان يطوف حول
البيت فسلم عليه انسان فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضى الله عنه فقال كنا نتراءى الله تعالى فى ذلك
المكان ومنه اخذ ان هذا الحال قد يتفق فى زمان دون زمان ومكان دون مكان وقال الشيخ
علوان رحمه الله تعالى فى شرح الشيبانية فكذب مدعى الرؤية هنا مما كان يطبق عليه
الخاص والعام لاسيما ممن يكون متمسكا بالاوهام غير متخلق ولا متحقق بقواعد الاسلام
ففسقه لكذبه فى دعاويه وافترائه فيما يحكيه واضح لا شك فيه واما التجلى والاستتار
فى اصطلاح القوم فامرهما مشهور واما كفره وزندقته فنكله الى الله العليم بحقائق
الامور على ان صاحب الانوار صرح بكفره حيث قال فى باب الردة ولو قال انى ارى الله
ويكلمنى شفاها كفر اه والحاصل ان الاحتياط فى عدم التكفير لمدعى ذلك خصوصا
والمسئلة اذا كان فيها خلاف لا يفتى بالتكفير فيها كما قدمناه ولكن الكذب والفسق
والضلال ثابت له ان لم يتب من دعوى ذلك وسبب دعوى الرؤية عدم المعرفة بالفرق
بين العلم بالله تعالى وبين رؤيته سبحانه فيظن الجاهل انه اذا علمه تعالى فقد رآه
وربما ادعى ان رؤية كل موجود بحسبه فرؤية الموجود الحق تعالى هى العلم به
فان اعترف قائل ذلك بالرؤية الواردة فى الشرع وانها تكون فى الآخرة على وجه

لايعلمه الآن في الدنيا كان ادعاؤ ذلك في الدنيا بتسمية العلم رؤية بمجرد اصطلاح كما هو
عادة بعض الصوفية وان لم يعترف قائل ذلك بالرؤية الشرعية في الآخرة وحكم بإنها
مثل رؤيته في الدنيا التي هي العلم به تعالى فهو منكر لرؤية الآخرة ومنكر رؤية الآخرة
كافر وجميع ما وقع في كلام الكاملين من أئمة الصوفية من اثباتهم رؤية الله تعالى في الدنيا
مرادهم به الرؤية القلبية وهي الشهود للتجلي الالهي من قبيل قوله عليه السلام
في مقام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومنه قول الصديق
رضي الله عنه مارأيت شيئا الا ورأيت الله قبله وقول السيد عمر رضي الله عنه مارأيت
شيئا الا ورأيت الله بعده وقول عثمان رضي الله عنه مارأيت شيئا الا ورأيت الله معه
فالاول رأى الاشياء بالله والثاني رأى الله بالاشياء والثالث رأى الله في الاشياء وقد ورد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه
كان فرأى الله وحده بلا شيء وورد عن باب مدينة العلم الامام علي رضي الله عنه انه
كان يقول انا لا نعبد ربا لم نره فكل من قال من الصوفية رأيت الله تعالى واني ارى الله
تعالى مراده شهود الله تعالى بعين البصيرة لا رؤيته سبحانه بالبصر حتى لو لم يكن
اراد ذلك يجب على السامع ان يحمل كلامه على ارادة ذلك لئلا يسيء الظن بالمسلم
متى امكن حمل كلامه على محمل حسن مالم يصرح فيقول رأيت الله بعيني التي في وجهي
فيحكم حينئذ عليه بالجهل وعدم معرفة الله تعالى خصوصا اذا فضل نفسه على
موسى عليه السلام بان موسى عليه السلام مارأى الله تعالى وقيل له لن تراني وهو
رأى الله تعالى فان هذا كفر صريح فان الولي لا يصل الى مرتبة النبي اصلا ولا يدانيه
كما قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه في كتابه شرح الوصية اليوسفية ولقد روينا عن ابي
موسى الدبيلي عن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه انه سأل الله تعالى رؤية مقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له انك لا تطيق اي نورك الذي ترى به يضعف
عن ادراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحق في هذه الحال بصره فكيف به لو لم يكن
بصره فالح في السؤال قال ابو يزيد ففتح لي من ذلك قدر خرم ابرة فلم اطق الثبوت
عند ذلك واحترقت هذا قوله عن نفسه وذكر الشيخ الاكبر رضي الله عنه ايضا
في كتابه المذكور حكاية ابي يزيد في حق المريد الذي قال له بعض اصحابه لم لا تمشي
الى بيت ابي يزيد فتراه فقال المريد رأيت الله واغناني عن ابي يزيد فقال له الرجل
لان ترى ابا يزيد مرة خير لك من ان ترى الله الف مرة يشير الى ان الحق تعالى في معرفة
ابي يزيد اتم منه في معرفة هذا المريد به فاراد المريد وكان صادقا ان يرى صدق هذا
القائل فاتفق ان ابا يزيد مر فقال له الرجل هذا ابو يزيد فنظر اليه ذلك المريد فمات
من ساعته فقيل لابي يزيد عنه فقال كان الحق تعالى عنده على قدره وقدرنا اعظم
من قدره فعرفتنا بالله اعظم من معرفته فلما رآني كشف الله عن بصيرته فرأى الحق

على قدرنا على قدره لا فلم يطق خفاته اه كلامه فابو يزيد مع مقامه هذا لم يقدر ان يثبت
لقدر خرم ابرة من مقام نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم فكيف من دونه من الصوفية
اذا تقرر هذا وثبت عندك فاعلم ان مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخاتم المقامات
النبيين والمرسلين عليهم السلام من اعلى المقامات كلها وهو الجامع لجميعها وقدورثه
فى مقامه هذا اولياء كثيرون من امته يقال للواحد منهم ختم الولاية المحمدية وكل
ولى دونه على مشرب نبي من الانبياء عليهم السلام وفى كل زمان ختم ولاية واولياء
دونه الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى ومن المعلوم ان جميع الانبياء عليهم السلام
لم يدركوا عصر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعرفوا ما هو متحقق به من علوم ختم
النبوة وانما لهم علم النبوة الخاصة بهم وقدورثه عليه السلام كثير من اكابر اولياء
امته فى علوم ختم نبوته ولم يفتهم غير النبوة فقط فيعلم الولى الوارث الكامل المحمدى بسبب
ارثه لخاتم النبوة مالم يعلمه الانبياء الاولون وان كان النبي الواحد منهم افضل من جميع
اولياء الامة المحمدية اذ الفضيلة اختصاص الهى لا باعتبار كثرة العلم ارأيت بان الرجل
افضل من المرأة والحر افضل من العبد ولو كانت المرأة حاوية لعلوم شتى وكان الرجل
جاهلا فانه من جهة صفة الرجولية افضل من المرأة وان كانت المرأة اكثر علما منه وكذلك
الحر الجاهل افضل من العبد العالم وان كان العبد اكثر علما من الحر فان الهدهد وهو طير
قال لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به وجئتك من سباء بنباء يقين وكذلك قصة
الخضر مع موسى عليهما السلام والخضر مختلف فى نبوته وموسى من اولى العزم اجماعا
وقد وجد عند الخضر علوم لم توجد عند موسى عليه السلام حتى امر موسى عليه السلام
بالتعلم منه فقال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصى
لك امرا الآية فلم يبعد ان يوجد عند الولى من العلم مالم يعلمه نبي من الانبياء خصوصا على
القول بولاية الخضر رضى الله عنه وانه ليس بنبي اذا تقرر لك هذا وثبت عندك فاعلم
ان من هذا القبيل قول الشيخ الاكبر رضى الله عنه خضنا بحرا وقفت الانبياء بساحله
فان البحر هو علم ختم الولاية الموروث من خاتم النبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
والانبياء وقفوا بساحل بحر خاتم النبوة بلا شبهة لانهم لم يدركوه ولا تأخروا عنه
ليخوضوا بحر علومه مثل اتباعه الوارثين له ومثله قول الشيخ عمر بن الفارض رضى الله
عنه فى قصيدته التائية حيث قال

لقد خضت بحرا دونه وقف الاولى * بساحله صونا لموضع حرمتى

ومثل هذا كثير فى كلام الورثة المحمديين فرؤية الله تعالى فى الدنيا هى بالبصيرة القلبية
كما قدمناه قد تكون فى الولى الجامع اتم منها فى النبي بسبب اقتباس ذلك من مشكاة محمد
صلى الله عليه وسلم فربما قال الولى رأيت مالم يره موسى عليه السلام ويريد بقلبه

لابعينه فان الكلام السابق ليس فيه ذكر العين والبصر اصلا لا في نفسه ولا في موسى عليه السلام ولا في الآية ذكر ذلك فربما كان مراد القائل لمثل ماتقدم من الكلام الرؤية القلبية المسماة شهودا وعرفانا ومراده ان موسى عليه السلام طلب زيادة في رؤيته القلبية وفي عرفانه فلم يتيسر له لان ذلك مخصوص بخاتم النبيين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبورثته الكاملين من امته من مشكاته عليه السلام ولهذا ورد ان موسى عليه السلام قال يارب اجعلني من امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى وصفهم عنده في التوراة المنزلة عليه فيكون قائل ذلك القول مريدا لما ذكرنا ومتى احتمل الكلام صوابا لايحكم فيه بالخطأ والله اعلم بحقائق الاحوال والحاصل ان مقتضى شريعتنا هذه المبنية على الكتاب والسنة ان امر الانسان اذا احتمل الخير والشر يحمل على الخير ما امكن حتى لايبقى له تأويل اصلا ثم مادام ذلك الانسان مدعيا للاسلام يسلم له كلامه فهو اعلم به ولا يقال له لست مسلما كما قال الله تعالى * ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا * الآية فاذا اعترف بالتحول عن الاسلام الى غيره يحكم عليه حينئذ بالردة كما قدمناه فيما سبق ولا يجوز حمل كلامه على الوجه الفاسد مادام يمكن حمله على الوجه الحق (وهذا الكلام) يعني المذكور عن بعض المتصوفة (ربما يسمعه الغافل) عن معرفة الله الجاهل بمقام شهوده تعالى على حسب ماقدمناه (بغتة) اى من غير ان يسبق له تأمل فيه (فيظن انه صحيح) على حسب مايفهمه منه في اول وهلة (او يشك) في صحته وعدم صحته (و) الحال ان (هذا) يعني الكلام المذكور بحسب مايفهمه الغافل اول مايطرق سمعه (تفضيل لغير النبي) وهو الولي (على موسى) ابن عمران (عليه السلام) الذي هو نبي ورسول ومن اولى العزم (بل) تفضيل لغير النبي (على جميع الانبياء) لان التفضيل على نبي تفضيل على كل نبي (فان رؤية الله تعالى اعلى المراتب) الكمالية اذ لايراه الامن هو عنده في اعلى رتبة (و) اعلى (اللذات) الروحانية فانه لالذة اعلى من لذة رؤية الله تعالى والتمتع بشهوده سبحانه فاذا حصلت لاحد كان افضل عند الله تعالى ممن لم يحصل له ذلك (ولم تتيسر) رؤية الله تعالى ايضا (لاحد في الدنيا) والله اعلم بذلك (سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة الاسراء) والمعراج حين رقي الى السموات (وقد اختلف فيه) اى في ثبوت ذلك له عليه السلام كما مر بيانه (وقد عرفت فيما سبق) لك في هذا الكتاب اوائل هذا الفصل (ان اعتقاد اهل السنة والجماعة) نصر الله تعالى كلمتهم الى قيام الساعة (ان الولي) مطلقا ولو كان في اعلى درجات القرب الى الله سبحانه وتعالى (لايبلغ درجة النبي) اصلا فالنبوة طور فوق طور الولاية كما ان الولاية طور فوق طور العقل (فضلا عن ان يجاوزها) اى الولي درجة النبي وروى عن ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه انه شبه النبوة بظرف مملوء عسلا رشحت منه الى خارج رشحات فهي ذوق الاولياء

فى مقاماتهم (وقد ذكر) العلامة ابن ابى شريف (فى شرح المواقف) فى علم الكلام (و) ذكر العلامة سعد الدين التفتازانى (فى شرح المقاصد ان الاجماع منعقد) بين المسلمين (على ان الانبياء) عليهم السلام (افضل) اى اكثر فضيلة عند الله تعالى وجاها ورفعة (من الاولياء) رضى الله عنهم ولا يلزم من فضيلة الانبياء على الاولياء زيادة علم الانبياء على الاولياء فان الفضيلة فى النبوة لذاتها وهى طور مخصوص فوق طور الولاية لا افضليتها لامر عرضى لها وهو العلم وليست هى العلم نفسه والا لكانت تحصل بالكسب وتعظم به وهو باطل لانه مذهب المخالفين ومذهب اهل السنة والجماعة ان النبوة موهبة من الله تعالى وكذلك عظمها لانها متفاوتة فان نبوة نبينا ليست كنبوة غيره والخضر ولى فى قول وهو على علم علمه الله تعالى له لا يعلمه موسى عليه السلام كما ورد فى حديث البخاري وغيره وقد قال تعالى عنه كما قدمناه يخاطب موسى عليه السلام وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا وقال موسى عليه السلام عن نفسه للخضر هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وسبق هذا قريبا (وذكر) السعد التفتازانى (فى شرح العقائد ان تفضيل الولى) اى اعتقاد انه اكثر فضيلة عند الله وجاها ورفعة (على النبى) مرسلا كان اولا (كفر وضلال كيف وهو) اى التفضيل (تحقير للنبى) بالنسبة الى الولى (وخرق للاجماع) حيث اجمع المسلمون على فضيلة النبى على الولى (وسمعت عن بعض الصوفية من اهل الطريقة (الخلوتية) ولعله سمع ذلك من بعض الجهلة المنتسبين اليهم فان كل طائفة من الناس وكل طبقة منهم فيها كاملون وقاصرون وصالحون وفاسقون وابرار وفجار وليس هذا امرا مخصوصا بالصوفية فقط والذم لا يقع الا على النوع الفاسد منهم لا غير (ان ماعدا محمدا صلى الله عليه وسلم من الانبياء) عليهم السلام (لم يبلغوا) فى حضرات الكشف والشهود (مرتبة الاسم السابع) من اسماء الله تعالى (بل وقفوا فى) الاسم (السادس ولم يجاوزوه) يعنى الانبياء عليهم السلام (وانا) معشر الأولياء المحمديين (قد جاوزناه) يعنى الاسم السادس ولعل مراده ذوق مخصوص حصل لهم فى ذلك الاسم لم يحصل للأنبياء عليهم السلام فان اذواق الأنبياء عليهم السلام فى اسماء الله تعالى من اطوار نبواتهم لا يعلم بها غيرهم واما اذواقهم عليهم السلام فى اسماء الله تعالى من اطوار ولايتهم لانهم اولياء ايضا كما انهم انبياء فان الاولياء يعلمونها لانهم ورثوا الأنبياء فى مقامات ولاياتهم وهى العلم بالله لا فى مقامات نبواتهم لانقطاع النبوة دون الولاية الى يوم القيامة فمن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم فى مقام ولايته كان عنده من العلم مالم يكن عند الانبياء كلهم عليهم السلام فى مقام ولاياتهم واما مقامات نبواتهم ففيها من العلوم مالا تعلمه جميع الاولياء اذ لا ذوق للاولياء فى النبوة وانما ذوقهم فى الولاية فقط (وهذا) الكلام المذكور عن بعض الخلوتية (مثل) الكلام (الاول) ربما يسمعه الغافل بغتة فيفتتن به ولا يعرف معناه ومعلوم ان الكلام

اذا امكن ان يكون له معنى صحيح لا يحكم بتخطئة قائله لان قائله مسلم يدعى الاسلام و يتبرأ من الكفر فلا يحكم عليه بما هو متبرئ منه مع الحكم بصحة ايمان المكره والمسلم لا يكره احدا على الكفر وانما اذا حملته الغيرة يكره على الاسلام والحاصل ان غاية ما يكون فى هذا الكلام انه كلام غلاة الصوفية وهم القاصرون منهم اصحاب الشطح الذين فيهم رعونة نفسانية وعندهم من تعنتاتهم بقية واى بقية وربما قالوا ذلك فى مقام السكر والغيبة فيعذروا وسبق الكلام من امام الحرمين فى شأنهم (وقال) يعنى القائل الاول من الخلوتية (ان ابابكر رضى الله عنه لم يبلغ مرتبة الارشاد) الى الله تعالى والدلالة عليه (وانا تجاوز مرتبة الاصحاب) اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام تأويله ايضا كما ذكرنا فان الفضيلة ايضا التى فى ابى بكر رضى الله عنه على سائر امة محمد صلى الله عليه وسلم ليست بالعلم وانما بشئ وقر فى صدره شهد له النبى صلى الله عليه وسلم به وهو نفسه الزكية المخصوصة بنوع من القرب الالهى لا يكون فى الصديقين كلهم الى يوم القيامة والصديقية فيه رضى الله عنه من جملة احواله فلا مانع ان يكون عند من هو دونه فى الفضيلة من الاولياء معرفة بكيفية الدلالة على الله تعالى وزيادة صناعة فى الارشاد اليه سبحانه لم يكن ذلك عنده رضى الله عنه كما ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه باب مدينة العلم النبوى دون ابى بكر رضى الله عنه فى الفضيلة كما قال عليه السلام انا مدينة العلم وعلى بابها وليست هذه المزية فى ابى بكر رضى الله عنه مع انه افضل من على كرم الله وجهه وكذلك مزية عمر رضى الله عنه وكون الشيطان يفر من ظله وكون رأيه وافق نص الكتاب العزيز مع ان ذلك لم يكن لابى بكر رضى الله عنه وهو افضل من عمر رضى الله عنه واما قوله بمجاوزة مرتبة الاصحاب فهو من قبيل قول ابن عبد البرّ بانه قد يوجد فى غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة واستدل على ذلك بما ورد من الاحاديث فى المسئلة كما ذكره فى المواهب اللدنية وغيرها وان كان الاوفق فيه ان يقال ان فضيلة الصحبة امر ذاتى ايضا لا يعادله فضيلة اصلا واما من غير الصحبة فقد يوجد فى غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة وعلى كل حال فالمتعين التأويل فى كلام اهل الاسلام خصوصا اهل التصوف من فقراء طريق الله تعالى والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى (وهذا) القول المذكور فى ابى بكر رضى الله عنه على حسب ما يظهر من معناه للغافل الجاهل فى اول وهلة (قدح فى افضل الاولياء) وهو ابو بكر رضى الله عنه (وطعن) اى تنقيص (فى افاضل هذه الامة) المحمدية وهم الصحابة رضى الله عنهم اجمعين فانهم من حيث الصحبة افضل من جميع الامة وان امكن ان يفضلهم غيرهم من حيث العلم واطلق ابن عبد البرّ فى امكان ان يفضلهم غيرهم مطلقا كما ذكرنا (بل) طعن (فى سيدنا وسيد الاولين والآخرين رسول الله) محمد (وحبيب رب العالمين) صلى الله عليه وسلم حيث كان ذلك فى الانبياء

وفى الصحابة وقدبين عليه السلام فضيلة الانبياء وفضيلة الصحابة على من سواهم فيلزم تكذيبه والطعن فيه وهذا كله على حسب فهم الغافل الجاهل الذى لايعرف ذلك فربما يعتقد صحة القدح والطعن المذكورين فيقع فى مهواة من التلف فى الدين والتحذير من ذلك بالتنبيه على مواضع الخطأ ليحترز منه لافى احد بعينه من شأن العلماء العاملين واما الحكم بذلك فى احد معين فهو شأن الجاهلين المتعصبين بل الفاسقين الفاجرين (وقدخرّج) اى اسند (خم) يعنى البخارى ومسلم فى صحيحهما باسنادهما (عن عمران بن حصين و) عن (ابن مسعود رضى الله عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال خير الناس قرنى) القرن اربعون سنة اوعشر اوعشرون اوثلاثون اوخمسون اوستون اوسبعون اوثمانون اومائة اومأتة وعشرون والاول اصح لقوله عليه السلام لغلام عش قرنا فعاش مأته سنة كذا فى القاموس (ثم) القرن (الذين يلونهم) اى يتبعونهم بعدهم (ثم) القرن (الذين يلونهم) اى يتبعونهم (ثم يفشو) اى يظهر ويكثر (الكذب) فى الاقوال والاحوال والاعمال وهو خلاف الصدق فى ذلك وكان هذا فى اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع كما اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم (فلا تعتمدوا اقوالهم) اى لاتعتنوا بها ولاتصدقوها (و) لاتعتمدوا (افعالهم) ايضا ولاتغتروا بها لان غالبها بدع وضلالات وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم عن الفرق المبتدعة والدعاة الى الضلال والمخالفين لجماعة السلف الصالحين فى الاعتقاد والاعمال لاعن مطلق الاختلاف مع الاجتماع فى التمسك بالكتاب والسنة والاجماع كاختلاف المجتهدين بالعقول المنورة فى مسائل الشريعة المطهرة واختلاف الصوفية المحققين بالبصائر والقلوب فى المعارف والحقائق المتلقاة عن علام الغيوب مع اجتماع الكل فى الاسلام للامر على ماهو عليه والاعتراف بانه على حسب استعدادهم فى جميع ماذهبوا اليه وكلامنا هذا عن المجتهدين والصوفية من حيث هم موجودون فيما يعلمهم الله تعالى الى يوم القيامة من غير تعيين احد بعينه الامن اجمع المسلمون على عدالتهم والشهادة لهم بالصدق فى العلم والتصوف كالائمة الاربعة وبقية المجتهدين الماضين ممن انقطعت الآن مذاهبهم لقلة النقلة لها وأئمة التصوف الكاملين كالجنيد البغدادى والسرى السقطى ومعروف الكرخى وغيرهم من أهل الولاية ومن لم يقع الاجماع من المسلمين على تصديقهم فى مقاماتهم ومشاربهم ولم يظهر لنا نحن وحدنا كمالهم فيماهم بصدده لانخوض فيهم بشئ من التنقيص والاعابة وان خاض فى ذلك غيرنا ممن قبلنا ومن هو اكبر منا واما لوظهر لنا وحدنا كمالهم وصدقهم فى درجات القرب كانوا عندنا مساوين للقسم الاول الذين اجمعت عليهم الامة وكنا فى ذلك كمن رأى هلال رمضان وحده وردّ قوله فانه يجب عليه الصوم ولايباح له الافطار هذا اعتقادنا وعملنا ماعشنا ولانخوض

مع الحائضين (وخرجم) يعني الامام مسلم في صحيحه باسناده (عن عائشة رضي الله عنها انه سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال) صلى الله عليه وسلم (القرن الذى انا فيهم) وهم الصحابة رضي الله عنهم اجمعين (ثم) القرن (الثانى) الذى فيه التابعون رضي الله عنهم (ثم) القرن (الثالث) الذى فيه التابعون للتابعين رضي الله تعالى عنهم اجمعين (وخرجاخم) يعني البخارى ومسلما باسنادهما (عن) ابي سعيد (الخدرى رضي الله عنه انه قال) يعني الخدرى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا اصحابى)يامعشر الامة المتأخرين (فان احدكم) اى الواحد منكم (لوانفق مثل)جبل (احدذهبا) يعني في سبيل الله تعالى (مابلغ) ذلك (مُدّاحدهم) اى مد اصحابى (ولانُصَيفه) اى نصيف ذلك المد قال في القاموس النصف مثلثة احد شق الشيء كالنصيف (وخرجت) يعني الترمذى باسناده (عن عبدالله بن مغفل) انه قال (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله)منصوب على التحذير اى احذروا الله احذروا الله وكرر للتأكيد (فى اصحابى) اى فى حقهم وحق ماوقع بينهم من المخالفات الاجتهادية والحروب المنبعة عن الحمية الدينية فى نصرة الاحكام الشرعة (لاتتخذوهم غرضا) محركة وهو هدف يرمى فيه والجمع اغراض كذا فى القاموس اى لاتجعلوهم موضعا لرمى سهام الطعن فيهم منكم والاصابة عليهم (من بعدى) الى يوم القيامة (فمن احبهم) اى الصحابة رضي الله عنهم (فبحبّى) اى بسبب حبه لى (احبهم) فان من احب احدا احب جميع من يحبه ذلك الاحد والّا لم يكن يحبه (ومن ابغضهم) اى واحدا منهم (فببغضى) اى بسبب بغضه لى (ابغضهم ومن آذاهم) فى حياتهم اوبعد مماتهم فى انفسهم اواهلهم اومالهم اوعرضهم اودينهم اوعقلهم اومقامهم اونحو ذلك (فقد آذانى) لانهم اصحابه صلى الله عليه وسلم وقرناؤه فى الدنيا و القرين على حالة قرينه والمرء على دين خليله (ومن آذانى فقد آذى الله) سبحانه وتعالى لانه عليه السلام رسول الله تعالى وقدر الرسول من قدر المرسل فتعظيمه من تعظيمه واهانته من اهانته (ومن آذى الله) سبحانه (يوشك)وشك الامر ككرم سرع كوشك واوشك اسرع السير كواشك ويوشك الامران يكون وان يكون الامر ولاتفتح شينه اولغة ردية كذا فى القاموس (ان يأخذه) بالاهلاك والدّمار(وخرجم) يعني مسلما فى صحيحه باسناده (عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما) يعني اخبر عنهما اوقال لهما مشيرا اليهما (هذان سيدا كهول) جمع كهل وهو من وخطه الشيب اومن جاوز الثلاثين اواربعا وثلاثين الى احدى وخمسين كذا فى القاموس (اهل الجنة) مع ان اهل الجنة كلهم جرد مرد لبناء ثلاث وثلاثين فكلهم كهول(وللشيخين سيادة عليهم بمقتضى هذا الحديث وحديث الحسنين انهما سيدا شباب اهل الجنة فاهل الجنة كلهم شباب لوجود رونق ايام الشباب

فى صفة كهوليتهم فهم كهول فى السن وشباب فى رونق الخلقة واستقامتها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اهل الجنة انهم كهول مرة وانهم شباب مرة اخرى وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير عن السمهودى ان طول آدم وكونه امرد وهو اجمل الناس ثابت لكل من دخل الجنة فيشمل من مات صغيرا بل جاء مايقتضى ثبوت جميع ذلك للسقط فروى البيهقى بسند حسن عن المقداد مامن احد يموت سقطا ولا هرما وانما الناس فيما بين ذلك الابعث ابن ثلاث وثلاثين فان كان من اهل الجنة كان على مسحة آدم وصورة يوسف وقلب ايوب ومن كان من اهل النار عظم كالجبال (من الاولين) بيان لكهول اهل الجنة (والاخرين الا النبيين والمرسلين) فان سيادتهم لابعادلها سيادة (وخرج ت) يعنى الترمذى باسناده (عن) ابى سعيد (الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن نبى الا وله وزيران) الوزير الذى يحمل الثقل ويعين بالرأى (من اهل السماء ووزيران من اهل الارض فاما وزيراى من اهل السماء فجبريل وميكائيل) عليهما السلام (واما وزيراى من اهل الارض فابوبكر وعمر) رضى الله عنهما (وخرج خ) يعنى البخارى باسناده (عن محمد بن الحنفية) وهو ابن الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه من غير فاطمة من جارية اخذها الامام على رضى الله عنه من سبى بنى حنيفة جماعة مسيلمة الكذاب (قلت لابى) يعنى لعلى رضى الله عنه (اى الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان اقول ثم من فيقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين) قال العراقى فى شرح الفية الحديث واختلف اهل السنة فى الافضل بعد عمر رضى الله عنه فذهب الاكثرون كما حكاه الخطابى وغيره الى تفضيل عثمان على على رضى الله عنهما وان ترتيبهم فى الفضيلة كترتيبهم فى الخلافة واليه ذهب الشافعى واحمد بن حنبل كما رواه البيهقى فى كتاب الاعتقاد عنهما وهو المشهور عند مالك وسفيان الثورى وكافة أئمة الحديث والفقهاء وكثير من المتكلمين كما قال القاضى عياض واليه ذهب ابو الحسن الاشعرى والقاضى ابو بكر الباقلانى وذهب اهل الكوفة كما قال الخطابى الى تفضيل على على عثمان رضى الله عنهما وروى باسناده الى سفيان الثورى انه حكاه عن اهل السنة من اهل الكوفة وحكى عن اهل السنة من اهل البصرة افضلية عثمان فقيل فما تقول فقال انا رجل كوفى ثم قال وقد ثبت عن سفيان فى آخر قوليه تقديم عثمان وممن ذهب الى تقديم على على عثمان ابو بكر بن خزيمة وقد جاء عن مالك التوقف بين عثمان وعلى كما حكاه المازرى عن المدونة ان مالكا سئل اى الناس افضل بعد نبيهم فقال ابو بكر ثم قال اوفى ذلك شك قيل له فعلى وعثمان قال ما ادركت احدا ممن اقتدى به يفضل احدهما على صاحبه ويرى الكف عن ذلك وفى رواية فى المدونة حكاها القاضى عياض

افضليهم

افضلهم ابو بكر ثم عمر وحكى القاضى عياض قولا ان مالكا رجع عن التوقف الى القول الاول قال القرطبى وهو الاصح ان شاء الله تعالى (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن عائشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاينبغى لقوم فيهم ابو بكر ان يؤمهم غير) اى يصلى بهم اماما فى جميع الصلوات والمعنى لايتقدم عليه غيره من بقية الصحابة رضى الله عنهم وفى ذلك اشارة الى انه احق بالخلافة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهكذا كان فانه لم يتقدم عليه احد بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجمعت الصحابة على خلافته من غير اختلاف بينهم فى ذلك (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عنها ايضا) اى عن عائشة رضى الله عنها (ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ابو بكر سيدنا) اى له السيادة علينا بالسبق الى الاسلام واستحقاق الخلافة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع (وخيرنا) اى الاكثر خيرا منا (واحبنا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذى يحبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اكثر منا (وخرجت) يعنى الترمذى باسناده (عن جابر) بن عبدالله (رضى الله عنه انه قال عمر لابى بكر رضى الله عنهما ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اكثر الناس خيرا (وقال) فى كتاب الفتاوى (فى التاتارخانية) فى فقه الحنفية (اوقال) رجل (عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم لم يكونوا اصحابا) للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لايكفر) لعدم ثبوت صحبتهم بطريق التواتر بل بالاحاديث الاحاد ولايكفر منكر الآحاد (و) انما (يكون مبتدعا) لمخالفته لاهل السنة والجماعة (ويستحق اللعنة) التى تلحق المخالفين ممن سلك غير سبيل المؤمنين (ولوقال ابو بكر الصديق) رضى الله عنه (لم يكن من الصحابة كفر لان الله تعالى سماه) يعنى ابابكر رضى الله عنه فى القرآن (صاحبا بقوله اذ يقول) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم (لصاحبه) وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه (لاتحزن ان الله معنا) بالعصمة والمغفرة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ماظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ذكره البيضاوى فقد ثبت بالنص المتواتر انه صحابى فمن انكر صحبته فقد انكر النص فيكفر (وفى) الفتاوى (الظهيرية) لظهير الدين المرغينانى قال (ومن انكر امامة ابى بكر الصديق رضى الله عنه) اى خلافته بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامة (فهو كافر فى) القول (الصحيح) لاجماع الامة على ذلك من غير خلاف احد يعتد به (وكذلك من انكر خلافة عمر رضى الله عنه فى اصح الاقوال) لانكار الاجماع القطعى ايضا (انتهى) اى كلام الفتاوى الظهيرية (الفصل الثانى) من الفصول الثلاثة المشتمل عليها الباب الثانى من ابواب الكتاب الثلاثة (فى) بيان

اقسام (العلوم المقصودة) فى الشرع (لغيرها) من الطاعات فليس المراد منها تعلمها وانما المراد العمل بمقتضاها ولايمكن ذلك الابتعلمها كالطهارة مثلا للصلاة لايمكن عمل الصلاة بدونها (وهى) اى تلك العلوم المذكورة (ثلاثة انواع) علوم (مأمور بها) المكلف فيعصى بتركها (و) علوم (منهى عنها) فيحرم عليه تعلمها (و) علوم (مندوب اليها) فيثاب على تعلمها ولايعاقب على الجهل بها (النوع الاول) من الثلاثة انواع (فى) العلوم (المأمور بها وهو) اى هذا النوع (صنفان الاول) فى العلوم التى هى (فروض العين) بحيث اذا علمها البعض لاتسقط عن الباقين بل هى فروض على كل احد من المكلفين بعينه (وهو) اى هذا الصنف من العلوم يشمله اسم واحد وهو (علم الحال) اى الامر والشان الذى يتقلب فيه المكلف ليلا ونهارا بتقليب الله تعالى له على حسب ماهو مقدر عليه فى علم الله تعالى من الاقوال والاعمال والاعتقادات تقليبا منسوبا الى المكلف نسبة حسية شرعية لاحقيقية ايمانية (قال الله تعالى فاسئلوا) يعنى ياايها المكلفون بالاحكام الشرعية الظاهرية والباطنية (اهل الذكر) اى العلم قال ابن جميل فى مختصر تفسير الرازى والمراد بالذكر العلم اى اسئلوا من له علم وتحقيق (ان كنتم لاتعلمون) قال البيضاوى وفى الآية دليل على وجوب المراجعة الى العلماء فيما لايعلم (وخرج مج) يعنى ابن ماجه باسناده (عن انس) بن مالك (رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وللعلم اطلاقات متباينة ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ العالم والعلماء ومن هنا اختلفوا فى فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه فمن متكلم يحمل العلم على علم الكلام ويحتج لذلك بانه العلم المتقدم رتبة لانه علم التوحيد الذى هو المبنى ومن فقيه يحمله على علم الفقه اذ هو علم الحلال والحرام ويقول ان ذلك هو المتبادر من اطلاق العلم فى عرف الشرع ومن مفسر ومن محدث وامكان التوجيه لهما ظاهر ومن نحوى يحمله على علم العربية اذ الشريعة انما تتلقى من الكتاب والسنة وقد قال الله تعالى *وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * فلابد من اتقان علم البيان والتحقيق حمله على مايعم ذلك من علوم الشرع كذا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وهذا المعنى الاخير الجامع للكل هو المناسب هنا (وقال فى) كتاب (تعليم المتعلم ويفترض على) الانسان (المسلم) رجلا كان او امرأة (طلب) علم (ماينفعه فى حاله) اى امره وشانه (فى اى حال كان) حال اقامة او حال سفر او حال صحة او حال مرض وغير ذلك مما يتوالى عليه فى مدة عمره (فانه لابد له) اى لذلك المسلم (من الصلاة) خمس مرات فى اليوم والليلة (فيفترض عليه علم مايقع له فى صلاته بقدر مايؤدى به فرض الصلاة) من مسائل الطهارة ومعرفة اقسام المياه ومعرفة شرائط الصلاة واركانها (ويجب) وجوبا دون الفرض (عليه) اى على ذلك المسلم علم مايقع له فى صلاته (بقدر مايؤدى به الواجب)

من واجبات الصلاة (لان) علم (ما يتوسل به) من الشرائط والاركان (الى اقامة الفرض يكون فرضا و) علم (ما يتوسل به الى اقامة الواجب) الذى هو دون الفرض (يكون واجبا) وعلى هذا ايضا علم ما يتوسل به الى اقامة السنة والمستحب يكون سنة ومستحبا (وكذلك) الحكم (فى الصوم والزكاة ان كان له مال) بان ملك النصاب من العين او الماشية (والحج ان وجب) اى افترض (عليه) بان قدر على السفر بالزاد والراحلة (وكذلك) الحكم (فى) مسائل (البيوع ان كان يتجر) اى يستعمل التجارة لابدان يتعلم احكامها المشروعة (انتهى) اى ما نقله من كتاب تعليم المتعلم (ثم قال) يعنى صاحب تعليم المتعلم (وكل من اشتغل بشئ من المعاملات) بين الناس كالاجارة والمزارعة والمساقاة والوديعة والعارية والنكاح والطلاق والبيع والقرض ونحو ذلك (و) بشئ من (الحرف) جمع حرفة وهى الصناعة لانه يخالط الناس فى حرفته بالضرورة (يفترض عليه علم التحرز عن) تناول (الحرام فيه) اى فى ذلك الشئ الذى اشتغل به (وكذلك يفترض عليه) اى على المسلم (علم احوال القلب) وما يعتريه من الاخلاق الجميلة ليتحرز عن ضدها بتعلمها (من التوكل) على الله تعالى (والانابة) اى الرجوع اليه سبحانه (والخشية) منه سبحانه (والرضاء) عنه تعالى فى كل افعاله واحكامه (فانه) اى ذلك المسلم (واقع) مدة عمره (فى جميع الاحوال) القلبية المذكورة وغيرها وكذلك الاحوال البدنية فى المعاملات ولا محيص له عنها كيف ما كان (انتهى) ما نقله عن تعليم المتعلم (ثم قال) يعنى فى تعليم المتعلم ايضا ولم ينسب ذلك كله اليه مرة واحدة لنقله عنه فى مواضع متفرقة (وكذلك) الحكم (فى سائر) اى بقية (الاخلاق) الانسانية (نحو الجود و) ضده (البخل والجبن) بالضم (و) ضده (الجراءة) اى الشجاعة (والتكبر و) ضده (التواضع والعفة) ويضاددها الشح (والاسراف و) ضده (التقتير) اى التقليل (وغيرهم) من انواع الاخلاق الحسنة والسيئة كالسماحة والحرص والمحبة والبغض (فان الكبر والبخل والجبن والاسراف حرام) بلا خلاف (ولا يمكن التحرز عنها) بطريق الاكتساب (الا بعلمها وعلم ما يضاددها) مما ذكر حتى يكون المكلف تاركها بقصده واختياره فيكون ذلك مجاهدة منه فى نفسه فان المجاهدة فى النفس عبادة ولا تحصل لاحد الا بالعلم وهى فرض على كل مكلف (فيفترض على كل انسان علمها) ليؤدى به فرضها قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر قال الشيخ ابن علان الصديقى رضى الله عنه فى شرح حكم ابى مدين قدس الله سره ولقد صدق فيما قال فاى شخص يا اخى يصوم ولا يعجب بصومه واى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر الطاعات (انتهى) ما نقله من تعليم المتعلم (حاصله) اى حاصل ما ذكر كله (ان العلم) لكل حال من الاحوال (تابع للمعلوم) اى لحكم ذلك الحال المعلوم (فان) كان ذلك

الحال المعلوم (فرضا وحراما ففرض) اى فالعلم به فرض للامتثال فى الاول والاجتناب فى الثانى (وان) كان ذلك الحال المعلوم (واجبا) دون الفرض (اومكروها فواجب) اى فتعلمه واجب للعمل به فى الاول والكف عنه فى الثانى (وان) كان ذلك الحال المعلوم (سنة فسنة) اى فتعلمه سنة (وان) كان (نفلا فنفل) كذلك فكل حال من الاحوال حكم تعلمه مثل حكمه (وكذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر) فى الفرض فرض وكذلك فى الحرام وفى الواجب واجب وفى المكروه وفى السنة سنة وفى النفل نفل (غير انهما) اى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (على سبيل الكفاية) اى فرض كفاية بحيث اذا قام به البعض يسقط عن الباقين (وعلم الحال) بالتفصيل المذكور (على سبيل العين) اى فرض عين كما قدمناه (ومنه) اى من علم الحال (اعتقاد اهل السنة والجماعة الذى سبق ذكره) فى الفصل الذى قبل هذا (و) كذلك منه (تنويره) اى انارته بمعنى اضاءته واذهاب ظلمة القصور فيه (بالاستدلال) على كل مسئلة من مسائله (للخروج عن) ربقة (التقليد) فيه الى افضاء النظر وكون علم الحال جميعه بانواعه لا يمكن القيام به والتحرز عن المنهيات منه الا بتعلمه ومعرفة ابحاثه ومسائله امر محقق فى قضية اكتسابه وتحصيله بطريق المجاهدة المفروضة كما ذكرنا والا فان التوفيق الذى اجمع الامة على ثبوته وكونه امرا واقعا فى الخلق لمن شاء الله تعالى لا يحتاج صاحبه معه الى العلم بشئ من ذلك كله اصلا وهو خلق القدرة على الطاعة فى العبد بحيث يصير العبد مطيعا لربه ظاهرا وباطنا ومنتهيا عما لا يرضى به ربه فى ظاهره وباطنه بالهام من الله تعالى له ان يكون كذلك وان لم يكن له معرفة بكمال هذه الحالة عند الله تعالى فضلا عن تحصيلها بتعلمها من غيره وهى المقصود الشرعى من المكلف سواء حصلت بالتحصيل او بالالهام وضد هذه الحالة الخذلان والعياذ بالله تعالى فانه ضد التوفيق وهو موجود فى الخلق ايضا كالتوفيق لمن شاء الله تعالى وهو خلق القدرة على المعصية فى العبد فيصير العبد عاصيا لربه فى ظاهره او باطنه منهمكا فى المعاصى بالهام من الله تعالى له ايضا كما قال تعالى * فالهمها فجورها وتقواها * وان لم يكن له معرفة بنقصان هذه الحالة عند الله تعالى وهذان الحالتان حالة التوفيق وحالة الخذلان لا يخلو عنهما العبد اصلا فان كل انسان اما موفق او مخذول وقد يوفق فى وقت ويخذل فى وقت وقد يوفق لعمل ويخذل عن عمل وفى كتاب مواقع النجوم للشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه التوفيق مفتاح السعادة الابدية والهادى بالعبد الى سلوك الآثار النبوية والقائد له الى التخلق بالاخلاق الالهية من قام به غنم ومن فقده حرم وهو نور يضعه الله فى قلب من اصطنعه لنفسه واختصه لحضرته وانما هو به تحصيل النجاة وبه تنال الدرجات ومعانه سر موهوب ونور فى قلب المؤمن موضوع فان ارادة العبد من جهة

العلم بخصائصه وحقائقه متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى فى تحصيله منه والاتصاف
به فقد يحصل للعبد بتلك الارادة فيتخيل انه كسبى وان دعاءه الله فيه وارادته اياه
سبب فى حصوله وما علم ان تلك الارادة التى حركته لطلب التوفيق من التوفيق
فانها من آثاره ولولاه لم يكن ذلك فان ارادة التوفيق من التوفيق ولكن لا يشعر لذلك
أكثر الناس فاذا تقرر هذا فيكون الانسان انما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفق
الواهب الحكيم ومعنى كمال التوفيق استصحابه للعبد فى جميع احواله من اعتقاداته وخواطره
واسراره ومطالع انواره ومكاشفاته ومشاهداته ومسامراته وافعاله كلها الا انه
يتجزى ويتبعض فانه معنى من المعانى القائمة بالنفس فنقصه الذى يطلق عليه انما هو ان
يقوم بالعبد فى فعل من الافعال ويحرمه فى فعل آخر وكذلك زيادته استصحابه لجميع
افعال العبد وقد بان علة سؤاله فى التوفيق من الله تعالى وتبين ان التوفيق لم يكن
عنده معدوما عند سؤاله لله سبحانه وتعالى فيه وهو تفعيل من الموافقة وهو معنى
يقوم بالنفس عند طروفعل من افعاله الصادرة عنه على اختلافها يمنعه من المخالفة
للحد المشروع له فى ذلك الفعل لا غير فكل معنى كان حكمه هذا يسمى التوفيق فلو
وافق حال العاصى حقه المشروع له لم يكن عاصيا واذا انتفت الموافقة فى حال ما مشروع
كانت المخالفة لان المحل لا يعرى عن الشئ اوضده وقد يقوم بالعبد المؤمن التوفيق
فى فعل ما والمخالفة فى فعل آخر فى زمن واحد كالمصلى فى الدار المغصوبة او كمن
يتصدق وهو يغتاب او يضرب احدا فى حال واحد واشباهه فلهذا ما سال العبد الاكمل
التوفيق يريد استصحابه له فى جميع احواله كلها حتى لا يكون منه مخالفة اصلا ثم بسط
الكلام ثم قال واول مقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع الذى ندبك
الشارع الى الاشتغال بتحصيله وآخرها حيث يقف بك فان تممت لك المقامات حصلت
فى التوحيد الموحد نفسه بنفسه الذى لا يصح معه معقول وان نقصت لك فبعض
الحضرات الوجودية واللطائف الجودية فلا حياة مع الجهل ولا مقام ثم قال فالتوفيق
اذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم فاذا حصل له وصح توفيقه انتج الانابة والانابة منتجة
التوبة والتوبة تنتج الحزن والحزن ينتج الخوف والخوف ينتج الاستيحاش
من الخلق والاستيحاش من الخلق ينتج الخلوة والخلوة تنتج الفكرة والفكرة تنتج الحضور
والحضور ينتج المراقبة والمراقبة تنتج الحياء والحياء ينتج الادب والادب ينتج
مراعات الحدود ومراعات الحدود تنتج القرب والقرب ينتج الوصال والوصال
ينتج الانس والانس ينتج الادلال والادلال ينتج السؤل والسؤال ينتج الاجابة
وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة فى اصطلاح بعض اصحابنا والعلم فى اصطلاح
بعضهم ولا يصح شئ من هذه المقامات الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى فالرسمى
كعلوم النظر وهو ما يتعلق باصطلاح العقائد وكعلوم الخبر وهو ما يتعلق بك
من الاحكام الشرعية ولا يؤخذ منها الا قدر الحاجة والذوق فى علم نتايج المعاملات

والاسرار وهو نور يقذفه الله تعالى فى قلبك تقف به على حقائق المعانى الوجودية واسرار الحق فى عباده والحكم المودعة فى الاشياء وهذا هو علم الحال انتهى كلامه فاذا تأملت قوله واول مقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع وقوله ايضا فالتوفيق اذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم وقوله ولا يصح شئ من هذه المقامات الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى علمت بالبديهة ان الامر الذى يخرج العبد من الكفر الى الاسلام ومن الفسق الى الصلاح توفيق من الله تعالى للعبد ايضا غير التوفيق الاختصاصى الذى اول مقامات الاشتغال بالعلم المشروع وغير التوفيق الصحيح من جميع وجوهه الذى ينتج المقامات المذكورة وليس من شرط حصول هذا النوع من التوفيق للعبد الاشتغال بالعلم المشروع بل يحصل منة من الله تعالى على العبد فينقى باطن العبد من الاخلاق المحرمة وظاهره من الافعال المنهى عنها سواء كان للعبد شعور بذلك اولم يكن واما التوفيق الاختصاصى الذى ينتج المقامات المذكورة فلا بد فيه اولا من الاشتغال بعلم القدر المهم من العلم الرسمى والذوقى ويا ليت شعرى لو انهمك الانسان طول عمره فى الاشتغال بالعلم الرسمى الذى هو الآن عند علماء الظاهر كما نشاهد انهماكهم فيها ليلا ونهارا فهل يمكن ذلك الانسان ان يعمل بمقتضى ما علمه من ذلك الا بتوفيق الله تعالى له بان يلهمه سبحانه العمل بما علم ويقدره على ذلك واذا خذله فلم يلهمه العمل المفروض عليه فملا وكفا وهو قد علمه وكذلك الواجب والمسنون فماذا ينفعه علمه بذلك وقد رأينا من يغتر بعلم الاحكام الشرعية فيعلمها ويعلمها للناس ولا يعمل بها هو فى نفسه حتى اوقع فى قلب الجاهلين ان المقصود العمل والعمل كيف ما كان يكون فتراهم يأخذون كلاما ويعطون كلاما وافعالهم اقبح من افعال الجاهلين وهم من اعلم العالمين فكأنهم غير مطالبين الا بالعلم فقط وكان العلم هو دخول الجنة والنجاة من النار لا غير ولا تراهم يطالبون الناس الا بالعلم وحده فالامام يحفظ شروط الامامة وشروط الصلاة واركانها وما لا بد له من ذلك لاحتمال ان يمتحنه احد فيجد عنده العلم بذلك ومن لم يحفظ ذلك عندهم فصلاته باطلة سواء عمل بذلك اولم يعمل وكأنه متى علم ذلك فقد ثبت عندهم عمله بها قطعا ومتى لم يعلم ذلك فقد ثبت عندهم عدم عمله بها قطعا ولا يحتمل عندهم انه اذا لم يعلمها ان يوفقه الله تعالى للعمل من دون علمها فينكرون التوفيق فى الناس قطعا واحقر الناس عندهم فقراء الصوفية المشغولون بذكر الله تعالى على حسب ما اقامهم الله تعالى فيه من جهر اومخافتة ونحو ذلك مما قصدهم به وجه الله تعالى والاعمال بالنيات فتراهم يذمونهم اقبح الذم لكونهم لم يتركوا ذكر الله تعالى ويشتغلوا بتعلم مسائل الفقه وينهمكوا فيها ويصيروا مثلهم يحفظون كلاما يقولونه كلما ارادوا الافتخار به فيما بينهم على بعضهم بعضا من غير عمل بذلك فترى الرجل منهم يسهل على نفسه ويشدد على غيره بضد ما كان عليه السلف الصالحون واذا رأوا مسئلة فيها وجه للتشديد

وثبوا عليها واخذوها يشددون بها على امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا رأوا مسئلة فيها سهولة كتموها عن الناس واخفوها وقالوا لايقال هذا بين العوام فيريدون بالناس مالا يريد الله تعالى بهم حيث قال تعالى * يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر والله بكل شئ عليم * والحاصل انه يفترض تعلم العلم الظاهر مقدار مايحتاج اليه المكلف فى اعتقاده ومعاملاته بينه وبين الله تعالى وبينه وبين الناس لاجل ان يعمل بذلك كله وليس العمل بمقتضى ذلك مشروطا بالتعلم وانه لايمكن الابالتعلم بل بتوفيق الله تعالى للعمل الصالح لان ارادته تعالى امر كائن لامحالة الى يوم القيامة ولافرق بين من علم جميع ذلك ومن لم يعلم شيئا منه فى انه محتاج للمقصودوهو التوفيق للعمل بمقتضى العلم ومن لم يوفقه الله تعالى فهو مخذول فكما ان من علم جميع ما يحتاج اليه من مسائل دينه ربما لايوفقه الله تعالى للعمل بمقتضى ذلك فيكون مخذولا كذلك من لم يعلم شيئا من مسائل الدين وكان اميا لايقرأ ولايكتب ربما يوفقه تعالى للعمل الصالح فيعمل بمقتضى جميع ماتعلمه العلماء وهو لايشعر بذلك ويكون موفقا فيكون عندالله تعالى اعظم من الاول لانه موفق والاول مخذول وقد حرم الله تعالى التجسس وسوء الظن وكشف عورات المسلمين فكل مسلم على هدى وتقى وان كان جاهلا بالعلم الظاهر لان المقصود التوفيق للعمل الصالح وهو لايقدر العالم ان يستجلبه بعلمه ولايمتنع عن الجاهل بسبب جهله والعلم غير مقصود لذاته اصلا خصوصا علم العمل فلم يبق فى العلم الا انه حجة الله تعالى على العبد ولهذا ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال المناوى فى شرحه لان عصيان العالم عن علم واذا كان المنافقون فى الدرك الاسفل لكونهم جحدوا بعد العلم وكان اليهود شرا من النصارى لكونهم انكروا بعد المعرفة وقال الغزالى فالعلم لايهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة الابد فمن لم ينفعه علمه لاينجو منه رأسا برأس هيهات فخطره عظيم وطالبه طالب النعيم المؤبد اوالعذاب السرمد لاينفك عن الملك اوالهلك فهو طالب الملك فى الدنيا فان لم تتفق له الاصابة لم يطمع فى السلامة (الصنف الثانى) من الصنفين (فى) العلوم التى هى (فروض الكفاية) بحيث اذا علمها البعض سقط عن الباقين واذا تركها الكل اثموا والمتبادر ان فرض العين افضل من فرض الكفاية لانه مفروض حقا للنفس فقط فهو اهم عندها واكثر مشقة فهو اكثر فضيلة وفرض الكفاية مفروض حقا للكافة والفاعل من جملتهم والامر اذا عم خف واذا خص ثقل ونقل العينى فى عمدة القارى شرح البخارى عن امام الحرمين انه قال فى كتابه المعانى ان فرض الكفاية عندى افضل من فرض العين من حيث ان فعله مسقط للحرج عن الامة باسرها وبتركه يعصى المتمكنون منه كلهم ولاشك فى عظم

وقع ماهذه صفته (وهو) اى هذا الصنف من العلوم (مايتعلق بحال غير) اى غير العالم به (اعنى) اى اقصد بذلك علم (الفقه كله) يعنى المقدار الذى لا يحتاج اليه المكلف مما زاد على الضرورة فان مقدار الحاجة هو علم الحال الذى سبق انه فرض عين وهذا علم الزائد على ذلك لاحتياج غيره اليه بحسب حال الغير (و) كذلك علم (التفسير) اى تفسير القرآن حتى لا تخلو البلاد ممن يعرف معانى كلام الله تعالى لاحتمال ترتب الاحوال على ذلك بعروض شبهة لاحد فى معنى آية من الآيات (و) كذلك علم (الحديث) اى حديث النبى صلى الله عليه وسلم من جهة اصطلاح المحدثين وضبط متن الحديث فان فيه مايشتبه فلابد ان يكون فى البلاد من يعرف معانى ذلك وان كان علم الفقه على اختلاف مذاهب المجتهدين فيه غنية اليوم للمقلدين يتعلمون منه احكام احوالهم فيستغنون عن البحث فى معانى الآيات والاحاديث (و) كذلك تعلم (الاصوليين) اصول الاعتقاد وهو علم الكلام واصول الفقه فانه لابد من وجود من يعرف ذلك المذكور لاحتمال ظهور مبتدع فى الاعتقاد او من يشكك فى مسئلة من الفقه فيرد عليه بادلة علم الكلام وبالقواعد الاصولية التى فرع الفقه عليها (و) كذلك علم (القراءة) بمعرفة اختلاف وجوهها وان كان الحاجة داعية الى اتقان وجه واحد منها فى اقامة الصلاة لاحتمال تصويب اللحن فى جاهل بشئ من ذلك (واما) علم (الحساب فيحتاج اليه) ايضا (فى كثير من المسائل) الفقهية كاموال الزكاة والديات (خصوصا) مسائل (الفرائض) والوصايا (فلذا قالوا) اى العلماء (هو) اى علم الحساب (ربع العلم لانه نصف الفرائض) والفرائض نصف العلم كما ورد فى الحديث لان للانسان حالة حياة وحالة موت والفرائض علم حالة الموت فهى نصف العلم (فلا يبعد ان يكون) علم الحساب (فرض كفاية) لان قسمة التركة وان امكنت بدون معرفة علم الحساب فى غالب المسائل فبعض الوقايع من المناسخات وغيرها لابد فيها من استعمال الصناعة الحسابية فالامر محتاج اليه فى الجملة فى حق الكافة (وصرح) الامام ابو حامد محمد (الغزالى رحمه الله تعالى به) اى بكونه فرض كفاية (فى) كتاب (الاحياء واما علوم العربية) وهى اثنى عشر علما علم النحو وعلم المعانى وعلم البيان وعلم اللغة وعلم الاشتقاق وعلم العروض وعلم القافية وهذه الثمانية اصول والاربعة الباقية فروع وهى علم الخط وعلم قرض الشعر وعلم الانشا وعلم المحاضرات والتواريخ (ففى) كتاب (بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (اعلم ان العربية لها فضل على سائر) اى بقية (الالسنة) المختلفة وهى لسان اهل الجنة قال فى المبتغى بالغين المعجمة لسان اهل الجنة العربية والفارسية وقيل الناس يتكلمون قبل دخول الجنة بالسريانية وبعده فيها بالعربية (فمن تعلمها) اى اللغة العربية (او علمها غيره) من الناس (فهو مأجور) اى مثاب على ذلك (لان الله

تعالى انزل القرآن بلغة العرب) كما قال تعالى *قرآنا عربيا غير ذى عوج* (فمن تعلمها فانه يفهم بها ظاهر القرآن) العظيم حيث هو مترجم بهما واما باطنه واسراره ففهمهما موقوف على البصيرة المنورة بانوار الشهود والعيان فى مقام الاحسان (و) ظاهر (معانى الاخبار) اى الاحاديث النبوية والآثار المصطفوية (انتهى) اى ما نقله عن كتاب بستان العارفين (والذى يقتضيه الاصل) المقرر عند العلماء (اعنى) اى اقصد بالاصل (ان ما) اى الذى (يتوسل به الى) تحصيل (الفرض) من اى نوع كان من انواع العبادات فهو (فرض وكذلك فى الواجب) ما يتوسل به اليه فهو واجب (وغيره) اى الامر المسنون والمستحب فما يتوسل به اليهما فحكمه كحكمهما (كونها) اى علوم العربية (فرض كفاية لان العلوم الشرعية) المترجمة من قبل الشارع الذى هو النبى العربى صلى الله عليه وسلم (متوقفة عليها) فلا تفهم الا بها قال الحليمى لا ينبغى لاحد اطلاق لسانه بتفضيل العجم على العرب بعدما بعث الله تعالى افضل رسله من العرب وانزل آخر كتبه بلسان العرب فصار فرضا على الناس ان يتعلموا لغة العرب ليعقلوا عن الله امره ونهيه ومن ابغض العرب اوفضل العجم عليهم فقد آذى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اسمعه فى قومه خلاف الجميل ومن آذاه فقد آذى الله تعالى ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير للاسيوطى (النوع الثانى) من الانواع الثلاثة (فى) العلوم (المنهى عنها) فى الشرع (وهو) اى هذا النوع (ما) اى الذى (زاد على قدر الحاجة من علم الكلام) لتحسين الاعتقاد على طبق مذهب اهل السنة والجماعة واقامة الادلة على ذلك عقلا ونقلا والزائد المنهى عنه هو الخوض فى مذاهب الفرق الضالة لا بنية الرد عليهم ولا بقصد دفع شبه المخالفين التى يوردونها فى امور الادلة العقلية (و) ما زاد على قدر الحاجة من (علم النجوم) كالمقدار المتعلق بالمغيبات المستقبلة والتكلم على الكوائن الزمانية (اما الاول) وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم الكلام (فقد قال فى الخلاصة) من كتب الفتاوى (تعلم علم الكلام) وهو معرفة العقائد الصحيحة عن ادلتها العقلية والنقلية وسمى علم الكلام لان عنوان مباحثه كان قولهم الكلام فى كذا وكذا ولان مسئلة الكلام كانت اشهر مباحثه واكثرها نزاعا وجدالا حتى ان بعض المتغلبة قتل كثيرا من اهل الحق لعدم قولهم بخلق القرآن ولانه يورث قدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات والزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ولانه اول ما يجب من العلوم التى انما تعلم وتتعلم بالكلام فاطلق عليه هذا الاسم لذلك ثم خص به ولم يطلق على غيره تمييزا ولانه انما يتحقق بالمباحثة وادارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ولانه اكثر العلوم خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره الى الكلام مع المخالفين والرد عليهم ولانه لقوة ادلته صار كانه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال لاقوى الكلامين هذا هو الكلام ولانه لابتنائه على الادلة القطعية المؤيد

اكثرها بالادلة السمعية اشد العلوم تأثيرا فى القلب وتغلغلا فيه فسمى بالكلام المشتق
من الكلم وهو الجرح كذا فى شرح العقائد للسعد (والنظر) اى التأمل (فيه) اى فى علم
الكلام (والمناظرة) اى المباحثة والمجادلة (وراء قدر الحاجة) فى تحقيق المذهب
الحق ورد الشبه عنه وابطال زيغ الزائغين بان زاد على ذلك قصد استجلاء مباحث
الفرق الضالة ومحبة الاطلاع على مناقشاتهم لاهل السنة والجماعة (منهى عنه)
لانه يورث الشك فى الدين ونقصان مرتبة اليقين كمن يتعب فى مداواة نفسه
وقد ضربها بالسكين (وقال فى) الفتاوى (البزازية ودفع الخصم) من المعتزلة
وغيرهم (واثبات المذهب) الحق بالادلة النقلية والبراهين العقلية امر مهم (يحتاج)
بالبناء للمفعول (اليه) فى نصرة الدين فليس هو من القدر المنهى عنه (وفى) الفتاوى
(التاتارخانية) فى فقه الحنفية وعبارتها (وفى النوازل) اسم كتاب من كتب الفتاوى
(قال ابو نصر) من ائمة الحنفية (بلغنى ان حماد بن ابى حنيفة) النعمان صاحب
المذهب رضى الله عنهما (كان يتكلم) اى يخاصم ويجادل (فى علم الكلام) مع
الناس (فنهاه عن ذلك) ابوه الامام (ابو حنيفة) رضى الله عنه (فقال له ابنه
قد رأيتك تتكلم فى علم الكلام فما بالك تنهانى عنه قال) له ابوه رضى الله عنه (يابنى
كنا نتكلم) فى ذلك (وكل واحد منا) فى حالة التكلم (كان الطير على رأسنا) كناية
عن عدم حركة الرأس فان من كان الطير على رأسه لا يحرك رأسه لئلا يطير الطير
عنه وهو مثل يضرب لكمال التأنى فى الامور والتؤدة فيها والسكون والوقار وعدم
الاستعجال (مخافة ان نزل) اى نخطئ فان الزلل فى هذا العلم كفر وغاية الزلل فى غيره
من العلوم انه فسق (وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد) منكم (يريد ان يزل) اى
يخطئ (صاحبه) ليظفر عليه بالحجة سواء كان صاحبه فى مذهبه او مذهب غيره
فانه لا يجوز ارادة الزلل والخطأ لاحد مطلقا (واذا اراد احدكم ان يزل) اى يخطئ
(صاحبه فقد اراد له ان يكفر) بالله تعالى (ومن اراد ان يكفر صاحبه) الذى يباحثه
وهو من غير دينه (فقد كفر) هو (قبل ان يكفر صاحبه) لان الرضاء بالكفر كفر
(وعن ابى الليث الحافظ) رحمه الله تعالى (وهو) فقيه (كان بسمرقند متقدما فى الزمان
على الفقيه ابى الليث) المشهور (قال من اشتغل بالكلام) اى بعلم الكلام واراد كثرة
المباحثة فيه بحيث يستغرق بذلك غالب اوقاته لا من تكلم فيه احيانا (محى) بالبناء
للمفعول اى محى الناس (اسمه عن العلماء) فلا يقال له عالم (وعن ابى حنيفة رضى الله
عنه قال يكره الخوض فى) علم (الكلام) بكثرة المباحثة فيه واستجلاء المناقشة بمسائله
(مالم تقع شبهة) له او لغيره فيحتاج الامر اليه حينئذ فيجوز الخوض مقدار الضرورة
(فاذا وقعت شبهة وجب) عليه (ازالتها) لئلا ترفع اليقين من القلب (كمن يكون
على شاطئ البحر ينبغى) اى يجب عليه (ان لا يوقع نفسه فى البحر) لانه هلاك له قال

تعالى* ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة (فان وقع) فى البحر بالقاء نفسه فيه او بدون ذلك (وجب علينا اخراجه) من البحر فكذلك صاحب الشبهة اذا عرضت له او اطلع انها فى غيره يجب عليه رفعها وازالتها (انتهى) مانقله عن التاتارخانية (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (افاد هذا) الكلام المذكور (انه) اى علم الكلام (فرض كفاية) لاجل نصرة الدين وردّ شبه المخالفين وازالة مايقع فى القلوب ممايقص اليقين (لكن لاينبغى ان يعلمه) الانسان (اويتعلمه) من غيره (الاكل) عبد (ذكى) اى صاحب ذكاء وهو الفطانة والحذق (متدين) اى صاحب ديانة وهى مراقبة الله تعالى فى الاهتمام باحكامه (مجد) اى ساع فى تحصيل الكمال الدينى اكثر من الكمال الدنيوى (والا) اى وان لم يكن كذلك (يخاف) بالبناء للمفعول (عليه الميل الى المذاهب الباطلة) قهرا عنه من عدم رسوخه فى اتقان الدين ومحبة احوال المتقين قال فى شرح الدرر روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال لان يلقى الله عبدا باكبر الكبائر خير من ان يلقاه بعلم الكلام فاذا كان هذا حال علم الكلام المتداول فى زمانهم هكذا فاظنك بالكلام المخلوط بهذيانات الفلاسفة المغمور باباطيلهم المزخرفة انتهى قرأت بخط الشيخ ابى الطيب الغزى رحمه الله تعالى ناقلا عن الشيخ ابى الحسن على بن احمد بن يوسف القرشى الهنكارى قال انبأنا الشيخ ابوعبدالرحمن السلمى اجازة سمعت ابانصر احمد بن حاتم السجزى يقول قيل لابى العباس بن شريح صاحب الشافعى ما التوحيد قال توحيد اهل العلم وجماعة المسلمين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وتوحيد اهل الباطل الخوض فى الأعراض والاجسام وانما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بابطال ذلك حدثنا ابو بكر الحميدى المعدل حدثنى محمد بن عبدالله بن عبدالحكيم سمعت الشافعى يقول لو علم الناس ما فى الكلام لفروا منه كما يفرون من الاسد وباسناده عن الربيع ابن سليمان سمعت الشافعى يقول لان يلقى الله الرجل بكل ذنب ماخلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشئ من الكلام اه وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال روى عن الشيخ الامام ابى اليسر انه قال نظرت فى الكتب التى صنفها المتقدمون فى علم التوحيد فوجدت بعضها للفلاسفة مثل اسحاق الكندى والاسفرادى وامثالهما وذلك كله خارج عن الدين المستقيم زائغ عن الطريق لايجوز النظر فى تلك الكتب ولا يجوز امساكها فانها مشحونة من الشرك والضلال قال ووجدت ايضا تصانيف كثيرة فى هذا الفن للمعتزلة مثل عبد الجبار الرازى والجبائى والكعبى والنظام وغيرهم لايجوز امساك تلك الكتب والنظر فيها لئلا تحدث الشكوك ويتمكن الوهم فى العقائد وكذلك المجسمة صنفوا كتبا فى هذا الفن مثل محمد بن هيضم وامثاله لايحل النظر فى تلك الكتب ولاامساكها فانهم شر اهل البدع وقد صنف الاشعرى كتبا كثيرة لتصحيح مذهب المعتزلة ثم ان الله لما تفضل

عليه بالهدى صنف كتابا ناقضا لما صنفه اولا الا ان اصحابنا من اهل السنة والجماعة نصرهم الله تعالى خالفوه فى بعض المسائل فمن وقف عليها فلا بأس له بالنظر فى كتابه وامساكه وعامة اصحاب الشافعى اخذوا بما استقر عليه الاشعرى وكذلك لا بأس بامساك تصانيف محمد بن عبد الله بن سعيد القطان وهو اقدم من الاشعرى واقاويله توافق اقاويلنا الا فى مسائل قلائل لا تبلغ عشرا لكن انما يحل النظر بشرط الوقوف على ماخولف فيه ودفع المتعنت المتعمق فى الدين فلا بأس به وان كان للتخجيل وطرح صاحبه ففيه ابؤس كما قرر فى الظهيرية والحاصل انه كره الاشتغال بعلم الكلام وتأويله عندنا كثرة المناظرة والمجادلة فيه لانه يؤدى الى اثارة البدع والفتن وتشويش العقائد او يكون المناظر قليل الفهم لو طالبا للغلبة لا للحق فاما معرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة النبوة والذى ينطوى عليه عقائدنا فلا يمنع منه كذا جزم به فى الملتقط وذكر فى موضع آخر وعن ابى حنيفة يكره الخوض فى الكلام مالم تقع شبهة فيجب ازالتها فالمناظرة لدفع مثله بان لا يكون مبتدئا او لنصرة الحق من اجل الطاعات كما فى الحاوى وقول من قال ان تعلمه والمناظرة فيه مكروه مردود قال الله تعالى * وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه * الآية دل قوله تلك على اشارة الى مناظرة فى اثبات التوحيد وجعله من حجج الله مضافا الى نفسه على شرفه وشرف العلم بقدر شرف المعلوم والمروى عن ابى يوسف ان امامة المتكلم وان كان بحق لا تجوز محمول على الزائد على قدر الحاجة والمتوغل فيه كما قيل من طلب الدين بالكلام تزندق ولا يريد المتكلم على قانون الفلاسفة لانه لا يطلق على مباحثهم علم الكلام لخروجه عن قانون الاسلام وهو من اجزاء الحد كذا فى البزازية (واما الثانى) وهو مازاد على قدر الحاجة من علم النجوم (ففى سنن ابى داود عن ابن عباس) رضى الله عنهما (مرفوعا) اى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من اقتبس) هو فى الاصل اخذ القبس وهو الشعلة من النار ويراد به هنا الاستفادة اى من استفاد (علما من النجوم) اى نوعا من انواع علم النجوم وهو علم واسع فيه كتب عديدة يتكلمون فيها على كيفيات الاستخبار عن الكوائن الزمانية باسباب معتادة عندهم ويتعاطون بنوع من ذلك معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ومواضع الكنوز ومقادير الاعمار ونحو ذلك مما يزعمونه وهو من الكهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع (اقتبس) اى استفاد (شعبة) اى قطعة (من السحر) وقدمنا بيانه (زاد) من ذلك (ما) اى الذى (زاد) فان استفاد كثيرا فقد استفاد من السحر كثيرا وان استفاد قليلا فقد استفاد منه قليلا فلا فرق بينه وبين السحر فى الحكم (وقال فى) كتاب (الخلاصة وتعلم علم النجوم) ان كان (قدر) اى مقدار (ما يعلم) به (مواقيت) جمع وقت (الصلاة) الخمسة (و) يعلم جهة (القبلة لا بأس به) يعنى هو جائز (و) تعلم (الزيادة) على ذلك (حرام) لانه من السحر

(انتهى) كلام الخلاصة وفى شرح الشيخ الوالد رحمه الله تعالى على شرح الدرر وقيل فى تأويل قوله تعالى * وجعلناها رجوما للشياطين * اى جعلنا النجوم سببا لكذب المنجمين اطلق اسم الشيطان على المنجم وسمى هذيانه رجما من رجم بالغيب كذا فى البزازية (وفى بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (ولو تعلم من علم النجوم مقدار مايعرف به) جهة (القبلة و) يعرف به (امر الحساب) اى حساب الاوقات والشهور والسنين (فلا بأس به) وهو امر مباح (ولا يزيد عليه) اى على ماذكر (اذا تعلم مقدار مايعرف به القبلة وامر الحساب) كما ذكرنا (انتهى) مانقله من بستان العارفين (وفى) كتاب (تعليم المتعلم وعلم النجوم بمنزلة المرض) لمن تعلمه لانه يمرض القلب فى الايمان بالغيب فيبقى العبد اذا تعلمه يزعم فى نفسه علما ماكان قبل ذلك يكل علمه الى الله تعالى من الامور المغيبات (فتعلمه حرام لانه يضر) بعالمه فى دينه لانه ينقله من الايمان بالحق المغيب الى الايمان بالكذب الموهوم (ولا ينفع) اصلا (والهرب عن قضاء الله تعالى وقدره غير ممكن) لمن اطلع بعلم النجوم انه يقع له فى المستقبل كذا وكذا وغايته انه يبقى فى الهم والغم وماقدر الله تعالى عليه وقضى به واقع لامحالة (انتهى) كلامه (اقول) يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (فما) اى الذى (هو) المقدار (الحرام من علم النجوم) هو (ما يتعلق بالاحكام) فى الوقايع والنوازل المستقبلة (كقولهم) اى المنجمين (اذا وقع كسوف) للشمس (اوخسوف) للقمر (اوزلزلة) للارض (اونحوها) كانتشار الكواكب ذوات الاذناب (فى زمان كذا اووقت معين عندهم (سيقع) فى الارض (كذا) من غلاء اورخص اوموت اوحرب ولذلك قال الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى قدس الله سره فى باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية واياك وتصديق الكهان وان صدقوا واجتنب مااستطعت علم التعاليم وهو القضاء بالنجوم فانه ردى وان كان من جملة الاسباب ولكن الوقوف عند قول الشارع هو طريق النجاة وتحصيل السعادة وماندن الاعلى ذلك انتهى كلامه ولنا رسالة فى تحقيق هذا المحل سميناها اللؤلؤ المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون كما ذكرنا فيما تقدم (واما معرفة) جهة (القبلة) وحضور (المواقيت) الزمانية (فيحصل بالعلم المسمى بالهيئة) اى علم الهيئة الذى يبحث فيه عن معرفة هيئة الافلاك وكرة العالم (فلما كانا) اى استقبال القبلة ووقت الصلاة المفهومان مما ذكر (شرطى اداء الصلاة) كما تقرر فى موضعه (لزم معرفتهما) اى القبلة والوقت (بالتحرى) وهو بذل المجهود لنيل المقصود واصله طلب الاحرى اى الاولى من الامور (والامارات) اى العلامات جمع امارة (وهذا العلم) الذى هو علم الهيئة (من جملة اسباب التحرى والمعرفة) لذلك المذكور (فجاز الاشتغال به) والقراءة فيه وتعلمه (واما ان يجب) ذلك على المكلف (فلا) يجب (اذ لا انحصار للاسباب) التى يعلم منها القبلة والوقت (فيه) اى فى علم الهيئة (ولا يلزم)

احدا من المكلفين (اليقين) اى القطع (فيهما) اى فى القبلة والوقت (بل يكفى) فى بنيان الامور عليهما (الظن) اى غالبه وفى الاشباه والنظائر ولو شك فى دخول وقت العبادة فاتى بها فبان انه فعلها فى الوقت لم يجزه اخذا من قولهم كما فى فتح القدير لو صلى الفرض وعنده ان الوقت لم يدخل فظهر انه قد دخل لا يجزيه انتهى كلامه فاذا غلب على ظنه دخول الوقت لم يكن ذلك شكا فيجزيه وذكر فى موضع آخر قال الشك تساوى الطرفين والظن الطرف الراجح وهو ترجيح جهة الصواب والوهم رجحان جهة الخطأ واما اكبر الرأى وغالب الظن فهو الطرف الراجح اذا اخذ به القلب وهو المعتبر عند الفقهاء كما ذكره اللامشى فى اصوله وحاصله ان الظن عند الفقهاء من قبيل الشك لانهم يريدون به التردد بين وجود الشئ وعدمه سواء استويا او ترجح احدهما ولذا قالوا فى كتاب الاقرار لو قال له على الف فى ظنى لا يلزمه شئ لانه للشك وغالب الظن عندهم ملحق باليقين وهو الذى تبتنى عليه الاحكام يعرف ذلك من تصفح كلامهم فى الابواب صرحوا فى نواقض الوضوء بان الغالب كالمحقق وصرحوا فى الطلاق بانه اذا ظن الوقوع لم يقع واذا غلب على ظنه وقع (وانه) اى علم الهيئة (يحتاج) فى معرفته (الى ذكاء) اى فطنة (وقوة حدس) اى فكر (وخيال وجد) اى سعى واجتهاد (كثير) وفيه الحرج (فلا يقع التكليف به) فى الشرع (لكل احد اذ لا يكلف الله) سبحانه (نفسا) من عباده (الا وسعها) اى مقدار ما تسع اى تستطيع بلا حرج عليها ولا صعوبة (وايضا تحتاج معرفة القبلة) من علم الهيئة (الى معرفة عرض كل بلد) مما هو فيها (وطوله) ليتحرر عنده امر قبلتها (ولا يمكن) تلك المعرفة (الا بتقليد من تعرف عدالته) من واضع ذلك العلم الذى هو علم الهيئة فان للاسلاميين فيه اوضاعا ولغيرهم كذلك ولهم ضوابط وقوانين يعرف بها ذلك واذا كان الامر مشتبها كذلك (فلا يوجب) علم الهيئة (العمل به) على من تعلمه لاحتمال متابعة غير الثقة فى استعمال القواعد التى وضعوها (واما سائر) اى بقية (علوم الفلاسفة) الاولين الذين كانوا فى ايام الفترة وقبلها (فالمنطق) الذى هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ فى الفكر وهو مقدمة للعلوم الفلسفية يفيد التحقيق فيها (داخل فى) حكم (علم الكلام) الذى معظم ابحاثه مبنية على قواعد الفلاسفة للتمكن من الرد عليهم وعلى المعتزلة (و) فى حكم (علم الهندسة) على حسب ما سبق بيانه (مباح) حيث لم يكن تحقيق الشرعيات متوقفا عليه ولا هو مضر فيها لان المؤمن بالشرع لا يعلل بالعقل احكام الشرع حتى يحتاج لعلم الميزان الذى هو المنطق ولا مانع من استعمال قواعده فى فهم بعض المسائل فلا ينفعه ولا يضره (والالهيات) اى المسائل المتعلقة بالاله من العلوم الفلسفية (ما يخالف منها الشرع) المحمدى كاثبات علة العلل وانكار المعاد الجسمانى وكون الواحد لا يصدر عنه الا واحد ونحو ذلك

(جهل مركب) فصاحبه جاهل و يجهل انه جاهل (لايجوز تحصيله) اى تعلمه وفهمه (و) لا (النظر) اى التأمل (فيه الا على وجه الرد) عليه من عالم متمكن قادر على الرد والقاصر لايجوز له التعرض مطلقا (وقد استقصى) بالبناء للمفعول اى تتبع الرد من علماء الكلام (فى) علم (الكلام) فلا حاجة الآن الى ذلك (وما) اى الذى (يوافقه) اى الشرع من الالهيات الفلسفية (فداخل فى) علم (الكلام ايضا) ففى علم الكلام غنية عن ذلك (والطبيعيات) اى المسائل الفلسفية المتعلقة بالطبيعية وماتولد منها من العناصر وماتركب من الاجسام (ماخالف منها الشرع) النبوى (فبنى على) المسائل (الالهيات) المذكورة فالتفصيل فيه كالتفصيل فيها (وقد عرفت حالها) اى الالهيات بان ماخالف الشرع منها مردود (ومالم يخالف) الشرع (لم يمنع منه) لانه اطلاع على احكام عقلية لاتصادم حكما شرعيا وذكر ابن نجيم فى الاشباه والنظائر ان العلم قد يكون حراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبايعيين والسحر ودخل فى الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحرف والموسيقى آه وللشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى رحمه الله تعالى كتاب فى الرد على العلوم الفلسفية سماه كشف الفضايح اليونانية ورشف النصايح الايمانية وذكر الشهاب بن حجر المكى فى فتاواه قال واما الاشتغال بالفلسفة والمنطق فقد افتى بتحريمه ابن الصلاح وشنع على المشتغل بهما واطال فى ذلك ويجب على الامام اخراج اهلهما من مدارس الاسلام وسجنهم وكف شرهم قال وان زعم احدهم انه غير معتقد اعفائدهم فان حاله يكذبه واما استعمال الاصطلاحات المنطقية فى الاحكام الشرعية فمن المنكرات المستبشعة وليس بها افتقار الى المنطق اصلا ومايزعمه المنطقى للمنطق من الحد والبرهان ففقاقع قد اغنى الله عنها كل صحيح الذهن لاسيما من خدم نظريات العلوم الشرعية هذا حاصل شئ من كلامه وماذكره فى الفلسفة صحيح ومن ثم قال الازرعى وماذكرته من تحريمها هو الصحيح والصواب ونصوص الشافعى رضى الله عنه ناصة على تقبيح تعاطيه ونقل عنه التعذير على ذلك واما ماذكره فى المنطق فمعارض بقول الغزالى فى مقدمة المنطق فى اول كتابه المصفى هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه اصلا وقوله فى المنقذ من الضلال واما المنطقيات فلا يتعلق شئ منها بالدين نفيا ولا اثباتا بل هو نظر فى طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمة البرهان وكيفية تركيبها وشروط الحد الصحيح وكيفية ترتيبها وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس فى هذا ماينبغى ان ينكر فانه من قبيل مايتمسك به المتكلمون واهل النظر فى الادلة وانما يفارقونهم فى العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصاء فى التعريفات والتشعيبات ومثال كلامهم فيه اذا ثبت كل انسان حيوان لزم منه

ان بعض الحيوان انسان وان كل من ثبت انه انسان ثبت انه حيوان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية تلزم موجبة جزئيـة وهذا حق لاشك فيه فكيف ينبغي ان يجحد وينكر على انه لاتعلق له بمهمات الدين ثم متى انكر مثل هذا لزم منه عند اهل المنطق سوء الاعتقاد فى المنكر بل فى دينه الذى يزعم ان فيه ابطال مثل هذا فتأمله تأملا خاليا عن التعصب تجده رحمه الله تعالى قد اوضح المحجة واقام الحجة على انه ليس فيه شئ مما ينكر ولا مما يجر الى ما ينكر وعلى انه ينفع فى العلوم الشرعية كاصول الدين والفقه وقد اطلق الفقهاء ان ما ينفع فى العلوم الشرعية محترم ثم قال بعضهم كالاسنوى ان المنطق غير محترم فعلمناه ان مراده المنطق الذى لا ينفع فى العلوم الشرعية او الذى يعود منه ضرر على الدين وهذا نوع من منطق الفلاسفة يبحثون فيه عن نحو ما ذكره الغزالى ثم يدرجون فيه البحث عن حال الموجودات وكيفية تراكيبها ومفاهيمها واعراضها وغير ذلك مما يخالفون فيه علماء الاسلام حتى انتصبوا لهم وردوا جميع مقالاتهم الفظيعة الشنيعة فمثل هذا الفن من المنطق هو الذى يحرم الاشتغال به وعليه يحمل كلام ابن الصلاح ويدل لذلك قوله فيما مر عنه وكف شرهم وقوله وان زعم احدهم انه غير معتقد لعقائدهم فان حاله يكذبه فعلمنا ان كلامه فى منطق له شر وله اهل يعتقدون خلاف عقائد المسلمين وهو النوع الذى ذكرته لا غير واما المنطق المتعارف الآن بين ايدى اكابر علماء اهل السنة فليس فيه شئ مما ينكر ولا شئ من عقائد المتفلسفين بل هو علم نظرى يحتاج لمزيد رياضة وتأمل يستعان به على التحرز عن الخطأ فى الفكر ما امكن فمعاذ الله ان ينكر ذلك ابن الصلاح ولا ادون منه وانما وقع التشنيع عليه من جماعة من المتأخرين لانهم جهلوه فعادوه كما قيـل من جهل شيئا عاداه وكفى به نافعا فى الدين انه لا يمكن ان ترد شبهة من شبـه الفلاسفة وغيرهم من الفرق الا بمراعاته ومراعات قواعده وكفى الجاهل به ان لا يقدر على التفوه مع الفلسفى وغيره العارف به ببنت شفة بل يصير نحو الفلسفى يلحن بحجته وذلك الجاهل به وان كان من اكابر العلماء ساكت ولقد احسن القرافى من أئمة المالكية واجاد حيث جعله شرطا من شرائط الاجتهاد وان المجتهد متى جهـله سلب عنه اسم الاجتهاد فيكون المنطق شرطا فى منصب الاجتهـاد فلا يمكن حينئذ ان يقال الاشتغال به منهى عنه او ان العلماء المتقدمين كالشافعى ومالك لم يكونوا عالمين به فان ذلك يقـدح فى حصول منصب الاجتهاد لهم نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة فى زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط وقال السبكى ينبغى ان يقدم على الاشتغال به الاشتغال بالكتاب والسنة والفقه حتى يتروى منهـا ويترسخ فى ذهنه الاعتقادات الصحيحة ويعلم من نفسه صحة الذهن بحيث لا تتروج عنده الشبهة على الدليل فاذا وجد شيخا ناصحا دينـا حسن العقيدة جاز له الاشتغال بالمنطق وينتفع به ويعينه على العلوم الاسلامية وهو من احسن العلوم وانفعها فى كل بحث ومن قال انه كفر

اوحرام فهو جاهل فانه علم عقلي محض كالحساب غير ان الحساب لا يجر الى فساد وليس مقدمة لعلم آخر فيه مفسدة والمنطق من اقتصر عليه ولم يكن له سليقة صحيحة خشي عليه التزندق والتغلغل باعتقاد فلسفي من حيث يشعر اولا يشعر قال وفصل القول فيه انه كالسيف يجاهد به شخص في سبيل الله و يقطع به آخر الطريق وهذا نص فيما قدمناه ان المنطق قسمان قسم منه لا يخشى على المشتغل به شيء مما ذكره والقسم الآخر وهو المدرج فيه كثير من العقائد الفلسفية ولا يجوز الخوض فيه الا لمن اتقن ما ذكره ووجد شيخا بالصفة التي ذكرها فهذا يجوز له الاشتغال حتى بهذا القسم لانه يؤمن عليه ولقد اشتغل بهذا القسم كثير من الفحول حتى احكموه وتمكنوا به من تمام الرد على الفلاسفة وتزييف مقالاتهم الباطلة انتهى كلامه ببعض اختصار وسبحان الله الذي لا اله الا هو المراد بالمنطق ما عرفه علماؤه بقولهم هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر وهو قسم واحد لا قسمان سواء خلطوه بالفلسفيات او تجرد عن ذلك وخلطه بالفلسفة لا يخلو اما ان تكون مسائل الفلسفة بعده وهو مقدمة لها في تصنيف واحد فالمنطق هو المقدمة لا مع ما بعدها كما قال السعد في اول شرح العقائد ان علم الكلام يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات والزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ومراده ان المنطق مقدمة لعلم الفلسفة واما ان تكون مسائله وقواعده امثالها التي تذكر فيها وشواهدها من مسائل علم الفلسفة فهو المنطق الذي هو آلة قانونية بعينه وامثاله وشواهده اذا ذكرت فيه لم تذكر الا لايضاح قواعده وضوابطه كالنحاة لما مثلوا بقام زيد وان كان زيد لم يقم فان هذا الكذب لا يضر لان مرادهم ايضاح القاعدة لا غير ونحوه كثير فلا معنى لجعله قسما آخر غير المنطق الخالي من ذلك ولئن سلمنا انه قسمان كما ذكر وان المنهي عنه القسم الممزوج بالفلسفيات لانه يؤول بصاحبه الى الزندقة كما قال السبكي وقد شرط لجواز الاشتغال به تقدم الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها فلا نسلم ان غير الممزوج بذلك لا يؤول بصاحبه الى الزندقة ايضا ما لم يتقدمه الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها لان جميع الفرق الضالة انما خالفوا اهل السنة واختلفوهم فيما بينهم بسبب تعلمهم هذا القسم من المنطق الخالي من الفلسفيات واستعمال قواعده في مسائل عقائدهم فكيف يكون ضرره مأمونا وقد انتج في الاسلام هذا الاختلاف العظيم والفساد الكبير فانه كان اولا بغير اللسان العربي لانه من استخراج الحكماء اليونانيين فنقله بعض ملوك العباسيين الى اللغة العربية وخاض فيه الاسلاميون فكثرت الفرق الضالة وجادلوا به في الدين كما اشار اليه ابن الشحنة في شرح السلم والعجب ممن جعله شرطا في الاجتهاد فلعله يزعم ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتعلمونه من النبي صلى الله عليه وسلم او يتدارسونه بينهم لانهم كلهم مجتهدون وقد جعله هذا القائل من شروط الاجتهاد فعند فقد العلم به يفقد الاجتهاد وهو باطل لان الصحابة

رضى الله عنهم لم يكونوا يشغلوا انفسهم بهذا الفشار الذى اخترعه الحكماء لفلاسفة
بل من اعتقد فى النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعلم الصحابة هذه الشقاشق والهذيانات
المنطقية فهو كافر لتحقيره علم النبى صلى الله عليه وسلم معلم الخير والحق والايمان
لاالمعقولات التى تهدم دين الاسلام من اصله لانه ليس مبنيا عليها بل على التسليم
والا ذعان فاذا تحكم بها العبد فيه تحولت احكامه معللة بالعلل العقلية
وذهبت انوار سننه بظلمات البدع الشيطانية واعجب من هذا قوله ايضا
نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة فى زماننا لايشترط معرفتها
بل معرفة معانيها فقط فانه ان اراد بالعبارات والاصطلاحات الالفاظ فانها
ليست علم المنطق وان اراد المعانى فالمعانى ليس لها معانى وعلم المنطق ليس الاهذه
الاصطلاحات والقواعد والضوابط المفهومة من الالفاظ التى هى تقسيمات الادراكات
العقلية ومتى لم تعتبر هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط من حيث هى قواعد
وضوابط فهى الادراك العقلى وليست بعلم المنطق فان اراد بكون الامام الشافعى
ومالك رضى الله عنهما كانا يعلمان علم المنطق انهما كانا يعلمان هذه القواعد
والضوابط الاصطلاحية لامن حيث هى قواعد وضوابط اصطلاحية بل من حيث
هى ادراكات عقلية فكأنه قال بان الامام الشافعى ومالك كان لهما ادراك عقلى
وهذا امر لاينازعه فيه احد ولاينبغى ان يذكر لان احدا لايتوهم عدمه وكذلك
ان اريد هذا المعنى فى قول من جعل المنطق شرطا فى الاجتهاد فكأنه جعل الادراك
العقلى شرطا فى الاجتهاد وهو امر معلوم بالبداهة اذ من لم يكن له كمال ادراك عقلى
كيف يمكنه الاجتهاد فى الدين والحاصل ان كل مكلف مأمور بتقوية الجزء الايمانى
فيه وهو الاسلام والاذعان لجميع ماورد عن الله ورسوله على حسب مايعلمه الله ورسوله
وتقويته انما تكون بالامتثال للامر والاجتناب للنهى والمبالغة فى ذلك كما قال تعالى
* والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * فقد وعد الله تعالى بالهداية للمجاهد فيه
بامتثال امره واجتناب نهيه وهى المجاهدة الشرعية فى النفس والهوى والشيطان
والدنيا فان هذه الاربعة قواطع عن القرب اليه تعالى فمتى جاهدها المكلف بالطاعة
لله تعالى والمخالفة لها هداه الله تعالى فعرفه به وادناه منه زلفى وكشف له عن معانى
الكتاب والسنة بطريق الفيض والالهام ماتعجز عنه العقول والافهام وليس المكلف
مأمورا بتقوية الجزء العقلى منه لان تقوية ذلك يضره فى دينه لان الدين المحمدى
ليس مما يدرك بالعقول خصوصا فى مذهب الشيخ الاشعرى رضى الله عنه بان التحسين
والتقبيح شرعيان لاعقليان والعقل لايدرك حسن شئ اصلا ولاقبحه كما هو مقرر
فى الاصول وهذا القسم من المنطق ولو قلنا انه خال من الفلسفيات فانه يقوى العقل
على جانب الايمان والتسليم للشرع فيضعف الجزء الايمانى التسليمى بسبب قوة الجزء

العقلى ان لم يذهب الجزء الايمانى بالكلية او ينقلب عقليا كما هو مشاهد فى كثير من الناس تراه لا يقبل حكما من احكام الشرع ما لم يكن امرا معقولا وللعقل مدخل فى ادراكه ولهذا تكلم اهل التأويل فى المتشابهات وخاضوا فيها بالمعانى العقلية ولم يقدروا ان يؤمنوا بها على ما هى عليه ولا استطاعوا ان يطمئنوا قلوبهم بما يعلمه الله تعالى منها ويعلمه رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوة الجزء العقلى فيهم بحيث غلب على نور ايمانهم فاضعفه بالكلية فتراهم لا تقوى قلوبهم ولا تطمئن نفوسهم الا اذا وافق حكم الشرع المحمدى عقولهم واذا لم يوافقها تعبوا فى الموافقة بين العقل والشرع والجزء الايمانى ضعيف فيهم جدا ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور الحق والصواب تحريم علم المنطق كله بقسميه المذكورين على فرض انقسامه اليهما لايصاله الى ما ذكرنا من اعتياد المكلف استعمال ضوابطه وقواعده وغلبة ذلك عليه فى كل ما يريد ادراكه من الدين مع ان الدين ليس مبنيا على الفهوم العقلية وان احترز متعلمه من استعماله فى ادراك الدين به فلا نتيجة له حينئذ وان زعم ان له نتيجة اخرى فى غير الادراك فهو ممتنع منه فتلخص من هذا ان المنطق ضرر محض على اهل الاسلام انما بعث متعلموه على تعلمه حب الانفراد بعلم لا يعلمه اهل الاسلام وطلب الرياسة به على الاقران ولهذا صرح القائل فيما تقدم بانه يكفى الجاهل به انه لا يقدر على التفوه مع الفلسفى وغيره العارف به ببنت شفة الى آخر ما مر فانه جعل هذا العلم الذى تعلمه موصلا الى هدم القواعد الاسلامية من اصلها كمالا فى الفلسفى وغيره العارف به مع ان المؤمن اذا جهل مبنى اساس الكفر والضلال فذلك فى حقه عين الكمال ومن المعلوم ان من قدر على ابطال المذاهب الفلسفية وغيرها مما اسس على القواعد المنطقية بهذه القواعد المنطقية فانه لا يبطلها بامر هو مبنى الدين المحمدى بل بما هو مبنى تلك المذاهب الباطلة وهو العقل فلا يستطيع ابطالها بما بنيت عليه ولئن امكنه ذلك فان اهلها يجيبون عن ذلك والعقل معهم لان مبنى دينهم عليه والقواعد المنطقية تساعدهم فيجيبون عن جميع ما يرد عليهم ويعاندون بالحماية للدين الباطل فلا يفيد ذلك الابطال شيئا فان المذاهب الباطلة لا يبطلها الا الدين الحق والقواعد الاسلامية المحمدية وليست هى العقل بل لا دخول له فيها اصلا وانما تلقيها من الكتاب والسنة بدون استعمال قواعده بل بالايمان والتسليم والاذعان ولهذا قال العارف بالله الشيخ رسلان الدمشقى رضى الله عنه فى رسالته الناس تايهون عن الحق بالعقل فانظر كيف جعل العقل مضلا عن الحق لا هاديا اليه فاذا كان مضلا فكيف يعده المكلف بتفصيل قواعد ادراكاته وضوابط مفاهيمه حتى يقويه فيغلب عليه فلا يقدر بعد ذلك على رده والمطلوب منه اضعاف عقله بكثرة نور ايمانه حتى يبقى عقله تبعا لما جاء به نبيه كما ورد فى الحديث لان يبقى ما جاء به نبيه عليه

السلام تبعا لعقله وقد ورد فى الكتاب والسنة طلب الايمان من المكلف لا التعقل كما قال تعالى * فامنوا بالله ورسوله * ولم يقل فاعقلوا ونحو ذلك والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (واما السحر) وتقدم بيانه (والنيرنجات) وهى نوع من السحر يسمى الدك والشعبذة (ونحوهما) اى نحو السحر والنيرنجات (من) انواع (الشرور) القبيحة (والمعاصى) الموجبة للفضيحة (فيجوز تعلمها للاحتراز عنها) لا للرغبة فى عملها (كما قيل) اى قال الشاعر فى مثل هذا المعنى (عرفتُ الشَّرَّ) ضد الخير (لا للشَّرِ) اى لا لاجل الرغبة فيه والاهتمام به (لكن) عرفته (لتُوَقّيه) اى للاحتراز عنه ولدفعه اذا قابلنى به احد (ومَنْ لم يعرف الشرَّ) ويتعلم طرقه المختلفة (فانه يقع فيه) اى فى الشر لالتباسه عليه وعدم معرفته به (واما المناظرة) وهى المقابلة بالنظر العقلى والفكر فى الابحاث العلمية من الطرفين مفاعلة لان كل واحد ينظر بعقله فى كلام الآخر (والحيلة فيها) اى فى المناظرة لاجل دفعها (ففى) كتاب (الخلاصة التمويه) اى اظهار ماليس بحق فى صورة الحق ومنه الاستطراد فى البحث الى شئ آخر بحيث ينتقل الكلام من مسئلة الى مسئلة اخرى ولم تكن تحققت عندهما (والحيلة فى المناظرة) لطرح الخصم عنها وقطع كلامه ومنها ان يحمل احدهما الآخر على ان يقول ماليس بمذهبه لاجل الزام الحجة عليه وكذلك التنزل الى مذهب الخصم لالزامه (ان تكلم معك) من تناظره حال كونه (متعلما) اى طالبا منك التعليم والاستفادة (مسترشدا) اى طالبا الرشد وهو الهداية الى الصواب وهذا معلوم بقرائن الاحوال عندك (او تكلم على الانصاف) لك بلا جور منه عليك فى ظهوره الحق على يديك (بلا تعنت) اى معاندة ومكابرة فى الحق (يكره) لك حينئذ التمويه والحيلة لتصرفه عن المبحث الذى انت تناظره فيه قبل ان يتحقق بينكما لان فى ذلك كتمانا للدين وشحا ببيان الحق (وكذا اذا تكلم) معك خصمك المناظر لك حال كونه (غير مسترشد) اى طالب للرشد منك (لكن على الانصاف) اى منصفا لك فى البحث معك (بلا تعنت) منه عليك ولا معاندة فانه يكره التمويه منك والحيلة عليه فى صرفه عن المسئلة (فان تكلم) الانسان (مع من) اى الذى (يريد التعنت) اى المعاندة والمكابرة وعدم التسليم للحق وان ظهر له (ويريد) الانسان (ان يطرحه) اى يقطع عليه كلامه بالنقل الى كلام آخر او بتغطية وجه الصواب عليه فى الكلام وابهام الامر ومنه قوله تعالى * وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين * وقول حسان رضى الله عنه فى حق النبى صلى الله عليه وسلم يخاطب بعض الكافرين

هجوت محمدا واذب عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

اتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

(لا يكره) طرحه عن المناظرة حينئذ (و) ينبغى ان (يحتال) عليه

(كل حيلة) تمكنه (ليدفع عن نفسه) ارادة تعنت خصمه عليه وعناده له ومكابرته معه فى الحق ومجادلته بالباطل كما قال تعالى * وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب (لان الحيلة) على الخصم (لدفع التعنت) منه (مشروعة) سائغة فى الشرع (قال صاحب الخلاصة) الامام رشيد الدين البخارى رحمه الله تعالى (سمعت القاضى الامام) ولعله قاضيخان صاحب الفتاوى رحمه الله تعالى (يقول ان اراد) المناظر (تخجيل الخصم) اى القاءه فى الخجل وهو زيادة الحياء بظهور جهله والخامه بالادلة (يكفر) لانه استهان بالدين حيث جعل مسائله آلة لانفاذ حظوظ نفسه فى خصمه واظهر بذلك التقرب والطاعة لله تعالى ولانه احب ان يزل خصمه ويخطئ ليظهر ارتفاع قدره عليه ومن احب زلة غيره فقد احب كفره فيكفر (قال) يعنى صاحب الخلاصة (رأيت فى موضع آخر) يقول القاضى الامام المذكور اوغيره (وعندى لا يكفر) ان اراد تخجيل خصمه (و) لكنه (يخشى) بالبناء للمفعول اى يخاف (عليه الكفر) لاحتمال انه لم يرد شيئا مما ذكر فربما يؤول به ذلك الى ارادة ما ذكر (انتهى) اى ما نقله عن الخلاصة قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى (والاولى) اى الاحرى والاحق (فى زماننا) هذا الكثير الشر القليل الخير وهو عصر التسعمائة (ان لا يناظر) الانسان (احدا) مطلقا (اذ) اى لانه (قلّ ما يوجد) فى طلبة العلم اليوم وفى العلماء (من يريد) بمناظرته (اظهار الصواب) من غير حظ نفسانى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال مشايخنا لو ناظر مع غيره ان كلمه غيره متعلما مسترشدا غير متعنت لا يحل له الحيلة لطرحه فى المناظرة معه لان ذلك يؤدى الى اخفاء العلم وكتمانه وانه حرام وان كان متعنتا يحل له ان يحتال كل حيلة لدفعه عن نفسه لانه من اراد زلة صاحبه فكأنما اراد تكفيره فيكفر قبل ان يكفر صاحبه ولا يجب على الفقيه كذا فى المبتغى والاجابة عن كل ما يسال عنه غير واجبة الا اذا علم انه لا يجيب غيره فيلزمه جوابه لان الفتوى والتعليم فرض كفاية من المبتغى ايضا انتهى وذكر الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه فى باب الوصايا آخر كتابه الفتوحات المكية قال واياك والمراء فى القرآن فانه كفر بنص الحديث وهو الخوض بانه محدث اوقديم وهل هو هذا المكتوب فى المصاحف والمتلو المتلفظ به عين كلام الله تعالى او ماهو عين كلام الله تعالى فالكلام فى مثل هذا والخوض فيه هو الخوض فى ايات الله تعالى وهذا هو المراء والجدال المنهى عنه (النوع الثالث) من انواع العلوم الثلاثة (فى) بيان العلوم (المندوب اليها) اى المستحبة (وهى معرفة فضائل) اى ما فيه فضيلة من (الاعمال) البدنية والقلبية كالصدقة بما زاد على الكفاية والاكثار من ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والنظر فى المصحف ونحو ذلك (ونوافلها) اى الاعمال كصلاة الضحى

وركعتي الوضوء وركعتي المسجد (وسننها) المؤكدة وغير المؤكدة (ومكروهاتها) التحريمية والتنزيهية (و) معرفة (فروض الكفاية) بانواعها (فيما) اى فروض كفاية (وجد القائم بها) من الناس فانها لاتبقى فروضا بعد ذلك ولا يثاب فاعلها ثواب الفرض اذا اتى بها بعد اتيان من سقط الفرض باتيانه وانما يتنفل بها بعد ذلك فى غير صلاة الجنازة قال فى الهداية وان صلى الولى لم يجز لاحد ان يصلى بعده لان الفرض يتأدى بالاول والتنفل بها غير مشروع ولهذا رأينا الناس تركوا عن آخرهم الصلاة على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو اليوم كما وضع انتهى وقد بينا هذه المسئلة فى رسالة سميناها غاية الوجازة فى تكرار الصلاة على الجنازة (و) كذلك (التعمق) يقال عمق النظر فى الامور بالغ وتعمق كذا فى القاموس (والتوغل) وغل فى الشئ يغل وغولا دخل وتوارى اوبعد وذهب واوغل فى البلاد والعلم ذهب وبالغ وابعد كتوغل كذا فى القاموس والمراد هنا الاكثار (فى ادلة) جمع دليل (فروض العين و) ادلة فروض (الكفاية و) فى (وجوههما) اى وجوه ادلة الشيئين وهو اقامة الدليل على الدليل فالاول يسمى تحقيقا والثانى تدقيقا (ومنها) اى من المعلوم المندوب اليها علم (الطب) وهو العلم الذى يبحث فيه عن امزجة الحيوان ومايعدلها (قال فى بستان العارفين) لابى الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (يستحب للرجل ان يعرف من علم (الطب مقدار مايمتنع) اى يتباعد بسببه (عما) اى عن الامر الذى (يضر) تناوله اواهماله (ببدنه) من انواع المآكل والمشارب والادوية والعلاجات (انتهى) كلام بستان العارفين قال مؤلف متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (ولا يجب) معرفة هذا المقدار من الطب (لان التداوى) اى استعمال الدواء فى المريض (لا يجب) لان حصول الشفاء به امر مظنون فكم من مريض تداوى ولم يشفه الدواء وكم من مريض شفاه الله تعالى من غير دواء والاستشفاء بالدواء نادر ولا يترتب على النادر الوجوب (قال فى) كتاب (الخلاصة رجل استطلق بطنه) اى لم يقدر على امساك غائطه (اورمدت عيناه) اونحو ذلك من انواع الامراض (فلم يعالج) نفسه بشئ من الدواء (حتى اضعفه) ذلك الدواء (ومات) منه (لااثم عليه) ولا عقاب فى الآخرة (وفرق بين هذا الحكم) المذكور (وبين مااذا صام ولم يأكل) الطعام اياما كثيرة (حتى مات) من شدة الجوع (وهو قادر) على الاكل فانه (يأثم) حينئذ (والفرق) بين الامرين (ان الاكل مقدار قوته فرض) عين عليه (لان فيه شبعا) من الجوع (بيقين) من غير شك كما هو العادة المعروفة (فاذا ترك) الاستشفاء بالاكل (كان متلفا لنفسه) مع القدرة عليه عمدا (ولا كذلك المعالجة) بالدواء فى المريض (لان الصحة) من المرض (بالمعالجة) بالدواء (غير معلومة) بل هى امر مظنون نادر الوقوع فلا يبتنى عليه حكم شرعى ايجابى فغاية مافى الباب انه يبتنى عليه الاستحباب كما ذكر فى المواهب

اللدنية روى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى فالشفاء متوقف على اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد فى الكيفية والكمية فلا ينجح بل ربما احدث داء آخر وفى رواية عن الحميدى فى كتابه المسمى بطب اهل البيت مامن داء الاوله دواء فاذا كان كذلك بعث الله عزوجل ملكا ومعه ستر فجعل بين الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا اراد الله برءه امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفى حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه ابونعيم وغيره وفيه اشارة الى ان بعض الادوية لايعلمها كل احد واماقوله لكل داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التى لايمكن طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لاعلم للخلق الاماعلمهم الله تعالى ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ ثم يعتريه بعدذلك الداء بعينه فلاينجح والسبب فى ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فربّ مرضين تشابها ويكون احدهما مركبا فلاينجح فيه ماينجح فى الذى ليس مركبا فيقع الخطأ من هنا وقديكون متحدا لكن يريدالله ان لاينجح ومن هنا تخضع رقاب الاطباء (وقال فى) كتاب (فصول) جمع فصل (العمادى) وهو كتاب من كتب الفتاوى فى فقه الحنفية يشتمل على اربعين فصلا (اعلم ان الاسباب) جمع سبب وهو مايتوصل به الى غيره (المزيلة للضرر) فى البدن (تنقسم) ثلاثه اقسام (الى) قسم (مقطوع به) اى بكونه سببا موصلا الى ازالة الضرر بحسب التكرار فى العادة ومشاهدة ذلك على الحس من دون شك ولاشبهة لاحد فى ذلك اصلا (كالماء المزيل لضرر العطش) من العطشان (والخبز المزيل لضرر الجوع) من الجيعان وذلك بان يخلق الله تعالى الرى ويرفع العطش فى باطن المستعمل لذلك عند وصول الماء الى الجوف من غير تأثير للماء فى ذلك اصلا ولااستعانة منه تعالى بالماء على ذلك وكذلك الخبز يخلق الله تعالى الشبع عند وصوله الى الجوف بلا تأثير من الخبز ولااستعانة به اصلا وهكذا جميع الاسباب العادية (والى) قسم (مظنون) زوال الضرر به (كالفصد والحجامة) فى حق المريض المحتاج الى ذلك فى عرف الاطباء (وشرب) الدواء (المسهل) والقابض (وسائر ابواب الطب) المذكورة فى كتب الطب (اعنى معالجة البرودة) الغالبة على مزاج الحيوان (بالحرارة) الغالبة فى الدواء من مركب وبسيط كالمعاجين والعقاقير (و) معالجة (الحرارة) الغالبة فى مزاج الحيوان ايضا (بالبرودة) الغالبة فى دواء مركب اوبسيط (وهى الاسباب الظاهرة) اى المعلومة (فى) علم (الطب والى) قسم (موهوم) اى يحتمل

الشفاء وعدمه (كالكى) بالنار ولهذا قالوا آخر الطب الكى فالكى الآخرية لانه اضعف احتمالا للشفاء واما غيره من المعالجات فهو اقرب منه الى الشفاء فهو اول الطب (والرقية) بالضم العودة وجمعها رقى ورقاه رقيا فهو رقاء نفث فى عوذته كذا فى القاموس (اما) القسم (المقطوع به) من الاسباب المزيلة للضرر عن البدن (فليس تركه من التوكل) على الله تعالى (بل تركه حرام) على العبد (عند خوف الموت) من العطش اوالجوع ونحو ذلك فان ترك هذا القسم معصية على المتعين عليه والتوكل على الله تعالى طاعة فليس هو من التوكل ولا التوكل منه (واما) القسم (الموهوم) من الاسباب المذكورة (فشرط) حصول (التوكل) على الله تعالى (تركه) اى ترك هذا القسم لانه موهوم والتوكل مقام يقيني فينافيه الامر الوهمى (اذ) اى لانه (به) اى بترك هذا القسم الموهوم (وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين) على الله تعالى (وذلك فى حديث) صحيح (بلغنا) اى وصل الينا (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود) رضى الله عنه (انه عليه السلام قال اريت) بالبناء للمفعول اى ارانى الله تعالى (الامم) كلهم (بالموسم) متعلق باريت اى وانا فى موسم منى (فرأيت امتى) من اولهم الى اخرهم (قد ملاؤا السهل والجبل فاعجبنى كثرتهم) العظيمة (وهيأتهم) المستقيمة (فقيل) اى قال قائل (لى) ولعله الله تعالى (ارضيت قلت نعم) يعنى رضيت (قال ومع هؤلاء) اى وفى جملتهم (سبعون الفا) والعموم يقتضى ان فيهم الرجال والنساء الاحرار والعبيد والكبار والصغار (دخلون الجنة بغير حساب) عليهم فيما عملوا لان عملهم لم يكن بقوة نفوسهم بل بقوة ربهم شهودا اذ وقبافهم ربانيون لانفسانيون كما قال تعالى ولكن كونوا ربانيين الآية (قيل) اى قال بعض الصحابه (من هم) اى السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (يارسول الله قال هم الذين لا يكتوون) اى لا يتداوون بالكى اذا مرضوا (ولا يرقون) اى يتداوون بالرقية (ولا يتطيرون) اى يتشاءمون من شئ مطلقا (وعلى ربهم يتوكلون) قدم الجار والمجرور لافادة الحصر اى لا على غيره (فقام عكاشة) بن محصن الاسدى وكان من فضلاء الصحابة توفى فى خلافة الصديق رضى الله عنه فى زمن الردة وعمره خمس واربعون سنة (فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم) اى من هؤلاء السبعين الفا المذكورين (فقال) النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعله منهم فقام) رجل (آخر) من الصحابة (فقال) يارسول الله (ادع الله ان يجعلنى منهم فقال عليه الصلاة والسلام سبقك بها) اى بهذه الفعلة اوالحالة (عكاشة) المذكور وذلك لان قيامه كان ابتداء لله تعالى لا اقتداء ومتابعة لاحد بلا حظ نفسانى واما قيام الثانى فلعله كان لحظ نفسه حين رآى عكاشة سبقه الى هذا المقام فقصد مساواته بسعيه وهو مجرد سؤال النبى صلى الله عليه وسلم تلك الحالة فاقتدى بعكاشة فى ظاهره دون باطنه فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم

ان عكاشة سبقه وسبقه له كان فى لظاهر والباطن امافى الظاهر فظاهر وامافى الباطن فلتباعده عن حظ نفسه فى طلبه ذلك وسلامة صدره من الاعتماد على الاغيار والمنافسة فى جميع الاطوار ولهذا جميع الاحوال الكمالية لاتحصل لعبد ينافس فيها غيره ولالمن يحسد او يحقد او يقصد بها التشهى اوالمباهات اوالامتحان بل طريقها سلامة الصدور والنية الحسنة مع الدوام على ذلك كما قال شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه ماوصلت الى الله بقيام ليل ولاصيام نهار ولادراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين بترك الكى والرقية والتطير واقواها الكى) فى اهمية تركه (ثم الرقية والطيرة آخر درجاتهـا) على حسب ماذكر فى لفظ الحديث (والاعتماد عليهـا) اى على هذه الثلاثة اوعلى احدهـا (والاتكال اليها) فى قصد القلب (غاية التعمق فى ملا حظة الاسبا ب) العادية (واما الدرجة المتوسطة وهى) الاسباب (المظنونة كالمداواة بالاسبـاب الظاهرة) اى المعلومة (عند الاطباء) اى علماء الطب (فعله ليس مناقضا للتوكل) على الله تعالى (بخلاف) القسم (الموهوم) من الاسباب فان فعله ينـاقض التوكل بنص الحديث السابق (وتركه) اى ترك القسم المظنون (ليس محذورا) اى ممنوعا منه حراما (بخـلا ف) القسم (المقطوع به) فان تركه حرام عند خوف الموت كمامر (بل قد يكون) هذا القسم المظنون (افضل من فعـله فى بعض الاحوال) بالنسبة الى من يخاف عليه الاعتماد على الاسباب بقلبه (وفى حق بعض الاشخاص) المعتمدين على غيرالله تعالى غفـلة منهم عن الله تعالى فتركه حينئذ افضـل لتقوية القلوب الضعيفة فى مقام اليقين (فهو) اى هذا القسم المظنون (على درجة بين الدرجتين) درجة الفعل ودرجة الترك يدور مع المقتضى لاحدهما (انتهى) مانقله من فصول العمادى باختصار ثم هذا التطبب المذكور حيث لاينافى مقام التوكل على الله تعالى لافرق فيه بين التطبب بطبيب مسلم او كافر اذا غلب على ظن المريض انه صادق فيمـا يصفه له من الدواء اذرُبّ مسلم يكذب وكافر يصدق والمعتبر غلبة ظن المريض خصوصا بعد تجربة الحذق منه وهذا من قبيل المعاملات وقول الكافر فيها مقبول عندنا قال فى شرح الدرر وقبل قول كافر ولوكان مجوسيا قال شريت اللحم من مسلم اوكتابى فحلّ اومن مجوسى فحرم قال فى الكنز ويقبل قول الكافر فى الحـل والحرمة وقال الزيلعى هذا سهو لان الحل والحرمة من الديانات ولايقبل قول الكافر فى الديانات وانما يقبل فى المعاملات خاصة للضرورة اقول ليس الساهى صاحب الكنز لان مراده بالحل والحرمة مايحصل فى ضمن المعـاملات لامطلق الحل والحرمة كما توهم بدليل انه قال فى الكافى ويقبل قول الكافر فى الحل والحرمة حتى لوكان له اجير مجوسى فارسله ليشترى له لحما فاشترى فقال اشتريته من يهودى اونصرانى اومسلم وسعه اكله وان كان

غير ذلك لم يسعه اكله ثم قال واصله ان خبر الكافر فى المعاملات مقبول بالاجماع لصدوره عن عقل ودين مانع من الكذب ومساس الحاجة الى قبوله لكثرة المعاملات وكونه من اهل الشهادة فى الجملة انتهى وتمامه هناك ولاشك ان التطبب بالكفار من هذا القبيل فيجوز وعلى مقتضى جوازه لاينافى التوكل على الله تعالى ويؤيده ماذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله الاسكندرى رحمه الله تعالى فى كتابه لطائف المنن قال ولقد بلغنى عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه انه استدعى يهوديا كحالا ليداوى بعض من عنده فقال له اليهودى لااستطيع ان اعالج فانه جاء مرسوم من القاهرة ان لايداوى احد من الاطباء الا باذن من مشارف الطب بالقاهرة فلما خرج ذلك اليهودى قال الشيخ لخدمه هيؤا آلة السفر وسافر لوقته الى القاهرة واخذ لهذا الطبيب اذنا وعاد ولم يبت بالقاهرة ليلة واحدة ثم جاء الى الاسكندرية فارسل الى ذلك الطبيب فاعتذر له بما اعتذر له به اولا فاخرج له الشيخ مكتوبا بالاذن فاكثر اليهودى التعجب من هذا الخلق الكريم انتهى ومايخالف هذا مماذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوى رحمه الله تعالى فى كتابه العهود المحمدية من التنفير عن التطبب بالكفار فمحمول على من ابتلى بضعف اليقين من عوام المسلمين فيخاف عليه ان يميل الى الطبيب اليهودى اوالنصرانى وربما يقع عنده الشك فى عقيدته بسبب حصول الشفاء على يده ويظن انه شفى بسبب صحة دينه الباطل واما من لم يخطر له ذلك وعرف ان الاسباب كلها بيد الله تعالى وحده وانه تعالى الشافى لاغيره ولاتأثير لكل ماسواه مطلقا وان جميع ماسواه تعالى اسباب ان شاء الله تعالى خلق عندها لابها وان شاء لم يخلق وكان لافرق عنده بين الاسباب الحسنة والقبيحة فى عدم التأثير فلا شبهة فى جواز التطبب بالاطباء المسلمين والكافرين والصالحين والفاسقين ومطاوعتهم اذا غلب على الظن صدقهم فيما لايوجب ترك واجب ولافعل حرام اومكروه فان قول الكافر والفاسق غير مقبول فى الديانات كما صرح به الفقهاء فى كتبهم وان كان مقبولا فى المعاملات كما ذكرنا (اقول) اى يقول صاحب متن هذا الكتاب رحمه الله تعالى (مراده) يعنى مراد صاحب فصول العمادى (بالتوكل) هنا حيث لايكون التطبب بالاسباب الظاهرة عند الاطباء منافضا له (كماله) اى التوكل الكامل (اذ) اى لان (اصله) اى اصل التوكل على الله تعالى فى جميع الامور ظاهرا وباطنا (فرض) عين على كل مكلف (وهو) اى اصل التوكل الذى هو فرض (ان يعتقد) المكلف قطعا من غير شك (ان لاخالق) اى مقدر وموجد (ولامؤثر فى شئ) مطلقا (الا الله) تعالى وحده (فالشفاء) الحاصل (ليس الا منه تعالى) لذلك المرض (وانه) سبحانه وتعالى (جرت عادته) فى خلقه (على ربط المسببات بالاسباب) ربطا عاديا بحيث يصح تارة ويتخلف اخرى من غير لزوم عقلى (فالتشبث) اى التمسك والتعلق (بالاسباب)

الظاهرة (على هذا الاعتقاد لا يناقض هذا التوكل) المذكور (مظنونة) كانت الاسباب (اوموهومة) لانها فى اعتقاده لاتأثير لها (ولولم يعتقد هذا) الاعتقاد المذكور (بل اعتقد ان الشفاء) حاصل (من الدواء) اى من تأثيره (فالمظنون) اى من الاسباب حينئذ (بل المتيقن) منها اى المقطوع به كما تقدم (مناقض لهذا التوكل) الذى هو اصل (ايضا) كما هو مناقض لكمال التوكل (واما كمال التوكل) اى التوكل الكامل (فالاعتماد) بالظاهر والباطن (والاتكال على الله تعالى بلا استقصاء) اى مبالغة (ولا تعمق فى ملاحظة الاسباب) اى مراعاتها وتعاطيها (فهذا) توكل (مستحب) لا فرض وهو الذى (يناقضه التشبث) اى التمسك (بالسبب الموهوم) فقط دون المظنون والمقطوع به (فترك الكى والرقى) مصدر رقاء عوذه (وامثالهما) من الطب الموهوم (مستحب لا واجب) لانه ينافى كمال التوكل لا اصل التوكل قال فى المواهب اللدنية بعد ذكر طرف من الاحاديث الدالة على معاطاة الدواء قال وفى مجموع ماذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وان لا تنافى التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن اسد المحاسبى فى كتاب المقصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذى لا يلحقه لاحق ولا يسبقه فى التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول فى خبر النبى صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم فى حديث آخر فقال يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب واما ما سواهم من المتوكلين فيباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبى التوكل بعضه افضل من بعض وقال فى التمهيد انما اراد بقوله برئ من التوكل اذا استرقى الرقيا المكروهة فى الشريعة او اكتوى وهو تعلق رغبته فى الشفاء بوجود الكى وكذلك قوله لا يسترقون الرقيا لمخالفة الشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكى ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفاء من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جاء فى الشريعة وكان ناظرا الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذ اصح لله تعالى واتعاب نفسه وكدها فى خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدواء شيئا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذا عمل بذلك فى نفسه وفى غيره فقد تبين ان التداوى لا ينافى التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التى نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح فى نفس التوكل كما يقدح فى الامر والحكمة وورد فى خبر اسرائيل ان الخليل عليه السلام قال يارب ممن الداء قال منى قال فمن الدواء قال منى قال فما بال الطبيب قال رجل ارسل الدواء على يديه وفى قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض

والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بَرْوح الرجاء وبَرْد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التى هى حاملة لها فقهرت المرض ودفعته (قال) ابو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى (فى) كتابه (بستان العارفين واما الاخبار التى وردت) عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى النهى) عن الرقية ونحوها (فانها منسوخة) كلها (الا يُرى) بالبناء للمفعول اى يرى الرائى (الى ما روى جابر) بن عبد الله رضى الله عنه (ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى) جمع رقية (وكان عند آل) اى اهل (عمرو بن حزم رقية يرقون بها عن) لسع (العقرب) لاذهاب الالم من سمه (فاتوا النبى صلى الله عليه وسلم فعرضوا عليه) ذلك (وقالوا) له (انك نهيت عن الرقى فقال) لهم عليه السلام (ما ارى به) الآن (بأسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه) بشئ (فليفعل) ولايتأخر عن ذلك فان له فيه الاجر عند الله تعالى (فيحتمل ان النهى) الوارد فى ذلك (عن الذى يرى العافية فى الدواء) حاصلة له (من نفسه) اى من نفس الدواء (واما اذا عرف ان العافية) حاصلة (من الله) تعالى (والدواء سبب) عادى يخلق الله تعالى العافية عنده لابه ولافيه ولامنه (لا بأس به) اى بالدواء حينئذ وقال النووى فى شرح مسلم ان جبريل عليه السلام رقى النبى صلى الله عليه وسلم والاحاديث مذكورة فى الرقى وفى الحديث الآخر فى الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقد يظن مخالفة الاحاديث ولا مخالفة بل المدح فى ترك الرقى المراد بها الرقى التى هى من كلام الكفار والرقى المجهولة والتى بغير العربية ومالا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال ان معناها كفر او قريب منه او مكروه واما الرقى بآيات القرآن وبالآيات المعروفة فلا نهى فيه بل هو سنة ومنهم من قال فى الجمع بين الحديثين ان المدح فى ترك الرقى للافضلية وبيان التوكل والذى فعل الرقى اواذن فيها لبيان الجواز مع ان تركها افضل وبهذا قال ابن عبد البر وحكاه عمن حكاه والمختار الاول ونقلوا الاجماع على جواز الرقى بالقرآن واذكار الله تعالى قال المازرى جميع الرقى جائزة اذا كانت بآيات الله تعالى او بذكره وينهى عنها اذا كانت باللغة العجمية او بما لا يدرى معناه لجواز ان يكون فيه كفر واختلفوا فى رقية اهل الكتاب فجوزها ابو بكر الصديق رضى الله عنه وكرهها مالك خوفا من ان تكون مما بدلوه ومن جوزها قال الظاهر انهم لم يبدلوا الرقى فانهم لاغرض لهم فى ذلك بخلاف غيرها مما بدلوه واما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الرقى فاجاب العلماء عنه باجوبة احدها انه كان نهى اولا ثم نسخ ذلك واذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الاذن والثانى ان النهى عن الرقى المجهولة كما سبق والثالث ان النهى كان لقوم يعتقدون منفعتها وتأثيرها بطبعها كما كانت

الجاهلية تزعمه فى اشياء كثيرة قال القاضى وجاء فى حديث فى غير مسلم سئل عليه السلام عن النشرة فاضا فهـا الى الشيطان قال و النشرة معروفه مشهورة عنـد اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اى تخلى عنه وقال الحسن هى من السحر قال القاضى وهذا محمول على انها اشياء خارجة عن كتاب الله تعالى واذكاره وعن المداواة المعروفة التى هى من جنس المباح وقد اختار بعض المتقدمين هذا فكره حل المفقود عن امرأته وقد حكى البخارى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب انه سئل عن رجل به طب اى ضرب من الجنون او يؤخذ عن امرأته ايخلى عنـه او ينشر قال لا بأس به انما يريدون به الصلاح فلم ينه عما ينفع وممن اجاز النشرة الطبرى وهو الصحيح قال كثيرون او الاكثرون يجوز الاسترقاء للصحيح لمـا يخاف ان يغشاه من المكروهـات والهوام ودليله احاديث منها حديث عائشة رضى الله عنها فى صحيح البخـارى كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا آوى الى فراشه تفل فى كفيه و يقرأ * قل هو الله احد* والمعوذتين ثم يمسح بهمـا وجهه وما بلغت يده (وقد جاءت الآثار) والاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى الاباحة) من غير كراهة (الا يرى ان النبى صلى الله عليه وسلم (لما جرح) بالبناء للمفعول اى جرحه المشركـون (يوم احد) بضمتين اسم جبل بالمـدينة (داوى جرحه بعظم قد بلى) اى انحت وتفتت فدره على جرحه كالرماد يذر على الجراحة لينقطع دمها (وروى ان رجلا من الانصار رمى) بالبنـاء للمفعول (فى اكحله) وهو عرق فى اليد اوهو عرق الحياة ولا تقل عرق الاكحل كذا فى القاموس (بمشقص) كمنبر نصل عريض اوسهم فيـه ذلك والنصل الطويل اوسهم فيـه ذلك يرمى به الوحش كما فى القاموس (فامر بـه) اى بذلك الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكوى) بالنار على موضع الجراحة (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرقى) نفسـه اوغيره (بالمعوذتين) وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كما فى حديث عائشة رضى الله عنهـا وفى حديثها ايضا عند مسلم وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اشتكى منا انسان مسح بيمينه ثم قال اذهب البأس رب الناس لا شافى الا انت اشف شفـاء لا يغادر سقما وقال النووى فى شرح مسـلم فيه استحبـاب مسح المريض باليمين والدعاء له وقد جاء دعوات كثيرة صحيحة جمعتها فى كتاب الاذكار وهذا المذكور هنا هو احسنها ومعنى لا يغادر سقمـا اى لا يترك والسقم بضم السـين واسكان القاف وبفتحها لغتـان وفى حديث عائشة رضى الله عنها ايضا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باصبعه هكذا ووضع سبابته فى الارض ثم رفعهـا باسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا قال جهور العلماء المراد بارضنا هنا جملة الارض وقيل ارض المدينة خاصة لبركتهـا والريقة اقل من الريق ومعنى الحديث انه يأخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة

ثم يضعها على التراب يتعلق بها منه شئ فيمسح به على الموضع الجريح او العليل ويقول هذا الكلام فى حال المسح واختلف قول مالك فى رقية اليهودى والنصرانى المسلم وبالجواز قال الشافعى (والآثار فيه) اى فى تداوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورقيته (اكثر من ان تحصى) وهى مفصلة فى كتب متون الحديث وشروحها (انتهى) ما نقله عن كتاب بستان العارفين (ثم ان عد الكى من) القسم (الموهوم) كما مر (ليس بكلى) اى بامر مطلق (بل قد يكون) الكى (من) القسم (المظنون بل من) القسم (المتيقن) به بحسب غلبة نفعه او تحققه (فلذا امر) فى الشرع كما هو مذكور فى كتب الفقه (بالحسم) مصدر حسمه يحسمه فانحسم قطعه بالدواء كذا فى القاموس (فى قطع) يد (السارق) وذلك ان توضع يده بعد قطعها فى زيت مغلى على النار حتى يمتنع سيلان الدم منه (لئلا يفضى) اى يوصل القطع (الى الهلاك) بسيلان الدم (وعد التطير من) القسم (الموهوم) ايضا (يوهم الجواز) اى جواز التطير (كقرينيه) وهما الكى والرقية كما مر (بل هو) اى التطير (حرام و) قد (اختلف) بالبناء للمفعول اى اختلف العلماء (فى كونه كفرا) حيث كان فيه نسبة التأثير الى غير الله تعالى (ذكره) الامام (قاضيخان) فى فتاواه (وغيره) ايضا قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر صاحت الطير فقال رجل يموت المريض او خرج الى السفر فرجع الى صياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا كذا فى البزازية والاصح انه لا يكفر كما فى عمدة المفتى وفى الخانية وجه القول بعدم الكفر انه انما قال ذلك على وجه التفاؤل قال ابن الشحنة وعلى هذا ينبغى ان يجرى سائر احكام الفصل بمقتضى الطيرة ويكون الخلاف واقعا فى كفره وكذا فى كل ما يقوله الانسان عند وقوع امر من الامور التى تقول الجهلة عندها يكون كذا من الامر كما ذكره فى مسئلة صياح الهامة وقال النووى فى شرح التطير التشاؤم واصله الشئ المكروه من قول او فعل وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظباء والطيور فان اخذت ذات اليمين تبركوا به ومضوا فى سفرهم وحوائجهم فيبشرون وان اخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها فكانت تصدهم فى كثير من الاوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وابطله ونهى عنه واخبر انه ليس له تأثير ينفع ولا يضر فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا طيرة وفى حديث آخر الطيرة شرك اى اعتقاد انها تنفع او تضر اذا عملوا بمقتضاها معتقدين تأثيرها فهو شرك لانهم جعلوا لها اثرا فى الفعل والايجاد (فظهر) من جملة ما تقدم من الكلام (ان علم الطب ليس بفرض بل هو مستحب عندنا) كما قال صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برئ باذن الله تعالى كما مر والحديث فى مسلم وقال النووى فى شرحه وفى هذا الحديث اشارة الى استحباب الدواء وهو مذهب اصحابنا وجمهور السلف

وعامة الخلف قال القاضي في هذه الاحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب في الجملة واستحبابه بالامور المذكورة في هذه الاحاديث التي ذكرها مسلم قال وفيها رد على من انكر التداوي من غلاة الصوفية وقال كل شيء بقضاء وقدر فلاحاجة الى التداوي وحجة العلماء هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوي هو ايضا من قدر الله تعالى وهذا كالامر بالدعاء وكالامر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة الالقاء باليد الى التهلكة مع ان الاجل لايتغير * والمقادير لاتتأخر ولاتتقدم عن اوقاتها ولابد من وقوع المقدورات (وقال) الامام ابوحامد (الغزالي) رحمه الله تعالى (في) كتابه (الاحياء) اي احياء علوم الدين (انه) اي علم الطب (فرض كفاية) حتى لاتخلو البلدة ممن يعلم ذلك فربما يحتاج اليه في معرفة الامزجة لتوقي المضار وجلب المنافع ممالاتفي به التجربة خصوصا في بعض العقاقير التي لايعلم الناس نفعها ولاضررها (فاذا فرغ السالك) بالعبادة في طريق الله تعالى (عن) تعلم (فرض العين) الذي هو علم الحال كماسبق بيانه (ووجد) هناك (من يقوم) عنه (بفرض الكفاية) مماتعلق بحال غيره على حسب مامر تفصيله (اولم يوجد) هناك من يقوم بذلك (لخصله) هو (ايضا) كماحصل فرض العين (فله الخيار) بعد ذلك من غير حرج عليه لان الحرج مرفوع بالنص كماقال تعالى *وماجعل عليكم في الدين من حرج (ان شاء) اي ذلك السالك المذكور (اقبل على العبادة) فاشتغل بها وانقطع اليها معرضا عماعدا ذلك ومنهمكا في نفع نفسه بطاعة ربه (وان شاء اقبل على) الاشتغال بتحصيل (العلم المندوب اليه) المتقدم بيانه ليكمل في رتبة العلم ويتضلع من انواع الكمال (فهذا) اي المقبل على العلم المندوب اليه زيادة على ماعنده من العلم المفروض عليه عينا وكفاية (افضل) عندالله تعالى (من الاول) اي المقبل على العبادة بعد تعلمه مافرض عليه عينا وكفاية لان عبادة الله تعالى بنوافل العلم افضل من عبادته بنوافل العمل كماقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العلم خير من العبادة وملاك الدين الورع اخرجه الاسيوطي في الجامع الصغير عن ابي هريرة وفي رواية العلم خير من العمل وفي رواية العلم افضل من العمل وقال المناوي في شرحه لان العلم مصحح لغيره مع كونه متعديا فالعبادة مفتقرة له ولاعكس ولان العلماء ورثة الانبياء ولايوصف المتعبد بذلك ولان العلم تبقى ثمرته بعد صاحبه والعبادة تنقطع بموته ومن ثمه اتفقوا كما في المجموع على ان الاشتغال بالعلم افضل منه بنحو صلاة وصوم وقال ايضا لان في بقاء العلم احياء الشريعة وحفظ معالم الملة ولان العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له واجب عليه طاعته وفي العتابي اذا خلا الزمان من سلطان ذي كفاية فالامور موكلة الى العلماء ويلزم الامة الرجوع اليهم ويصيرون ولاة فاذا عسر جمعهم على واحد استقل كل قطر باتباع علمائه فان كثروا فالمتبع اعلمهم فان استووا اقرع بينهم وقال السمهودي وهذا من حيث انعقاد الولاية

الخاصة فلا ينافى وجوب طاعة العلماء مطلقا فاندفع ماللسبكى هنا وكان الامام مالك يمتنع من الولايات فيحبس ويعذر ومع ذلك يمتثل امره انتهى كلامه وهذا الذى ذكر من ان العالم افضل من العابد والعلم افضل من العبادة محله فيما اذا علم العبد العلم المفروض عليه فرضا عينيا والمفروض فرض كفاية كما تقدم وفيما اذا علم بالعلم المفروض عليه واما اذا ترك العمل ولو ببعض مافرض عليه فليس مجرد علمه افضل من العمل المفروض وانما هذه الفضيلة بين الثقلين من العلم والعمل والفرضين منهما لمن اتى بهما ولهذا قال عليه السلام فيما اخرجه الاسيوطى عن عبادة العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم من يعمل وفى حديث جابر قال عليه السلام العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم (الا يات) اى هذه الايات التى تدل على شرف العلم وعلى فضيلته وذلك احد عشر آية من سور مختلفة * الآية الاولى من سورة البقرة وهى قوله تعالى (وعلّم آدم الاسماء كلها) اما بخلق علم ضرورى بها فيه اوالقاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمه فلم يتعلم وآدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة اوالادمة بالفتح بمعنى الاسوة اومن اديم الارض لماروى عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك تأتى بنوه اخيافا ومن الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعد الادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها قاله البيضاوى وقال الواحدى ووجه تعليمه آدم ان خلق فى قلبه علما بالاسماء على سبيل الابتداء والهمه العلم بها قال ابن عباس علمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة وقيل ان الله علم آدم جميع اللغات ثم ان اولاده تكلم كل واحد منهم بلغة اخرى فلما تفرقوا فى البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة فاللغات كلها انما سمعت من آدم واخذت عنه وقال البغوى سمى آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد وابو البشر فلما خلقه الله عزوجل علمه اسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا لما قال الله *انى جاعل فى الارض خليفة* ليخلق ربنا مايشاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا مالم يره فاظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الانبياء افضل من الملائكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة قال ابن عباس ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ماكان ومايكون الى يوم القيامة وقال الربيع بن انس اسماء الملائكة وقيل اسماء ذريته وقيل صنعة كل شئ وقال الخازن وقيل خلق الله كل شئ من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى

على آخرها (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى * واشتعل الرأس شيبا * لان الغرض السؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء ولاسيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء اومدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء قاله البيضاوى وقال البغوى وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لايعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شئ الحيوان والجماد ثم عرض تلك الاشخاص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم وقال الواحدى معنى العرض فى اللغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت المتاع على البيع اذا اظهرته للمشترى قال الله تعالى * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا * اى ابرزناها حتى رأوها وقيل ان الله تعالى خلق كل شئ الحيوان والجماد ثم علم آدم اسماءهم ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملائكة ولذلك قال ثم عرضهم لانه كنى عن المسلمين والمسلمات وكان فيهم من يعقل من الجن والانس والملائكة (فقال انبؤنى) اى اخبرونى (باسماء هؤلاء) الاشخاص وهذا امر تعجيز اراد الله تعالى ان يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون انهم اعلم من الخليفة الذى يجعله الله فى الارض قاله الواحدى وقال البيضاوى تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعداد وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال (ان كنتم صادقين) انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم وافضل منه قاله الواحدى وقال البيضاوى فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لايليق بالحكيم وهو وان لم يصرح به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت (قالوا) يعنى الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا) اى تنزيها لك وتعظيما عن ان يعلم الغيب احد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك قاله الواحدى وقال البيضاوى اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعل كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله * سبحان من علقمة الفاجر * وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال

موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك انى كنت من الظالمين وقال الواحدى لاعلم لنا قال المفسرون هذا اعتراف من الملائكة بالعجز عن علم مالم يعلموه وكأنهم قالوا لاعلم لنا الاما علمتنا وليس هذا مما علمتنا فجاء الكلام مختصرا (انك انت العليم) اى العالم (الحكيم) اى الحاكم تحكم بالعدل وتقضى به والحكم القضاء بالعدل ويجوز ان يكون بمعنى المحكم للاشياء كالاليم بمعنى المؤلم والسميع بمعنى المسمع وقال البغوى انت العليم بخلقك الحكيم فى امرك وقال البيضاوى العليم الذى لايخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى لايفعل الامافيه حكمة بالغة (قال يا آدم انبئهم) اى اعلمهم (باسمائهم) لما ظهر عجز الملائكة عن علم اسماء الموجودات قال الله تعالى * يا آدم انبئهم باسمائهم * فسم كل شئ باسمه والحق كل شئ بجنسه (فلما انبأهم باسمائهم) اى اخبرهم بتسمياتهم (قال الم اقل لكم) الم حرف نفى وصل بالاستفهام فصار بمعنى الايجاب والتقرير كقول جرير * الستم خير من ركب المطايا * اى انتم كذلك (انى اعلم غيب السموات والارض) اى ماغاب فيهما عنكم وهذا كقوله * ولله غيب السموات والارض * اى ماغاب فيهما ملكا وخلقا (واعلم ماتبدون) اى من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها (وما كنتم تكتمون) من اضمار ابليس الكفر وقيل ماكنتم تكتمون من قولهم لن يخلق الله خلقا افضل ولا اعلم منا قاله الواحدى وقال البغوى قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى بين مكة والطائف لاروح فيه فقال لامر ماخلق هذا ثم دخل فى فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لايتماسك لانه اجوف ثم قال للملائكة الذين معه ارأيتم ان فضل هذا عليكم وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط على لاعصينه قال الله تعالى * واعلم ماتبدون * يعنى الملائكة من الطاعة * وما كنتم تكتمون * يعنى ابليس من المعصية وقال البيضاوى استحضار لقوله اعلم مالا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ماخفى عليهم من امور السموات والارض وماظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم مالا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص اوعموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والالتكرر قوله * انك انت العليم الحكيم * وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة وانه تعالى يعلم الاشياء

قبل حدوثها * الآية الثانية من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (يؤتى) اى الله تعالى (الحكمة من يشاء) من عباده وهو تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس والمفسرون يعنى القرآن والفهم فيه وقيل الورع وقال البغوى قال السُّدّى هى النبوة وقال ابن عباس وقتادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك القرآن والفهم فيه وقال فى القرآن مائة وتسع آيات ناسخة ومنسوخة والف آية حلال وحرام لايسع المؤمن تركهن حتى يعلمهن وقال مجاهد هى القرآن والعلم والفقه وروى ابن نجيح عنه الاصابة فى القول والفعل وقال ابراهيم النخعى معرفة معانى الاشياء وفهمها وقال الخازن حاصل هذه الاقوال يرجع الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها (ومن يؤت) اى يؤتيه الله بمحض فضله (الحكمة) المذكورة (فقد اوتى خيرا كثيرا) تنكيره للتعظيم وفى حقائق القرآن لابى عبد الرحمن السلمى قال بعضهم الحكمة العلم اللدنى وقيل الحكمة اشارة لاعلة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجديد السر لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت منصور بن عبدالله يقول سمعت الكنانى يقول ان الله بعث الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتثبيت قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقال القاسم الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل يؤتى الحكمة من يشاء الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اعطى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطاء وقيل الحكمة الخشية * الآية الثالثة من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (ومايعلم تأويله) اى الذى يجب ان يحمل عليه (الا الله والراسخون فى العلم) اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد (يقولون آمنا به) استئناف موضح لحال الراسخين اوحال منه (كل من عند ربنا) اى كل من المتشابه والمحكم من عنده قاله البيضاوى وقال الواحدى ومايعلم تأويله الا الله يريد مايعلم انقضاء ملك امة محمد صلى الله عليه وسلم الا الله لان انقضاء ملك هذه الامة مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ثم ابتدأ فقال والراسخون فى العلوم اى الثابتون فيه والرسوخ الثبوت فى الشئ وعند اكثر المفسرين المراد بالراسخين علماء مؤمنى اهل الكتاب مثل عبدالله بن سلام قال عباس بقولهم آمنا به سماهم الله راسخين فى العلم فرسوخهم فى العلم قولهم آمنا به اى بالمتشابه كل من عند ربنا المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ و ماعلمناه

ومالم نعلمه قال ابن عباس نزل القرآن على اربعة اوجه فوجه حلال وحرام لايسع
احدا جهالتهما ووجه عربى يعرفه العرب ووجه تأويل يعلمه العلماء ووجه تأويل
لايعلمه الاالله فمن انتحل فيه علما فقدكذب معنى انتحل اى ادعى باطلا وقال
البغوى اختلف العلماء فى نظم هذه الآية فقال قوم الواو فى قوله والراسخون واو
العطف يعنى ان تأويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم يقولون
آمنابه وهذاقول مجاهد والربيع وعلى هذايكون قوله يقولون حالا ومعناه والراسخون
فى العلم قائلين آمنابه وروى عن ابن عباس انه كان يقول فى هذه الآية انا من الراسخين
فى العلم وعن مجاهد انا ممن يعلم تأويله وذهب الاكثرون الى ان الواو فى قوله والراسخون
واو الاستئناف وتم الكلام عند قوله ومايعلم تأويله الاالله وهوقول ابى بن كعب وعائشة
وعروة بن الزبير ورواية طاووس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين
واختاره الكسائى والفراء والاخفش وقالوا لايعلم تأويل المتشابه الاالله ويجوزان يكون
للقرآن تأويل استأثرالله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كما استأثر بعلم الساعة
ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو
هذا والخلق متعبدون فى المتشابه بالايمان به وفى المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق
ذلك قراءة عبدالله ان تأويله الاعندالله والراسخون فى العلم يقولون آمنابه وفى قراءة
ابى ويقول الراسخون فى العلم آمنابه قال عمر بن عبد العزيز فى هذه الآية انتهى علم
الراسخين فى العلم بتأويل القرآن الى ان قالوا آمنا كل من عند ربنا وهذا القول اقيس
فى العربية واشبه بظاهر الآية والراسخون فى العلم الداخلون فيه وهم الذين اتقنوا
علمهم بحيث لايدخل فى معرفتهم شك واصله من رسوخ الشئ فى الشئ وهو ثبوته
يقال رسخ الايمان فى قلب فلان يرسخ رسخا ورسوخا وسئل مالك بن انس عن الراسخين
فى العلم قال العالم العامل بماعلم المتبع له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة
اشياء التقوى بينه وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة
بينه وبين نفسه (ومايذكر) يتعظ بمافى القرآن (الااولوا الالباب) ذوا العقول قال
الخازن وهذا ثناء من الله عزوجل على الذين قالوا آمنابه كل من عند ربنا وقال
البيضاوى مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى مااستعدوا به
للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس *الآية الرابعة من سورة آل
عمران ايضاوهى قوله تعالى (شهدالله انه لااله الاهو) بين وحدانيته بنصب الدلائل
الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها قاله البيضاوى وقال البغوى قيل نزلت
هذه الآية فى نصارى نجران فقال الكلبى قدم حبران من احبار الشام على النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه مااشبه هذه المدينة
بصفة مدينة النبى الذى يخرج فى آخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له
انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسئلك عن شئ فان اخبرتنابه

آمنا بك وصدقناك فقال سلاقال اخبرناعن اعظم شهادة فى كتاب الله تعالى * فانزل الله هذه الآية فاسلم الرجلان شهدالله اى بين الله لان الشهادة تبين وقال مجاهد حكم الله وقيل اعلم الله انه لااله الاهو قال ابن عباس خلق الله الارواح قبل الاجساد باربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة آلاف سنة فشهد لنفسه بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سماء ولاارض ولابر ولابحر (والملائكة) اى وشهدت الملائكة قيل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار (واولوا العلم) يعنى الانبياء عليهم السلام وقال ابن كيسان يعنى المهاجرين والانصار وقال مقاتل علماء مؤمنى اهل الكتاب عبدالله بن سلام واصحابه وقال السدى والكلبى يعنى علماء المؤمنين (قائما بالقسط) مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله ذكره البيضاوى وقال البغوى اى قائم بتدبير الخلق كما يقال فلان قائم بامر فلان اى مدبرله ومتعهد لاسبابه قائم بحق فلان اى مجازله فالله جل ذكره مدبر رازق مجازبالاعمال * الآية الخامسة من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (ولكن كونوا ربانيين) جمع ربانى وهو المنسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل قاله البيضاوى وقال الواحدى اى معلمين وقيل فقهاء علماء حكماء فالربانى المنسوب الى الرب على معنى التخصيص بعلم الرب اى بعلم الشريعة وصفات الرب وقال المبرد الربانيون ارباب العلم وقيل الربانى الذى يربى العلم ويربى الناس اى يعلمهم ويصلحهم وعلى هذا القول الربانى من الرب الذى هو بمعنى التربية وقال البغوى واختلفوا فى الربانى قال على وابن عباس والحسن كونوا فقهاء علماء وقال قتادة حكماء علماء وقال سعيد بن جبير العالم الذى يعمل بعلمه وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فقهاء معلمين وقيل الربانى الذى يربى الناس بصغار العلم قبل كباره وقال عطاء علماء حكماء نصحاء لله فى خلقه قال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال والحرام والامر والنهى العارف بانباء الامة ماكان ومايكون وقيل الربانيون فوق الاحبار والاحبار فوق العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس قال المؤرج كونوا ربانيين تدينون لربكم من الربوبية كان فى الاصل ربى فادخلت الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما قيل صنعانى وبهرانى وقال المبردهم ارباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها وكل من قام باصلاح شئ واتمامه فقدربه يربه واحدها ربان كما قالوا ريان وعطشان وشبعان وغرثان ثم ضمت اليه ياء النسبة وحكى عن على انه قال هوالذى يربى عمله بعلمه قال محمدبن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة وقال ابو عبدالرحمن السلمى قال الواسطى كونوا ربانيين تملكون الاشياء ولايملككم شئ وقال جعفر كونوا مستمعين بسمع القلوب وناظرين باعين الغيوب

وقال ابن عطاء اخرجهم بهذا الخطاب عما خاطبهم به من العبودية وقيل فى قوله كونوا ربانيين جذبهم بهذا من الافتخار بالطين الى الافتخار بالحق وقال الجنيد اخرجهم من الكون جملة وجذبهم الى الحق اشارة وقال الشبلى الربانى الذى لا يأخذ العلوم الامن الرب ولا يرجع فى بيانه الا الى الرب عزوجل وقال الجريرى كونوا ربانيين اى سامعين من الله تعالى ناطقين بالله تعالى (بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون) بسبب كونكم معلمين الكتاب و بسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل قاله البيضاوى وقال البغوى بما كنتم اى بما انتم كقوله تعالى من كان فى المهد صبيا اى من هو فى المهد وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تعلمون بالتشديد من التعليم وقرأ الآخرون بالتخفيف من العلم و بما كنتم تدرسون اى تقرؤن وقال الواحدى اى بكونكم عالمين بالكتاب وبكونكم دارسين له وقيل كونوا معلمين الناس بعلمكم ودرسكم علموا الناس وبينوا لهم ومن قرأ تعلمون بالتشديد من التعليم فالمعنى بكونكم معلمين اى علموا الناس الكتاب وبينوا لهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومافيه الحق والصواب حتى تستحقوا هذه الصفة وتكونوا معلمين وقال الخازن اى كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين و بسبب دراستكم الكتاب فدلت الآية على ان العلم والتعليم والدراسة يوجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا بهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه * الآية السادسة من سورة طه وهى قوله تعالى (وقل رب زدنى علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال اى استعجاله صلى الله عليه وسلم فى تلقى الوحى من جبريل فان ما اوحى اليك تناله لا محالة قاله البيضاوى وقال الخازن علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدنى علما الى ما علمت فان لك فى كل شئ علما و حكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى ايمانا ويقينا وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام زدنى علما حفظا وقيل قرآنا وقيل ادبا لان علم الشرع لا يحتاج الى الالتماس او بقصص الانبياء ومنازل الاولياء او بحال امتى بعدى اوصبرا على الطاعة والجهاد لانه يسهل بزيادة العلم وحقيقته العلم بالله لانه لا يتناهى وقال صلى الله عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما بالله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم وقال ابو عبدالرحمن السلمى وقل رب زدنى علما قال بعضهم اجعلنى عالما بك جاهلا بما سواك وهو زيادة العلم وقال محمد بن الفضل زدنى علما بنفسى وما تضمره من الشر والمكروه والغدر لاقوم بمعونتك فى مداواة كل شئ منها بدوائها * الآية السابعة من سورة العنكبوت وهى قوله تعالى (وتلك الامثال) اى الاشباه يعنى امثال القرآن التى شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة قاله الخازن (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من افهامهم (وما يعقلها الا العالمون) الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغى وعنه عليه السلام انه تلى هذه الآية

فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام العالمون الموحدون وقال ابوعبدالرحمن السلمى قال سهل اى ولايثبتها الاالعالمون به وباسمائه وصفاته لانهم علماء النسية والباقون علما المنهج والعالم على الحقيقة من يحجزه علمه عن كل مالاينجبه العلم الظاهر *الآية الثامنة من سورة الروم وهى قوله سبحانه وتعالى (ان فى ذلك) اى فى اختلاف السنتكم والوانكم كما ذكر فى الآية قبله (لآيات للعالمين) لايكاد يخفى على عاقل من ملك اوانس اوجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله ومايعقلها الاالعالمون قاله البيضاوى *الآية التاسعة من سورة فاطر وهى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) اذشرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به فهواخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انى اخشاكم لله واتقاكم له وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولواخر لانعكس الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا قاله البيضاوى وقال الخازن قال ابن عباس يريد انما يخافنى من خلق من علم جبروتى وعزتى وسلطانى وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية وعن عائشة رضى الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال مابال اقوام يتنزهون عن الشئ اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اى لم يشدد فيه قولها فتنزه اى تباعد عنه وكرهه قوم وعن انس رضى الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لو تعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين والخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبى افتنى ايها العالم فقال الشعبى انما العالم من خشى الله عزوجل وقال مقاتل اشد الناس لله خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وفى حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوى فى سورة البقرة قال وظاهر قوله تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * يدل على انه ليس للجنة اهل الاالعلماء لان كلمة انما للحصر فهذه الآية تدل على ان خشية الله تعالى لاتحصل الاللعلماء والآية الثانية وهى قوله تعالى * ذلك لمن خشى ربه دالة على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشيه ينافى كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على انه ليس للجنة اهل الاالعلماء واعلم ان هذه الآية فيها تخويف شديد وذلك لانه ثبت ان الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذى هو سبب القرب من الله تعالى هو الذى يورث الخشية وان انواع المجادلات وان دقت وعظمت اذاخلت عن افادة

الخشية كانت من العلم المذموم وفي حاشية الشيخ جمالدين خليفة على البيضاوى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموه انه كم اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد يوم القيامة ولا يبالى ومايقال من ان الآية تدل على ان الخشية فى العلماء ولاتدل على ان كل عالم فيه خشية فدفوع بان مأخذ الاشتقاق يفيد العلية وفى الكشاف فى سورة النازعات لان الخشية لاتكون الا بالمعرفة قال الله تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * اى العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامور من خشى الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الادلاج السير اول الليل وفى حاشية خليفة ايضا عند قوله تعالى * وهم من خشيته مشفقون * خص بذلك العلماء قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * يعنى لكون الخشية مشتملة على معنى التعظيم خص بها العلماء وقصرها فيهم بانما لان التعظيم يصدر بعد معرفة قدر الشئ وعظمه فالعلماء هم العالمون بجلال الله وجماله وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلماء من هم ومن يقال له عالم وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام فى تفسيره العالم بالله يسلم له حاله فمن اقتفاه فى حاله زل والعالم بامر الله يقلد فى قاله فمن احتذاه فى فعاله زل والجامع لهما عز مثاله فمن انتشاه فى كماله جل * الآية العاشرة من سورة الزمر وهى قوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) نفى الاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل قاله البيضاوى وقال الخازن يعلمون اى ماوعد الله من الثواب والعقاب وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين لايعلمون ابوحذيفة المخزومى وقال الشيخ عزالدين بن عبدالسلام الذين يعلمون انهم ملاقوا ربهم اويعلمون فيعلمون يعنى غيرهم اويعلمون مالهم فى الطاعة وعليهم فى المعصية وعكسها مفهوم نزلت فى عمار وابى حذيفة بن المغيرة * الآية الحادية عشر من سورة المجادلة وهى قوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة ذكره البيضاوى وقال الشيخ عزالدين يرفع الله الذين آمنوا بعلمهم وايمانهم اى اقدارهم فى الآخرة اوفى الدنيا اى تفاوت المنازل على مقدار تفاوت الدرجات (والذين اوتوا العلم درجات) ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ذكره البيضاوى وقال الخازن اى يرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وتسابقهم درجات على من سواهم فى الجنة وقيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس قال الحسن قرأ ابن مسعود وقال يا ايها الناس افهموا هذه الآية لترغبكم فى العلم فان الله يقول

يرفع المؤمن العالم فوق الذي ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدي بالعالم في اقواله وافعاله كلها وعن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيراً يفقّهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده مجلس يدعون الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه ويرغبون اليه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلّمون الجاهل فهؤلاء افضل انما بعثت معلما ثم جلس فيهم (الاخبار) اي هذه الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في فضيلة العلم وهي ثلاثة عشر حديثا *الحديث الاول (دت) يعني روى ابو داود والترمذي باسنادهما (عن كثير بن قيس) رضي الله عنه (انه قدم رجل من المدينة) المنورة (على ابي الدرداء) رضي الله عنه (وهو) يومئذ (بدمشق) الشام (فقال) له ابو الدرداء (ما اقدمك) يعني اي شيء كان سبب قدومك (يا اخي قال) اقدمني (حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) له ابو الدرداء (اما جئت لحاجة) غير هذا (قال لا قال اما قدمت) من بلدك (لتجارة قال لا قال) يعني الرجل (ما جئت الا في طلب هذا الحديث) اي في سماعه منك (قال) ابو الدرداء (فاني قد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سلك طريقا) سواء كان مسافرا اودون مدة السفر ولو في مصر اوقرية ولو خطوة اوخطوتين (يبتغي) اي يطلب ويقصد (فيه) اي في سلوكه ذلك (علما) نافعا كعلم معرفة الله تعالى على مذهب اهل الحق من العارفين والعلماء اهل الورع والدين وعلم الكتاب والسنة وعلم الشرايع والاحكام والعلوم الموصلة الى فهم الكتاب والسنة بنية فهم ذلك بها لا العلم المضر كعلم الكلام للمجادلة وعلم الشرايع للماهات ونحوها والعلوم الموصلة للمقصود لا بنية الوصول كعلوم العربية لذاتها فان الاشتغال بها لذاتها قاطع عن الاهم وموجب للغرور ودعوى العلم مع الجهل بالمقصود (سلك الله) تعالى (به) اي بذلك العبد (طريقا) موصلا (الى الجنة) وهو ذلك الطريق الذي سلكه فانه يصل بسبب سلوكه فيه الى دخول الجنة في يوم القيامة لكثرة ما يحصل له من الثواب الجزيل والاجر الجليل (وان الملائكة) يعني الحفظة الموكلين بالعبد اواعم منهم (لتضع) اي ترسل عن الطيران (اجنحتها) كما قال تعالى *جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع* وذلك كناية عن عدم فرارها منه اوتواضعها له اوسيره بالهامها او بسط اجنحتها ليمسها باقدامه تبركا به وفيه اشارة الى فرار الشياطين عنه اذ لا يجتمع الشيطان والملك في الاستيلاء والحضور وقال النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه ان معنى بسط اجنحة الملائكة التلطف وارادة الخير ودفع السوء وفي حديث

زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما ونحن عنده طوبى للشام ان ملائكة الرحمن باسطة اجنحتها عليه رواه الامام احمد والترمذى وصححه هو وابن حبان والحاكم (رضاء) اى لاجل رضائها (لطلب العلم) النافع كما ذكرنا (وان العالم) بالعلم النافع (ليستغفر) اى يطلب من الله تعالى المغفرة (له) جميع (من فى السموات والارض) من الملائكة وغيرهم من الحيوان والنبات والجماد (حتى الحيتان) جمع حوت وهو السمك (فى الماء) وفى رواية يستغفر له كل شئ حتى الحيتان فى البحر قال الحليمى يحتمل ان معنى استغفارهم له ان يكتب الله له بعدد كل من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته ان صلاح العالم منوط بالعالم اذ بالعلم يدرى ان الطير لا يؤذى ولا يقتل الا لاكله ولا يذبح مالا يؤكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا بظماء ولا يجلس فى حر ولا برد لا يطيقه وان قرار نينان البحر فى الماء اذا لم تكن اليها حاجة واجب وانه لا يجوز التلهى باخراجها من الماء والنظر الى اضطرابها من غير قصد اكلها واذا صيدت للاكل يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز فحصها بعصا او بحجر الى غير ذلك ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير (وفضل العالم) بالعلم النافع مع العمل به (على العابد) اى العامل من غير علم بمجرد توفيق الله تعالى له الى صحيح العمل بلا علم كما قدمناه اذ لو بطل عمله لم يكن عابدا فلا فضيلة له اصلا (كفضل القمر) المشرق نوره فى ظلمة الليل (على سائر) اى بقية (الكواكب) اى النجوم التى فى السماء فانها لها نور ولكنه لا يظهر مع ظهور نور القمر فكذلك العابد الموفق للعبادة نور عمل صالح ولكنه لا يظهر مع ظهور نور العالم العامل بعلمه فانه عابد وزيادة (ان العلماء) بالعلم النافع العاملين بعلمهم لانهم الموفقون للاعمال الصالحة دون المخذولين الذين علمهم حجة عليهم (ورثة) جمع وارث لحظهم من العلم على قدر قربهم بالمتابعة (الانبياء) فانهم عليهم السلام كانوا عالمين للعلوم النافعة الشرعية عاملين بها فى الفرائض والنوافل فكذلك اتباعهم قال المناوى فى شرح الجامع الصغير فى حديث العلماء مصابيح الارض وخلفاء الانبياء وورثتى وورثة الانبياء وما سماهم ورثة الانبياء الا لمدانانهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله كذا فى الكشاف ومعجزات الانبياء عليهم السلام ضربان احدهما الوحى بواسطة الملك والثانى خرق العوائد كانقلاب العصا حية وفلق البحر واحياء الموتى ونبع الماء من بين الاصابع وافضل الناس من ورث منهم الامرين جميعا فورثوا فى مقابلة الوحى الالهام والعلوم وتبيين ما اتت به الانبياء عليهم السلام من الكتب بما جعل فى قلوبهم من النور وورثوا فى مقابلة الخوارق والآيات الكرامات وبذلك سموا ابدال النبيين لانهم بدل منهم قال بعضهم ومن ولى هذا المنصب فارتقى من مقام الولاية الى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له لعلمهم بقبيح افعالهم وقصورهم عن معارج رتب الكمال وانكارهم لما وافق الهوى من اعمالهم

انتهى ومن هنا خوض السفلة ورعاع المتفقهة فى حق الشيخ الاكبر محيى الدين ابن العربى والشيخ شرف الدين بن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين ونحوهم بما لا يعرفه الفقيه المحجوب بحجب عالم الخلق عن اسرار عالم الأمر الذى هو كلمح البصر وخاضوا فى فهم كلماتهم بما هم بريئون منه وافتروا عليهم فى نسبة المعانى الفاسدة التى تخالف الشريعة اليهم وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين ولم يقدروا من كثرة جهلهم وشدة غباوتهم مع دعواهم العلم ان يفرقوا بين كلامهم وكلام الكفار فوسوسوا فى صدور عامة المؤمنين الذين هم خير منهم وافسدوا عليهم اعتقادهم فى اولياء الله تعالى وحرموهم التماس بركاتهم واوقعوهم فى الانكار عليهم وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ان الانبياء عليهم السلام (لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم) النافع وحده (فمن اخذ به) اى تعلمه (فقد اخذ بحظ) اى نصيب (وافر) اى زائد من الكمال والمدد الالهى قال المناوى فى شرح الجامع الصغير يعنى ان جميع الأنبياء عليهم السلام لم يورثوا شيئا من الدنيا لعدم صرفهم هممهم الى اكتسابها واعراضهم عن الجمع والادخار واشتغالهم بما يوصل الى دار القرار لكن لا ينتقل الشئ الى الوارث الا بالصفة التى كان عليها عند المورث قال الغزالى لا يكون العالم وارثا لنبيه الا اذا اطلع على جميع معانى الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوة وهى الفارقة بين الوارث والمورث اذ المورث هو الذى حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذى لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه * الحديث الثانى (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ابن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم افضل العبادة) التى يعبد الله تعالى بها (الفقه) اى الفهم فى دين الله تعالى وهو معرفة النفس مالها وما عليها اعتقادا وعملا وغلب فى عرف المتأخرين على معرفة الاحكام العملية عن ادلتها التفصيلية (وافضل الدين) اى الشرع المحمدى (الورع) وهو ترك المشتبهات مما يحتمل ان يكون حراما او مكروها مما ينفر منه قلب المؤمن زيادة على ترك المحرمات والمكروهات * الحديث الثالث (طط) يعنى روى الطبرانى فى الاوسط باسناده (عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قليل العلم) النافع مع العمل به والاخلاص فيه (خير من كثير العبادة) الموفق صاحبها لها على وجه الصحة من دون علم فان العالم العامل صاحب فضيلتين والعامل الموفق صاحب فضيلة واحدة فهو دون الاول * الحديث الرابع (طط) يعنى روى الطبرانى ايضا فى الاوسط باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاء) اى حضر (اجله) اى وقت موته (وهو يطلب العلم) النافع بقصد العمل به (لقى الله) تعالى فى يوم القيامة كما ورد فى خبر آخر ان الله تعالى

يقيض له فى قبره من يعلمه (ولم يكن بينه و بين النبيين الا درجة النبوة) فان النبوة وهبية لاكسبية وقد انسد بابها ومابقى الا الولاية وهى تحصيل العلم النافع والعمل به ثم حصول علوم الالهام ببركة الاخلاص فى العمل كما قال الله تعالى * واتقوا الله ويعلمكم الله * فاذا مات طالب ذلك قبل تحصيل مقصوده لا يحشره الله تعالى يوم القيامة الا من اعلم العلماء الحديث الخامس (طك) يعنى روى الطبرانى فى الكبير باسناده (عن ثعلبة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله) تعالى للعلماء العاملين المخلصين (يوم القيامة اذا قعد) سبحانه وتعالى اى انكشف للخلق متجليا (على كرسيه) الذى وسع السموات والارض من غير كيفية ولا استقرار لانه تعالى ليس بجسم ولا عرض (لفصل عباده) اى قطع الخصومات بين بعضهم بعضا لظهور فضله تعالى عليهم وعدله فيهم (انى لم اجعل علمى) اى علمكم بى وباحكامى وحكمى (وحلمى) اى تخلقكم باخلاقى كما ورد تخلقوا باخلاق الله وفى حديث الجامع الصغير ان لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من اتاه بخلق منها دخل الجنة (فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم جميع ذنوبكم) فلا اؤآخذكم بذنب منها (ولا ابالى) بذلك اى لا اهتم به لسهولته على * الحديث السادس (صف) يعنى روى الاصفهانى باسناده (عن ابى امامة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء) بالبناء للمفعول والمراد يوم القيامة (بالعالم) العامل المخلص فى عمله (والعابد) الموفق للعمل الصالح مع الاخلاص بلا علم (فيقال للعابد) المذكور (ادخل الجنة) لان نفعه قاصر عليه فادخله الجنة (ويقال للعالم) المذكور (قف حتى تشفع للناس) لان نفعه متعد الى غيره فهو ينفع نفسه وغيره فى الدنيا فينفع نفسه وغيره كذلك فى الآخرة * الحديث السابع (صف) يعنى روى الاصفهانى ايضا باسناده (عن عبد الله بن عمر) بن الخطاب (رضى الله عنهما انه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم) المذكور (على العابد) المذكور (سبعون درجة مابين كل درجتين حضر) بضم الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة (الفرس) وهو ارتفاعها فى العدو كالاحضار والفرس محضير لا محضار او لغة كذا فى القاموس (سبعين عاما) ولعل السبعين فى الموضعين للتكثير لا للعدد كما فى قوله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (وذلك) اى بسبب فضيلة العالم على العابد (لان الشيطان يبتدع البدعة للناس) اضلالا لهم بها بان يوقعها فى قلب احد من الغافلين ويزين له عملها و يغطى عليه قبحها (فيبصرها العالم) بنور علمه النافع وعمله الصالح (فينهى عنها) فينفع بذلك نفسه وغيره (والعابد) الموفق بلا علم (مقبل على عبادة ربه) مشتغل بها (لا يتوجه اليها) اى الى تلك البدعة فلا يعرفها لينهى عنها وان عرفها بنور عمله الصالح فانتهى عنها هو فى نفسه فانه لا يتفرغ لينهى عنها غيره فنفعه قاصر عليه لا يتعدى الى غيره * الحديث الثامن (قطن هق)

يعني روى الدار قطني والبيهقي باسناد هما (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عبد) بالبناء للمفعول اى ماعبد (الله) تعالى احد (بشيء) من انواع العبادات فى ظاهره وباطنه (افضل من فقه) اى فهم (فى دين الله) تعالى مع العمل بذلك والاخلاص فيه (ولفقيه) اى والله لفقيه والفقيه هو العالم باحكام الله تعالى عليه وعلى غيره فى الظاهر والباطن العامل بعلمه المخلص فيه (واحد) فكيف باثنين فاكثر (اشد) اى اكثر امتناعا وتباعدا (على الشيطان) الذى يريد اغواءه واضلاله (من) امتناع وتباعد (الف عابد) موفق للعمل الصالح بلافقه ولافهم لان مع الفقيه نور العلم زيادة على نور العمل الصالح فله نوران فهو اكثر امتناعا واحتماء من ظلمة الشيطان ممن لهم نور واحد وهم العابدون المنورون بالعمل الصالح (ولكل شيء عماد) اى عمود يرتفع بنيانه به ويعتمد عليه (وعماد الدين) اى الشرع المحمدى (الفقه) اى الفهم فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله اعتقادا وعملا (وقال ابو هريرة رضي الله عنه والله لان اجلس ساعة) وهي جزء من اجزاء الجديدين والوقت الحاضر والجمع ساعات وسواع كذا فى القاموس (فافقه) اى اصير فقيها فاهما فى دين الله تعالى (احب الى من ان احيي ليلة القدر) اى اقطعها بالتهجد والعبادة مع ان ليلة القدر خير من الف شهر (وفى رواية) اخرى احيي (ليلة) من الليالى (الى) وقت طلوع (الصباح) لان فقه الساعة نور ينتفع به صاحبه بالعمل والاخلاص وغير صاحبه ايضا بالارشاد والدلالة واحياء الليلة نور ينتفع به صاحبه فقط والامر المتعدى افضل من القاصر * الحديث التاسع (ت) يعنى روى الترمذى باسناده (عن ابى امامة رضي الله عنه انه ذكر) بالبناء للمفعول والذاكر بعض الناس (لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان) من اصحابه (احدهما عابد) اى موفق للعمل الصالح بلا علم (و) الرجل (الآخر عالم) اى موفق للعمل الصالح مع العلم النافع (فقال) عليه الصلاة والسلام (فضل) اى فضيلة (العالم) العامل بالاخلاص (على العابد) الموفق بلا علم الى العمل بالاخلاص (كفضلى) اى فضيلة النبى صلى الله عليه وسلم (على ادناكم) اذ العمل الصالح يجمعهما ويمتاز النبى صلى الله عليه وسلم بزيادة العلم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله) سبحانه وتعالى (وملائكته) عليهم السلام (واهل السموات) من الملائكة المجردين للعبادة (و) اهل (الارض) من جميع انواع الحيوانات والنباتات والمعادن والانس والجن (حتى النملة) الكائنة (فى جحرها) بضم الجيم وبالحاء المهملة قال فى القاموس الجحر بالضم كل حفرة تحتفره الهوام والسباع لانفسها (والحيتان) جمع حوت وهو السمك (فى البحر يصلون) اى يدعون له ويستغفرون ويثنون (على معلم الناس) من المؤمنين والكافرين (الخير) اى الطاعة بامتثال الاوامر واجتناب المناهى قطعا اوظنا بالخطاب او بالكتاب اذا كان قصده بذلك التقرب

الى الله تعالى لا الى المال والجاه * الحديث العاشر (مج) يعني روى ابن ماجه باسناده (عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع يوم القيامة) في المذنبين من المسلمين (الانبياء) عليهم السلام لانهم الاصل في ارشاد الناس وتعليمهم الخير فهم اول شافع في المبتلين بالمعاصي دون الكفر (ثم) يشفع بعدهم (العلماء) بالعلم النافع مع العمل الصالح والاخلاص فيه والا كانوا فاسقين عاصين فيحتاجون الى شفاعة غيرهم فيهم (ثم) يشفع بعدهم (الشهداء) جمع شهيد والشهادة مقام من مقامات القرب الى الله تعالى وتحصل باسباب ظاهرة كالقتل ظلما ويسمى شهيد الدنيا كما هو مفصل في كتب الفقه واسباب باطنة كالعشق مع العفة والصبر والموت ببعض الامراض كوجع البطن ونحوه ويسمى شهيد الآخرة على حسب ما هو مقرر في موضعه وانما تأخر الشهداء عن العلماء لانهم انما امتازوا في مقامهم بالعلماء فهم اتباع العلماء المذكورين * الحديث الحادي عشر (طك) يعني روى الطبراني في الكبير باسناده (عن معاوية رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس انما) يحصل (العلم) النافع للعمل به مع الاخلاص (بالتعلم) اى الدراسة على المشايخ او السماع منهم بقصد العمل به مع الاخلاص فيه لا بقصد غير ذلك ولهذا كثير ممن لم يرد في وقت التعلم او السماع العمل بالعلم مع الاخلاص لا يتعلم غير صورة المسئلة و يفوته روحها وسرها وحكمتها ويحرم بركتها ولا يتحقق بشئ منها غير انه يتخيل بعقله صورتها الظاهرة فقط فتكون عنده قشرة بلا لب فلا يكبر في نفسه العمل بها لانه لم يرد ذلك حين التعلم فتبقى حجة عليه لا له وربما كان تخيله صورتها سببا لانكاره بها واعتراضه على اهل العمل الصالح من الابرار والمقربين وهو لا يشعر لاستيلاء الغرور على قلبه وتراكم ظلمات الجهل المركب في نفسه فيضل عن الصراط المستقيم كما نراه في كثير من متفقهة زماننا (و) انما (الفقه) اى الفهم في الدين المحمدي اعتقادا وعملا (بالتفقه) اى التفهم بقوة نور الخشوع والاخلاص والتقوى لا التفكر والتأمل بالنفس المدعية الاشتغال باطنا لتراكم ظلمات الغفلة والغرور والدعاوى الباطلة مع الاصرار على بغض الصالحين واحتقار مقامات المقربين فان ذلك التفكر لا ينتج الا الضلال والغي والطمس والعمى (ومن يرد الله) تعالى (به خيرا) من خيور الدنيا والآخرة (يفقهه) اى يفهمه سبحانه وتعالى بمحض فضله عليه (في) علوم (الدين) اى الشريعة المحمدية واسند هنا التفقيه الى الله تعالى وقبله التفقه الى النفس لان النفس اذا تفقهت بنور الخشوع والاخلاص متبرأة من حولها وقوتها كما ذكرنا كان الله تعالى هو الذى يفقهها فيصح الاسنادان (وانما يخشى) اى يخاف خوف هيبة واجلال لا خوف عقاب فهو خوف الخواص والثاني خوف العوام و لهذا قال عليه السلام في صهيب الرومي رضي الله عنه نعم

العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه يعني لولم يخفه خوف عقاب لم يعصه هيبة له واجلالا فقد نفى عنه خوف العقاب واثبت له خوف الاجلال والارهاب (الله) وفي تقديم المفعول اشارة الى الحصر اى لاغيره وفي ضمنه الاهتمام والتعظيم (من عباده) الانس والجن والملائكة وغيرهم (العلماء) اى العارفون به سبحانه من حيث ذاته العلية وصفاته السنية واسمائه القدسية وافعاله البهية واحكامه الفضلية والعدلية وتقدم الكلام على هذه الآية * الحديث الثاني عشر (بر) يعني روى ابن عبد البر باسناده (عن معاذ رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا) يامعشر المكلفين (العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص (فانه تعلمه) كذلك (لله) تعالى والجار والمجرور متعلق بقوله (خشية) اى خشية لله سبحانه لالغيره كما قال تعالى * ولايخشون احدا الاالله * الآية (وطلبه) على الوصف الذي ذكرناه (عبادة ومذاكراته) كذلك بنية افادته واستفادته للعمل والاخلاص فالفرق بين التعلم والمذاكرة ان التعلم لمن لا يعلم والمذاكرة البحث مع من يعلم لسماع من لايعلم اوزيادة فائدة بتقوية في دليل اوتثبت من نسيان (تسبيح) اى تنزيه وتقديس لله تعالى لانها اما في مسئلة اعتقادية تتعلق بجناب الله تعالى اوعظيم شانه سبحانه اومسئلة عملية تتعلق بجزيل ثوابه وجليل نعمه اوما يسوق الى شئ من ذلك وما عداه فليس من العلم النافع بل من المضر الذي استعاذ منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم اني اعوذبك من علم لاينفع (والبحث) اى التكلم من الجانبين بنية اظهار الحق للعمل به مع الاخلاص (عنه) اى عن العلم النافع كماذكرنا (جهاد) في النفس وفي الغير من جهة الموصوف بالنية الحسنة فاجره اجر المجاهد في سبيل الله تعالى واما من جهة من لم يكن موصوفا بماذكرنا فهو جهاد في سبيل الشيطان فهو من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون والمخلص لا يظن سوءا بغيره لان الاصل الكمال في الامة الموثقة بقوله تعالى * كنتم خير امة اخرجت للناس * ولايحيق المكر السيئ الاباهله (وتعليمه) اى العلم النافع (لمن لايعلمه) من الناس صدقة) عليه (وبذله) اى ايراده (لاهله) المستعدين لقبوله والمتصفين به (قربة) اليهم (لانه) اى العلم المذكور (معالم) جمع معلم قال في القاموس معلم الشئ كمقعد مظنته ومايستدل به كالعلامة (الحلال) من الاعتقاد والقول والعمل (والحرام) كذلك فان الحلال والحرام مماذكر لايعلم الابالعلم فالعلم علامة على ذلك اى دلالة عليه وبيان له (ومنار) وهو الجبل ومايوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق وموضع النور (سبل) جمع سبيل وهو الطريق (اهل الجنة) اى حدود الطرق الموصلة الى الجنة لانها تعلم به (وهو) اى العلم المذكور (الأنيس) لصاحبه وسامعه (في) حالة (الوحشة والصاحب) الملازم للعبد (في) حال (الغربة) عن الاوطان اوعن الاقران والامثال كماورد في حديث الجامع الصغير طوبى للغرباء قال يارسول الله من هم قال اناس صالحون

فى اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وفى رواية من يبغضهم اكثر ممن يحبهم
(والمحدث) اى المنادم لصاحبه فيما بينه وبين نفسه (فى الخلوة) اى فى حالة الانفراد
عن الناس (والدليل) اى الدال المرشد (على السراء) اى ما يسر العبد (والضراء) اى
ما يسوء مما يتعلق بامور الدنيا والآخرة فيعلم به صاحبه ما ينفعه وما يضره من جميع الامور
(والسلاح) الذى يقاتل به (على الاعداء) فى الدين بالزام الحجج وابطال المذاهب
الباطلة وفى الدنيا باخماد الحسدة والمبغضين (والزين) الزينة والحلية والهيئة الحسنة
(عند) لقاء (الاخلاء) جمع خليل وهم الاصحاب والاخوان (يرفع الله) تعالى
(به) اى بالعلم المذكور فى الدنيا بالتقدم على غيرهم وفى الآخرة بالمراتب العالية
(اقواما) وضعه فيهم بمحض فضله عليهم واحسانه اليهم (فيجعلهم) سبحانه
(فى) انواع (الخير قادة) جمع قائد اى دعاة اليه يجذبون الناس بسلاسل الحجج
والبينات الى نعيم الجنان كما ورد فى حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة فى السلاسل وفى رواية البخارى
عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل (وائمة) جمع امام يعنى يقتدى
غيرهم بهم ويتابعهم ليصير مثلهم (تقتص) بالبناء للمفعول وبالصاد المهملة اى تتبع
قال فى القاموس قص اثره قصا وقصصا تبعه (آثارهم) فى زمانهم بالافواه او الكتابة
وكذلك بعد موتهم كما دونوا اخبار الصالحين الماضين وذكروا سيرتهم الحسنة (ويقتدى)
بالبناء للمفعول (بفعالهم) قال فى القاموس فعال كسحاب اسم الفعل الحسن والكرم
ويكون فى الخير والشر وهو مختص لفاعل واحد واذا كان فاعلين فهو فعال بالكسر
فهو ايضا جمع فعل اه والمعنى انهم يبينون الدين المحمدى للناس باقوالهم وافعالهم
كما كانت الانبياء عليهم السلام يفعلون كذلك فلو لم يكونوا عاملين بعلومهم لا يقتدى
بافعالهم فيخرجون عن هذا الوصف المذكور (وينتهى) بالبناء للمفعول اى يتوصل
الجاهلون (الى) معرفة (آرائهم) فيقفون عندها ولا يتجاوزونها ان قصدوا الفلاح
والآراء جمع رأى وهو الاعتقاد (ترغب الملائكة) عليهم السلام (فى خلتهم)
اى محبتهم وصحبتهم فلا يفارقونهم فيلهمونهم الخير ويحذرونهم من الشر وفى القاموس
الخلة بالكسر هى الصداقة والاخاء والخلة ايضا الصديق للذكر والانثى والواحد
والجمع والخل بالكسر والضم الصديق المختص او لا يضم الا مع ود يقال كان لى ودا
وخلا والخليل الصادق او من اصفى المودة واصحها (وباجنحتها) اى الملائكة
(تمسحهم) وهو كناية عن الهامهم ما به ترقى كثائفهم فيطيرون الى فضاء الملكوت
الاعلى (يستغفر) اى يطلب المغفرة من الله تعالى (لهم) عن جميع ذنوبهم
(كل) شئ (رطب) اى روحانى (ويابس) اى جسمانى والمراد جميع الاشياء
(وحيتان) اى اسماك (البحر وهوامه) اى البحر وهى بقية حيوانات البحر

(وسباع) اى وحوش (البر) بالفتح ضد البحر (وانعامه) جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهى الابل والشاة اوخاص بالابل ويجمع على اناعيم كذا فى القاموس (لان العلم) مع العمل به والاخلاص فيه (حياة القلوب من) موت (الجهل ومصابيح) جمع مصباح وهو السراج (الابصار) جمع بصر يعنى ضياءها ونورها التى تبصر به (من الظلم) جمع ظلمة فكل شئ يخفى ينكشف بالعلم (يبلغ) اى يصل (العبد بالعلم الى منازل الاخيار) جمع خير قال فى القاموس الخير الكثير الخير كالخير ككيس وجمعه اخيار وخيار او المخففة فى الجمال والميسم والمشددة فى الدين والصلاح (والدرجات العلى) اى الرفيعات (فى الدنيا والاخره والتفكر فيه) اى فى العلم المذكور (يعدل) ثواب (الصيام) لانه امساك عن التفكر فى غيره فهو حبس النفس على التفكر فيما يرضى الله تعالى كالصائم يحبس نفسه فى طاعة الله تعالى عن الاكل والشرب والجماع (ومدارسته) اى قراءته على المشايخ للحفظ والاتقان ومطالعته للفهم والايقان (تعدل) ثواب (القيام) بالتهجد خصوصا اذا كانت فى الليل وقد صفا الذهن وراقت البصيرة (به) اى بالعلم (توصل الارحام) بتعليمه لاقاربه واهله نساء ورجالا فيكون فى ذلك صلة رحم لهم (وبه يعرف) اى يتميز (الحلال والحرام) من كل اعتقاد وقول وعمل (وهو) اى العلم (امام العمل) لانه متقدم عليه تقدم الامام على المقتدى (والعمل تابعه) اى تابع العلم متأخر عنه (يلهمه) بالبناء للمفعول اى يلهمه الله تعالى (السعداء) جمع سعيد وهو من سبقت له الحسنى من الله تعالى فكان من اهل اليمين (ويحرمه) اى يحرمه الله تعالى (الاشقياء) جمع شقى وهو من حقت عليه الكلمة الازلية انه من اهل النار فكان من اهل الشمال * الحديث الثالث عشر (ج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابى ذر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر لان) اللام للقسم المقدر تقديره والله لان (تغدو) اى تذهب فى وقت الغدوة وهى بالضم البكرة اوما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر كذا فى القاموس (فتعلم) بالتشديد وحذف احدى التائين تخفيفا والاصل تتعلم (آية) واحدة (من القرآن) بنية ان تقرأها فى الصلاة اوفى غيرها او تعلمها لغيرك اولتفهم معناها فتتعظ به اوتستنبط منه ان كنت من اهل الاستنباط (خير لك) عند الله تعالى (من ان تصلى مائة ركعة) من النافلة لان نفل الركعات قاصر ونفع تعلم الآية متعد وقد تقع فرضا بخلاف النافلة من الصلاة (ولان تغدو) اى تذهب بكرة النهار (فتعلم) اى فتتعلم (بابا) اى نوعا (من) انواع (العلم) وفيه اشارة الى ان تعلم طرف من المسئلة لايكون كذلك مالم تتم بجميع اطرافها فلايبقى منها طرف الا تعلمته كمسئلة صحة الصلاة فانها متوقفة على تعلم جميع شروطها واركانها بتفاصيل الابحاث فى ذلك (عمل) بالبناء للمفعول اى

سواء عمل غيرك (به) اى بذلك الباب من العلم الذى تعلمته انت للعمل به مع الاخلاص
(اولم يعمل) بالبناء للمفعول ايضا اى ترك العمل به غيرك وضعفت رغبة الناس فى القيام
به (خيرلك من ان تصلى) الله تعالى (الف ركعة) من النافلة خصوصا اذا نويت بتعلم
ذلك الباب احياء سنة درستها الناس وتركوا العمل بها فعملت بها انت لارشادهم
الى ذلك وسبقهم الى فعل الخير وحثهم عليه (اقوال) اى هذه اقوال (الفقهاء)
اى علماء الاحكام الشرعية فى بيان العلم قال (فى) كتاب فتاوى (الخلاصة سئل ابو بكر)
من فقهاء الحنفية رحمه الله تعالى (عن قراءة القرآن للتفقه) اى الطالبين لمعرفة الفقه
بقصد العمل به مع الاخلاص (هى افضل) عند الله تعالى (ام درس) اى مدارسة
بمعنى قراءة ومطالعة علم (الفقه قال) المسؤل (حكى عن ابى مطيع) البلخى رحمه الله
تعالى (انه قال النظر) اى التأمل والتفهم (فى كتب اصحابنا) وهى كتب علم الفقه
(من غير سماع) من مدارسة غيره (افضل من قيام الليل) ولم يقل افضل من قراءة القرآن
احتراما للقرآن والا فان قراءة القرآن فى غير الصلاة مستحبة والنظر فى كتب علم الفقه
لاكتساب الفوائد قد يكون فرضا اذا احتاج للعمل المفروض (وعن الامام ابى بكر محمد بن
الفضل البخارى) رحمه الله تعالى (انه سئل عن الفقيه) اى المشتغل ليلا ونهارا بمطالعة
مسائل الفقه ومراجعة احكام الشريعة للعمل بها فى فرائضه والانتهاء عما نهى
عنه ولتعليم غيره (هل) يترك ذلك و (يصلى صلاة التسبيح) المذكورة فى كتب الفقه
(قال) فى الجواب (تلك) اى صلاة التسبيح (طاعة العامة) فانهم لا يقدرون على
طاعة الاشتغال بعلوم الشرايع والاحكام ونشرها وافادتها للخاص والعام ولاشك
ان ذلك افضل من صلاة التسبيح لانها نفع قاصر وهو متعد (فقيل) له (فلان
الفقيه) وذكر له اسمه (يصلى صلاة التسبيح قال هو عندى) محسوب (من) جملة
(العامة) حيث ترك النفع المتعدى الى الغير واشتغل بالنفع القاصر على النفس وهو
طريقة العوام (انتهى) مانقله عن الخلاصة (وفى) كتاب (التجنيس) تأليف الامام
الفرغانى مؤلف الهداية رحمه الله تعالى (الرجل اذا تعلم بعض القرآن) وهو مقدار
مايحتاج اليه بان تعلم قدر الفرض للقراءة فى الصلاة وذلك آية طويلة اوقصيرة عند
ابى حنيفة رضى الله عنه اوثلاث آيات قصار اوآية طويلة عند صاحبيه رحمهما الله
تعالى وتعلم قدر الواجب وهو فاتحة الكتاب ومعها سورة اوثلاث آيات قصار اوآية
طويلة وتعلم قدر السنة وهو نحو الاربعين آية من طوال المفصل من الحجرات الى البروج
ونحو العشرين آية من اوساط المفصل من الطارق الى لم يكن وسورة من قصار المفصل
من الزلزلة الى آخر القرآن (ولم يتعلم الكل) اى كل القرآن فان الصحابة رضى الله عنهم
لم يكونوا كلهم يعلمون كل القرآن وانما غالبهم كان يعلم البعض دون البعض
(فاذا وجد) ذلك الرجل (فراغا) بان وجد وقتا خاليا من الاشتغال بالفرائض والواجبات

والسنن المؤكدات (كان) حينئذ (تعلم) جميع (القرآن) له (افضل من صلاة التطوع) بليل اونهار وذلك (لان حفظ القرآن) كله اى تعلم قراءته على ظهر القلب اومن المصحف صحيحا مجودا (على الامة فرض كفاية) اذاقام به البعض سقط عن الباقين فالسابق بذلك هو الفرض والباقون متنفلون به لكنهم مترشحون الى سقوط الفرض بالتبالى منهم اذامات السابق اونسى فكان افضل ولان نفعه متعد بالتعليم بخلاف صلاة التطوع (وتعلم) احكام (الفقه) مقدار مايهمه منه فى عباداته ومعاملاته (اولى من ذلك) كله لافتراضه عليه وكذا الزائد على مايهمه لتعليم غيره (انتهى) ما نقله عن التجنيس (وفيه) اى فى التجنيس (ايضا طلب العلم) بالدين المحمدى اعتقادا وعملا (والفقه) اى الفهم والتأمل بالاخلاص فى ذلك كله (والعمل به) اى بمافقهه من ذلك بالتيقن به فى الاعتقاد واشغال الجوارح بتعاطيه فى الاعمال (اذاصحت) اى قويت وثبتت (النية) اى قصد القلب على التقرب بذلك كله الى الله تعالى من غير التفات الى ماسواه اصلا (افضل) عندالله تعالى (من جميع اعمال البر) بالكسر اى الخير كنوافل الصلوات والصيام والصدقة والحج (لقوله) اى النبى (عليه الصلاة والسلام ماعبد) بالبناء للمفعول (الله) تعالى (بشئ) من العبادات (افضل من فقه) فهم (فى الدين) المحمدى اعتقادا وعملا بقصد العمل بذلك مع الاخلاص (ولانه) اى طلب العلم النافع المذكور (اعم نفعا) اى من جهة النفع (لان نفعه يرجع اليه) اى الى المتعلم المذكور بالعمل به على وجه الاخلاص (والى غيره) ايضا بتعليم الغير (ونفع غيره) اى غير طلب العلم (من) سائر (الاعمال) الصالحة (يرجع الى العامل) بذلك (خاصة) دون غيره وان كان فى الاعمال ايضا يرجع الى الغير مثل ثواب العامل اذا ارشده ذلك لغير اليها ودله عليها فان الدال على الخير له مثل ثواب فاعله لاينقص من ثواب فاعله شيئا على ماورد فى الحديث ولكن ذلك الثواب الذى يحصل للدال اذاعمل المدلول بذلك الخير ثواب غير حاصل له باختياره وربما كان له بعد موته ايضا زيادة على ثواب الدلالة الاختيارى فليس مثل الثواب الذى يحصل للمتعلم على فعله الاختيارى فانه مضاعف له دون الاول وقد يكون فرضا فثوابه اكثر على كل حال (قال العبد الضعيف) يعنى الامام الفرغانى صاحب التجنيس (عصمه) اى حفظه (الله تعالى) من الزلل فى القول والعمل ورحمه الله تعالى (وكذا الاشتغال بالزيادة) من العلم النافع مع الاخلاص فيه (بعدما تعلم) العبد (قدر مايحتاج اليه) فى اعتقاده وعباداته ومعاملاته (افضل) من الاشتغال بنوافل العبادات (اذاكان لايدخل عليه) اى على ذلك المشتغل بالزيادة (النقصان فى فرائضه) الفعلية كالمفروضات من العبادات والتركية كالاجتناب عن المحرمات وكذلك فى فعل واجباته وترك مكروهاته التحريمية وفعل سننه وترك مكروهاته التنزيهية (وهو الصحيح) من الاقوال (لما قلنا) من ان نفع ذلك اعم من غيره (وصحة النية) المتقدم ذكرها هى (ان يطلب) العبد

(به) اى بطلب العلم معرفة ظهور (وجه) اى ذات (الله) تعالى الموجودة متوجهة على شيئيته الهالكة وكذا شيئية كل شئ وهذا مقام المقربين (و) يطلب حصول النجاة له من الله تعالى والنعيم المقيم فى (الدار الآخرة) من غير عذاب يسبق وهو مقام الابرار ادنى من الاول (ولا ينوى به) اى بطلب العلم المذكور (طلب) حصول (الدنيا) له وهى الاموال وما يتوصل اليه بها من الحظوظ العاجلة قبل يوم القيامة (وقيل اذا اراد ان يصحح نيته) فى طلب العلم المذكور (ينوى الخروج) بالعلم المذكور (من الجهل) فى نفسه (و) ينوى (منفعة الخلق) اى المخلوقات بتعليمهم ذلك والحكم عليهم به على وجه العدل فى بنى آدم وغيرهم (و) ينوى (احياء) اى ابقاء ذكر (العلم) النافع فى الارض حتى لا يندرس فيجهله الناس (انتهى) ما نقله من التجنيس (وفى) كتاب (بستان العارفين فاذا لم يقدر) العبد (على تصحيح النية) فى طلب العلم بان كانت حظوظ نفسه غالبة عليه وشهواته متحكمة من قلبه وحب المال والجاه مقيدا له (فالعلم) النافع حينئذ (افضل) له (من تركه) وان طلبه من غير اخلاص ولا بنية العمل به لانه فى حالة تركه يجتمع فيه ظلمة حظوظه وشهواته وغفلاته وعدم اخلاصه مع جهله ايضا بما فيه نجاته من ذلك فتبقى حالته ظلمات بعضها فوق بعض واما اذا اشتغل مع ذلك بتعلم العلم النافع قلت ظلماته وخفت غفلاته والشر بعضه اهون من بعض (ولانه) اى من لم يقدر على ردع نفسه عن السوء فى طلب العلم (اذا تعلم العلم) النافع (فانه يرجى) له ولو بعد حين (ان يصحح العلم بنيته) فيجعلها خالصة لله تعالى (قال مجاهد) من التابعين رحمه الله تعالى (طلبنا العلم) النافع (وما لنا فيه كثير من النية) الصالحة فى طلبه بل قليل منها لانه غالبا يكون فى رعونة الشباب وجهل الحداثة (ثم رزق الله) تعالى قلوبنا بعد ذلك (فيه تصحيح النية) وصدق الهمة خصوصا اذا وصل العبد الى سن الشيخوخة وانطفى توقد نيران آماله (انتهى) ما نقله من بستان العارفين (وفيه) اى فى بستان العارفين ايضا (قال بعضهم) وهو سفيان الثورى رحمه الله تعالى (تعلمنا العلم) النافع فى بداية الامر (لغير) وجه (الله) تعالى (فابى) اى امتنع (العلم) النافع علينا (ان يكون الا لله) تعالى فكان فى اخر الامر لوجه الله تعالى غيره من الله تعالى على العلم النافع ان يكون على غير وجهه وفى غير انه وذلك بان يصرف الله تعالى وجوه الناس عن اعتبار ذلك العلم فيبقى صاحبه بينهم مهانا فينقطع طمعه فيهم بسبب علمه ذلك فيخلص فيه ونحو ذلك من الصوارف الجارية على مقتضى الحكمة الالهية (والظاهر) من قول هذا البعض (ان مراده) بالعلم الذى ابى ان يكون الا لله تعالى (العلوم الزاجرة) عن اقتراف الذنوب الظاهرة والباطنة التى فيها قصد غير وجه الله تعالى كعلوم المواعظ والمناهى والترهيب فان عالمها لا يزال يتعلمها بالنية الفاسدة حتى تصح نيته فيها

فى الغالب اذا طال به المدا (بدليل قوله) اى صاحب بستان العارفين (فيما سبق)
قريبا حيث قال فانه يرجى ان يصحح العلم نيته ومعلوم ان العلم الذى يصحح النية هو العلم
الزاجر دون غيره (واذا اخذ الانسان حظا) اى نصيبا (وافرا) اى كثيرا (من)
علم (الفقه ينبغى) اى يستحب له (ان لا يقتصر على) معرفة علم (الفقه) فقط
(ولكن ينظر) اى يقرأ ويتأمل (فى علم الزهد) وهو علم التصوف الذى يعرف منه
امراض القلب وادويتها ليرفع عنه الاخلاق المذمومة ويتصف بالاخلاق المحمودة
(و) ينظر (فى كلام الحكماء) الالهيين العارفين بالله تعالى الذين آتاهم الله تعالى
الحكمة كما قال سبحانه * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا *
الآية وهو علوم الالهام والحقايق الالهية لا علوم الفلسفة وحكمة العين فانها علوم
محرمة كما سبق بيانه ومن أجل الحكماء الالهيين الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى
والشرف بن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين وغيرهم رضى الله عنهم من العارفين
المحققين فان كلامهم انفع شئ للفقيه اذا سلك به فى معرفة اسرار فقهه ولكن بعد اعتقادهم
ومحبتهم ونبذ كلام من تكلم فيهم بسوء من اهل الجهل والغباوة الذين هم ليسوا على
طريقهم ولا يعرفون اصطلاحهم فان من جهل شيئا عاداه ولا عبرة بنقل المنكرين
عليهم لكلامهم وزعمهم انهم فهموه لانهم لو فهموه لما ظهر من تفريرهم كفرا
وضلالا بل كان يظهر ايمانا وتوحيدا ولكن كل اناء بالذى فيه ينضح وآنيتهم لما تنجست
بكفر الانكار على اولياء الله تعالى وبغضهم والتعصب عليهم كان كل كلمة من كلام
اهل الله تعالى اذا دخلت ذلك الاناء النجس تنجست به وكانت ايمانا فى الآنية الطاهرة
فصارت كفرا فى الآنية النجسة القذرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ولا قطع
عندنا ببقاء المنكرين على انكارهم لاحتمال توبتهم قبل الموت فلا طعن فيهم الا بحسب
كلامهم حال صدوره منهم ان صح عنهم انظر الى هذا الامام فى علمى الظاهر والباطن
سيد المتأخرين الشيخ شهاب الدين احمد بن علان الصديق البكرى المكى النقشبندى
رضى الله عنه فانه نقل فى كتابه شرح حكم العارف بالله تعالى الشيخ ابى مدين التلمسانى قدس
سره قال دعوى النفس ينشأ من عجبها وهو اشد المهلكات كما شهد بذلك سيد الكائنات
حيث قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله فى السر والعلانية
والقول بالحق فى الرضاء والسخط والقصد فى الغناء والفقر واما المهلكات فهوى متبع
وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهى اشدهن فمن كان عنده اشد المهلكات كيف
يتوقع الشفاء من ادوية الطاعات فلذلك قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه
من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكبائر ولقد صدق فيما قال فاى شخص
يا اخى يصوم ولا يعجب بصومه واى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا سائر
الطاعات الا ان تخل عليه عناية مولاه بمعرفة آداب الخدمة من مجالسة اطباء القلوب

وحلول عناياتهم عليه حتى تمحق العجب الذى حل به من تلك الطاعات ولا يعجب بعد ذلك الا بفضل مولاه كما قال فى الحكم العطائية لا تفرحك الطاعة بانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله تعالى اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * فلا تفرح يا اخى ولا تعجب الا بنواله ولا تصحب الا من يعلمك العلوم التى تقربك الى حضرة كماله (و) ينظر (فى شمائل) اى اوصاف (الصالحين) المتقدمين رضى الله عنهم ويتأمل ما كانوا فيه من العلم والعمل والتقوى والورع ويقلدهم فيما يمكنه من ذلك فان الغيث اوله قطر ثم ينسكب ولا تمنعه الوساوس واليأس من الشبر على سيرهم ولا ينتقد عليهم مالا يعرفه ولا يلتفت الى غرور مغرور فيهم ولا طعن طاعن كما لا يلتفت الى طعن الرافضة والخوارج فى الصحابة والخلفاء الموثقين رضى الله عنهم اجمعين * والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم (فان الانسان اذا تعلم علم (الفقه) وحده (ولم ينظر فى علم الزهد و) علم (الحكمة) الالهية وهى علوم مواجيد القوم من الصوفية المحققين كما ذكرنا فما فهمه من ذلك على طبق الكتاب والسنة حمدهم عليه وما خفى عنه ودق اسلمه لاهله واعترف هو بالقصور فى نفسه عن فهمه ولو كان من اعلم علماء الظاهر فان لكل مجال رجالا ولكل مقام مقالا ولا يعجب بنفسه ولا يغتر بعلمه فانه يهلك من حيث لا يشعر (قسا) اى عتا وصلب (قلبه) فكان كالصخر لا تؤثر فيه المواعظ ولا الحكم وجمدت بصيرته فلا يقدر يفهم بها شيئا سوى ظاهر من الحياة الدنيا وتتسلط عليه بسبب ذلك الوساوس الشيطانية فيقع فى اهل الله واوليائه بما هم بريؤن منه ويجحد الدين الخالص وطريق التقوى القلبية التى قال تعالى * فانها من تقوى القلوب * فيهلك فى مهواة من التلف (والقلب القاسى) الذى لا يلين للحق (بعيد من الله) سبحانه مطرود عن ابواب فضله وانعامه (انتهى) ما نقله من كتاب بستان العارفين وانما كان هذا المقدار المذكور من النظر فى علم الزهد والحكمة كما بينا مستحبا مما ينبغى تعلمه للفقيه ولم يكن فرضا عليه لان القلوب البشرية قد تكون مطبوعة على الرقة واللين والخشوع وسلامة النية وحسن القصد والتواضع والاعتقاد فى كلام الصالحين والتسليم لهم من غير فهم لكلامهم بلا شك فيهم ولا تردد فيستغنى الفقيه بذلك عن النظر فى علم الزهد والحكمة ولا يحتاج ان ينظر فيه كما على ذلك غالب العوام ممن لم يجتمع باحد من المنكرين على احد من الاولياء المحققين او اجتمع بهم ولم يقدروا ان يوسوسوا فى صدره بحمله على الانكار على احد اصلا وسلمهم الله منهم ومن لم يكن مفطورا على ما ذكرنا من سلامة الصدر والاعتقاد الحسن ونحوه احتاج الى النظر المذكور لعله يوجب له شيئا من ذلك فان القلوب بيد الله تعالى لا تدخل تحت تكليف العبد حتى يصلحها فلا معنى لايجاب ذلك عليه

ولكن من اكثر من استعمال الدواء النافع فلابد ان ينتج له ولو بعض شفاء فالاشتغال به
اهم من تركه والله الموفق وفى الشرعة وشرحها قال ويقتبس يعنى للتعلم من كل فن
حظا كافيا لحاجته ولايقتصر على البعض وعلى القدر الغير الكافى منها فقد قيل
من طلب الله تعالى بعلم الكلام وحده بلا استعانة بغيره من العلوم تزندق اى انكر
الوحدانية واليوم الآخر اذ يغلب على قلبه حينئذ ادلة المبطلين فلا يقدر ان يخلصه
منها فيعتقد على مقتضاها ومن طلب الله تعالى بالزهد وحده بلا شئ
من العلوم ابتدع لعدم علمه الطريق المسنون ومن طلب الله تعالى بالفقه
وحده تفسق بان صار خارجا عن الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى
لايتخلص من التقليد ولايميز مايصلح القلب مما يفسده من الصفات الباطنة قال ابو الليث
رحمه الله تعالى من تعلم علم الفقه ولم ينظر فى علم الزهد والحكمة يسود قلبه ومن تفنن
بان تعلم الفنون تخلص عن التزندق والابتداع والتفسق ويكون فى طلبه على
صراط مستقيم (فاذا كان الحال) اى الشان (هذا) اى قسوة القلب (فى) علم
(الفقه) وحده مع شرف الفقه لانه معرفة الاحكام الشرعية للعمل بها مع
الاخلاص ولايمكن العمل بها مع الاخلاص الا لصاحب علم الزهد والحكمة (فاظنك
بسائر) اى بقية (العلوم) التى هى دون علم الفقه مما هى وسائل اليه (غير) العلوم
(الزاجرة) للعبد عن المخالفات كعلوم العربية ونحوها فانها توجب قسوة القلب
والبعد عن الله تعالى بالطريق الاولى لكل من اقتصر عليها فى الاشتغال ولم ينظر
فى علم الزهد والحكمة (وفى) كتاب (التجنيس) لصاحب الهداية (رجل تفقه) اى
تعلم الفقه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة) لله تعالى مع الاخلاص والورع (وامتنع)
بسبب ذلك (عن التعليم) للناس (فان كان الناس استغنوا عنه بغيره) من العلماء المعلمين
لغيرهم (اجزأه) اى كفاه ذلك الغير عن تعليم الناس لانه فرض كفاية وقد قام به البعض
فسقط عن الباقين (كما فعل) ابو سليمان (داود) بن نصير (الطائى) نسبة الى قبيلة طى
(فانه تعلم العلم عن ابى حنيفة) رضى الله عنه (ثم اشتغل) بعد ذلك (بالعبادة واعتزل)
جميع (الناس ولم يشتغل بالتعليم) لاحد قال ابو على الدقاق رحمه الله تعالى كان سبب
زهد داود انه كان يمر ببغداد يوما فنحاه المطرقون بين يدى حميد الطوسى فالتفت داود
فرأى حميدا فقال داود اف لدنيا سبقك بها حميد فلزم البيت واخذ فى الجهد والعبادة
وقال بعضهم ان سبب زهده انه كان يجالس اباحنيفة رضى الله عنه فقال له ابو حنيفة
يوما يا اباسليمان اما الاداة فقد احكمناها فقال له داود فاى شئ بقى فقال العمل به قال
داود فنازعتنى نفسى الى العزلة فقلت لنفسى حتى تجالسهم ولاتتكلم فى مسئلة فجالستهم
سنة لااتكلم فى مسئلة وكانت المسئلة تمر بى وانا الى الكلام فيها اشد نزاعا من العطشان
الى الماء ولااتكلم به ثم صار امره الى ماصار ذكره القشيرى فى رسالته (و) كان (هذا)

الامر لداود رحمه الله تعالى (لانه اخذ بالفاضل) من الاحوال (وان كان التعليم) للغير (افضل) عند الله تعالى (لان نفعه اوفر) اى ازيد من نفع العابد (فلا يكون) حينئذ (به) اى بالاشتغال بالعبادة وترك التعليم (بأس) اى كراهة بل ترك الافضل فان التعليم مع العبادة من اخلاق النبيين عليهم السلام (انتهى) مانقله عن التجنيس (والحاصل ان العبادة المتعدية الى الغير) اى التى يتعلق بها صحة عبادة الغير وهى عبادة التعليم للغير العلم النافع (افضل من) العبادة (القاصرة) على نفع العابد بها نفسه (لان خير الناس) اى اكثرهم خيرا (من ينفع الناس) بالتعليم للخير (ثم) العبادة (المتعدية) الى الغير (نوعان) نوع (اخروى) اى منسوب الى الآخرة لتعلقه فى النفع فى الآخرة فقط (وهو افضل من جميع اعمال البر) اى الخير والصلاح (اذ) اى لانه (هو عمل الانبياء) والمرسلين عليهم السلام فانهم كانوا يعلّمون الناس الشرايع والاديان بعد التوحيد والعقائد ويعلّمونهم الاخلاق الحسنة و يحذرونهم عن الاخلاق السيئة (وبه) اى بهذا النوع من العبادة المتعدية (فضلوا) على غيرهم من جهة العمل وهم افضل من غيرهم بالنبوة قطعا (خرج) بالتشديد اى اسند (ديلم) يعنى ابامنصور الديلمى (عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم بابا من العلم) النافع اى مسئلة بتمامها (ليعلّم الناس) ذلك الباب الذى تعلمه وفيه اشارة الى ان النية الصالحة لابد منها فى ثواب العمل وان المعلم للناس لايلزم ان يكون عالما جميع ابواب العلم بل يجوز لمن يعلم بابا من الابواب ان يعلمه لغيره وان الذى علم بعض المسئلة كمن علم شروط الصلاة فقط ولم يعلم اركانها لاينبغى له ان يعلم غيره حتى يستوفى علم مسئلة الصلاة كلها يعنى مايهمّ منها دون علم جميع فروعها فمسئلة الصلاة مثلا باب من العلم (اعطى) اى اعطاه الله تعالى من الاجر (ثواب سبعين صديقا) بكسر الدال المهملة مشددة يعنى ثواب السبعين غير مضاعف ولهم مضاعف ولعل السبعين للتكثير لاللعدد كما فى نظائره (ولذا قال فى) كتاب (التجنيس اذا تعلم رجلان علما) من العلوم النافعة (علم الصلاة اوغيره) كعلم الصوم اوالزكاة اوالحج (وكان احدهما يتعلم) ذلك العلم (ليعلم الناس) ماتعلمه اى بنية ذلك (والآخر) انما تعلم (ليعمل به) اى بما تعلمه (فالذى يتعلم) العلم المذكور (ليعلم) غيره (افضل) من الذى يتعلم ليعمل به هو لنفسه (لان منفعته) اى الذى يعلم غيره (اكثر للناس) من منفعة الذى يتعلم ليعمل به فى نفسه (وابلغ) اى اعظم (فى امر الدين) المحمدى لنشره احكام الله تعالى واظهاره شرايع الاسلام وحماية الحق عن اهل الباطل ونصرة المؤمنين على اعدائهم من الوساوس النفسانية والعصبة الشيطانية (انتهى) مانقله عن التجنيس (و) نوع آخر (دنيوى) اى منسوب الى الدنيا لحصول الانتفاع به فى الدنيا (كالصدقة) المفروضة وغيرها فان الذى يأخذها ينتفع بها فى الدنيا

والمعطى ينتفع بها فى الآخرة فهو نفع متعد دنيوى لا اخروى والنوع الاول اخروى لانه ينتفع به الذى يتعلم فى الآخرة كما ينتفع المعلم فى الآخرة ايضا (والاعانة) على حوايج الدنيا والآخرة فى غير المعصية (والدلالة) على كل نفع دنيوى او اخروى (والشفاعة) فى الخير والصلاح (وبناء القناطر) من ماله فوق الانهار العظام او فى الطرق الصعبة السلوك على المارة (ونحوها) من بنيان السبلانات والسقايات والمساجد والمكاتب (وتسوية الطرق) جمع طريق اى ازالة التلعة منهـا وتنقية الاحجـار وقلع الصخور (واماطة) اى رفع (الاذى) كالقمامات والشوك والنجاسات (عنها) اى عن الطرق بالنية الخالصة لوجه الله تعالى فى جميع ذلك والا كان معصية بالرياء والسمعة والعجب والمباهات (فهذا) النوع الثانى من العبادات المتعدية (متوسط) فى الثواب عند الله تعالى (بينهمـا) اى بين النوع الاول و بين العبادة القاصرة فيكون حينئذ (دون) النوع (الاول) الذى هو تعليم العلم النافع للغير فانه افضل من الكل (وفوق) العبادة (القاصرة) لتعدى نفعه الى الغير دون العبادة القاصرة التى هى (كالصلاة والصوم) فرضا ونفلا (والذكر والدعاء) ونحو ذلك من سائر العبادات البدنيـة (فلذا) اى لكون العبادة المتعدية افضل من القاصرة (كان الاشتغال بامر النكاح) اى الوطئ الحلال بعقد او ملك يمين لمن يقدر عـلى ذلك بلا حرج عليه او على المرأة (و) كان (الكسب للمال الحلال من الوجوه الشرعية فيمن تيقن ذلك) و يقدر عليه (لاجل التصدق) بما زاد على الكفاية (افضل من التخلى) اى الانقطاع (للعبادة) والاشتغال بها لان فى النكاح حصول الذرية الصالحة ولو بالاسلام والايمان واعفـاف نفسه وامرأته وقطع تشوقهمـا الى السوء وفى التصدق سد خلة الفقراء واغنـاء فاقتهم (فعليك) يا (ايها السالك) فى طريق الله تعالى (بالجد) اى السعى والاجتهاد (والمواظبة) من غير فتور (فى تحصيل العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص و ترك كل من يفندك عنه و يصرف همتك فى الاشتغـال بما لا يعنيك من فشارات الدنيا وضلالات الغرور واذا علمت ذلك (فلا تصغ) اى تمل وتلتـفت (الى ترهات) اى اباطيـل (جهلة) الطائفة (المتصوفة فى زماننا) هذا وهو عصر التسعمائة فان الصوفية فى كل زمان فيهم جهلة وفيهم علماء عارفون كان الفقهاء كذلك فيهم فسقة مكبون على اكل الحرام وفيهم صالحون زاهدون وكذلك المفسرون والمحدثون وسائر انواع العلمـاء حتى الجنود والعساكر والملوك والقضاة والامراء واهل الاسواق فيهم الصالحون وغيرهم فى كل زمان والنوع الفاسد منهم هو المذموم فقط دون النوع الصالح ولا يعمم فى الذم او المدح الا الجـاهل (يقولون) يعنى جملة المتصوفة (العلم حجاب) و يعنون بذلك ان اشتغالهم بالعلم يوجب تركهم الاشتغال بما هم فيه من شهود الله تعالى على زعمهم ذلك وما عرفوا ان بالعلم يزداد شهودهم وتكمل معرفتهم به سبحانه ويرسخون فى مقام اليقين ولكنهم نظروا

الى كيفية اشتغال اهل الغفلة بالعلم فانهم يشتغلون به وهم مصرون على الرياء والعجب والكبر والحقد والمنافسة بل على المعاصي والمخالفات واكل الحرام فحسبوا ان العلم اورثهم ذلك وانما العلم نور ولكن اهل الغفلة هم المتدنسون باوساخ الذنوب والقبائح ومقالة هؤلاء الجهلة من المتصوفة ليست فى زمان المصنف رحمه الله تعالى فقط بل فيما قبل ايضا كما ذكر الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي قدس الله سره فى كتابه مواقع النجوم بعد ان مدح العلم كثيرا ثم قال وانما اكثرنا هنا فى العلم لان فى زماننا قوما لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهم الاهواء حتى قالوا ان العلم حجاب ولقد صدقوا فى ذلك لو اعتقدوه اى والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل واضداده يعني اضداد العلم من الظن والشك والوهم فما اشرفها من صفة خبأنا الله تعالى بالحظ الوافر منها وكيف لا يفرح بهذه الصفة ويهجر من اجلها الكونان ولها شرفان كبيران عظيمان الشرف الواحد ان الله سبحانه وصف بها نفسه والشرف الآخر انه مدح بها اهل خاصته من انبيائه وملائكته عليهم السلام ثم من علينا سبحانه ولم يزل منانا بان جعلنا ورثة انبيائه فيها فقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء (وانه) يعني العلم (يحصل) للعبد (بالكشف وهو بلوغ ماوراء المحسوس من عوالم الغيب) وطريقه صفاء السريرة من الاشتغال بالاغيار ودوام الذكر والخشوع قال العفيف التلمساني قدس الله سره فى شرح منازل السائرين للهروى رحمه الله تعالى فى المكاشفة انها بلوغ ماوراء الحجاب من المشاهدة الالهية بخلاف المكاشفة الصورية وهي كشف الصور مثل الاخبار بوقت قدوم الغائب والاخبار بما وراء الجدار مما لم يشاهد بالحس ونحو ذلك وهي ليست فى طريق الله تعالى بل هي قاطعة عنه ولذلك لم يختص بها ملة دون اخرى انتهى والعلم الذى يحصل بالمكاشفة حيث قلنا بحصوله بها علم المعارف الالهية والحقائق الربانية لا علم كيفية الاعمال الظاهرة ومعرفة الاحكام الشرعية فان هذا العلم لا يحصل الا بالتعلم والا لاستغنت الخلق عن الانبياء والكتب بالمكاشفة وهو باطل وان كان بعض الأولياء يلهمه الله تعالى الحق والصواب بشيء منه فيوافق ما عند العلماء منه فى اقواله واعماله واحواله واعتقاداته بطريق العناية له من الله تعالى فهو نادر فلا نطعن فى احد بعينه من المتصوفة الذين تركوا التعلم واشتغلوا بالذكر فعساه يكون وافق الحق من علم العلماء فى جميع اموره هداية له من الله تعالى وان كنا نقول لابد من التعلم ولا يحصل هذا العلم الا بالتعلم فان قولنا هذا على وجه العموم من غير خصوص فى احد والكف منا عمن وجدناه ترك التعلم للاحتمال المذكور على وجه الخصوص فى شخص معين واشخاص معينين وعلى هذا يحمل كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وفى نظائره من ابحاث هذا الكتاب (فلا حاجة) فى تحصيل العلم مع نورانية الكشف (الى الكسب) اى المطالعة والقراءة على المشايخ والمذاكرة (فانه) اى هذا القول من جهلة المتصوفة فى حق علم

الشرايع والاحكام بطريق الاطراد فى كل احد الاالندرة القليلة فى بعض من يعتنى بهم الحق تعالى كماذكرنا (كذب) محض لانه لم يقع للجميع بل انما وقع لاهل التوفيق والعناية بالموافقة فى الاعمال الصالحة كما وقع لاويس القرنى رضى الله عنه مع وجوده فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع بالنبى عليه السلام استغناء بالامداد الباطنى المحمدى له عن الاخذ من حيث الظاهر ومن كان موفقا كذلك لايعرف صور المسائل ولامواضع استنباطها ولايدريها اذاسئل عنها وانما يوفق الله تعالى للعمل بها على وجه الصواب من غير شعور منه بذلك وليس هذا المقدار علما حتى يكون الكشف موصلا اليه بلا اكتساب ولاتعلم ولادراسة (و) هو (ضلال) ايضا فى حق من لم يكن على الوصف الذى ذكرناه من الموفقين فانه يكون مخذولا حينئذ لاعنده توفيق من الله تعالى والهام للحق ولاله اشتغال واكتساب للعلم النافع الذى ربما وفقه الله تعالى للعمل به على وجه الاخلاص فيجاوسعد وليس هذا الوصف مخصوصا باحد بعينه نتجسس عليه ونحتقره بسبب عدم تعلمه العلم فى الظاهر لاحتمال التوفيق فى الباطن لعين الصواب وانما هذا حكم منا ومن المصنف رحمه الله تعالى على وجه العموم ليحترز العبد من مواضع الهلكة ولانسئ الظن ايضا باحد معين كما قال تعالى * والله يعلم وانتم لاتعلمون (و) هو (اضلال) ايضا للغير ممن لم يكن على الوصف المذكور ممن يعلمه الله تعالى بلا تجسس منا ولاسوءظن باحد معين اصلا ونؤول كل خطأ وجهنا فى كل مسلم من المسلمين كما قال الامام النووى رضى الله عنه فى ادب العلم والمتعلم من مقدمة شرح المهذب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة فى كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين محملا ثم قال ولايعجز عن ذلك الا كل قليل التوفيق انتهى كلامه واذا وجدنا احدا ممن ترك العلم الظاهر من المتصوفة وغيرهم من المسلمين فلانسئاله عن شئ من احكام الله تعالى اصلا فان من اراد تخجيل غيره فى العلم فهو كافر بالله تعالى كما تقدم بيانه فاذاسئلناه فوجدناه لم يعلم ما سئلناه عنه يحتمل ان الله تعالى موفق له الى العمل بمقتضاه بلا تعلم من العلماء فان التوفيق لابد منه لمن علم ولمن لم يعلم وليس العلم بالحكم الشرعى مقتضيا للعمل به وحاملا على العمل قطعا من دون توفيق الله تعالى فكم من عالم لم يوفقه الله تعالى للعمل بما علمه فهو مخذول وكم من جاهل وفقه الله تعالى للعمل الصالح بطريق الالهام والعناية به فهو خير من ذلك العالم المخذول وان لم يكن له علم بما علمه ذلك العالم ولايعلم بتفاصيل امور الناس على ماهم عليه الا الله تعالى وانما للعلماء النصح والتحذير بلااساءة ظن ولاتجسس ولاامتحان لاحد معين اصلا وهذه احوال العلماء العاملين واما علماء القيل والقال من غير تقوى ولاخوف من الله تعالى فهم على غير ماذكرنا (فان العلم) النافع بنية العمل به مع الاخلاص فيه (فرض) على كل مكلف لتوقف صحة العمل المفروض عليه فى العادة المطردة بحسب الظاهر فلو وفق الله تعالى العبد لذلك العمل المفروض على وجه الصحة بدون العلم

لم يكن العلم فرضا عليه اذليس هو فرضا لذاته بل لغيره كالطهارة شرط لصحة الصلاة فهى فرض لغيرها لا لذاتها فلو حصلت من غير تحصيل لهـا حصل المقصود منها كمن وقع فى ماء فانه يخرج طاهرا حيث عم الماء موضع الحدث منه فتصح صلاته بتلك الطهارة وان لم تقع عبـادة مثابا عليها كما قال فقهاؤنا (وانه) اى العلم انمـا يحصل (بالتعلم) وان لم يكن مقصودا لذاته فلا يكون عالما الا اذا تعلم وقد يكون عاملا بمجرد التوفيق من غير علم فيحصل المقصود فلا يبقى العلم فرضا حينئذ كمن وقع فى ماء حيث قلنا بحصول الطهارة له فلا تبقى الطهارة عليه فرضا (لمـا قاله) النبي (عليه الصلاة والسلام) كما سبق فى الحديث انما العلم بالتعلم (وان مأخذه) اى العلم (كتاب الله) تعالى وهو القرآن العظيم (وسنة حبيبه) اى حبيب الله محمد (صلى الله عليه وسلم لما بينا) فى هذا الكتاب (سابقا) فى فصل الاعتصام بالكتاب والسنة فليس مأخذ العلم الكشف يعنى العلم المذكور على حسب ما قررناه (وان الصحابة) رضى الله عنهم (خير هذه الامة) بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله خير القرون قرنى الحديث (وافضلها) اى افضل الامة علمـا وعملا (وانهم اجتهدوا) اى بذلوا وسعهم فى استنباط الاحكام من الادلة الشرعية (واختلفوا) فيما بينهم فى جزئيات القضايا (واستدلوا بالكتاب والسنة) على ما ذهبوا اليه من المذاهب (ولم ينقل احد منهم الهم) بالبناء للمفعول اى القى (الى) من الالهام وهو الالقاء فى القلب من غير تفكر (انه) اى الفعل الفلانى ونحوه (حرام او حلال او غير ذلك) من فرض او واجب او مكروه فكيف يترك من دونهم التمسك بالكتاب والسنة والاستدلال بهما ويكتفى عن ذلك بالكشف والالهـام وان كان ذلك ممكنا باعتبار حصول التوفيق له من الله تعالى والتوفيق هو ان يخلق الله تعالى فيه القدرة على الطـاعة والكف عن المعصية من غير علم منه بذلك او مع العلم وليس من شروط التوفيق حصول العلم كما انه ليس من شروط حصول العلم التوفيق للعمل به كما قدمنـاه ولهذا قال الجنيد رضى الله عنه كما نقله عن القشيرى فى رسالته فى باب الارادة ان المريد الصادق غنى عن علم العلماء وذكر فى آخر الرسالة فى باب الوصية قال هذا احمد بن حنبل رحمه الله تعـالى كان عند الشافعى رضى الله عنه فجاء شيبان الراعى فقال احمد اريد يا اباعبدالله ان انبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلم فقال الشافعى رحمه الله تعالى لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولا يدرى اى صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال يا احمد هذا قلب غفل عن الله فالواجب ان يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعده فغشى على احمد فلما افاق قال له الشافعى الم اقل لك لا تحرك هذا وشيبان الراعى كان اميا (فان ادعوا) اى هؤلاء الجهلة المستغنون بالكشف عن تعلم الاحكام الشرعية حتى يصير وا بذلك عالمين بها على زعمهم (انهم كوشفوا) اى كاشفهم الله تعالى بذلك (ووصلوا) منه (الى ما

لم يصل اليه الصحابة) رضى الله عنهم وان امكن ذلك بان يكاشفوا بالاسرار ويصلوا
الى حقائق المعارف كما قدمناه فى ان رتبة العلم والكشف قد يكون فيها بعد الصحابة
من هو افضل من الصحابة ماعدا فضيلة الصحبة بل قد يوجد فى غير النبى من العلم
ما لا يوجد فى النبى خصوصا على القول بولاية الخضر مع انه اعلم من موسى
عليه السلام وقول الهدهد لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به مع انه طير
وسليمان نبى عليه السلام وان كانت هذه الاحاطة فى امر دنيوى لكنه علم فى الجملة
وليست النبوة هى العلم بل هى امر اختصاصى واما خصوص مسائل الحلال والحرام
على الكيفية التى يعلمها اهل الاستنباط من الفقهاء وترتيب الادلة على ذلك ومعرفة هذا
الاصطلاح المخصوص المعلوم فيما بين العلماء فلابد فيه من التعلم والاخذ عن المشايخ
(فهم مبتدعون) حيث زعموا معرفة هذا العلم على هذا الاصطلاح المخصوص
بمجرد الكشف والالهام من غير تعلم (خارجون عن مذهب اهل السنة والجماعة)
من حيث هذا الاصلاح المخصوص الذى تدونت فيه الآن مذاهب اهل اسلام
ولم يعلم على اليقين صحة مرادهم (ولو سئل احدهم عن) شئ من (الاخلاق المذمومة
مثل الرياء والكبر والحسد والحقد اوعن معرفة علاجها) اى مداواتها (اوعن
شئ من (الاخلاق الحميدة مثل النية) اى قصد الخير فى كل عمل (والتوبة والتوكل
والصبر والرضا بالقضاء والشكر او عن طريق تحصيلها اوتقوية ضعيفها بهت)
فى ذلك ولم يقدر على الجواب عنه (وخجل) منه (وخلط فى كلامه) اى جاء بالهذيان
(وتكلم بالشطح) اى بالكلام الذى فيه الغلو والخروج عن الحدود (والطامات)
اى الزخارف الباطلة ولا يستطيع ان يجيب الجواب الذى اصطلحت عليه علماء هذا
الشان من التقرير والبيان وان كان هو فى نفسه متصفا بجميع تلك الاخلاق الحسنة
متباعدا عن جميع الاخلاق المذمومة بمجرد توفيق الله تعالى * والله على كل شئ قدير *
فيكون كشيبان الراعى كما قدمنا ولعمرى هذا الاصطلاح المخصوص الآن
عند الفقهاء وغيرهم من العلماء لو سئل عنه ابو بكر الصديق رضى الله عنه لما عرفه
بخصوص هذا الاصطلاح ور بما اعياه بيان ما هو متصف به من الطاعات والاخلاق
الحسنة والتباعد عن الاخلاق المذمومة فضلا عن آحاد الامة ويا ليت شعرى من علم
ذلك كله وبيّنه وقرره ولم يكن عنده توفيق من الله تعالى للعمل بمقتضاه والتخلق به
ماذا يفيده من النتيجة غير علمنا نحن بانه عالم ذلك فالمدار على التوفيق فى كل حال
فكما ان من لم يعلم شيئا من ذلك يحتمل انه موفق للقيام به كله من حيث ما يعلم الله
تعالى منه كذلك من علم ذلك كله وبينه لنا يحتمل انه منافق فيه وانه يحفظه مجرد
كلام وهو غير عامل به ولا يجوز سوء الظن باحد معين ولا التجسس عليه ولا كشف
ستر الله عنه ولا فضيحته بل يحمل على احسن المحامل ولكن الفقهاء يحذرون الناس
على العموم وينصحونهم موعظة وتنبيها (بل لو سئل عن فرائض الصلاة والوضوء

والاستيجاء تحير واضطرب) ولم يأت بجواب اصلا (بل بعضهم) ممن لا يمكن
الاطلاع عليه بخصوصه لتأ ويلنا كل ماصدر عنه من الخطأ وجوبا علينا ذلك
كامر عن النووى رحمه الله تعالى (لم يصح اعتقاده بعد) على طريقة اهل السنة
والجماعة (و يظن من جهله) بالله (ان الله فى السماء وانه) سبحانه على صورة
مخصوصة (وبعضهم يعتقد ان الله لا يريد القبائح والمعاصى) من غير شعور منه
ان ذلك مذهب المخالفين (وبعضهم يعتقد انه موجد لفعله) كذلك من غير شعور
بالخطأ (واكثرهم يصلون بلا تعديل اركان) فتنقص صلاتهم وان لم نعلمهم باعيانهم
الا اذا توصلنا الى ذلك بالتجسس والاستكشاف عن استار الله تعالى عليهم وهو مذموم
فهم عندنا امور كلية لا نعلم جزئياتها يقينا والظن السوء مؤول فالنصح للعموم
(ولا تجويد) اى تصحيح وتحسين (قرآن) مع احتمال العجز منه عن تعلم ذلك فلا اثم
كما قال عليه السلام اذا قرأ القارى فاخطأ اولحن اوكان اعجميا كتبه الملك كما انزل اخرجه
الاسيوطى فى الجامع الصغير (ومع) وجود (هذه الفضائح) فيهم عند من يعلمها
(يدعون انهم واصلون) بما هم به جاهلون (مكاشفون) بذلك (فهيهات هيهات)
ان يصلوا الى معرفة جميع ذلك الا بالتعلم من المشايخ (نعم انهم واصلون الى الشيطان)
الذى غرهم فادعوا ماليس عندهم (مغرورون باْمانيه) اى بما يلقى اليهم من تمنى
ما لا يحصل لهم الا بالتعلم (عاملون بوساوسه) التى يلقيها فى صدورهم (ولا يبعد ان يقع
لبعضهم كشف حسى لبعض الاشياء) عن امور محسوسة تتعلق بالاكوان من الاخبار
عن شئ فيكون كذلك وهو الكشف الصورى كامر (اونحوه) اى نحو الكشف
الحسى من بعض المنامات والتخيلات والواردات الغيبية والهواتف (من خوارق
العادات بمقتضى الرياضات) التى يعملونها من تصفية الباطن والتجرد عن العلاقة
البشرية (اواراءة الشيطان) لهم طيرانا فى الهواء برفع بعضهم اونقله من مكان
الى مكان باسرع زمان والاتيان بما يريدونه (مكرا) بهم (واستدراجا من الله) تعالى
ليزدادوا اثما (كما نقل) نظير ذلك (عن بعض الكفرة المرتاضين) اى المتخذين
الرياضة كما قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى كتابه شجون المشجون عالم الصفاء
حجاب لانه يكون به الكشف وهذا يشاركنا فيه الرهبان وانما نفضل عليهم بعالم
الترقية (فيظنون انه) اى ما يقع لهم من ذلك (كرامة) من الله تعالى (وولاية)
لهم منه تعالى كما يقع للاولياء المقربين (فيغترون به) فيهلكون ولا يشعرون وكل هذا
محتمل فى امورهم التى تظهر لهم ويحتمل ايضا انها امور صحيحة صادرة بمحض
تكريم الله تعالى لهم وليس للشيطان سبيل عليهم حيث كانوا مستقيمين فى باطن
الامر مما خفى على غيرهم والتوفيق محيط بهم وعناية الله تعالى تحفظهم والله سا ترهم
فى كل حال فلا قطع بالسوء فى احد منهم على التعيين كما قدمناه (وقد سمعت) يا ايها

السالك (سابقا) فى آخر فصل البدع (قول سلطان العارفين) بالله تعالى (ابى يزيد) طيفور (البسامى) رضى الله عنه (او نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات) يعنى خوارق العادات (حتى تربع فى الهواء) بين السماء والارض (فلا تغتروا به) وتنسبوا اليه الولاية (حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى) الوارد ذلك عليه من الله تعالى تكليفا له (وحفظ الحدود) التى حدها الله تعالى له (واداء) احكام (الشريعة) انتهى قول ابى يزيد رضى الله عنه والمراد نظر ذلك منه بلا تجسس عليه ولا ظن فيه بل على وجه التحقيق بالثبوت الشرعى كالشاهد فى الزنا بحيث يرى ذلك مثل الميل فى المكحلة وستر ذلك عليه لان ستر الشهادة فى الحدود افضل كما قاله الفقهاء مع تحقق الاجنبية فى المزنى بها ومتى احتمل الامر الخير وجب الحمل عليه فلم يكن الرائى رأى ما يخالف الشريعة قال الشيخ الاكبر رضى الله عنه فى شرح الوصية اليوسفية ونا استتر الولى بامر فى الظاهر عند العامة انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى نفس الامر وبعيد ان يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ولا من صاحب حال اشغله فان صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له حال فى الستر ولا فى الظهور فيتخيل الاجنبى ان ذلك الولى قصد الستر بما ظهر منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فما اتى هذا الولى الا امر صحيح محمود فى الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كأس خمر فى ناظر عين الحاضر لعلمه بخمرية ذلك الكأس وهو يشرب ما يجوز له شربه ولا يعلم ذلك الحاضر حتى يناوله اياه منه ان اعتنى به اذا لم يخطر له ستر حاله فيشربه الاجنبى شرابا حلالا فالاجنبى الذى لا يعلم ذلك محمود عنده اى عند نفسه فى انكاره موف لمقامه والولى محمود فى فعله اذا لم يقصد الستر فان قصد الستر بمثل هذا فهو مذموم فى الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولى فى العموم وقد يقع من ولى فى الخصوص من اصحابه اختبارا منهم لصدق دعواهم فى التسليم له (فنعوذ بالله) تعالى (من شرورهم) اى شرور هؤلاء الجاهلين بالعلم الظاهر المحتمل ان يكونوا كما وصفهم وان يكونوا موفقين للهدى والرشاد مما لا يعلمه منهم الا الله تعالى (و) شرور (اقوالهم وافعالهم) التى لا تدخل فى الموازين الشرعية التى تعلمها العامة من علماء الرسوم وغيرهم فقد يقعون فى ذمهم وهم على حالة مرضية فيعادون احباب الله تعالى وهم لا يشعرون ولا عذر بالجهل فى الشريعة وقد يقعون فى مدحهم وهم على حالة غير مرضية فيحبون اعداء الله تعالى ويوالونهم فلا يوافقون الامر على ما هو عليه وان ذلك غير موجب للاثم بخلاف الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوالى المنافقين الذين اسلموا بظواهرهم وكفروا ببواطنهم ويقسم لهم فى الغنائم ويعاملهم معاملة المسلمين فلو كان فى ذلك اثم ما فعله عليه السلام ولا جاءت به الشريعة واما نسبة الشر والسوء الى البرئ من ذلك بمجرد احتمال صدور ذلك منه بعلامة ونحوها فلم يقع منه عليه السلام ولا من اصحابه بعده ولا اذن به لاحد كيف وقد قال عليه السلام

ادرؤا الحدود بالشبهات وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وغير ذلك من الاحاديث فالمؤمن يسع ما وسعه النبى صلى الله عليه وسلم (فانهم) على حسب الاحتمال المذكور (شياطين الانس) لظهورهم بالوسوسة فى صدور الناس (وقطاع طريق الله) تعالى لالتباس الطريق بسبب ذلك على ضعفة السالكين (وخصماء حبيبه) محمد (صلى الله عليه وسلم) لمخالفتهم لشريعته مع زعمهم موافقتها وهذا كلام الفقيه الخائف على الامة ان تضل باحتمال الخطاء فيمن يحتمل ذلك فيهم وان كان الله تعالى * يضل من يشاء ويهدى من يشاء * والتسليم اسلم والله سبحانه اعلم (الفصل الثالث) تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الثانى من ابواب الكتاب الثلاثة وهو اطول الفصول لانه المقصود بالتصنيف (فى) بيان (التقوى) اى الاحتراز بحسب الطاقة البشرية من غضب الله تعالى بعونة الله تعالى لا بالنفس والا كانت شركا خفيا (وهو ثلاثة انواع النوع الاول) من ذلك (فى فضيلتها) اى التقوى (اعلم) يا ايها السالك فى طريق الله تعالى بالعلم والعمل مع الاخلاص (اولا) اى قبل الشروع فى المقصود (انى اردت ان اورد) فى هذا الفصل (جميع الآيات) القرآنية (الدالة على فضيلة التقوى فوجدتها) اى الآيات (تجاوزت) اى فاتت فى الكثرة (مائة وخمسين) آية (ووجدت صريح الامر) من الله تعالى للعباد (فيها اكثر من اربعين) آية (فاقتصرت من)الآيات (المكررات على) آية (واحدة ولم اراع ترتيب المصحف) فى تقديم الآيات المتقدمات وتأخير المتأخرات (كما راعيت) ذلك (فيما سبق) فى فصل الاعتصام وفصل الاقتصاد وفصل العلوم (تقديما للمناسبة المعنوية) اى من حيث المعنى بين الآيات فانه الاولى بالاعتبار فى التصانيف (الآيات) اى هذا بيان الآيات الواردة فى فضيلة التقوى الآية الاولى من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (انّ اكرمكم عند الله اتقاكم) فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى مهين على الله قاله البيضاوى وقال الشيخ عز الدين اتقاكم اخوفكم له واعملكم بطاعته روى انه لما كان يوم الفتح امر عليه الصلاة والسلام بلالا ان يؤذن على ظهر الكعبة فقال غياث بن اسيد الحمد لله الذى اكرم اسيدا حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحارث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود وقال سهل بن عمرو ان يكره الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان لو قلت شيئا لاخبره به رب السماء فنزلت هذه الآية وقال الواحدى اخبرنا عبد الرحمن ابن عبدان وذكر اسناده عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول يوم القيامة امرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبى

* لاضع *

واضع انسابكم اين المتقون ان اكرمكم عندالله اتقاكم وروى باسناده عن سعيد المقبرى قال سأل رجل عيسى ابن مريم اى الناس افضل فأخذ قبضتين من تراب فقال اى هاتين افضل الناس خلقوا من تراب فاكرمهم اتقاهم وقال قتادة اكرم الكرم التقوى والأم اللؤم الفجور * الآية الثانية من سورة المائدة وهى قوله تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) للمعاصي والمخالفات فان الطاعه لاتقبل الامن مؤمن تقى قال الخازن يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين مقبولا فى قصة قابيل وهابيل دون الآخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر قابيل فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يقبل قربان قابيل لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين وقال الواحدى قال ابن عباس قال له هابيل انما يتقبل الله ممن كان زاكى القلب والمعنى من المتقى للمعاصي وقال البيضاوى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى له ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل مابه صار المحسود محفوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وقال ابن جميل فى التنوير مختصر التفسير الكبير للرازى وانما تقبل قربان هابيل لتقواه قال تعالى * ولكن يناله التقوى منكم * والتقوى فى القلب ولها صفات منها ان يكون على خوف من تقصيره فى تلك الطاعة فيجتهد فى تخليصها منه وان يجتهد فى اخلاص النية وان لا يكون لغير الله فيه شركة وما اصعب مراعاة هذه الشرائط * الآية الثالثة من سورة الانفال وهى قوله تعالى (ان اولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون غيره قاله البيضاوى وقال الواحدى المتقون الكفر والشرك والفواحش انتهى وفى مرجع هذا الضمير قولان احدهما انه راجع الى المسجد الحرام قال الخازن قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء المسجد الحرام فرد الله تعالى عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعنى ليسوا اولياء المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعنى ولكن اكثر المشركين لا يعلمون ذلك وقال البيضاوى وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ولكن اكثرهم لا يعلمون اذ لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند اوارادبه الكل كما يراد بالقلة العدم والثانى انه راجع الى الله حيث ذكر فى الآية قبله وقد اشار اليه البيضاوى بقوله وقيل الضميران لله يعنى ضمير وما كانوا اولياءه وضمير ان اولياؤه * الآية الرابعة من سورة الجاثية وهى قوله تعالى (والله ولى) اى متولى جميع امور (المتقين) يعنى المؤمنين الذين اتقوا الشرك قاله الواحدى وقال البيضاوى وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة * الآية الخامسة من سورة براءة

وهى قوله تعالى (ان الله يحب المتقين) من اتقى الله فى اداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده قاله الواحدى وقال الخازن يعنى انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه * الآية السادسة من سورة النجم وهى قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم) فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصى والرذائل قاله البيضاوى وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا تمدحوها بالطهارة او لا تدعوا طاعة بلا عمل وقيل لا تخبروا بخير عملتموه وقال الواحدى قال الحسن علم الله من كل نفس ما هى صانعة والى ما هى صائرة فقال فلا تزكوا انفسكم لا تبرؤها عن الآثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها يدل على هذا ما روى ان زينب بنت ابى سلمة قالت سميت برة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم بالبر منكم وقال الخازن وقيل فى معنى الآية هو اعلم بكم ايها المؤمنون علم حالكم من اول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا انفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك او انا ازكى منك او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله تعالى يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى (هو اعلم بمن اتقى) اى بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا انفسكم اى لا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى اولا وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية وقال ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن قال ابو عثمان من علم من اين هو والى اين هو وما هو فى الوقت علم انه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله تعالى * فلا تزكوا انفسكم * بماذا يزكى نفسه باخلاقه ام بافعاله ام باقواله ام باحواله كلا لكن نفسه هى الامارة بالسوء الى اى جانب ابصر رأى نقص الرق وذل العبودية * الآية السابعة من سورة البقرة وهى قوله تعالى (واعلموا ان الله مع المتقين) بالعون والنصرة كما ذكره الواحدى وقال البيضاوى فيحرسهم ويصلح شأنهم * الآية الثامنة من سورة طه وهى قوله تعالى (والعاقبة للتقوى) اى العاقبة المحمودة لذوى التقوى قاله البيضاوى وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام اى وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين وقال الخازن والعاقبة الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس للذين صدقوك واتبعوك واتقونى * الآية التاسعة من سورة القصص وهى قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) اى العاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله وقال الشيخ عز الدين اى حسن العاقبة وقيل الثواب وقيل الجنة وقال الخازن اى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقال الواحدى قال الكلبى وهم الذين اتقوا الكبائر والفواحش وقال قتادة اى الجنة للمتقين وهم الذين اتقوا عقاب الله باداء

فرائضه واجتناب معاصيه * الآية العاشرة من سورة الزخرف وهى قوله تعالى (والآخرة عند ربك للمتقين) عن الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى مالهم فى الآخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من آفات قل من يتخلص عنها قاله البيضاوى وقال الواحدى والآخرة يعنى الجنة عند ربك للمتقين خاصة لهم وقال الخازن والآخرة يعنى الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * الآية الحادية عشر من سورة ص وهى قوله تعالى (وان للمتقين لحسن مآب) مرجع كما قال البيضاوى وقال الشيخ عز الدين منقلب وقال الخازن اى احسن مرجع ومنقلب يرجعون و ينقلبون اليه فى الآخرة * الآية الثانية عشر من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) قال ابن عباس لا تصروا على الذنب اذا اذنب احد فليسرع الرجوع ليغفر الله له وقيل الى التوبة من الزنا وشرب الخمر وفى الكلام محذوف على تقدير وسارعوا الى موجب مغفرة من ربكم قاله الواحدى وقال البغوى اى بادروا وسابقوا الى الاعمال التى توجب المغفرة وقال ابن عباس الى الاسلام وروى عنه الى التوبة قاله عكرمة وقال على بن ابى طالب الى اداء الفرائض وقال ابو العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروى عن انس بن مالك انها التكبيرة الاولى وقال ابن جبل فى التنوير مختصر التفسير الكبير للرازى والمعنى سارعوا الى ما يوجب المغفرة وتمسك بها من قال ان الامر للفور قال ابن عباس هو الاسلام ووجهه ان التنكير فى مغفرة للتعظيم فيكون موجبها عظيما وهو الاسلام وعن عثمان رضى الله عنه هو الاخلاص لانه المقصود من العبادات وقيل الصلوات الخمس وقيل جميع الطاعات وقال البيضاوى وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو (وجنة) اى وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هى ازالة العقاب والجنة هى حصول الثواب وفيه اشعار بانه لابد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية الى الجنة قاله الخازن (عرضها السموات والارض) اى عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة فى وصفها بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس يريد لرجل واحد من اوليائه وقال كريب ارسلنى ابن عباس الى رجل من اهل الكتاب اساله عن هذه الآية فاخرج اسفار موسى فنظر فقال تلفق كما يلفق الثوب فاما طولها فلا يقدر احد قدره وقال الجنان اربع

جنة عدن وهى الدرجة العليا وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى كل جنة منها
كعرض السموات والارض لووصل بعضها الى بعض وقال ابن جميل فى التنوير والمعنى
كعرض السموات لان عرض السموات لايكون عرض الجنة اى لو جعلت السموات
والارض طبقا طبقا بحيث يكون كل واحدة سطحا ووصل البعض بالبعض كان ذلك
مثل عرض الجنة وقيل المراد المبالغة فى وصف سعة الجنة كقوله تعالى *خالدين فيها
مادامت السموات *وانما خص العرض بالذكر لان الظاهر ان الطول اعظم كقوله تعالى
بطائنها من استبرق *تنبيها بها على الظاهر التى هى اعلى وقال البغوى اى عرضها
كعرض السموات والارض كما قال فى سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السماء والارض
اى سعتها وانما ذكر العرض على المبالغة لان طول كل شئ فى الاغلب اكثر من عرضه يقول
هذه صفة عرضها فكيف طولها قال الزهرى انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه
الا الله تعالى وهذا على التمثيل لانها كالسموات والارض لا غير معناه كعرض السموات
السبع والارضين السبع عند ظنكم كقوله تعالى* خالدين فيها مادامت السموات والارض
يعنى عند ظنكم والا فهما زائلتان وروى عن طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا
عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعنده اصحابه وقالوا ارأيتم قولكم وجنة عرضها السموات
والارض فاين النار فقال عمر اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون
الليل فقالوا انه لمثله فى التوراة ومعناه انه حيث يشاء الله فان قيل قد قال الله تعالى وفى السماء
رزقكم وما توعدون * واراد بالذى وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة فى السماء فكيف
يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة فى السماء وعرضها السموات والارض
كما اخبر تعالى وسئل انس بن مالك عن الجنة افى السماء ام فى الارض قال واى ارض
وسماء تسع الجنة قيل فاين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال قتادة كانوا
يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقال ابن جميل
فى التنوير فان قيل انتم تقولون ان الجنة فى السماء فكيف تكون كعرض السماء فالجواب
المراد انها فوق السماء وتحت العرش ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاين النار
فقال سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمراد والله اعلم ان الفلك اذا دار حصل النهار
فى جانب من العالم والليل فى جانب ضده فكذلك الجنة فى العلو والنار فى السفل واما
على قول من يقول ان الله تعالى يخلقها يوم القيامة فلا يبعد ان يخلق الجنة فى مكان
السموات والنار فى مكان الارض وقال الخازن روى ان هرقل ارسل الى النبى صلى الله
عليه وسلم انك كتبت تدعونى الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار (اعدت) اى هيئت
(للمتقين) الشرك والفواحش وقال الخازن فيه دليل على الجنة والنار مخلوقتان الآن
وقال البيضاوى وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم* الآية

الثالثه

الثالثة عشر من سورة مريم وهي قوله تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) اى نجعلها ثواب اعمالهم اى جزاءهـا وعاقبتها لانه باق بعد فان ولان الارث اطيب مال واهنـاه وقيل يرثون ما اعد للكفار ان لو آمنوا لان الكفر موت وقوله تقيـا اى موحدا اومن الشرك والكبائر قاله الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقال ابن جميل في التنوير واشير بتلك الى الجنة لانها غائبة واستعير الميراث لاهلها الانها باقية لهم كما يبقى على الوارث مال الموروث اوهي ارث عن الكفار لانهم لو آمنوا الاستحقوها ولان تقواهم اورثهم اياها قال القاضي المرتكب للكبائر الفـاسق ليس بتقي فلا يدخل الجنة بالآية والجواب انها تدل على ان المتقي يدخلها اما ان غير المتقي لا يدخلها فلا تدل عليه اومن تقى الكفر يصدق عليه انه متق فتتناوله الآية فينعكس الدليل عليهم *الآية الرابعة عشر من سورة الزمر وهي قوله تعـالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذلا يذهب بهم الا راكبين قاله البيضاوى (زمرا) جماعات في تفرقة ذكره الشيخ عز الدين وقال البيضاوى افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض على تفـاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة وهي الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه اومن قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة (حتى اذا جاؤهـا وفتحت ابوابها) جواب اذا والواو مقحمة وقيل للحال اى جاؤها مفتحة لا يوقفون وقيل واو الثمانية والجواب محذوف اى فازوا ونالوا المناء وفائدة الحذف تعظيم الامر وقيل الجواب وقال لهم باقحام الواو ذكره الشيخ عز الدين وقال البيضاوى حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها غير منتظرين (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) آمنة من الله لكم ان بنا لكم بعدها مكروه اواذى قاله العز بن عبد السلام (طبتم) طهرتم من دنس المعاصي ذكره البيضاوى وقال الخازن اى ابشروا بالسلامة من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم وقال الشيخ عز الدين طبتم بطاعة الله اوعن الخبائث اوللجنة او طابت اعمالكم فطاب مثواكم (فادخلوها خالدين) مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصي بعفو الله تعالى لانه يطهره قاله البيضاوى وقال الخازن وقال علي رضي الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احد اهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقـاهم الملائكة على ابواب الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوهـا خالدين (الآيتين) اى اقرا الآيتين بعد هذا الى آخر السورة وذلك

قوله تعالى * وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين * الآية الخامسة عشر من سورة يوسف عليه السلام وهى قوله تعالى (ولدار الآخرة) يعنى الجنة وانما اضاف الدار الى الآخرة وان كانت هى هى لان العرب تضيف الشئ الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه قاله الخازن وقال البيضاوى ولدار الحالة او الساعة او الحياة الآخرة (خير) من الدنيا (للذين اتقوا) الشرك والمعاصى (افلا يعقلون) هذا فيؤمنوا ويتقوا الشرك عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبر من الجنة خير من الارض وما فيها ذكره الواحدى وقال البيضاوى افلا يعقلون فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى يعنى قل لهم افلا تعقلون * الآية السادسة عشر من سورة يوسف عليه السلام ايضا وهى قوله تعالى (ولأجر الآخرة) يعنى لثواب الآخرة (خير) اى افضل من اجر الدنيا قاله الخازن وقال الواحدى اى ما يعطى الله تعالى من ثواب الآخرة خير مما يعطى المؤمنين فى الدنيا والمعنى ان ما يعطى الله تعالى يوسف عليه السلام فى الآخرة خير مما اعطاه فى الدنيا وكذلك غيره ممن يسلك طريقه فى الصبر على المكاره (للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه قاله البيضاوى اى لعظم اجر الآخرة ودوامه كان خيرا وقال الخازن يعنى يتقون ما نهى الله عنه * الآية السابعة عشر من سورة الشعراء وهى قوله تعالى (وازلفت الجنة للمتقين) قال ابن عباس قربت الجنة لأوليائى قال ابو اسحق تأويله انه قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها ذكره الواحدى وقال الشيخ عز الدين وازلفت اى تزلف يومئذ حتى يشموا من المحشر ريحها وقال ابن جبل فى التنوير معنى ازلفت قربت وذلك زيادة لنعيم هؤلاء وقال البيضاوى فى ازلفت بحيث يرونها من الموقف فيبتهجون بانهم المحشورون اليها * الآية الثامنة عشر من سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهى قوله تعالى (مثل الجنة) أى صفتها قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة مثل عجيب وشئ عظيم قاله الخازن (التى وعد المتقون) قال الكلبى ومقاتل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم يتقون الشرك ذكره الواحدى * الآية التاسعة عشر من سورة النحل وهى قوله تعالى (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح قاله البيضاوى وقال الواحدى هذا كما تقول نعم الدار دار تنزلها وقال ابن جبل فى التنوير والمخصوص بالمدح محذوف اى ولنعم دار المتقين دار الآخرة

ثم ابتدأ جنات عدن اى هى جنات عدن او جنات هو المخصوص بالمدح ومعنى عدن الاقامة وقال الخازن دار المتقين الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين لان الله تعالى فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اى اقام به (يدخلونها) يعنى تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الانهار) يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنان تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم وقال ابن جيل فى التنوير والمعنى ان لهم ابنية وان الانهار تجرى من تحتها (لهم فيها) اى فى تلك الجنات (ما يشاؤن) يعنى مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا فى الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤن يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد فى الدنيا قاله الخازن وقال البيضاوى وفى تقديم الظرف يعنى الجار والمجرور تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) اى هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) يعنى مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة عن الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه ان وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة قاله الخازن وقال ابن جميل فى التنوير وقوله طيبين يفيد معانى كثيرة فيندرج فيها اتيانهم بالمأمورات واجتنابهم المنهيات وانهم طاهرون من المعصية طيبة نفوسهم بالموت قيل المراد وفات الموت وقيل وفات الحشر لقوله ادخلوا الجنة والاكثر على الاول وانه لما بشروا بالجنة صاروا كانهم دخلوها وقال البيضاوى طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لا يحيقكم بعد مكروه وقال الخازن تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعنى فى الدنيا من الاعمال الصالحة وقال البيضاوى ادخلوا الجنة حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ وقال الخازن فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى * ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون * وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله منه بفضل

ورحمة اخرجه فى الصحيحين من حديث ابى هريرة قلت قال الشيخ محيى الدين النووى
فى شرح مسلم رحمه الله اعلم ان مذهب اهل السنة انه لايثبت بالعقل ثواب ولاعقاب
ولاايجاب ولاتحريم ولاغيرذلك من انواع التكليف ولاتثبت هذه الاشياء كلها ولاغيرها
الابالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لايجب عليه شئ بل العالم ملكه
والدنيا والاخرة فى سلطانه يفعل مايشاء فلوعذب المطيعين والصالحين وادخلهم
النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه
ولونعم الكافرين وادخلهم الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لايفعل
هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه
واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح
فى خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع
وفى ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لايستحق احد الثواب والجنة بطاعة واما
قوله تعالى *ادخلوا الجنة بماكنتم تعملون وتلك الجنة التى اورثتموها بماكنتم تعملون*
ونحوها من الآيات التى تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلاتعارض بينها
وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال
والهداية للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل
بمجرد العمل وهو مراد من الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اى بسببها وهى من الرحمة
والله سبحانه وتعالى اعلم * الآية العشرون من سورة الدخان وهى قوله تعالى
(ان المتقين فى مقام) اى موضع اقامة وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم (امين) يأمن
صاحبه عن الآفة والانتقال قاله البيضاوى وقال الواحدى امنوا فيه الغير
من الموت والحوادث والمقام المجلس كقوله ومقام كريم وقال الشيخ عزالدين مقام
امين مكان مأمون من الموت اومن الشيطان والاحزاب اومن الغير والمحن والعذاب
(فى جنات وعيون) بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به
من المآكل والمشارب قاله البيضاوى (يلبسون من سندس واستبرق) السندس
مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب اومشتق من البراقة ذكره البيضاوى
وقال الشيخ عزالدين السندس مارق من الديباج ممايلبس والاستبرق ماغلظ منه
ممايفترش وقال الخازن فان قلت كيف ساغ ان يقع فى القرآن العربى المبين لفظ اعجمى
قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا
بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب (متقابلين)
اى يقابل بعضهم بعضا وقال الشيخ عزالدين متقابلين بالمحبة غير متدابرين
بالبغض والحسد اوفى المجالس وقال البيضاوى متقابلين فى مجالسهم يستأنس بعضهم
ببعض (كذلك) اى الامر كذلك اوآتيناهم مثل ذلك وقال الخازن اى كما

اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك اكرمناهم (وزوجناهم بحور عين) اى قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اى جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البياض وقيل اللاتى يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين وقال الشيخ عزالدين العين جمع عيناء وهى العظيمة العينين من النساء (يدعون فيها بكل فاكهة) يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لايتخصص شئ منها بمكان ولا زمان وقال الشيخ عزالدين بكل فاكهة نوع مما اشتهوه منها (آمنين) من الضرر قاله البيضاوى وقال الخازن اى من نفادها ومن مضرتها وقيل آمنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان وقال الشيخ عزالدين آمنين من غائلتها وغب اذاها ونفادها (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) اى لايذوقون فى الجنة الموت البتة سوى الموتة التى ذاقوها فيها وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لايذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى الموتة من موت فى الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم فى الجنة فكأن موتهم فى الدنيا انهم فى الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم اياها قاله الخازن وقال الشيخ عزالدين الا الموتة الاولى اى سوى ماذاقوه كقوله الا ما قد سلف وقيل بعدها والعرب تضع الكلمة مكان غيرها اذا تقارب معناهما وقيل بمعنى لكن الموتة الاولى فقد ذاقوها (ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك) اى اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى كل ما وصل اليه المتقون من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك بهم تفضلا منه (ذلك هو الفوز العظيم) لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب قاله البيضاوى * الآية الحادية والعشرون من سورة الطور وهى قوله تعالى (ان المتقين فى جنات ونعيم) فى اية جنات واى نعيم اوفى جنات ونعيم مخصوصة بهم (فاكهين) ناعمين متلذذين قاله البيضاوى وقال الخازن اى معجبين بذلك ناعمين (بما آتيهم ربهم) اى من الخير والكرامة (ووقاهم ربهم) وصرف عنهم (عذاب الجحيم كلوا واشربوا) اى يقال لهم ذلك (هنيئا) اى مأمون العاقبة من التخمة والسقم قاله الخازن وقال البيضاوى اى اكلا وشربا هنيئا اوطعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه اوبدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هنا لكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه وقال الخازن بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من الايمان والطاعة (متكئين على سرر مصفوفة) اى موضوعة بعضها الى بعض (وزوجناهم بحور عين) اى صيرناهم ازواجا بسببهن * الآية الثانية والعشرون من سورة المرسلات وهى قوله تعالى (ان المتقين) اى الذين اتقوا الشرك (فى ظلال) جمع ظل وهو ظل

الاشجار (وعيون) اى فى ظلها عيون ماء قاله الخازن (وفواكه مما يشتهون) مستقرون فى انواع الترفه قاله البيضاوى (كلوا واشربوا) اى ويقال لهم ذلك وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى لابواسطة وما اعظمها من نعمة وان يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام (هنيئا) اى خالص للذة لايشوبه تنغيص (بما كنتم تعملون) اى فى الدنيا من الطاعات قاله الخازن (انا كذلك نجزى المحسنين) فى العقيدة ذكره البيضاوى وقال الخازن قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم او كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم *الآية الثالثة والعشرون من سورة النبأ وهى قوله تعالى (ان للمتقين) الذين لم يجعلوا لله شريكا (مفازا) فوزا بالجنة ونجاة من النار ثم فسر ذلك الفوز فقال (حدائق واعنابا) يعنى اشجار الجنة وثمارها قاله الواحدى وقال البيضاوى مفازا فوزا اوموضع فوز والحدائق والاعناب بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال اوالبعض وقال الخازن الحدائق جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه نخل (وكواعب) جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن (اترابا) اى مستويات فى السن وقال الشيخ عز الدين كواعب نواهد اوعذارى اترابا اقرانا مستويات على سن واحد متصافيات متواخيات وقيل لذيذات على سن ثمانى عشرة سنة (وكأسا دهاقا) ملأى متتابعة صافية وقال الخازن قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية وقال الواحدى عن مسلم بن قسطاس قال دعا ابن عباس غلاما فقال اسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال ابن عباس هذا الدهاق وقال سعيد ابن جبير ومجاهد هى المتتابعة (لايسمعون فيها) اى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم (لغوا) اى باطلا من الكلام (ولا كذابا) اى تكذيبا والمعنى انه لايكذب بعضهم بعضا ولاينطقون به قاله الخازن وقال الواحدى قال ابن عباس وذلك ان اهل الدنيا اذا شربوا الخمر تكلموا بالباطل واهل الجنة اذا شربوا لم يتكلموا عليها بشئ يكرهه الله تعالى (جزاء من ربك) قال الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك (عطاء) اى واعطاهم عطاء (حسابا) قال ابو عبيدة كافيا وقال ابن قتيبة كثيرا يقال احسبت فلانا اى اكثرت له واعطيته مايكفيه قال الزجاج اى فى ذلك الجزاء كل مايشتهون *الآية الرابعة والعشرون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولايتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس قاله البيضاوى وقال البغوى نزلت فى ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون نحن نحج

بيت الله افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما يفضى بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا اى ماتبلغون به وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الزاد الكعك والزيت والسويق والتمر ونحوها فان خير الزاد التقوى من السؤال والنهب وقال الواحدى فان خير الزاد التقوى يعنى ماتكفون به وجوهكم عن السؤال وانفسكم عن الظلم فهذا نوع تقوى وقال الخازن وقيل فى معنى الآية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر فى الدنيا ولابد فيه من زاد فيحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الآخرة ولابد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها وزاد الآخرة يوصل الى النعيم المقيم فى الآخرة (واتقون) اى وخافوا عقابى وقيل معناه واشتغلوا بتقواى وفيه تنبيه على كمال عظمة الله عزوجل (ياأولى الالباب) اى ياذوى العقول الذين يعلمون حقائق الامور وقال البيضاوى فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤ من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولى الالباب بهذا الخطاب * الآية الخامسة والعشرون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب قاله البيضاوى وقال ابن جميل فى التنوير وفى اللباس قولان احدهما انه الملبوس لانه الحقيقة وفيه وجوه احدها ان المراد اللباس المتقدم يعنى فى الآية قبله يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا واعيد ذكره لاضافته الى التقوى وللاخبار عنه بانه خير ردا لما كانوا يعتقدون فى الطواف عراة الثانى المراد مايلبس فى الحروب للوقاية الثالث المراد مايعد من اللباس للصلاة * القول الثانى انه مجاز قيل هو الايمان وقيل العمل الصالح وقيل العفاف والتوحيد لان المؤمن مستور وان عرى عن الثياب والفاجر مكشوف العورة وان كان كاسيا وقيل هو الحياء وقيل مايظهر على الانسان من السكينة والعمل الصالح وقال الخازن اختلف العلماء فى معناه فنهم من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا فى معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول يعنى المذكور فى الآية قبله وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده ليخبر عنه بانه خير لان العرب فى الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب فى الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة فى الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن على لباس التقوى آلات الحرب التى يتقى بها فى الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التى يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة فى الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا فى معناه فقال قتادة والسدى لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقى به

من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعنى ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وقال الواحدى والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله مما خلق له من اللباس والرياش للتجمل * الآية السادسة والعشرون من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل اوجرب قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه قاله البيضاوى وقال الواحدى قال الفراء اخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمحن الذهب بالنار فيخرج جيده من رديه ويسقط خبثه وعلى هذا تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فاخلصها للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه ولهذا قال مقاتل ومجاهد وقتادة اخلص الله قلوبهم * الآية السابعة والعشرون من سورة الحج وهى قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) شعائر الله المعالم التى ندب الله تعالى اليها وامر بالقيام بها واحدتها شعيرة فالصفا والمروة من شعائر الله والذى يعنى به ههنا البدن قاله الزجاج وقال البيضاوى شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه السلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما وقال الواحدى يعنى بتعظيم شعائر الله استعظام الهدايا والضحايا والشعائر جمع شعيرة وهى البدن يقال اشعر الرجل بدنته اذا جعل عليها علامة ليعلم انه اوجبها بدنة وهو مذهب الشافعى رضى الله عنه فى الابل والبقر بجرح سنامها من الجانب الايمن وهى مستقبلة القبلة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الغنم فانها ضعيفة لا تحتمل الاشعار والشعيرة بمعنى المشعرة فانها قال الفراء اريد فان الفعلة كما قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم قال ابن عباس يريد من التقوى الذى اتقاه المتقون واضاف التقوى الى القلوب لان حقيقة التقوى تقوى القلوب كما روى فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال التقوى ههنا واشار الى صدره وقال ابن جميل فى التنوير والشعائر ما ينصب اعلاما لشئ قيل هو عام

وقيل هوافعال الحج وقيل الهدايا وتعظيمها بان يعتقد الطاعة فى التقرب بها و بان يختارها عظيمة سمينة ولا يما كس فى ثمنها وكذلك الاضحية والرقبة ومعنى فانها من تقوى القلوب اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات لان المعنى يدل عليها واضيفت الى القلوب لانها محل الاخلاص وبالغ سبحانه فى تعظيم الهدايا ابعادا عن عادات الجاهلية وقال الشيخ عزالدين تقوى القلوب اخلاصها وقيل قصد الثواب *الآية الثامنة والعشرون من سورة براءة وهى قوله تعالى (افمن اسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة قاله البيضاوى وقال الواحدى البنيان مصدر يراد به المبنى ههنا والتأسيس احكام اساس البناء وهواصله وقرأ نافع اسس بضم الالف بنيانه رفعا هذا فى المعنى كالاول لانه اذا اسس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كبنيانه والمعنى المؤسس بنيانه متقيا يخاف الله ويرجو ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غيرمتق وهوقوله ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الآية وقال الخازن افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هوتقوى الله تعالى ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهوالباطل والنفاق الذى مثله مثل بناء على غير اساس ثابت *الآية التاسعة والعشرون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر المكلف وغيره (فسا كتبها) فسأثبتها فى الآخرة (للذين يتقون) الكفر والمعاصى قاله البيضاوى وقال الواحدى قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت فى الدنيا البر والفاجر وهى يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفى ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة وقمنا معه فقال اعرابى وهو فى الصلاة اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاعرابى لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عزوجل رواه البخارى وقال قتادة وابن عيينة فى قوله ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فسا كتبها للذين يتقون الى آخر الآية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتورية والانجيل ونؤتى الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى *وهو نبيكم كان اميا لا يكتب وقال الخازن فرحمة الله تعالى عمت البر والفاجر فى الدنيا وهى للمؤمنين خاصة فى الآخرة وقيل للمؤمنين خاصة فى الدنيا والآخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة وتقدم هذا فى الاعتصام بالسنة *الآية الثلاثون من سورة البقرة وهى قوله تعالى

(هدى للمتقين) اى هوهدى يعنى القرآن اى رشد و بيان لاهل التقوى والهدى مايهتدى به الانسان قاله البغوى وقال البيضاوى بهديهم الى الحق والهدى فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى *لعلى هدى او فى ضلال مبين* ولانه لايقال مهدى الالمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم اوكافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس اولانه لاينتفع بالتأمل فيه الامن صقل العقل واستعمله فى تدبر الآيات والنظر فى المعجزات وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لايجلب نفعا مالم تكن الصحة حاصلة واليه اشار بقوله *وننزل من القرآن ماهوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الاخسارا* ولايقدح مافيه من المجمل والمتشابه فى كونه هدى مالم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى *والزمهم كلمة التقوى* والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل اوترك حتى الصغائر عندقوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى *ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا * والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق و يتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى * يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وقدفسر قوله تعالى *هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة وقال البغوى قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكبائر والفواحش وهو مأخوذ من الاتقاء واصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه و بين مايقصده وفى الحديث كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى اذا اشتد الحرب جعلناه حاجزا بيننا و بين العدو فكأن المتقى يجعل امتثال امر الله والاجتناب عما نهى حاجزا بينه و بين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثنى عن التقوى فقال هل اخذت اى سلكت طريقا ذاشوك قال نعم قال فاعملت فيه قال حذرت وتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى ان لاترى نفسك خيرا من احد وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ماحرم الله واداء ماافترض الله فمارزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل هو الاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الواحدى والمراد بالمتقين فى هذه الآية المؤمنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كأنه قال القرآن بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنون بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد

الفريقين عن الآخر كقوله تعالى *سرابيل تقيكم الحر* واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما* الآية الحادية والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (وموعظة للمتقين) اى المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال البيضاوى للمتقين من قومهم يعنى بنى اسرائيل او لكل متق سمعها وقال الواحدى نهيا وعبرة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان يتجاوزوا ماحد لهم *الآية الثانية والثلاثون من سورة الانبياء عليهم السلام وهى قوله تعالى (وذكرا للمتقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع وقال ابن جميل فى التنوير وخص الذكر بالمتقين لانهم المنتفعون به وقال الخازن يعنى يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه * الآية الثالثة والثلاثون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) يا ايها الناس عموم فى كل مكلف من مؤمن وكافر قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب اهل المدينة ومعنى اعبدوا ربكم اى وحدوا ربكم واخضعوا له بالطاعة ولا يجوز ذلك الا لمالك الاعيان قاله الواحدى وقال البغوى قال ابن عباس كل ما ورد فى القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقال البيضاوى فالناس يعم المؤمنين الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس فمكى ويا ايها الذين آمنوا فمدنى ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بما عقبه ومن المؤمنين ازديادهم وبقاؤهم عليها اى العبادة وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هى الربوبية (الذى خلقكم) الخلق ابداع شئ لم يسبق اليه وكل شئ خلقه الله فهو مبتديه اولا على غير مثال سبق اليه قاله الواحدى وقال البيضاوى الخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس (والذين من قبلكم) متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او الزمان وقال الواحدى ومعنى الآية ان الله تعالى احتج على العرب بانه خالقهم وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك لقوله تعالى * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فقيل لهم اذ كنتم معترفين بانه خالقكم فاعبدوه فان عبادة الخالق اولى من عبادة المخلوقين من الاصنام (لعلكم تتقون) حال من الضمير فى اعبدوا كأنه قال

اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرى من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغى ان لايغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى * يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه * وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكى تتقوا كما قال تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * وهو ضعيف اذ لم يثبت فى اللغة مثله والآية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر فى صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لايستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل قاله البيضاوى وقال الواحدى قيل ان لعل تكون ترجيا وتكون بمعنى كى وقيل لعل كلمة ترجية وتطميع اى كونوا على رجاء وطمع ان تتقوا بعبادتكم عقوبة الله ان تحل بكم كما قال فى قصة فرعون * لعله يتذكر او يخشى كأنه قال اذهبا انتما على رجائكما وطمعكما والله تعالى من وراء ذلك عالم بما يؤول اليه امره وقال البغوى لعلكم تتقون لكى تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجاء التقوى بان تصيروا فى ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل مايشاء كما قال * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى * اى ادعواه الى الحق وكونا على رجاء التذكر وحكم الله من ورائه يفعل مايشاء قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترج وهما من الله واجب انتهى وهذه اشارة الى ان فرعون تذكر وخشى قطعا تصديقا لرجاء الله تعالى منه ذلك وهو يقتضى قبول ايمانه كما جزم به الشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى رضى الله عنه وتابعه عليه الجلال الدوانى فى رسالة له فى ذلك وغيره ايضا * الآية الرابعة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (واذكروا مافيه) مافى الكتاب ادرسوه ولاتنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به (لعلكم تتقون) لكى تتقوا المعاصى اورجاء منكم ان تكونوا متقين قاله البيضاوى وقال البغوى اذكروا ادرسوا وقيل احفظوا لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل وغرقتكم بهذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما رأوا ان لامهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة فى اليهود لايسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع العذاب عنا وقال الواحدى المعنى احفظوا مافى التوراة من الحلال والحرام واعملوا بما فيه وقيل واذكروا مافيه من الثواب والعقاب لكى تتقوا محارمى فتتركوها فتنجوا من العذاب والهلاك فى الدنيا والآخرة * الآية الخامسة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (ولكم فى القصاص حياة) اى بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل

في اثل القتل قلل القتل وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الآخرة فانه
اذا اقتص منه حيي في الآخرة واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة
قاله البغوي وقال الواحدي وقيل جعل الله هذا القصاص حياة وعبرة لاهل السفه
والجهل من الناس فكم من رجل قدهم بداهية اولا مخافة القصاص اوقع بها اى لفعلها
ولكن الله حجز بالقصاص عباده بعضهم عن بعض وهذا قول اكثر اهل التفسير
والنصارى كانو يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة فلما قصروا على الواحد بالواحد
كان في ذلك حياة وقال لايقتل الا القاتل بجنايته وقال البيضاوى هذا كلام في غاية
الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكرت الحياة
ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع
القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم
وقرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة للقلوب
(يا اولى الالباب) ذوى العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء
الارواح وحفظ النفوس (لعلكم تتقون) في المحافظة على القصاص والحكم والاذعان له
اوعن القصاص فتكفوا عن القتل * الآية السادسة والثلاثون من سورة البقرة ايضا
وهي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كتب) اى فرض (عليكم الصيام) مصدر صام
كالقيام من قام واصله في اللغة الامساك عن الشيء والترك له ومنه قيل للصمت صوم لانه
امساك عن الكلام قال الله تعالى * فقولي اني نذرت للرحمن صوما * يقال صام النهار اذا
قام قائم الظهيرة وصامت الريح اذا ركدت وصام الفرس اذا قام على غير اعتلاف هذا
اصله في اللغة وفي الشريعة هو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية
في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس واجماع المفسرين على ان هذا
الصيام صيام شهر رمضان وكان الفرض في ابتداء الاسلام صوم يوم عاشوراء وثلاثة
ايام من كل شهر فنسخ ذلك بصيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهرين قاله الواحدي
(كما كتب على الذين من قبلكم) يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم
وترغيب في الفعل وتطييب على النفس ذكره البيضاوى وقال البغوى واختلفوا في هذا
التشبيه قال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء
الاسلام وقال جماعة من اهل العلم اراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى
كما فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم
ويضرهم في معايشهم فاجتمع رأى علمائهم ورؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم في فصل
من السنة بين الشتاء والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا
فصار اربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فيه فجعل الله عليه ان هو برئ من وجعه ان يزيد

فى صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك ووليهم ملك آخر فقال اتموه خمسين يوما وقال مجاهد اصابهم موتان فقالوا زيدوا فى صيامكم فزادوا عشرا قبل وعشرا بعد قال الشعبى لو صمت السنة كلها لافطرت اليوم الذى يشك فيه فيقال من شعبان و يقال من رمضان وذلك ان النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوما و بعدها يوما ثم لم يزل القرن الآخر يستن بسنة القرن الذى قبله حتى صاروا الى خمسين يوما فذلك قوله كما كتب على الذين من قبلكم (لعلكم تتقون) يعنى الصوم لان الصوم صلة الى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات وقيل لعلكم تحذرون عن الشهوات من الاكل والشرب والجماع وقال الواحدى وقيل اتقوا المعاصى فان الصيام وصلة الى التقى لانه يكف الانسان عن كثير مما تطلع اليه النفس من المعاصى وقال الخازن وقيل معناه لعلكم تتقون مافعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون فى زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم *الآية السابعة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (كذلك) اى مثل هذا البيان الذى ذكر (يبين الله آياته للناس) اى معالم دينه واحكام شريعته (لعلهم يتقون) اى لكى يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قاله الخازن وقال البيضاوى لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهى *الآية الثامنة والثلاثون من سورة الانعام وهى قوله تعالى (وانذر به) الضمير لله تعالى وقيل للقرآن وهو الظاهر لان التخويف انما يقع بالقول (الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم) قيل هم الكفار لانه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بالآخرة وقد يقع فى قلوبهم ان ذلك حق ولان المؤمنين يتيقنون الحشر فلا يوصفون بانهم يخافونه وقيل هم المؤمنون لانهم يوقنون بالبعث ويخافون من العذاب منه وقيل يتناول الجميع لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث للجميع ومأمور بالتبليغ وخص الذين يخافون لان انتفاعهم به اشد فيحملهم على اعداد الزاد له قاله ابن جبيل فى التنوير وقال الواحدى يريد المؤمنين يخافون يوم القيمة ومافيها من الاهوال علما بانه سيكون وقال الخازن وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابى وقال البيضاوى هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به اومترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين عنه الجازمين باستحالته (ليس لهم من دونه) اى من دون الله (ولى) اى قريب ينفعهم (ولا شفيع) يعنى يشفع لهم قاله الخازن وقال ابن جبيل فى التنوير فان كانوا يعنى الذين يخافون ان يحشروا هم الكفار فظاهر وان كانوا هم المؤمنين لم يناف مذهبنا فى اثبات الشفاعة لهم لانها انما تكون باذنه فهى فى الحقيقة منه وقال الواحدى لان شفاعة الرسل والملائكة للمؤمنين انما تكون باذن الله (لعلهم يتقون) كى يخافوا فينتهوا عما نهيتهم *الآية التاسعة والثلاثون من سورة الانعام ايضا وهى قوله تعالى (ذلكم) يعنى عدم

اتباعكم السبل المختلفة والاهواء المضلة والبدع المردية (وصاكم) الله تعالى (به) من لطفه بكم ورأفته (لعلكم تتقون) الضلال والتفرق عن الحق قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى الطرق المختلفة والسبل المضلة وقال ابن جميل فى التنوير اى المعاصى والضلالات *الآية الاربعون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (اعدلوا) يعنى فى اوليائكم واعدائكم قاله البغوى وقال الواحدى اعدلوا فى الولى والعدو (هو اقرب للتقوى) اى العدل اقرب لاتقاء النار وقال الخازن امر الله بالعدل فى كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو وقال ابن جميل فى التنوير هو اقرب للتقوى اى اقرب للاتقاء من المعاصى اومن عذاب الله واذا كان هذا فى العدل مع الكفار فكيف به مع المؤمنين *الآية الحادية والاربعون من سورة البقرة وهى قوله تعالى (وان تعفوا اقرب للتقوى) هذا خطاب للرجال والنساء جميعا ومعناه عفو بعضهم عن بعض ادعى الى اتقاء معاصى الله تعالى لان هذا العفو ندب فاذا انتدب اليه علم انه لما كان فرضا اشد استعمالا قاله الواحدى *الآية الثانية والاربعون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى (ولو انهم) يعنى اليهود (آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (واتقوا) يعنى اليهودية والسحر ومايوثمهم (لمثوبة من عند الله خير) اى لكان ثواب الله اياهم خيرا وقال الواحدى المثوبة كالثواب ومعنى الآية ان ثواب الله لهم لو آمنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر وقال البيضاوى ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير* الآية الثالثة والاربعون من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (وان تصبروا) على عداوتهم يعنى المنافقين اوعلى مشاق التكاليف (وتتقوا) موالاتهم اوما حرم الله تعالى عليكم (لايضركم كيدهم شيئا) بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم قاله البيضاوى وقال الخازن وان تصبروا على اذاهم وقيل على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اى تخافوا ربكم وقيل مانهاكم عنه وتتوكلوا عليه لايضركم اى لاينقصكم كيدهم اى عداوتهم ومكرهم شيئا لانكم فى عناية الله وحفظه وقال الواحدى وان تصبروا على ماتسمعون من اذاهم وتتقوا مقاربتهم فى دينهم والمحبة لهم لايضركم كيدهم شيئا ضمن الله للمؤمنين النصر ان صبروا واعلمهم ان عداوتهم وكيدهم غير ضارهم *الآية الرابعة والاربعون من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (بلى) تصديق لوعد الله اى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد أن يعنى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية وهو متعلق بالآيات قبله (ان تصبروا) اى على لقاء عدوكم (وتتقوا) يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم (ويأتوكم) يعنى المشركين قاله الخازن (من فورهم هذا) قال ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد

والضحاك من غضبهم هذا قاله البغوى وقال الواحدى واصل الفور غليان القدر يقال فارت القدر تفور فورا ثم يقال للغضبان فار فائره اذا اشتد غضبه (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة) لم يرد خمسة آلاف سوى ماذكر فى الآية قبله من ثلاثة آلاف بل اراد معهم (مسومين) اى معلمين قرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو وقرأ الآخرون بفتحها فمن كسر الواو اراد به سوموا خيلهم ومن فتحها اراد به انفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهى العلامة واختلفوا فى تلك العلامة قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل ابلق عليهم عمائم صفر وقال على وابن عباس كانت عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام والكلبى عمائم صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن فى نواصى الخيل واذنابها وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم قاله البغوى وقال الخازن روى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن ابى طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التى كانت قبلها فكانت الريح الاولى جبريل نزل فى الفين من الملائكة وكان بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل فى الفين من الملائكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل فى الف من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه *الآية الخامسة والاربعون من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (وان تصبروا) على الاذى الذى ينالكم (وتتقوا) بترك المعارضة والمعاصى قاله الواحدى وقال الخازن الخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وللمسلمين يعنى وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغى (فان ذلك) يعنى الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور التى يجب العزم عليها اومما عزم الله عليه اى امر به و بالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه قاله البيضاوى وقال البغوى من عزم الامور اى من حق الامور وحتمها قال عطاء من حقيقة الايمان وقال الواحدى اى مما يعزم عليه من الامر لظهور رشده وقال الخازن اى من صواب التدبير الذى لاشك ان الرشد فيه ولا ينبغى لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا اى الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم فعله اى الزمكم الاخذ به انتهى *الآية السادسة و لاربعون من سورة النساء وهى قوله تعالى (وان تصبر) ما كنتم لحيوا تفسدون (وتتقوا) فيما يستقبل (فان الله كان

غفورا رحيما) يغفر لكم ما مضى قاله البيضاوى *الآية السابعة والاربعون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (ولوان اهل الكتاب آمنوا) صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (واتقوا) اليهودية والنصرانية (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التى عملوها قبل ان تأتيهم والمعنى محونا ذنوبهم التى سلفت بالايمان بك قاله الواحدى وقال البيضاوى آمنوا بمحمد وماجاءبه واتقوا ماعددنا عليهم من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولانؤاخذهم بها (ولادخلناهم جنات النعيم) ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ماقبله وان جل وان الكتابى لايدخل الجنة مالم يسلم وقال ابن جبل فى التنوير هذا ترغيب فى الانابة وبيان لسعة رحمة الله وانهم لورجعوا لقبلوا ولسعدوا فى الآخرة باسقاط عقابهم المشار اليه بقوله لكفرنا عنهم سيئاتهم وبايصال الثواب المشار اليه بقوله ولادخلناهم جنات النعيم ومعنى واتقوا اتوا بالايمان للتقوى لالغرض آخر كفعل المنافقين*الآية الثامنة والاربعون من سورة الاعراف وهى قوله تعالى (ولوان اهل القرى) يعنى القرى المدلول عليها بقوله * وما ارسلنا فى قرية من نبى *وقيل مكة وماحولها قاله البيضاوى وقال الواحدى فى قوله تعالى * وماارسلنا فى قرية* قال ابن عباس يريد فى مدينة والقرى فى كتاب الله المدائن (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس وحدوا واتقوا الشرك وقال الخازن آمنوا بالله ورسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا مانهى الله عنه وحرمه عليهم وقال ابن جبل المعنى ان المهلكين لواتوا بالايمان واتقوا المناهى (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لنالتهم بركات السماء من الامطار والرياح اللواقح وغير ذلك والارض من النبات والحيوان وغيرذلك قاله ابن جبل وقال البيضاوى لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقال الواحدى قال ابن عباس يريد الامطار والخصب وكثرة المواشى والانعام وقال ابو محمد الخازن فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهى فى الشئ وسمى المطر بركة بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة فى نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر وقال البغوى اصل البركة المواظبة على الشئ اى تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب (ولكن كذبوا) يعنى فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعنى الرسل (فاخذناهم) يعنى بانواع العذاب (بماكانوا يكسبون) بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة وقال الواحدى فاخذناهم بالجدوبة والقحط بماكانوا يكسبون من الكفر

والمعصية * الآية التاسعة والاربعون من سورة الانفال وهى قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا ان تتقوا الله) يعنى بطاعته وترك معاصيه قاله الخازن وقال الواحدى باجتناب الخيانة (يجعل لكم فرقانا) هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل اونصرايفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين اومخرجا من الشبهات اونجاة عما تحذرون فى الدارين اوظهورا يشهر امركم ويثبت صيتكم من قوله بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح قاله البيضاوى وقال الواحدى فرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من اعدائكم بنصره اياكم عليهم وقيل فرقانا نجاة يعنى يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون والفرقان مصدر الفرق وقال الخازن يعنى يجعل لكم نورا وتوفيقا فى قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل فى الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا فى الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا فى الدين من الشبهات وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفئ بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهيه (ويكفر عنكم سيئاتكم) اى ويسترها (ويغفر لكم ذنوبكم) بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهم الله لهم قاله البيضاوى وقال الواحدى يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم (والله ذو الفضل العظيم) اى انه يملك الفضل العظيم فاكتفوا بطلب ما عنده دون غيره وقال البيضاوى تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل وقال الخازن لانه هو الذى يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفى به قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من غيره * الآية الخمسون من سورة النور وهى قوله تعالى (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمران به او فى الفرائض والسنن قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس فيما ساءه وسره وقال مقاتل فى امر الحكم (ويخش الله) فى ذنوبه التى عملها (ويتقه) فيما بعد فلم يعص الله والمعنى يتق عذاب الله بطاعته وقال البيضاوى ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقى من عمره وقال ابن جبل ويخش الله فيما صدر عنه ماضيا ويتقه فى المستقبل وهذه الآية جامعة لكل ما ينبغى للمؤمن ان يفعله (فاولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم قاله البيضاوى وقال الخازن اى الناجون * الآية الحادية والخمسون من سورة الطلاق وهى قوله تعالى (ومن يتق الله) فى الحرام والمعصية (يجعل له مخرجا) الى الحلال

والطاعة قاله العز بن عبدالسلام وقال الواحدى قال اكثر المفسرين نزلت فى عوف
ابن مالك الاشجعى اسر العدو ابنا له فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك
وشكى اليه الفاقة ايضا فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله
ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها
الى ابيه فذلك قوله (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وعن ابن عباس قال غفل عنه
العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة فنزلت هذه الآية وقيل
اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى عليه وسلم واخبره
الخبر وسأله ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال له النبى صلى عليه وسلم نعم وقال
ابن مسعود * ومن يتق الله يجعل له مخرجا * هو انه يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال
الربيع بن خيثم يجعل له مخرجا هو انه يعلم انه يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق عليه الناس
من كل شدة وقيل مخرجا عن ما نهاه الله عنه قاله الخازن وقال الواحدى وعن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات
الموت وشدائد يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكثر الاستغفار جعل الله له
من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال البيضاوى وعنه عليه الصلاة والسلام
انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها * الآية
الثانية والخمسون من سورة الطلاق ايضا وهى قوله تعالى (ومن يتق الله)
فى احكامه فيراعى حقوقها قاله البيضاوى وقال الواحدى فى جميع ما امره به
بطاعته (يجعل له من امره يسرا) يسهل عليه امر الدنيا والآخرة وقال البيضاوى
يسهل عليه امره ويوفقه للخير * الآية الثالثة والخمسون من سورة الطلاق ايضا
وهى قوله تعالى (ومن يتق الله) فى احكامه فيراعى حقوقها ذكره البيضاوى وقال
الواحدى يتق الله بطاعته (يكفر عنه سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة
الى الجمعة (ويعظم له) فى الآخرة (اجرا) وقال البيضاوى يكفر عنه سيئاته
فان الحسنات تذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة * الآية الرابعة والخمسون
من سورة الاحزاب وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) فى ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد
يسد سدادا والمراد النهى عن ضده قاله البيضاوى وقال الخازن قال ابن عباس
صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو لا اله الا الله وقال عز الدين بن عبد السلام
او صوابا فى شأن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو التوحيد وقيل هو القول
الذى يوافق ظاهره باطنه اوما اريد به وجه الله (يصلح لكم اعمالكم) يقبل
طاعتكم او يوفقكم لصالح الاعمال وقال الخازن قال ابن عباس يتقبل حسناتكم
وقال البيضاوى يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها * الآية

الخامسة والخمسون من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (واتقوا الله) فيما نهيتم عنه (لعلكم تفلحون) راجين الفلاح قاله البيضاوى وقال الخازن لكى تسعدوا بثوابه فى الآخرة وقيل ان الفلاح يتوقف على التقوى وقال ابن جميل التقوى هنا واجب لان الفلاح يتوقف عليه فلولم يتق زال الفلاح *الآية السادسة والخمسون من سورة آل عمران ايضا وهى قوله تعالى (فاتقوا الله لعلكم تشكرون) اى اتقوا عقاب الله بالعمل بطاعته قاله الواحدى وقال البيضاوى تشكرون ما انعم الله عليكم بتقواكم من نصره اولعلكم ينعم عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه *الآية السابعة والخمسون من سورة الحجرات وهى قوله تعالى (واتقوا الله) فلا تعصوه ولا تخالفوا امره قاله الخازن وقال البيضاوى اتقوا الله فى مخالفة حكمه والاهمال فيه (لعلكم ترحمون) على تقواكم *الآية الثامنة والخمسون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (وتعاونوا) اى ليعن بعضكم بعضا (على البر والتقوى) قيل البر متابعة الامر والتقوى مجانبة النهى وقيل البر الاسلام والتقوى السنة قاله البغوى وقال الخازن يعنى ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة وقال البيضاوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى وقال ابو عبد الرحمن السلمى فى حقائق القرآن قيل البر ما وافقك عليه العلم من غير خلاف والتقوى مخالفة الهوى وقيل البر مااطمأن اليه قلبك من غير ان ينكره بجهة ولا سبب وقال بعضهم تعاونوا على البر والتقوى وهو طاعة الاكابر من السادات والمشايخ ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم وخدمتهم وقال سهل البر الايمان والتقوى السنة *الآية التاسعة والخمسون من سورة العلق وهى قوله تعالى (اوامر بالتقوى) اى تقوى الله قال الواحدى يعنى بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله وقال الخازن يعنى بالاخلاص والتوحيد *الآية الستون من سورة النساء وهى قوله تعالى (ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم) يعنى اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة قاله الخازن وقال البغوى يعنى اهل التوراة والانجيل وسائر الامم المتقدمة فى كتبهم وقال البيضاوى من متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص (واياكم) يعنى ووصيناكم يا اهل القرآن فى كتابكم قاله الخازن وقال البيضاوى واياكم عطف على الذين (ان اتقوا الله) بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وقال البغوى اى وحدوا الله واطيعوه وقال الخازن اى بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة ارصى الله بها جميع الامم السالفة فى كتبهم *الآية الحادية والستون من سورة المائدة وهى قوله تعالى (قال اتقوا الله) يعنى قال عيسى لهم اى للحواريين القائلين له هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة

من السماء الآية اتقوا الله اى اتقوا ان تسألوا شياء لم تسأله الامم قبلكم قاله الواحدى وقال الخازن يعنى قال عيسى عليه السلام مجيبا للحواريين اتقوا الله (ان كنتم مؤمنين) يعنى اتقوا فى هذا السؤال ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السؤال ومعنى ان كنتم مؤمنين مصدقين فلا تشكوا فى قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسألوا شيئا لم يسأله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات وقال البيضاوى اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى اوصدقتم فى ادعاء الايمان وقال ابن جميل فى التنوير وقوله لهم اتقوا الله يحتمل لا تطلبوا هذا الطلب لانه تعنت وقد تقدمت معجزات كثيرة و يحتمل استعينوا على هذا بالتقوى كقوله *ومن يتق الله يجعل له مخرجا* فاجعلوا تقواكم وسيلة الى ذلك *الآية الثانية والستون من سورة آل عمران وهى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) حق تقواه ما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب لا محالة والاجتناب عن المحارم كقوله *فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود ان يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها قاله البيضاوى وقال الواحدى لما نزلت هذه الآية شق على المسلمين مشقة شديدة ولم يطيقوا ذلك فانزل الله تعالى على نبيه فاتقوا الله ما استطعتم يقول ما اطقتم فلم يكلف العباد من طاعته وعبادته الا ما استطاعوا فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وجاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اوصنى قال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله وتلاوة كتابه فانه نور لك فى الارض ونور لك فى السماء واخزن لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال الخازن قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة فى الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسى منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمى الدبر ومنا سعد ابن معاذ الذى اهتز العرش له ورضى الله بحكمه فى بنى قريظة وقال الخزرجى منا اربعة احكموا القرآن ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبى صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وانزل الله عزوجل هذه الآية *يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته* واختلف العلماء فى هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ اولا على وجهين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا

فانزل الله تعالى الناسخ هو قوله تعالى فى سورة التغابن* فاتقوا الله ما استطعتم * وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى والوجه الثانى انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاووس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الآية الشريفة فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل فى معنى قول ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر من العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد عند خطور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان *الآية الثالثة والستون من سورة التغابن وهى قوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) اى ما طقتم وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته* قاله الخازن وقال البيضاوى اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم وقال العز بن عبد السلام ما استطعتم اى جهدكم وما اطقتم او بلغه وسعكم وقيل ان يطاع فلا يعصى وقيل فى التطوعات وقيل نسخ هذا قوله حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا حتى ورمت اقدامهم وتقرحت جباههم اى مقدار طاقتكم (فما من خصلة من خصال الخير اكثر ذكرا وثناء عليها) اى مدحا لها (فى كتاب الله) تعالى (من) خصلة (التقوى) لانها كلمة جامعة لكل خير (فتأمل) يا ايها السالك (فيما كتبنا لك (من الآيات الكريمة) ثم اشار الى ما تقدم ذكره من الآيات فقال (كيف كان المتقى عند الله) تعالى (اكرم) اشارة الى الآية الاولى من قوله تعالى* ان اكرمكم عند الله اتقاكم (و) كان (مقبول الطاعة) اشارة الى الآية الثانية من قوله سبحانه *انما يتقبل الله من المتقين (و) كان (وليه) اى ولى الله تعالى اشارة الى الآية الثالثة والرابعة من قوله تعالى* ان اولياؤه الا المتقون والله ولى المتقين (و) كان (حبيبه) اى حبيب الله تعالى اشارة الى الآية الخامسة من قوله تعالى ان الله يحب المتقين (وكيف كان الله) تعالى (له وليا ومحبا ومزكيا) اى مطهرا من الاخلاق الذميمة بالاخلاق الحميدة (وناصرا) فى الدنيا والآخرة اشارة الى الآية السادسة والسابعة من قوله تعالى *فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى واعلموا ان الله مع المتقين (وكيف كان له) اى للمتقى (العاقبة) الحسنة والمنقلب المرضى (والآخرة) الصالحة (وحسن مآب) اى مرجع الى الله تعالى اشارة الى الآية الثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشر من قوله سبحانه وتعالى* والعاقبة

للتقوى وقوله تعالى* والعاقبة للمتقين وقوله تعالى * والآخرة عند ربك للمتقين *
وقوله تعالى * وان للمتقين لحسن مآب (وكيف اعدت له) اى للمتقى (الجنة واورثت)
له ايضا (وازلفت) اى قربت (ووعدت له) اى وعده الله تعالى بها (وكانت له دارا)
اشارة الى الآية الثانية عشر ومابعدها الى الآية الثالثة والعشرين (وكيف كانت
التقوى للآخرة زادا ولباسا) اشارة الى الآية الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين
من قوله تعالى *وتزودوا فان خير الزاد التقوى ولباس التقوى ذلك خير (وكيف اضيفت)
يعني التقوى (الى الرئيس) على جميع الاعضاء (الاشرف) من غيره وهو القلب
(وامتحن) اى ذلك الرئيس (بها) اشارة الى الآية السادسة والعشرين والسابعة
والعشرين من قوله تعالى *اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ومن يعظم شعائر الله
فانها من تقوى القلوب (وكيف جعلت) اى التقوى (سببا للخيرية) فى كل عمل
صالح (وكتابة) اى الزام الله تعالى (الرحمة) لنفسه فى حق عباده اشارة الى الآية
الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من قوله تعالى* افمن اسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان خير ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون (وكيف
خص لها) اى لاجل التقوى (كون كتاب الله) تعالى (هدى وموعظة وذكرى)
فانه لولا التقوى فى المتقين ما كان كتاب الله تعالى هدى وموعظة وذكرى لهم اشارة
الى الاية الثلاثين والحادية والثلاثين والثانية والثلاثين من قوله تعالى* هدى للمتقين
وموعظة للمتقين وذكرى للمتقين (وكيف جعلت) اى التقوى (غاية) اى منتهى مقام
(للعبادة والذكر والقصاص والصيام) من العباد (والتبيين) من الله تعالى (والانذار)
من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والتوصية) منه تعالى (والعدل والعفو) من العباد
اشارة الى الآية الثالثة والثلاثين من قوله تعالى *ياايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى الآية الحادية والاربعين (وكيف كانت) اى التقوى
شرطا (وسببا للمثوبة) من عند الله تعالى (ودفع الكيد) من الاعداء (والامداد)
بالملائكة (واتيان) اى فعل ما يجب العزم عليه من الامور (و) حصول (المغفرة)
للعباد (والرحمة) لهم (بالوعد الصادق) من الله تعالى (وتكفير) اى تغطية
(السيئات) من الذنوب (وادخال الجنة وفتح البركات) من السماء والارض (والتفرقة
بين الحق والباطل) فى كل اعتقاد وقول وعمل (والفوز) بالسعادة الابدية (والخروج
من المضايق) الدنيوية والاخروية (و) حصول (الرزق) للعبد (من حيث
لا يحتسب و) جعل (اليسر) من كل امر عسير (واعظام الاجر) من الله تعالى
(واصلاح العمل) فى الظاهر والباطن (و) حصول (الفلاح) فى الدنيا والآخرة (و)
حصول (الشكر لله تعالى) وهذا كله اشارة الى الآية الثانية والاربعين من قوله
تعالى *ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير الى الآية السادسة والخمسين

(وكيف امر) الله تعالى (بالتعاون عليها) اى على التقوى (ومدح الآمر بها) من الناس (ووصى) بالبناء للمفعول اى وصى الله تعالى (بها) اى بالتقوى (الاولون والآخرون) من سائر الامم (وجعلت) اى التقوى (مقتضى الايمان وهو مشروط بها وامر) بالبناء للمفعول اى امر الله تعالى عبده (بتحصيل حقيقتها) اى التقوى (و) تحصيل (كمالها بقدر الاستطاعة) وهذا اشارة الى الآية السابعة والخمسين من قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى * الى الآية الثالثة والستين (فياايها الطالب للآخرة) من اصحاب الهمم العلية (والسالك) فى (طريقها) اى الآخرة دون المتمنى لذلك المنهمك فى شهواته وغفلاته (ان كنت صادقا فى دعواك) الطلب والسلوك (اكبب عليها) اى على التقوى يعنى لازمها ولاتنفك عنها (وصر عاشقا مستهترا) اى مستديما (لها) اى للتقوى (بحيث لايعوقك) عنها عائق (من جميع) امورك (اصلا ولواجتمعت الانس والجن على ذلك) العائق وقصدوا ان يعيقوك به لايقدروا من كثرة حرصك وشدة مواظبتك (ولكن الله) سبحانه لايمنعه مانع عما يريد ولو حرص العبد ابلغ حرص فانه تعالى (يضل) بمحض عدله (من يشاء) من عباده ولو اجتهد فى الهداية ما عسى ان يجتهد (ويهدى) بخالص فضله (من يشاء) من عباده واو اجتهد فى الضلالة ما عسى ان يجتهد (بيده) سبحانه وتعالى (الخير) المحض الخالص واما الشر فهو بيد النفوس والشر والنفوس بيده جل وعلا فالخير منه بلا واسطة والشر منه ايضا لكن بواسطة وهو معنى قوله تعالى *ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك* ومعلوم ان نفسه من الله فالشر منه تعالى ايضا بواسطة النفس (وهو) سبحانه وتعالى (على كل شئ) محسوس اومعقول اوغير ذلك مما يعلمه تعالى (قدير) يفعل مايشاء ويحكم مايريد (الاخبار) اى هذا بيان الاخبار يعنى الاحاديث والآثار النبوية الواردة فى بيان فضيلة التقوى وهى سبعة احاديث* الحديث الاول (حد) يعنى روى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه باسناده (عن ابى ذر) الغفارى (رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له) اى لابى ذر (انظر) يعنى يااباذر (فانك لست بخير من احمر ولا اسود) من الناس كلهم لان الوان الوجوه خمسة الحمرة والبياض والصفرة والسواد والسمرة فالبياض والصفرة من الحمرة لان البشرة البيضاء اذا غلب دمها فهى الحمرة واذا اعتدل فهى الصفرة والسمرة من السواد لان البشرة السوداء اذا غلب دمها كانت سوداء وان اعتدل فهى السمرة فالاحمر والاسود اصلان فى الوان الوجوه الانسانية اوالاحمر الانس لغلبة الدم فى الاجسام الترابية والاسود الجن لغلبة النار فى الاجسام الهوائية المحترقة اوالاحمر سكان المدن والقرى والاسود سكان البوادى او الاحمر النساء لراحتهن والاسود الرجال لتعبهم فى المعيشة وتقديره الشخص الاحمر والاسود (الا ان تفضله) اى تصير فاضلا عليه اى على كل واحد من الاحمر والاسود (بالتقوى) اى امتثال

الاوامر واجتناب النواهي مع الاخلاص كما قال تعالى *ان اكرمكم عند الله اتقاكم* الحديث
الثاني (هق) يعني روى البيهقي باسناده (عن جابر) بن عبد الله (رضي الله عنه
انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط ايام التشريق) وهي ثلاثة ايام
اليوم الثاني من ايام النحر والثالث والرابع (فقال يا ايها الناس ان ربكم) يعني الذي
هو مالك جميع اموركم في ظواهركم وبواطنكم (واحد) لاشريك له فانتم كلكم
من حيث انكم مخلوقاته متساوون كما قال سبحانه *ماترى في خلق الرحمن من تفاوت (الا)
كلمة استفتاح للتنبيه وافادة التحقيق (لافضل لعربي) اي منسوب الى العرب وهو المتقن
للتكلم باللغة العربية بلاتكلف (على عجمي) منسوب الى العجم خلاف العرب ولهذا
كان ابراهيم الخليل عجميا وابنه اسماعيل عليهما السلام عربي كما قال العلماء ولااعتبار
في ذلك بالنسب بل باللغة من غير تكلف كما بسطناه في كتابنا المطالب الوفية وفي حسن
التنبه للنجم الغزي قال اللسان هو الفارق بين العرب والعجم ومن ثمة ورد في الحديث
من تكلم بالعربية فهو عربي (ولا) فضل ايضا (لعجمي على عربي) فان اللسان
هو الفارق بين العربي والعجمي وانما يظهر منه الكلام والكلام غير مقصود لذاته
بل لما يوصل اليه من رضوان الله تعالى بمعرفة احكامه سبحانه والعمل بها (ولا) فضل
ايضا لشخص (احمر على) شخص (اسود ولا) لشخص (اسود على) شخص (احمر)
والمعنى لافضل لانسي على جني ولا لجني على انسي اولساكن المدن والقرى على ساكن
البوادي وعكسه اوللنساء على الرجال وبالعكس كامر (وان اباكم) يا ايها الناس
(واحد) وهو آدم عليه السلام ولم يذكر حواء لانها من آدم ايضا كان ربكم واحد
فكيف يفضل احد على احد (الا بالتقوى) اي الاحتراز من عقاب الله تعالى بامتثال
اوامره القطعية والظنية ونواهيه كذلك (ان اكرمكم) اي اكثركم كرما وشرفا
ورفعة (عند الله) تعالى في الدنيا والآخرة (اتقاكم) اي اكثركم تقوى (الا)
بالتخفيف للاستفتاح (هل بلغت) بالتشديد اي اوصلت اليكم ماامرني الله تعالى
بايصاله من بيان الاحكام وهو استفهام تقريري (قالوا) اي الصحابة الحاضرون
رضي الله عنهم (بلى يارسول الله) يعني بلغت ماامرت بابلاغه الينا (قال)
صلى الله عليه وسلم (فليبلغ) اي ليوصل الحق من غير كتمان (الشاهد) اي الحاضر
عندنا الآن اوالفاهم للحكم الشرعي (الغائب) عنا اوعن فهم الحكم وفيه حث
على رواية الحديث وحفظه وضبطه ثم التحدث به لاهله وكذلك العلم الشرعي
بعد اتقانه *الحديث الثالث (هق ططص) يعني روى البيهقي والطبراني في معجم
الاوسط والصغير باسناد هما (عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة امر الله) تعالى (مناديا) من الملائكة اوغيرهم
(ينادي) في عالم المحشر بين الخلائق (الا اني جعلت) بينكم (نسبا وجعلتم) انتم

فيما بينكم (نسبا) آخر غير نسبي الذى جعلته (فجعلت) انا (اكرمكم) اى اشرفكم وارفعكم (اتقاكم) اى اكثركم اتقاء واحترازا من المخالفات بامتثال الطاعات (فابيتم) اى امتنعتم من ذلك الذى جعلته بكونكم لم تعتبروه فى الدنيا (الا ان تقولوا) فى اعتبار نسبكم الذى جعلتموه بينكم فى الدنيا (فلان) باعتبار كونه (ابن فلان) اى ابن عالم اوشريف اوولى اوملك عادل اوامير كريم ونحو ذلك (خير من فلان) باعتبار كونه (ابن فلان) اى ابن من هو دنى فى الناس وان كان الابنان متساويين فى الجهل اوفى العلم اوالثانى اتقى من الاول او بالعكس من غير اعتبار جانب التقوى التى اعتبرها الله تعالى (فاليوم) اى يوم القيامة (ارفع نسبي) الذى جعلته فيكم وهو نسب التقوى الذى فيه برأ النبى صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسى من نسب الفرس والحقه بنسب العرب الذى هو نسبه عليه السلام حيث قال سلمان منا آل البيت وفى كتاب التجلى عن جعفر الخالدى رحمه الله تعالى انه قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله العن الحلاج فقال لا الحلاج منا فانظر كيف نسب التقوى الحق الحلاج بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان اختفى نسب تقواه عمن حكم بقتله فان الله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون (واضع) اى اخفض فلا اعتبر (نسبكم) الذى اعتبرتموه انتم فى الدنيا (اين المتقون) اى الموصوفون بالتقوى المنتسبون بنسبي الذى جعلته بينكم والتقدير لاجازيهم خير الجزاء اواين هم منكم الحديث الرابع (حد) يعنى روى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه باسناده (عن ابى ذر) الغفارى (رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) له (ستة ايام) كل يوم يكرر عليه (اعقل) امر من العقل وهو الفهم والتأمل (يااباذر مايقال لك بعد) من العلم والحكمة (فلما كان) فى (اليوم السابع قال) له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اوصيك بتقوى الله) تعالى اى الاحتراز منه بدوام امتثال امره واجتناب نهيه مع الاخلاص (فى سر) اى خفى (امرك) اى شانك وحالك (وعلانيته) اى علانية امرك يعنى جهره وهو استواء الباطن والظاهر فى التقوى (واذا اسأت) الى احد مطلقا (فاحسن) اى اعقب تلك الاساءة بالاحسان اليه ولاتتركه يسخط عليك فربما يدعوالله فى شان مضرتك فيجيبه (ولاتسألن احدا) اى لاتطلب من احد (شيئا) مطلقا اكتفاء منك بالله سبحانه فانه تعالى يقول أليس الله بكاف عبده (وان سقط) اى وقع من يدك الى الارض وانت على الدابة (سوطك) وهو مايضرب به الانسان غيره من عصا ونحوها فلايطلب من غيره مناولته له بل ينزل هو فيتناوله بيده اكتفاء بما عنده الله تعالى به من المعونة فى ظاهره وباطنه (ولاتقبضن امانة) اى وديعة لاحد فانه يلزمك حينئذ حفظها وربما فرطت فتضمن وهذه كلها امور ندب اليها الشارع صلى الله

تعالى عليه وسلم تعليما للطريق الاقوى فيما فيه تفريغ القلب لمراقبة الرب على كل حال *الحديث الخامس (قش) يعنى روى القشيرى باسناده (عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه) اى الشان (جاء رجل الى النبى صلى عليه وسلم فقال) له (يانبى الله اوصى فقال) له النبى صلى الله عليه وسلم (عليك) اسم فعل بمعنى الزم (بتقوى الله) يقال عليك به اى الزمه ولاتفارقه (فانه) اى فعل التقوى (جماع) اى اجتماع (كل خير) من خيور الدنيا والآخرة * الحديث السادس (مج) يعنى روى ابن ماجه باسناده (عن ابى امامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يقول مااستفاد المرء) اى الانسان رجلا كان اوامرأة (بعدى تقوى الله) سبحانه فى الظاهر والباطن (خيرا من زوجة) اى منكوحة بعقد وقد يراد بها مطلق المقارنة له كقوله تعالى *وزوجناهم بحور عين اى قرناهم بهن وقوله *احشروا الذين ظلموا وازواجهم * اى وقرناءهم فتشمل الزوجة هنا المملوكة بملك اليمين (صالحة) اى ممتثلة لما امرها الله تعالى به مجتنبة لما نهاها عنه سبحانه (ان امرها) الرجل (اطاعته) ولا تعصى امره (وان نظر اليها سرته) اى اوقعت السرور فى قلبه من كمال حسنها وجمالها (وان اقسم عليها فى شئ (ابرته) اى امضت يمينه ولا تحنثه من كثرة محبتها له (وان غاب عنها) فى سفر ونحوه (نصحته) اى حفظته ولم تخنه (فى نفسها) بان صانت عرضها ومروءتها (و) فى (ماله) فتحرسه ولاتبذر فيه *الحديث السابع (طب) يعنى روى الطبرانى باسناده (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اقبل نبى الله) محمد (صلى الله عليه وسلم من) سفر (غزاة او من سفر (سرية) وهى قطعة من الجيش يقال خير السرايا اربعمائة رجل كذا فى الصحاح (فدعا) ابنته (فاطمة) الزهراء (رضى الله عنها) حتى جاءت (فقال) صلى الله عليه وسلم (يافاطمه اشترى نفسك من الله) اى من عذابه واليم عقابه (فانى لااغنى عنك) اى لاانفعك (من الله) تعالى (شيئا) كما قال تعالى *يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله (وقال) صلى الله عليه وسلم (لنسوته) اى نسائه وهن زوجاته عليه السلام (مثل ذلك) يعنى اشترين انفسكن من الله فانى لااغنى عنكن من الله شيئا (وقال مثل ذلك) ايضا (لعترته) بالتاء المثناه الفوقية اى ذريته واقاربه وهم الحسن والحسين وحمزة والعباس وعلى وابن عباس رضى الله عنهم (ثم قال) عليه السلام (مابنوا هاشم) وهم اولاد عبد المطلب اعمام النبى صلى الله عليه وسلم وعماته وكانت اعمامه اثنى عشر عما ولد عبد المطلب وابوه عبد الله ثالث عشرهم وهم الحارث وابو طالب واسمه عبدمناف والزبير ويكنى اباالحارث وحمزة وابولهب واسمه عبدالعزى والغيداق والمقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وجحل بتقديم الجيم وهو السقاء الضخم وقال الدار قطنى بتقديم الحاء وهو المعتمد والحجال ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط الغيداق وجحلا وقيل تسعة فاسقط قثم وعبد الكعبة وعماته عليه السلام

بنات عبدالمطلب بن هاشم ست عاتكة واميمة والبيضاء وهى ام حكيم وبرة وصفية واروى ولم يسلم منهن الاصفية ام الزبير بلاخلاف واختلف فى اروى وعاتكة ذكره القسطلانى فى مواهبه (باولى) اى احق (الناس) ان يدعوهم الناس (بامتى) اى يسمونهم بامة الاجابة لى حيث انى منهم ومن نسلهم وهم اهلى (ان اولى) اى احق (الناس) كلهم ان يدعوا (بامتى) المجيبين لى فيما جئتهم به (المتقون) اى المحترزون من غضب الله تعالى بامتثال اوامره واجتناب نواهيه (ولاقريش) اسم للقبيلة كلها وهو قريش بن مخلد بن النضر بن كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم واصله من القرش وهو دابة عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير فى البحر وتدفع السفينة فتقلبها وتضربها فتكسرها وقال المطرزى هى سيدة للدواب البحرية واشدها وكذلك قريش سادات الناس ذكره الدميرى فى حياة الحيوان (باولى) اى احق (الناس) ان يسموا (بامتى) المطيعين لى اذ لا اعتبار لنسب القرابة من غير اتباع (ان اولى الناس) اى احقهم ان يسموا (بامتى) امة الاجابة (المتقون ولاالانصار) وهم اهل اليمن الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم قبيلتان الاوس والخزرج رضى الله عنهم ومنهم اهل الصفة الذين عاتب الله تعالى فيهم نبيه عليه السلام بقوله * ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه * الآية (باولى الناس) اى احقهم ان يسموا (بامتى) المنقادين لدعوتى (ان اولى الناس) اى احقهم (بامتى المتقون انما انتم) خطاب لجميع من ذكر فى هذا الحديث متوالدون (من رجل) وهو آدم عليه السلام (وامرأة) وهى حواء عليها السلام (وانتم) يامعشر من ذكر (كجمام) بالضم وهو مايملأ (الصاع) من المكيلات كالبر والشعير والعدس ونحوها والصاع مايسع الفا واربعين درهما من ماش اوعدس والمعنى انكم متساوون كلكم فى المقدار مثل الحبات المساوية التى تدخل فى الكيل فيعرف مقدارها به ولاتحتاج الى الوزن لعدم التفاوت بينها فى الثقل والاكتناز ثم بينه بقوله عليه السلام بعده (ليس لاحد على احد فضل) اى فضيلة (الابالتقوى)الله تعالى فان الفضائل والمزايا عندالله تعالى معتبرة بها (والاحاديث) الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم (فى هذا الباب) اى باب فضيلة التقوى (كثيرة جدا) مذكورة فى كتب الحديث (و) الاستدلال بنظر (العقل ايضا يدل على افضلية التقوى من غيرها من) سائر (الطاعات) التى هى نوافل العبادات (لان التحلية) بالحاء المهملة وهى التزيين والتحسين (بعد التخلية) بالخاء المعجمة اى الازالة للمانع (والتزيين بعد التطهير) فان الثوب النجس غسله اولى من تبخيره (فالاول) اى التحلية بالمهملة (بدون الثانى) اى التخلية بالخاء المعجمة والتطهير (لايفيد شيئا اصلا) ولاينتج غير التعب والنصب كما ان من ابقى الفارة مثلا الميتة فى البئر ثم نزح جميع مائه فانه لا يطهر مالم يخرج الواقع اولا ثم ينزح منه عشرين

دلوا ففط فا نه يطهر وكذلك من ابق نجاسات المعاصى والمخالفات ولم يغسلها بالتوبة ويحافظ على التوقى منها بامتثال الاوامر واجتناب النواهى ماذا تنفعه النوافل من الطاعات والزوائد من المندوبات والمستحبات كمن عليه الديون الكثيرة وهو يكثر من الصدقات (وعكسه) وهو الثانى بدون الأول يعنى التخلية بالمعجمة وهو التطهير بدون التحلية بالمهملة وهو التزيين فانه (يفيد) لوجود الاصل فى مراتب الكمال كمن غسل الثوب اولا فانه اول درجة من درجات كماله فاذا بخره بعد ذلك بالبخور حصلت له درجة اخرى من الكمال وهكذا المتقى يكون اولا فى درجة كمالية اولى فاذا تنفل بالعبادات وتطوع حصل على درجة اخرى (فهى) اى التقوى (الاساس لجميع خصال الخير) الاعتقادية والحالية والقولية والعملية كالخشوع والصبر والذكر والايثار (فخذها) اى التقوى ياايها السالك يعنى واظب عليها (بقوة) اولا (وأمر) ثانيا لتعدى نفعك فترقى فى مقام قربك كما قال تعالى *ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون* والعالم الربانى المنسوب الى الرب لقيامه به فى كل حال بخلاف العالم النفسانى وهو القائم بنفسه من جهله وغفلته (قومك) الذين انت فيهم (يأخذوا باحسنها) اى بما اشتملت عليه التقوى من احسن الخصال التى كلفوا بالقيام بها (فان فيها) اى فى التقوى (سعادة الدارين) اى الدنيا والآخرة (والفوز) اى الظفر والحصول (بالحياتين) اى الحياة الحسية بالارزاق المعاشية والحياة المعنويه بالارزاق المعادية اوالحياة الانسانية بالامدادات الربانية والحياة الحيوانيه بالامدادات النفسانية اوالحياة الكونية اوالحياة الازلية اوالحياة الدنيوية اوالحياة الاخروية (يسرها) اى التقوى بمعنى جعلها ميسرة (الله) تعالى (لنا واياكم انه) اى الله تعالى (هو البر) بالفتح اى المحسن المتفضل (الرحيم والجواد) من الجود وهو العطاء (الكريم) الذى لايخيب راجيه ولايخسر مناجيه (النوع الثانى) من الانواع الثلاثة (فى تفسيرها) اى التقوى وهو بيان معناها لغة وشرعا قدم معناها اللغوى لانه عام ومعناها الشرعى خاص والعام جزء الخاص والجزء مقدم فقال (هى) اى التقوى (فى اللغة) اى لغة العرب مشتقة (من) قولك (وقاه) وقيا ووقاية صانه كوقاه والتوقية الكلاءة والحفظ واتقيت الشئ وتقيته حذرته والاسم التقوى اصله تقيا قلبوه للفرق بين الاسم والصفة كذا فى مختصر القاموس (فاتقى) يتقى اصله اوتقى يوتقى على افتعل فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وابدلت منها التاء وادغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء من لفظ الحرف فجعلوه اتقى يتقى بفتح التاء فيهما ثم لم يجدوا له مثالا فى الكلام يلحقونه به فقالوا تقى يتقى مثل قضى يقضى كذا فى الصحاح (والوقاية) بالكسر والفتح (فرط) اى كثرة (الصيانة) مصدر صانه صونا وصيانة حفظه (اصلها) اى التقوى (وقيا) بالقصر

مصدر وفا كامر (قلبت واوها) التى هى فاء الكلمة (تاء) مثناة فوقيه (كما) قلبت الواو تاء (فى تكلان) صله وكلان مصدر وكل الامر الى الله تعالى فوضه اليه (وتجاه) اصله وجاه لانه من المواجهة (و) قلبت (ياؤها) اى ياء وقيا (واوا) ايضا فصارت تقوى (كما) قلبت الياء واوا (فى بقوى) بفتح الباء الموحدة قال فى الصحاح ابقيت على فلان اذا رعويت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت على والاسم منه البقيا وكذلك البقوى بفتح الباء (والفها) اى الف التقوى للتأنيث مثل الف حبلى فهو اسم ممنوع من الصرف بعلة واحدة فيه تقوم مقام علتين وهى الف التأنيث المقصورة وذلك (لقوله تعالى) افمن اسس بنيانه (على تقوى) بالقصر بلا تنوين لانه ممنوع من الصرف (من الله) الى آخر الآية ولو كان مصروفا لكان منونا (و) التقوى (فى) اصطلاح (الشريعة) المحمدية (لها معنيان) المعنى الاول (عام) اى شامل لاكثر مما يشمله المعنى الثانى (وهو الصيانة) اى الحفظ (والاجتناب) اى التباعد (عن كل) امر (مضر فى) الدار (الآخرة فله) اى لهذا المعنى العام الذى للتقوى (عرض) بفتح العين المهملة وسكون الراء سعة وكثرة (عريض) فعيل نعت له مشتق منه اى واسع كليل اليل ومنه قوله تعالى* فذو دعاء عريض (يقبل) ذلك العرض (الزيادة) بحسب المحافظة على الانواع الخيرية (والنقصان) بحسب ترك بعضها فى الناس تقى واتقى بخلاف المعنى الثانى الخاص الآتى فانه لا يقبل الزيادة والنقصان فلصاحبه تقوى ومن نقص شيئا منه كان فاسقا (ادناه) اى اقل ذلك العرض بمعنى الوسع الذى للتقوى بحيث لا ادنى منه (الاجتناب) اى التباعد (عن الشرك) بالله تعالى اى اعتقاد وجود اله آخر مع الله تعالى او مشابهة شئ له تعالى فى ذاته او صفة من صفاته او فعل من افعاله باعتقاد وجود مؤثر فى ملك الله تعالى من دونه سبحانه (المخلد) نعت للشرك اى المقتضى لخلود اى دوام صاحبه الذى مات عليه (فى النار) اى نار جهنم بحكم عدل الله تعالى وصدق وعيده وهذا النوع من الشرك يسمى الشرك الجلى واما الشرك الخفى فهو الغفلة عن الله تعالى باعتقاد نسبة الوجود استقلالا الى الاشياء ونسبة التأثيرات استقلالا الى الاسباب ايضا فهو كفر خفى وليس بظاهر لا لصاحبه ولا لغيره فلا حكم له فى الشرع اذ الشرع انما يحكم على الظاهر فقط من كل امر دون الباطن المغيب الذى لا يعرفه احد ولا يتحققه صاحبه ولا غيره وانما حكمه فى حقيقة الشريعة المتلقاة بالالهام فى الكتاب والسنة دون اجتهاد فكرى وتأمل عقلى كما هو معروف عند اهل المعرفة والفتح الربانى مثل حكم الشرك الجلى من غير فرق بينهما كما بينته فى كتاب خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ رسلان (واعلاه) اى اعلى العرض المذكور (التنزه) اى التباعد (عما) اى عن كل شئ (يشغل سره) اى قلب العبد (عن) ظهورات (الحق) تعالى باثار تجلياته

الجلالية والجمالية (والتبتل) اى الانقطاع (اليه) سبحانه وتعالى (بشراشره) اى بكليته قال فى مختصر القاموس الشرا شر النفس والاثقال والمحبة وجميع الجسد (وهو) اى هذا الاعلى من المعنى الخاص للتقوى هو معنى (التقوى الحقيق) فى علم الطريقة المحمدية (المراد بقوله تعالى اتقوا) يامعشر المكلفين (الله) تعالى بامتثال اوامره واجتناب نواهيه مع الاخلاص (حق تقاته) بحيث لايصدر منكم فتور فى الخدمة ولاتقصير فى شكر النعمة (و) المعنى الثانى للتقوى (خاص) وهو مالابدمنه فى النجاة من الله تعالى يوم القيامة (وهو) المعنى (المتعارف فى الشرع) المحمدى اى يعرفه العلماء والمتعلمون (المراد) لهم (عند الاطلاق) اى اطلاق لفظ التقوى (وعدم) وجود (القرينة) التى تكون فى الكلام فتشير الى ارادة المعنى الاول العام (اعنى) اى اقصد بهذا المعنى الخاص المذكور (صيانة النفس) اى حفظها (عما يستحق) اى تستوجب (به) اى بسببه (العقوبة) من الله تعالى فى يوم القيامة (من فعل) معصية (وترك) طاعة ثم بينه بقوله (فاجتناب الكبائر) من الذنوب امر (لازم) لابد منه (فيه) اى فى هذا المعنى الخاص للتقوى (بالاتفاق) بين العلماء لان مرتكب الكبيرة فاسق والفسق ينافى التقوى (واما) ارتكاب (الصغائر) من الذنوب (فقيل لا) اى ليس بلازم فى هذا المعنى الخاص للتقوى (لانها) اى الصغائر (مكفرة) بصيغة اسم المفعول (عن مجتنب الكبائر) بنص قوله تعالى *ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم *ويلزم من اجتناب الكبائر المواظبة على الطاعات وقدورد فى الحديث ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر فيكون اجتناب الكبائر مكفرا للصغائر بسبب هذه الطاعات لانفس الاجتناب وحده هو المكفر ولهذا يجوز عندنا العقاب فى الآخرة على الصغيرة ولومع اجتناب الكبائر خلافا للمعتزلة كما مر بيانه فالحديث يشرح الآية (فلايستحق بها) اى بسبب الصغيرة (العقوبة) لتكفيرها عنه بفعل الطاعة فى حالة اجتناب الكبائر (وقيل نعم) اى ارتكاب الكبائر لازم فى هذا المعنى الخاص للتقوى (لان بعض المفسرين) للقرآن المبين (حمل الكبائر) الواقعة (فى الآية الكريمة) وهى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم (على انواع الشرك) بالله تعالى لان اكبر الكبائر الشرك فيحمل عليه عند الاطلاق وقدقوبل فيه الجمع بالجمع فاقتضى انقسام الآحاد على الآحاد اى كل واحد من المأمورين بالاجتناب يجتنب كبيرته التى هى الشرك ومعلوم ان الاسلام يجب ماقبله فمن اجتنب شركه وكفره كفرت عنه ذنوبه ولهذا قوبلت الكبائر بالسيئات الشاملة لجميع الذنوب (فلم يتعين التكفير) للصغائر حينئذ باجتناب الكبائر وفى تفسير البغوى واختلفوا فى الكبائر التى جعل الله اجتنابها تكفيرا للصغائر واطال فى تقرير ذلك ثم قال وقيل الكبائر الشرك ومايؤدى

اليه ومادون الشرك فهو من السيئات قال تعالى * ان الله لايغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء* ثم قال نكفر عنكم سيئاتكم اى من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان الى رمضان كما روى عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وفى التنوير مختصر التفسير الكبير لابن جميل التونسى الاكثرون على انه سبحانه لم يميز جملة الكبائر و يعينها قالوا لان تمييزها وتعيينها مع اخباره ان اجتنابها يكفر الصغائر اغراء بالاقدام على الصغائر وذلك قبيح لايليق بالحكمة اما اذا لم يميزها فيجوز كون المعصية كبيرة زاجر عن الاقدام عليها قالوا وذلك كاخفاء ليلة القدر وساعة الجمعة والصلوات الوسطى ووقت الموت وقد سبق فى الفصل الاول من الباب الثانى ان العقاب على الصغيرة جائز كما قررناه هنالك ولو مع اجتناب الكبائر عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فكيف يكون مجرد اجتناب الكبائر هو المكفر الصغائر انما المكفر مع الاجتناب فعل الطاعات كما ذكرنا قال ابن جميل فى التنوير والمعنى ان اتيتم بجميع الواجبات واجتنبتم جميع الكبائر كفرنا عنكم بقية السيئات ومن المعلوم ان عدم السبب الواحد لا يوجب عدم المسبب بل ههنا سبب آخر سوى السبب الاصلى وهو فضل الله وكرمه ورحمته *قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا* (وايضا لم يثبت تغايرهما) اى الصغائر والكبائر (بالذات) بحيث تميز احدهما عن الآخر بالنص القاطع للخلاف حتى قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى الكبائر ما كان فيه المظالم بينك و بين العباد والصغائر ما كان بينك و بين الله تعالى لان الله كريم يغفر الذنوب واحتج بما روى عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى منادى من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله عزوجل قد عفى عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتى وقال مالك ابن مغول الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطأ والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب ابليس والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام وقال السُّدّى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبار والسيئات مقدماتها مثل القبلة والنظر وتوابعها وما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظر واللمسة والقبلة واشباهها قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان و يصدق ذلك الفرج او يكذب به وقيل الكبائر ما يستحقره العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته كما روى عن انس قال انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر وكنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ذكره البغوى (وعلى التسليم) اى تسليم ثبوت التغاير

بالذات (لم يعلم) بالبناء للمفعول يقينا اى لم يعلم احد على وجه التيقن والتحقق (عدد الكبائر) كم هى حتى (قيل) انها (سبع وقيل سبعون وقيل سبعمائة و) قيل (غير ذلك) كما ذكر البغوى عن عبدالله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس ويمين الغموس وعن عبدالرحمن بن ابى بكر عن ابيه قال النبى صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قالوا بلى يارسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكئا قال الاوقول الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وماهن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الابالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وعن سعيد بن جبير ان رجلا سأل ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى الى السبعمائة اقرب الاانه لا كبيرة مع الاستغفار ولاصغيرة مع الاصرار وقال كل شئ عصى الله به فهو كبيرة فمن عمل منها شيئا فليستغفر الله فان الله لايخلد فى النار من هذه الامة الاراجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر و فى التنوير مختصر التفسير الكبير وعن ابن عباس كل مانهى عنه من اول النساء الى ثلاث وثلاثين آية فهو كبيرة لقوله عقبيه *ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه* وقد قال النبى عليه الصلاة والسلام (فيما خرجه ت) يعنى الترمذى (وحسنه) بالتشديد اى قال هو حسن والحديث الحسن دون مرتبة الصحيح هو قسمان احدهما الحديث الذى لايخلو رجال اسناده من مستور لم يتحقق اهليته غيرانه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه ولاهو متهم بالكذب (فى الحديث) اى لم يظهر منه تعمد الكذب فى الحديث ولاسبب آخر مفسق ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بانه روى مثله اونحوه من وجه آخر اواكثر حتى اعتضد بمتابعة من تابع راويه على مثله او بماله من شاهد وهو ورود حديث آخر نحوه فيخرج بذلك عن ان يكون شاذا اومنكرا والقسم الثانى ان يكون روايه من المشهورين بالصدق والامانة غيرانه لايبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم فى الحفظ والاتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ماينفرد به من حديثه منكرا ذكره العراقى فى شرح الفيته (و) خرجه ايضا (مج) يعنى ابن ماجه (و) ايضا (حك) يعنى الحاكم (وصححه) اى قال هو صحيح والحديث الصحيح هو ما اتصل سنده وعدلت نقلته وسلم من الشذوذ والعلة القادحة (عن عطية) رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (لايبلغ) اى يصل (العبد ان يكون من المتقين) لله تعالى فى ظاهره و باطنه (حتى يدع) اى يترك (مالابأس) اى شدة فى الدين (به) اى بسببه من الامور الجزئية (حذرا) اى لاجل الحذر (عما به بأس) اى شدة دينية من الامور المحظورة فى الشرع (يقول العبد الضعيف) وهو مصنف متن هذا الكتاب (عصمه) اى حفظه (الله تعالى هذا

الحديث) المذكور هنا اخيرا (نص) صريح من النبى صلى الله عليه وسلم (فى لزوم اجتناب الصغائر) من الذنوب (لانها) اى الصغائر (بعد) حصول (الاغماض) اى الخفاء فيها وعدم الظهور والتميز (ومساعدة الخصم) القائل بذلك كامر فيما قاله (مما لا بأس به) لخفة الجناية فيها بالنسبة الى الكبائر (بل يزيد) يعنى هذا العبد الضعيف (ويقول كلمة ما) الواقعة فى قوله عليه السلام كما سبق فى الحديث مالا بأس به (عامة) شاملة (لكل مافيه احتمال الحرمة) من المشتبهات (و) مافيه (الافضاء) اى الايصال (الى الحرام) ايضا مثل النظر بشهوة ونحوه (لعموم ما الثانية) الواقعة فى الحديث المذكور ايضا ثانيا فى قوله عليه السلام عما به بأس (الحرام) مفعول المصدر فانه اذا كان ما به بأس هو الحرام القطعى كان مالا بأس به هو المشتبه والموصل الى الحرام القطعى (واما الحلال الخالص عن شبهة) من اشتباه حرمة اوايصال اليها (فلا يتناوله) اى عموم مالا بأس به (عرفا) اى فى عرف الشرع اذ لا يطلق على الحلال الخالص مالا بأس به فى اصطلاح الفقهاء (وان تناوله لغة) اى من حيث صحة الكلام لان الحلال الخالص ماليس به بأس (خرج خم) يعنى البخارى ومسلما باسنادهما (عن النعمان بن بشير) رضى الله عنه (انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال) وهو ضد الحرام لغة وشرعا (بيّن) اى ظاهر واضح لا يخفى حله وهو مانص الله تعالى اورسوله عليه السلام اواجمع المسلمون على تحليله بعينه اوجنسه ومنه مالم يرد فيه منع فى اظهر الاقوال (والحرام بيّن) اى واضح لا تخفى حرمته وهو مانص اواجمع على تحريمه بعينه اوجنسه اوعلى ان فيه عقوبة اووعيدا (وبينهما) اى بين الحلال والحرام الواضحين (مشتبهات) اى امور مشتبهة بغيرها لكونها غير واضحة الحل والحرمة لتجاذب الادلة وتنازع المعانى والاسباب فبعضها يعضده دليل الحرمة والبعض بالعكس ولا مرجح لاحدهما الا فى خفاء ومن المشتبه معاملة من فى ماله حرام فالورع تركه وان حل ثم الحصر فى الثلاثة صحيح لانه نص اواجماع على الفعل فالحلال اوعلى المنع جزما فالحرام اوسكت اوتعارض فيه نصان ولا مرجح * فالمشتبه (لا يعلمهن كثير من الناس) اى من حيث الحل والحرمة لخفاء نص اوعدم صراحته اوتعارض نصين وانما يؤخذ من عموم اومفهوم اوقياس اواستصحاب اولاحتمال الامر فيه الوجوب والندب والنهى والكراهة والحرمة اولغير ذلك وما هو كذلك انما يعلمه قليل من الناس وهم الراسخون فان تردد الراسخ فى شئ لم يرد به نص ولا اجماع اجتهد بدليل شرعى فيصير مثله وقد يكون دليل غير خال من الاحتمال فيكون الورع تركه كما قال (فمن اتقى) اى احترز من (الشبهات) المذكورة (استبرأ) بالهمز وقد يخفف اى طلب البراءة (لدينه) من الذم الشرعى (وعرضه) بصونه عن الوقيعة فيه بترك الورع الذى

امر به فهو هنا الحسب اوالنفس لانها التى يتوجه اليها المدح والذم (ومن وقع فى الشبهات) اى فعلها وتعودها (وقع فى الحرام) اى يوشك ان يقع فيه لانه حام حول حرمه وقال وقع دون يوشك ان يقع كما قال فى المشبه به الآتى لان من تعاطى الشبهات صادف الحرام وان لم يتعمده اما لاثمه بسبب تقصيره فى التحرى او لاعتياده التساهل وتجريه على شبهة بعد اخرى الى ان يقع فى الحرام او تحقيقا لمداناة الوقوع كما يقال من اتبع هواه هلك وسره ان حمى الملوك محسوسة يحترز عنها كل بصير وحمى الله لا يدركه الا ذووا البصائر ولما كان فيه نوع خفاء ضرب المثل بالمحسوس بقوله (كالراعى) اصله الحافظ لغيره ومنه قيل للوالى راع والعامة رعية وللزوج راع ثم خص عرفا بحافظ الحيوان كما هنا (يرعى حول الحمى) اى المحمى وهو المحظور على غير مالكه (يوشك) بكسر الشين المعجمة يسرع (ان يقع فيه) اى تأكل ماشيته منه فيعاقب شبه آخذ الشهوات بالراعى والمحارم بالحمى والشبهات بما حوله ثم اكد التحذير من هذا المعنى بقوله (الا) حرف افتتاح قصد به امر السامع بالاصغاء لعظم موقع ما بعده (وان لكل ملك) من ملوك الدنيا (حمى) يحميه عن الناس و يتوعد من قرب منه باشد العقوبات (الا وان حمى الله محارمه) اى المحارم التى حرمها واريد به هنا ما يشمل المنهيات وترك المأمورات ومن دخل حمى الله بارتكاب شئ منها استحق العقاب ومن قاربه يوشك الوقوع فيه فالمحافظ لدينه لا يقرب مما يقرب الى الخطيئة والقصد اقامة البرهان على تجنب الشبهات وانه اذا كان حمى الملك يحترز منه خوف عقابه فحمى الحق اولى لكون عذابه اشق ولما كان التورع يميل القلب الى الصلاح وعدمه الى الفجور اردف ذلك بقوله (الا وان فى الجسد) اى البدن (مضغة) اى قطعة لحم بقدر ما يمضغ لكنها وان صغرت حجما عظمت قدرا ومن ثمه كانت (اذا صلحت) بفتح اللام انشرحت بالهداية (صلح الجسد كله) اى استعملت الجوارح فى الطاعات لانها متبوعة له (واذا فسدت) اى اظلمت بالضلالة والجهالة (فسد الجسد كله) باستعماله فى المنكرات والمخالفات (الا وهى) اى تلك المضغة (القلب) سمى به لانه محل الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب اولانه خالص البدن وخالص كل شئ قلبه اولانه وضع فى الجسد مقلوبا وذلك لانه مبدأ الحركات البدنية والارادات النفسانية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة او ارادة فاسدة تحرك البدن حركة فاسدة فهو ملك والاعضاء رعيته وهى تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده واوقع هذا عقب قوله الحلال بين اشعارا بان اكل الحلال ينوره ويصلحه والشبه تقسيه وتظلمه كذا فى شرح الجامع الصغير للمناوى (وايضا المعنى اللغوى) التقوى كما مر (مرعى) اى ملاحظ (فى) المعنى (الشرعى) ايضا (ما امكن) اى بقدر الامكان حتى لا يخرج الشرع بالكلية عن قانون

اللسان العربي لانه ورد عن الله تعالى مترجما به (وفرط الصيانة) الذي هو معنى التقوى في اللغة كما سبق (يقتضي الاجتناب عن الصغائر) من الذنوب (و) عن (الشبهات ايضا) اى كما يقتضي الاجتناب عن الكبائر (لكن الاحتراز عن جميع الشبهات) في الاعمال وغيرها (لا يمكن في هذا الزمان) لغلبة الشبهات وعسر التجنب عنها (على ما سيجئ) بيانه (ان شاء الله تعالى) في الفصل الثاني من الباب الثالث آخر الكتاب (فخرج) من لزوم الاجتناب في التقوى (ما عدا الشبهة القريبة من الحرام) وهي الشبهة التي يرجح فيها الحلال والشبهة التي فيها الحلال والحرام سواء كما بينته مفصلا في كتاب المطالب الوفية (لان الطاعة) لله تعالى انما تكون (بقدر الطاقة) وعلى حسب الاستطاعة من غير حرج كما قال تعالى *فاتقوا الله ما استطعتم وقال * وما جعل عليكم في الدين من حرج (فتعين لزوم اجتناب كل حرام و) كل (مكروه تحريما في تحقق التقوى) للمكلف وما عدا ذلك فلا يلزم اجتنابه ولا يطعن وجوده في التقوى (هذا) المذكور (ما) اى الذي (عندى) في بيان التقوى (والعلم) الحقيقي يعني بذلك على مراده سبحانه (عند الله) تعالى (النوع الثالث) بقية الانواع الثلاثة (في مجاريها) اى مجاري التقوى يعني مواضع جريانها من اعضاء المكلف (اعلم) يا ايها السالك (ان التقوى لا تحصل الا باجتناب المنكرات) القطعية والظنية و (المنهى عنها) من قبل الشارع وقيل المكروهة كراهة تحريم (واتيان المعروفات) الاعتقادية والعملية و (المأمور بها) من الفروض والواجبات وكل ذلك مع الاخلاص واليقين (اذ ترك المأمور به) من الاعتقاد والعمل (مما يتحقق) اى يستوجب العبد (به) اى بسببه من الله تعالى (العقوبة) في يوم القيامة (ولكن المتبادر) للاذهان (منها) اى من التقوى (ومن ذنوب) التي تركها كناية عن التقوى (في اول السماع) لذلك عند اطلاق الذنوب (الوجوديات) اى المنسوبة الى الوجود اذهى وجود معنى من المعاني (كالزنا) وهو في الشرع وطئ مكلف ناطق طائع في قبل مشتهاة خال عن ملك وشبهته في دار الاسلام او تمكينه من ذلك او تمكينها (وشرب الخمر) وهو النيئ من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد وحرم قليلها وكثيرها لعينها وهي نجسة نجاسة مغلظة كالبول ويكفر مستحلها ويحد شاربها وان لم يسكر منها وشارب غيرها ان سكر ولا يؤثر فيها الطبخ كذا في تنوير الابصار (لا) الذنوب (العدميات) اى المنسوبة الى العدم لانها عدم شئ (مثل ترك الصلاة) (و) ترك (الصوم) ونحو ذلك (فلذا لم يعد) بالبناء للمفعول يعني الترك الصلاة والصوم وغيرهما (من) جملة (الكبائر) كما سيأتي في عدها (مع كونه) اى الترك المذكور (من اكبر الكبائر) لانه ترك فروض قطعية (فلنذكر) الآن الذنوب (الوجوديات) ذكرا (مفصلا ثم) نذكر الذنوب (العدميات) بعد ذلك ذكرا (مجملا فنقول) الفعل (المنكر)

بصيغة اسم المفعول اى الذى ينكره الشرع ولا يقر فاعله عليه (اما مخصوص) ظهوره (بعضو معين) من اعضاء المكلف (اولا) خصوص له بعضو دون عضو (والاول) اى المخصوص بعضو معين (فى الغالب) من الناس يكون فى (ثمانية) مواضع اذ قد يكون فى غير الغالب اكثر من ذلك كالظهر فى حمل محرم به والجنب فى الميل به عن طاعة الله الاول (قلب) والمراد به اللطيفة الروحانية المنفوخة فى الجسم الصنوبرى المودع فى جانب اليسار من تجويف الصدر الجسمانى من الانسان (و) الثانى (اذن) والمراد بها القوة المودعة فى العصب المفروش فى مقعر الصماخ (و) الثالث (عين) والمراد بها القوة المودعة فى العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان فتتأديان الى العينين (و) الرابع (لسان) والمراد به القوة المودعة فى الجرم المتصل بالفم الذى يقرع الهواء الخارج من الجوف فتظهر عنه صور الحروف (و) الخامس (يد) والمراد بها القوة المودعة فى العضو المعروف للتصرف فيما يمكن بها (و) السادس (بطن) والمراد به القوة المودعة فى الباطن لطبخ الغذاء وتقسيمه فى البدن (و) السابع (فرج) وهو آلة الرجل والمرأة والمراد به القوة المودعة فى ذلك لحصول الجماع (و) الثامن (رجل) والمراد بها القوة المودعة فى العضو المعروف للمشى ونحوه ولا دخل لهذه الاعضاء فى اقتراب الذنوب من دون القوى المنبثة فيها فالعمدة فيها على تلك القوى لا خصوص تلك الاعضاء اذ قد تكون فى الحيوانات فلا يصدر منها شئ من الذنوب لعدم وجود القوى المخصوصة فيها وان كان فيها قوى ايضا ولكن ليست من جنس ما فى الانسان (فعلى السالك) فى طريق الله تعالى (ان يحفظ كل عضو) من اعضائه (من كل معصية) تصدر منه مع المواظبة على ذلك (حتى يكون) ذلك الحفظ له (ملكة) اى قوة راسخة فى نفسه لا يتكلف لها اصلا من كثرة الرياضة والمجاهدة الشرعية (فينخرط) اى فيرسل يقال خرط الابل فى المرعى والدلو فى البئر ارسلهما (فى سلك) اى خيط (المتقين) لله تعالى (فلابد) حينئذ (من) ذكر (تسعة اصناف) ثمانية فى الاعضاء المذكورة الثمانية والتاسع فى جملة البدن من دون عضو مخصوص (الصنف الاول) من الاصناف التسعة (فى بيان (منكرات القلب) اى ما ينكره الشرع من احواله (وآفاته) اى آفات القلب جمع آفة وهى العاهة المفسدة له (اعلم ان اصلاحه) اى اصلاح القلب بازالة ما يفسده (اهم من كل شئ) ولهذا قدمه على بقية الاعضاء (اذ هو ملك) فى المدينة الانسانية (مطاع) امره ونهيه على كل حال (نافذ الحكم) فى جميع البدن (والاعضاء) كلها (رعيته) تابعة له لا تخالف شيئا من احكامه عليها (وخدم) بالتشديد جمع خادم (له) فى تحصيل مراداته وقضاء حاجاته (فلهذا قال) النبى (صلى الله عليه وسلم) كما ورد فى الحديث السابق (الا وان فى الجسد مضغة) اقرأ (الحديث) الى آخره (واصلاحه) اى

القلب (تخليته) اى تبعيده وتخليصه (عن) جميع (الاوصاف الذميمة) اى المذمومة عقلا وشرعا (وتحليته) اى تزيينه (بالاوصاف الحميدة) اى المحمودة فى العقل والشرع (فلابد) حينئذ (من) ذكر (قسمين) ليتضح منهما بيان ذلك (القسم الاول) من القسمين (فى تفسير) معنى (الخلق) بضم الخاء واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح والضم فى الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذى بالفتح بالهيئات والصور المدركة وخص الخلق الذى بالضم بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة ذكره القسطلانى فى مواهبه (و) فى (بيان منشأه) اى الامر الذى ينشئ منه فى الانسان (و) فى (تقسيمه الى) الخلق (المذموم و) الخلق (الممدوح و) فى (طريق ازالة الاول) اى الخلق المذموم (و) طريق (علاجه) اى مداواته وتدبيره حتى يرتفع عن صاحبه (اجمالا) اى على وجه الاجمال لاالتفصيل لانه يطول (و) فى كيفية (تحصيل الثانى) اى الخلق الممدوح فيمن لم يكن حاصلا له (و) فى كيفية (ابقائه) اى الخلق الممدوح حتى لايزول عن صاحبه (و) فى (حفظ صحته) اى دوام متانته وصلابته (وتقويته) لينمو ويزداد (اجمالا ايضا) اى بطريق الاجمال على وجه الاختصار (فنقول) فى بيان ذلك (الخلق) بضمة او بضمتين كامر (ملكة) اى قوة راسخة فى النفس (تصدر عنها) اى عن تلك الملكة (الافعال النفسانية) من اعتقاد او قول او عمل (بسهولة) اى لطف ولين (من غير روية) بالتشديد من روى فى الامر نظر وتفكر والاسم الروية وفى الصحاح الروية التفكر فى الامر جرت فى كلامهم غير مهموزة انتهى وهو تعريف للخلق المذموم والممدوح لان الافعال الانسانية عامة فى الاعتقاد الحق او الباطل والعمل الحق او الباطل (ويمكن تغييره) اى الخلق بان يصير ممدوحا بالمعالجة والرياضة النفسانية بعد ان كان مذموما او يصير مذموما بالتدرج فى السوء ومعاشرة اهل الفساد بعد ما كان ممدوحا (لورود الشرع) المحمدى (به) اى بالتغيير المذكور حيث امر الله تعالى ونهى عباده واغراهم على امور وحذرهم عن امور وماذلك الا لاكتساب الاخلاق الحميدة والتباعد عن الاخلاق الذميمة ولو لم يمكن التغيير فى الاخلاق ما كان للامر والنهى فائدة (واتفاق العقلاء) من كل ملة على ذلك ولهذا كانت الرياضة والتجريد عن الشواغل الدنيوية والعلائق الجسمانية امرا عظيما عند جميع الملل للتخلى عن الاخلاق الردية والتحلى بالاخلاق الفاضلة المرضية (والتجربة) حاكمة بصحة ذلك ايضا كما هو الواقع عند اهل هذا الشان وفى المواهب اللدنية وقد اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن مسعود رضى الله عنه ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون

فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع فى حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال يارسول الله قديما كانا فى اوحديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما رواه احمد والنسائى وصححه ابن حبان فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بان فى الخلق ماهو جبلى وما هو مكتسب وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى اخرجه احمد وصححه ابن حبان وعند مسلم فى حديث دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لايهدى لاحسنها الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من خصال الكمال مالايحيط به حد ولايحصره عد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه الكريم فقال *وانك لعلى خلق عظيم* وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه الاخلاق مستول عليها (وتختلف الاستعدادات) من الناس (فيه) اى فى تغيير الخلق (بحسب الامزجة) القوية والضعيفة وعلى مقدارا لهم يكون اكتساب الكمال (ومنشاؤه) اى موضع ابتداء منشأ الخلق فى الانسان ممدوحا كان اومذموما (قوى) جمع قوة (النفس) الانسانية (وهى) اى تلك القوى منقسمة الى (ثلاث) قوى القوة الاولى (النطق) الذى به الانسان يفارق جميع الحيوان (وهو قوة الادراك) اى الشعور والاحساس بالاشياء وهو على ثلاث مراتب مرتبة الاعتدال وهى الوسطى كما قيل خير الامور اوساطها ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الافراط والتفريط (فاعتداله) اى النطق هو (الحكمة) اى دال على وجودها فى الانسان (وهى ملكة) اى قوة راسخة (للنفس) الانسانية (تدرك) اى النفس (بها) اى بتلك القوة (الصواب) فى كل شئ من الخطأ كما قال سبحانه وتعالى * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا (وافراطه) اى النطق والافراط تجاوز الحد فى الامر كذا قاله ابن فارس فى مجمل اللغة (الجربزة) بالجيم فالراء فالباء للوحدة فالزاى قال فى الصحاح رجل جربزة بالضم بين الجربزة بالفتح اى خب وهو القربزة ايضا وهما معربان وفى مختصر القاموس جربز الرجل ذهب اوانقبض اواسقط والجربز بالضم الخب الخبيث (وهى) اى الجربزة (ملكة ادراك) اى قوة شعور بالاشياء زائدة (تدعو) اى توصل صاحبها (الى اطلاع) عقله على (مالايمكن) غيره (معرفته) من دقائق العلوم (كالمتشابهات) من الكتاب والسنة (وبحث القدر) بالتحريك اى قدر الله تعالى بمعنى تقديره سبحانه للاشياء مما نصب عليه علامات كونية يمكن ان يتوصل بها الى معرفة ذلك كصفاء الاذهان فى العاقلين والاشارات الفلكية فى المنجمين ونحو ذلك (او يصدر بها) اى بسببها من العبد (افعال) اختيارية اواضطرارية (يتضرر الغير بها) كما هو عادة اهل المكر والدهى

والخديعة من الفجار المتحذقين فى الاحوال الدنيوية (وتفريطه) اى النطق وهو التقصير والتضييع (البلادة) وهو ضد الذكاء وقد بلد بالضم فهو بليد و بلد تكلف البلادة وتبلد اى تردد متحيرا كذا فى الصحاح وفى مختصر القاموس والمبلود المعتوه والبليد لاينشطه تحريك (وهى) اى البلادة ملكة يقصر بها اى بسببها (صاحبها عن ادراك الخير والشر) من كل نوع من انواع الاحوال الكونية الدنيوية والاخروية فيلزم من قصوره فى ذلك عدم نشاطه اليه (و) القوة الثانية (الغضب) وهو ضد الرضاء (وهو) اى الغضب (حركة النفس) الحيوانية (دفعا) اى لاجل الدفع (للمنافر) فى الحال اوالمآل من جميع الامور وللغضب ايضا اعتدال وافراط وتفريط (فاعتداله الشجاعة وهى ملكة) راسخة فى النفس (بها يقدم) الانسان (على امور) مهولة تسهل عليه وتصعب على غيره (ينبغى) اى يليق بحاله (ان يقدم عليها) حيث هو كفؤلها قادر على دفعها (وافراطه) اى الغضب (التهور) وهو الوقوع فى الشئ بقلة مبالات يقال فلان متهور كذا فى الصحاح (وهو) اى التهور (ملكة بها يقدم) الانسان (على امور) مهولة يصعب عليه الاقدام عليها (لاينبغى) له اى لايليق بحاله اضعفه عنها (ان يقدم عليها) ولكن حمله على ذلك نقصان حاله بالنسبة الى الشجاع (وتفريطه) اى الغضب (الجبن) بالضم وهو مصدر الجبان (وهو هيئة راسخة) فى النفس (بها) اى بسببها (يحجم) احجم عنه كف ونكص هيبة كذا فى مختصر القاموس وفى المجمل احجمت عن الشئ اذا نكصت عنه وحجم طرفه عن الشئ اذا صرفه (عن مباشرة ما ينبغى) له اى يليق بحاله الاقدام عليه لكفاءته فى ذلك وقدرته عليه (و) القوة الثالثة (الشهوة وهى حركة النفس) الحيوانية (طلبا) اى لاجل طلبها (للملايم) اى الامر المناسب (لها) مما تجد فيه حظا عاجلا ولها اعتدال وافراط وتفريط ايضا (فاعتدالها) اى الشهوة (العفة) بالكسر (وهى ملكة بها يباشر) الانسان اى يفعل الامور (المشتهيات) له بمقتضى نفسه وطبعه (على وفق) اى موافقة احكام (الشرع) المحمدى من غير مخالفة فى شئ اصلا (و) على وفق (والمرءة) ايضا قال فى الصحاح المروءة الانسانية ولك ان تشدد وفى المجمل المروءة مهموزة كمال الرجولية ولافعل له (وافراطها) اى الشهوة (الشره) مصدر شره كفرح غلب حرصه فهو شره وشرهان كذا فى مختصر القاموس (والفجور) وهو الكذب والانبعاث فى المعاصى كذا فى المجمل وفى الصحاح فجر فجورا اى فسق وفجر اى كذب واصله الميل والفاجر المائل (وهو) افراط الشهوة المذكورة (ملكة بها يتناول) الانسان انواع (المشتهيات مطلقا) اى سواء كانت حلالا اوحراما من غير مبالاة (وتفريطها) اى الشهوة (الخمود) فى طبيعة النفس (وهو) اى الخمود (ملكة بها يقصر) الانسان لضعف فى البنية اوكبر اومرض اوخوف

ونحوه (عن استيفاء ماينبغي) له (من المشتهيات) المباحة في الشرع بسبب انطفاء نار القوة الشهوانية (والاوساط) وهي الاعتدالات في هذه القوى الثلاث المذكورة وهي الحكمة والشجاعة والعفة (تحصل) في الانسان (باستخدام الاول) وهو النطق (الآخرين) وهما الغضب والشهوة والمراد باستخدامهما قهرهما واذلالهما بحيث لايبقى لهما اثر اصلا في النفس حتى تمكن القوة النطقية في الحقيقة الانسانية وهي طريقة السالك بالمجاهدة (والاطراف) تحصل في الانسان وهي الجربزة والبلادة والتهور والجبن والشره والخمود (باستخدامهما) اى الآخرين وهما الغضب والشهوة (اياه) اى الاول وهو النطق يعني بقهره واذلاله واستيلائهما عليه بالغلبة (والاطراف) المذكورة (مطلقا) اى على اى وجه كانت حاصلة في الانسان (و) كذلك (الاوساط) المذكورة (المشوب) اى المخلوط (بهاغرض) اى مقصد (فاسد) كما اذا قصد بالحكمة حصول الجاه في الدنيا وبالشجاعة ظهور الصيت اوتشفي النفس وبالعفة الكبر اوثناء الناس ونحو ذلك فانها (رذائل) حينئذ لامحامد فصاحبها مذموم بها لامحمود عليها لغرضه الفاسد (فكل خلق مذموم) من الاخلاق الانسانية كالحسد والبغض والحقد والرياء والتكبر ونحوها فانه (ناش) اى منتش في الحقيقة الانسانية متولد (منها) اى من الاطراف المذكورة (منفردة كانت) موجودة في الانسان تلك الاطراف اى واحد منها (اومجتمعا) فيه (بعضها) كالاثنين منها اوالثلاثة (اوكلها) وهي الستة المذكورة (وعلاجه) اى الخلق المذموم الناشي في الانسان من الاطراف المذكوره اواحدها (الكلي) اى العام في كل فرد فرد من افراد الانسان الذي يوجد فيه ذلك الخلق المذموم وفي كل فرد فرد من الاخلاق المذمومة (الاجمالي) اى المجمل دون المفصل (معرفة حقايق الامراض) التي هي الاخلاق المذمومة وسماها امراضا لماذكرلها من العلاج وهو المداواة اذمن لم يعلم حقيقة المرض ماهولايمكنه مداواته (و) معرفة (غوائلها) اى الامراض جمع غائلة وهي الشر الباطن فيها والمراد ماتعقبه من النتايج الفاسدة والمهالك المردية (و) معرفة (اسبابها) اى الامراض جمع سبب وهو الموصل اليها (و) معرفة (اضدادها) اى الامراض اى مايضادها من العافية والصحة المرغوب فيها (وفوائدها) اى الاضداد وهي مايترتب عليها حصولها من المنافع والكمال (واسبابها) اى الاضداد وهي مايتوصل به اليها (ثم) بعد ذلك (معرفة وجود الامراض) المذكورة (في نفسه) وتكون باربعة امور الاول (بالتفتيش) عليها وهو الطلب مع البحث يقال فتش الشئ فتشا وفتشته تفتيشا (والتأمل) في احوال النفس بعد التفرغ لذلك عن جميع الشواغل لانه اهم من كل شئ (و) الثاني (اختيار) اى قصد خدمة (من) اى شيخ كامل وعالم عامل (ينبهه) اى يوقظ

الانسان (على عيبه) الذى فيه وهو غير مطلع عليه (من اصدقاء) جمع صديق اى محبين (الصدق) وهو ضد الكذب وهم اهل الشفقة والمرحمة على امة محمد صلى الله عليه وسلم الناصحين لهم الخائفين عليهم من كل سوء (و) الثالث (تفحص) مصدر تفحص قال فى مختصر القاموس فحص عنه كمنع بحث كتفحص وافتحص (قول اعدائه) اى عن قولهم فيه (فانهم ينظرون الى عيوبه) فقط دون محاسنه فيكشفون مايرونه منها (و يذكرونه بها) اى بتلك العيوب بين الناس بقصد تحقيره فيتفحص عن معانى كلامهم فيه ويرجع الى نفسه و ينصفهم فى ذلك فانه يعرف الامراض النفسية بهذه الكيفية (و) الرابع (النظر الى الناس) فى اختلاف طبقاتهم الاعلى منهم والادنى والمساوى و يتأمل اختلاف احوالهم ليعرف المذموم منها والممدوح (فانهم مرآة) اه ينظر نفسه فيهم لانه مثلهم فى الصورة الانسانية كما ورد المرء مرآة اخيه (و) هم ايضا (تذكرة) اى مذكرون باقوالهم واحوالهم الحسنة والقبيحة (لكل طالب) لمعرفة الحق والعمل به (مستبصر) اى راغب فى تحصيل البصيرة المنورة بانوار التوفيق والهداية (ثم) بعد ذلك (تمييز اسبابها) اى الامراض وهى الامور الموصلة الى تلك الامراض (ثم) بعد ذلك (ازالة) تلك (الاسباب) بالكلية لتنقطع مادة الامراض من اصلها (وارتكاب) اى الاتصاف بصفة (الفضيلة المقابلة) لتلك الاسباب المذكورة (والتكلف) اى اتعاب النفس (فى تحصيلها) اى الفضيلة المذكورة (اذ) اى لان (الامراض) البدنية (تعالج) بالبناء للمفعول اى يعالجها الاطباء ويداوونها (بالاضداد) فالحرارة تعالج بالبروة واليبوسة تعالج بالرطوبة وهكذا فكذلك الامراض النفسانية تعالج باضدادها (كما ان الصحة) البدنية (تحفظ) بالبناء للمفعول على صاحبها (بالانداد) اى الامثال وهى الامور المناسبة للاعتدال الملائمة للخلقة التركيبية المستقيمة (ثم بعد ذلك (التعنيف) اى اللوم والزجر للنفس (بالتعيير) اى نسبة العار اليها (والتوبيخ) لها اى اللوم والتهديد (فى السر) وهو الخفية (والعلانية) اى ظاهر الحال بصريح المقال (ثم) انه لاينسى (الرذيلة المقابلة) للفضيلة المذكورة (فلتحفظ) عنده (حتى لايتجاوز) عن الفضيلة (الى الطرف الآخر) وهو الرذيلة فان المحفوظ يسهل الاحتراز عنه (ثم) بعد ذلك فعل (الرياضات) جمع رياضة وهى تمرين النفس وتعليمها الامر المشق عليها شيئا فشيئا (الشاقة) صفة للرياضة اى المتعبة (كالنذور) لله تعالى بانواع القربات الكثيرة (والايمان) بالفتح اى الحلف على افعال الطاعات العظيمة (والعهود) اى المواثيق الشديدة (على التزام الاعمال الشاقة) على النفس من قبيل ما نقل القشيرى فى رسالته عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه قيل له مالقيت فى سبيل الله فقال مالايمكن وصفه فقيل له ماهون مالقى نفسك منك فقال اما هذا فنعم دعوتها الى شئ

من الطاعات فلم تجبنى فنعتها الماء سنة وقال ايضا منذ ثلاثين سنة اصلى واعتقادى فى نفسى كل صلاة اصليها كأنى مجوسى اريدان اقطع زنارى (حتى تذعن) اى النفس بمعنى تذل وتنقاد (الى ماهو اسهل منها) اى من هذه الاشياء الشاقة عليها (بالطيب) اى اللذاذة من قولهم طاب الشئ اذاراق وحسن ومنه الاطيبان الاكل والجماع قال فى الصحاح شئ طياب بالضم اى طيب جدا وتقول هذا شراب مطيبة للنفس اى تطيب النفس اذاشربته (والسهولة) منها فى ذلك من غير نفرة ولا كراهة (و) بعد ذلك (استماع ماورد) من الاخبار النبوية والآثار المروية (فى ذم سوء الخلق اجمالا وتفصيلا) فان فى ذلك تربية النفرة عن الاخلاق السيئة فى النفس ومحبة الاخلاق الحسنة ورؤية الكمال فيها (والثانى) اى ذم سوء الخلق تفصيلا (سيجئ فى القسم الثانى) من هذا البحث الذى هو سوء الخلق ان شاء الله تعالى (واما الاول) اى ذم سوء الخلق اجمالا (فنه) اذهو كثير وارد فى الاخبار النبوية وغيرها (ماخرج) بالتشديد اى روى (صف) يعنى الاصفهانى باسناده (عن ميمونة ابن مهران رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن ذنب) من الذنوب مطلقا (اعظم عندالله) تعالى اى اكبر جرما (من سوء الخلق) اى العادة القبيحة اذا اعتادها العبد وانطبع عليها (وذلك ان صاحبه) اى صاحب سوء الخلق (لايخرج من ذنب) بالتوبة منه والاقلاع عنه (الاوقع فى ذنب) آخر فلايكاد يتخلص من الذنوب (وخرج) اى روى (طط) يعنى الطبرانى فى المعجم الاوسط باسناده (عن عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم) وهو ضد اليمن والبركة ومعناه الشر (سوء الخلق) لانه لايأتى بخير فى الدين ولافى الدنيا (طط صف) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الاوسط والاصفهانى باسنادهما (عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن شئ) من المخلوقين (الاله توبة) مقبولة عندالله تعالى من الذنب اذا ألم به (الاصاحب سوء الخلق) من الناس ثم بينه بقوله (فانه لايتوب من ذنب) اذنبه (الاعاد) اى رجع (فى) ذنب آخر (شرمنه) بسبب سوء خلقه وقبيح عاداته (طكط هق) يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير وفى معجمه الاوسط والبيهقى باسنادهما (عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن) من اخلاق الانسان (يذيب) اى يذهب ويمحق (الخطايا) اى الذنوب من الكبائر والصغائر للتوصل به الى نيل اكمل الطاعات وارفع القربات (كما يذيب الماء الجليد) اى الماء الجامد اذاوضع عليه (والخلق السوء يفسد) اى يبطل (الاعمال) الصالحة (كما يفسد الخل) الحامض (العسل) الحلو اذاوضع فوقه (والاوساط) المتقدم ذكرها بين الافراط والتفريط وهى الحكمة والشجاعة والعفة (الخالية) فى استعمالها



(عن الغرض الفاسد) اى القصد السوء (فضائل) يفضل بها الانسان على غيره لارذائل (فكل مخلوق محمود) فانه (ناشئ) فى الانسان (منها) حال كونها (منفردة) اى متفرقة تظهر فى الانسان واحدة فواحدة فيكون ذلك الخلق المحمود صادرا عن واحدة منها فقط (اومجتمعا بعضها) مع بعض بحيث يصدر ذلك الخلق عن ثنتين منها (اومن مجموعها) اى كلها (المسمى) ذلك المجموع فى الشريعة (بالعداله) وهى استقامة الدين والسيرة وحاصلها كيفية راسخة فى النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة وترك البدعة والمعتبر فيها رجحان الدين والعقل على الهوى والشهوة ولما كانت العدالة هيئة خفية نصب لها علامات هى اجتناب اربعة امور وان اثم بمعصية لان فى اعتبار الكل سد باب العدالة الاول الكبائر الثانى الاصرار على الصغائر فقد قيل لاصغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار والثالث الصغائر الدالة على خسة النفس كسرقة لقمة والتطفيف بحبة والرابع المباح الدال على ذلك كاللعب بالحمام والاجتماع مع الارذال والاكل والبول على الطريق ونحوذلك كذا فى مرآة الاصول (فمن حصل له) ذلك الخلق المحمود (بكسب) اى سعى وتحصيل (اوطبع) بان كان مجبولا عليه (فليحفظه) لئلا يتبدل فيه بضده (بملازمة اهله) اى من فيهم ذلك الخلق ليدوم عليه خلقه بسببهم فان الصاحب يقتدى بصاحبه والمجاورة توجب الاشتراك فى المحاورة (و) ملازمة (عدم صحبة الاشرار) البعيدين عن الاخلاق الحميدة فان صحبتهم تزيل عنه ذلك الخلق المحمود وتثبت فيه ضده (واياه) اى ليحذر من حصل له ذلك الخلق المحمود (والاسترسال) اى من المداومة (فى) الامور (الملاهى) اى المشغلة للقلب عن تحصيل الكمال (والمزاح) مصدر مزح كمنع مزحا ومزاحة ومزاحا بضمهما كذا فى مختصر القاموس وفى الصحاح المزح الدعابة وقدمزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا واما المزاح بالكسر فهومصدر مازحه وهما يتمازحان (والمراء) اى المجادلة مع الغير فى العلم اوالدنيا (وليرض) اى يذلل من راض المهر رياضا ذلله فهورائض واستراضت النفس طابت وراوضه داراه كذافى مختصر القاموس (نفسه) اى ذاته ليدوم عليه ذلك الخلق المحمود (بوظائف) اى امور راتبة (علمية) كقراءة العلوم والتدريس فيها ومطالعة ابحاثها وتصنيف مسائلها ونسخ كتبها (و) وظائف (عملية) كالاشتغال بنوافل الصلوات والصيام والحج والصدقات وزيارة الصالحين احياء وامواتا وخدمتهم ونحو ذلك ثم بين رياضة نفسه بقوله (فليذكر) اى يتذكر ولاينسى (جلالته) اى عظمة ذلك الخلق المحمود (وداومه) اى داوم ذلك الخلق فانه من اشرف الامور (وصفائه) له من كدر ضده (وحقارة الدنيا) بالنسبة الى الآخرة فانها اى الدنيا لاتوازن عندالله تعالى جناح بعوضة (وزوالها) السريع فكأنك بها ولم تكن (ونكدها) الكثير اى عسرها وشدتها على اهلها

مل البدع و الشبهات من هذه الأمة و روى عمر رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه و
ى لعائشة رضى الله تعالى عنها ان الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا أصحاب البدع و اصحاب
ن هذه الامة قال تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم اى الطرق
التى هى ما عدا طريقة مثل اليهودية و النصرانية و سائر الملل و الأهوآء و البدع فتقعوا فى الضلالة
لى واعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا قال بعض المفسرين المراد من حبل الله الجماعة لأنه عقبه
لا تفرقوا و المراد من الجماعة عند اهل العلم اهل الفقه و العلم و من فارقهم قدر شبر وقع فى
و خرج عن نصرة الله تعالى و دخل فى النار لأن اهل الفقه و العلم هم المهتدون المتمسكون بسنة
ـيه الصلاة و السلام و سنة الخلفاء الراشدين بعده و من شذ عن جمهور اهل الفقه و العلم و السّواد
فقد شذ فيما يدخله فى النار فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقة الناجية المسماة باهل السنة و
فان نصرة الله و حفظه و توفيقه فى موافقتهم و خذ لانه وسخطه و مقته فى مخالفتهم و هذه الط ائفة
د اجتمعت اليوم فى مذاهب اربعة وهم الحنفيون و المالكيون و الشافعيون و الحنبليون رحمهم الله و
ن خارجا عن هذه الأ ربعة فى هذا الزمان فهو من اهل البدعة و النار اه. قال فان قلت ما وقوفك
على صراط مستقيم و كل واحد من هذه الفرق يدعى انه عليه قلت ليس ذلك بالإدعاء و التشبث
بالهم الوهم القاصر و القول الزاعم بل بالنقل عن جهابذة هذه الصنعة و علماء اهل الحديث الذين
ـحاح الأحاديث فى أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم و احواله و افعاله و حركاته و سكناته و
صحابة و المهاجرين و الأنصار الذين إتبعوهم باحسان مثل الامام البخارى و مسلم و غيرهما من
لشهورين الذين إتفق اهل المشرق و المغرب على صحة ما أوردوه فى كتبهم من أمور النبى صلى الله
سلم و أصحابه رضى الله تعالى عنهم ثم بعد النقل ينظر الى الذى تمسك بهديهم و اقتفى اثرهم و
بسيرهم فى الأصول و الفروع فيحكم بأنه من الذين هم هم و هذا هو الفارق بين الحق و الباطل و
ين من هو على صراط مستقيم و بين من هو على السبيل الذى على يمينه و شماله قال و اختلف
ن السلف و الخلف فى تكفير أهل الأ هواء و البدع و لا شك ان من كان مذهبه و بدعته مؤدّيا الى
و هو غير متأوّل فيه فهو كافر بالإجماع و اما من كان منهم فى مذهبه و بدعته على طريق التأو يل و
و الخطأ المفضى إلى الهوى و البدعة من تشبيه او نعت بجارحة او نفى صفات كمال مما لا يليق به
و تعالى اختلف السلف و الخلف فى تكفيره فقال بعضهم ان اهل الاهواء كلهم كفار و هذا قول
السلف و الفقهاء و المتكلمين من الخلف و منهم من صوب التكفير الذى قالوا به و منهم من ابى
سم من سواد المسلمين وهو اكثر الفقهاء و المتكلمين فقالوا هم فساق عصاة ضلال و يورثهم من
و يحكم لهم باحكامهم قال ابن الهمام فى شرح الهداية نعم يقع فى كلام اهل المذاهب تكفير كثير
كن ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون بل من غيرهم ولا عبرة بغير الفقهاء و المنقول عن
دين عدم تكفيرهم اه. واما قوله عليه الصلاة و السلام (ان بنى اسرآئيل تفرقت على اثنتين و
ملة و ستفرق امتى) يعنى امة الاجابة المؤمنين به صلى الله عليه و سلم (على ثلاث و سبعين ملة
النار الا واحدة و هى ما انا عليه و اصحابى) قال التوربشتى فى شرح المصابيح ان المراد من الامة
يجمعهم دائرة الدعوة من اهل القبلة لأنه اضافهم الى نفسه فقال امتى و اكثر ما ورد من الحديث
الاسلوب المراد منه اهل القبلة و المعنى انهم تفرقوا فرقا تتدين كل واحدة منها بخلاف ماتتدين به
و قوله كلهم فى النار الا واحدة يعنى كلهم يفعلون و يعتقدون ما هو موجب دخول النار فان كان
اتوا عليه دخلوا النار لا يخرجون منها ابدا و ان لم يكن كفرا فهو الى الله تعالى ان شاء عفا عنهم و
عذبهم ثم يخرجهم من النار و يدخلهم الجنة و استشكل ظاهر قوله عليه الصلاة و السلام كلهم فى
ان اريد التأبيد فيها لا يصح لأن من مات من اهل البدع على الايمان فلا بد من دخول الجنة و إن
دخولهم محتم و ان كانوا يخرجون لا يصح لان المؤمن العاصى فى مشيئة الله تعالى و ان اريد انهم
ون لدخولها و هم فى المشيئة فعصاة اهل السنة كذلك فماوجه التخصيص و اجيب بان التخصيص
خذتهم بالعذاب فان عذابهم فى النار يكون اشد عذابا من عصاة الفرقة الناجية لسوء اعتقادهم فى
بيهم و بان الكل مجموعى لا جميعى اى مجموع هذه الفرق فى النار و مجموع هذه الفرقة فى الجنة و لا